

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قطب شتمة -
قسم: العلوم الإنسانية



الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في
شمال إفريقيا 1939/1954
(الجزائر، المغرب، تونس- نموذجاً)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د تاريخ

تخصُّص: تاريخ الجزائر من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الاستقلال

إشراف الأستاذ:

✎ ميسوم بلقاسم

المشرف المساعد:

✎ الأمير بوغدادة

إعداد الطالب:

✎ يوسف موساوي

أعضاء لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
الصادق عبد المالك	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	رئيسا
ميسوم بلقاسم	أستاذ	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
الأمير بوغدادة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	مشرفا مساعدا
علي عيادة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
علي آجقو	أستاذ	جامعة باتنة 01	عضوا مناقشا
عبد الكريم قرين	أستاذ محاضر - أ -	جامعة قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2024 - 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

الشكر لله - عز وجل - الذي أنار لي الدرب، وفتح لي أبواب العلم وأمدني بالصبر والإرادة لإتمام هذه الرسالة، فله الحمد والشكر حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله، ومن باب قول المصطفى صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" فإن الوفاء يقتضي أن يرد الفضل لأهله، لذلك أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من كان له الفضل بعد الله في إخراج هذا البحث العلمي الأستاذ ميسوم بلقاسم لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، والذي وجدت فيه أستاذا فاضلا معطاء بذل الجهد، وقدم التوجيه السليم والرأي السديد، الذي ساعدني في تخطي الكثير من الصعاب فجزاه الله عنى خير الجزاء وأمدّه الله بدوام الصحة والعافية.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور الأمير بوغداده الذي رافقني خلال هذا البحث العلمي ولم يخل بنصائحه وتوجيهاته القيمة فجزاه الله عنى كل خير.

الإهداء

إلى روح والدي العزيز رحمه الله

إلى أُمي الغالية أمد الله في عمرها

إلى زوجتي التي ساندتني وشجعتني في مسيرتي العلمية

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة

إلى الأستاذ بلقاسم زايري من جامعة وهران و الدكتورة صباح عبيد من جامعة محمد

خيضر بسكرة

إلى الإخوة بورنان بوزيد و الدكتور جرفي زكريا

و الدكتور قجاتي عبد الحميد

إلى كل من ساعد على إنجاز هذا العمل

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع .

المختصرات

قائمة المختصرات باللغة العربية	
المختصرات	الاسم الكامل للمختصرات باللغة العربية
إ.د.ب.ج	الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري
إ.ع.ع.ت	الاتحاد العام للعمال التونسيين
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	الجزء
ج.ت.و	جبهة التحرير الوطني
ح.ش.ج	حزب الشعب الجزائري
ح.إ.ح.د	حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
مج	مجلد
د.م	بدون مدينة
د.ب	بدون بلد
د.س	بدون سنة
ط	طبعة
ص	صفحة
ع	عدد

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية

قائمة المختصرات	الاسم الكامل للمختصرات باللغة الفرنسية
F.S.M	Fondation syndicale mondiale
U.G.T.T	Union générale tunisienne du travail
C.I.S.L	Confédération internationale des syndicats libres
C.G.T.T	Confédération générale des travailleurs tunisiens
ED	Édition
T	Tom
V	Vol
N°	Nombre
C.R.U.A	Comité révolutionnaire pour l'unité et l'action

مقدمة

1. تمهيد

شكلت منطقة شمال إفريقيا محطةً مركزيةً في جميع التحولات التاريخية والحضارية التي شهدتها العالم ماضيًا وحاضرًا، حيث جعلت منها الخصوصية الجغرافية منطقةً مفتوحةً على أوروبا شمالًا وإفريقيا جنوبًا، ثم إنها تطل على إحدى أهم ممرات العالم والأكثر عبورًا واستعمالًا والمتمثل في البحر الأبيض المتوسط. لا يتوقف الأمر في شمال إفريقيا على الجغرافيا فقط بل يمتد إلى التاريخ المشترك بين شعوب ودول المنطقة بصورة جعلت من جميع الأحداث التاريخية تتكرر من منطقةٍ لأخرى بنفس التفاصيل ونفس المشاهد تقريبًا، وأحيانًا كثيرة بنفس التكاليف والتضحيات، مثلما حدث خلال الحرب العالمية الثانية التي اكتوت الإنسانية بنارها وراح ضحيتها ملايين البشر وأدت إلى تحولات عميقة على مستوى الخريطة الجيوسياسية الدولية، ولم تكن منطقة شمال إفريقيا بعيدة عن هذه التطورات التي أفرزتها الحرب، فلأول مرة في تاريخها وجدت المنطقة نفسها مقحمةً في حرب على نطاقٍ عالمي، وذلك ليس فقط بسبب تجنيد شبابها الذين حاربوا على مختلف الجبهات ولا بسبب استغلال مقدراتها الاقتصادية المختلفة لتموين الحرب، فالأمر كان كذلك خلال الحرب العالمية الأولى، لكنَّ الجديد هذه المرة هو أنَّ المنطقة أضحت مسرحًا للصراع، حيث شهدت أراضيها عمليات عسكرية عديدة جعلت من المنطقة فاعلاً وشاهدًا على حدثٍ لم يسجل له التاريخ مثيلاً، وإن كانت لا تملك زمام أمورها خلال تلك الحقبة التاريخية، حيث كانت تحت السيطرة الاستعمارية الأوربية، التي وإن اختلفت طبيعتها فقد تشابحت استراتيجيتها ووسائلها وأهدافها في المنطقة.

شهدت السياسة الاستعمارية الفرنسية خلال فترة الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا تقلبات ارتبطت بما عرفته فرنسا من حالة اللا استقرار خلال تلك الفترة بعد سقوطها في يد الجيش الألماني سنة 1940، وبتطور مسار الحرب في المنطقة حيث شكّل نزول الحلفاء في شمال إفريقيا أواخر سنة 1942 حدثًا تاريخيًا مهمًا سواء بالنسبة للمنطقة بصفةٍ خاصةً أو مجريات الحرب العالمية الثانية بصفةٍ عامة وهذا ما أثار في نفسي رغبة الخوض في هذه الدراسة الموسومة بـ: "الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 (الجزائر، المغرب، تونس - نموذجاً) " والتي تحتاج إلى الكثير من البحث والتعمق.

2. أهمية الدراسة:

انطلاقًا مما سبق ذكره تكمن أهمية هذه الدراسة الموسومة بـ: "الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 (الجزائر المغرب تونس نموذجاً) ، الوصول إلى رصد مسار الحركة الوطنية في كلٍّ من الجزائر والمغرب وتونس أثناء فترة الحرب العالمية الثانية من خلال تسليط الضوء على مواقفها من هذا الصراع ونشاطها في سبيل نيل حريتها واستقلالها خلال تلك الفترة، ومحاولتها استغلال ظروف الصراع بين القوى الكبرى لتحقيق تطلعاتها رغم الواقع الصّعب الذي كانت تعيشه منذ اندلاع الحرب، ومن جهةٍ أخرى حاولنا إبراز مدى تأثير هذه الحرب على واقع المنطقة في الأقطار الثلاث (الجزائر-تونس-المغرب)، من خلال إبراز سياسة القمع التي مارسها فرنسا في محاولةٍ منها لإبقاء الوضع على ما كان عليه قبل بداية الحرب، والقضاء على كلّ نشاط من شأنه تغيير واقع المنطقة، كما حاولنا التطرق لمساهمة شعوب المنطقة في هذه الحرب أو بالأحرى الثمن الذي دفعته هذه الشعوب نتيجة هذا الصراع.

3. أسباب اختيار الدراسة:

يعود سبب اختيارنا لدراسة هذا الموضوع إلى أهمية الحدث التاريخي المتمثل في تأثير تطورات الحرب العالمية الثانية على منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة ولكلٍّ من الجزائر والمغرب وتونس بصفة خاصة، وقيمة الموضوع العلمية التي من شأنها إثراء الرصيد العلمي في هذا التخصص، إضافةً إلى دوافع أخرى ذاتية وموضوعية تتمثل في:

1.3 الأسباب الموضوعية:

- توضيح دور منطقة شمال إفريقيا (الجزائر-تونس-المغرب) في هذه الحرب؛
- تسليط الضوء على التاريخ المشترك لشعوب المنطقة ومشاركتها في الأحداث التاريخية؛
- رسم صورة لمعاناة شعوب المنطقة أثناء الحرب والتضحيات الجسام التي قدّموها؛
- إبراز أهمية المنطقة في الأحداث العالمية خاصةً من الناحية الاستراتيجية كونها قريبةً لمسرح الأحداث العالمية؛
- استظهار الدور السياسي والعسكري الذي لعبته المنطقة بصفقتها خزان للموارد، والمجندين من الشباب؛
- رصد طبيعة المشروع الوحدوي التحرري المغاربي.
- استخلاص تأثير الحرب العالمية الثانية على شعوب المنطقة؛

إضافة إلى وجود أسباب منطقية أخرى ترجع إلى توافق الدراسة والتخصص العلمي والمهني، إضافةً إلى ميولي إلى الدراسات المغاربية والشغف للاطلاع على تاريخ المنطقة.

4. الإطار المكاني والزمني للدراسة:

أردت أن أحصر مجال دراستي هذه لتشمل جغرافيا جزء مهم من منطقة شمال إفريقيا أو منطقة (شمال غرب إفريقيا)، كما يُطلق عليها بعض المؤرخين الغربيين خاصةً في دراساتهم، والمتمثل في الأقطار الثلاث (الجزائر وتونس والمغرب)، لكن يمتد المجال الجغرافي للدراسة أحيانا هذا المجال ليُطال أجزاء أخرى من العالم لها ارتباط وثيق ومباشر مع الصراع الدائر بين القوى الكبرى في المنطقة مثل فرنسا أو إسبانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو ألمانيا.

أما الفترة الزمنية للدراسة فهي محصورة بين سنتي (1939/1954)، أي منذ تاريخ اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى غاية اندلاع ثورة التحرير في الجزائر، مع الأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه من الدراسة التاريخية في بعض الأحيان كإعطاء لمحة أو الرجوع إلى جذور بعض الأحداث التاريخية التي تفيدنا في الإلمام بجوانب الدراسة، أو اتساع المجال الزمني لغاية 1956 تاريخ استقلال كل من تونس والمغرب.

5. إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية هذه الدراسة حول إظهار مدى تأثير تطورات الحرب العالمية الثانية على النشاط الوطني في كلٍّ من الجزائر المغرب وتونس، من خلال سرد الأحداث التاريخية وتحليلها للوصول إلى فهمٍ أعمق لتلك التأثيرات التي خلفها الصراع الدائر بين الحلفاء والمحور في المنطقة.

ومن أجل الخوض في خبايا هذه الدراسة قمت بصياغة الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهمت تداعيات الحرب العالمية الثانية على منطقة شمال إفريقيا في تطوّر مطالب الحركة الوطنية وتبلور الفكرة الثورية ووضعها موضع التنفيذ؟

ومن هذه الإشكالية الرئيسية تتفرع إشكاليات فرعية:

- ما مواقف مختلف تيارات الحركة الوطنية وزعمائها في شمال إفريقيا من الصراع الدائر بين القوى الكبرى خلال الحرب العالمية الثانية؟
- كيف تعاملت الحركة الوطنية في شمال إفريقيا في ظل الأزمة الداخلية التي عايشتها فرنسا خلال تلك الفترة؟
- لماذا تحولت جبهة البحر المتوسط إلى جبهة صراع استراتيجيّة في نظر كلٍّ من الحلفاء والمحور؟
- كيف سارت مجريات الإنزال الأنجلو أمريكي خلال الحرب العالمية الثانية على منطقة شمال إفريقيا وما آثاره على المنطقة؟
- هل استفاد زعماء الحركة الوطنية في شمال إفريقيا من وجود الحلفاء في المنطقة خاصّةً الأمريكيين؟
- ما أثر نزول الحلفاء في أراضي شمال إفريقيا على تطوّر نشاط الحركة الوطنية في المنطقة؟

6. المناهج المعتمدة في الدراسة:

1.6. المنهج الوصفي: كونه يعطي الصّورة كما هي موجودة ومعروضة للعيان، وهو ما اعتمدنا عليه في وصف أحداث الحرب وسيرها على المنطقة.

2.6. المنهج التاريخي: بحكم أنّ الدراسة تتناول فترة من الفترات التاريخية، ولأنّ ذلك يتناسب وموضوع الدراسة في جمع المعطيات والحقائق وفهم مختلف الأحداث.

3.6. المنهج التحليلي: لعرض المعلومات وتحليل معطياتها وتوضيح الخفي والمبهم وراء كلّ حدثٍ ومعالجة القضايا الشائكة بدقة وبعد نظر، ما يزيد في إثراء رصيد المواضيع البحثية وفسح المجال إلى توسيع البحث والتنقيب في الوثائق التاريخية من جهة وأيضًا جمع الآراء المختلفة حول الحادثة التاريخية.

4.6. المنهج المقارن: استُخدم المنهج المقارن إذا اقتضت الحاجة لعرض مقارنة للوقائع والأحداث وآراء الشخصيات التي عايشت الحدث والتي يتناولها موضوع البحث، لكي يتسنى لنا القيام بعملية نقد موضوعية لمختلف الوثائق والكتابات التاريخية، خاصّةً أنّ الأحداث تتشابه بشكلٍ كبير في كلٍّ من الجزائر وتونس والمغرب.

5.6. المنهج الإحصائي: باعتبار أنَّ الموضوع محلّ الدّراسة يحمل الكثير من الأرقام والإحصائيات التي تحتاج لفرز وإحصاء القيم العديدة لمساعدة الباحث على عملية التحليل الضمني للمعطيات.

7. خطة الدّراسة:

من أجل معالجة الإشكالية الرئيسية وما لحق بها من أسئلة فرعية ولأجل تحقيق أهداف الدّراسة تم الاعتماد على مخطط بحث يتضمّن مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، إضافةً إلى مجموعة ملاحق ذات الصّلة بموضوع البحث وقائمة متنوعة من المصادر والمراجع.

جاء الفصل الأول الموسوم بعنوان: **الحركة الوطنية وسياسة القمع الفرنسية في شمال إفريقيا بداية الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939-1940)** ويحتوي على ثلاث مباحث، المبحث الأول بعنوان: **"الحركة الوطنية الجزائرية وسياسة القمع الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية"**، وقسمنا هذا المبحث إلى عنوانين فرعيين، العنوان الفرعي الأول "اندلاع الحرب العالمية الثانية ومواقف الجزائريين"، أردنا من خلاله في البداية تقديم لمحة عن الظروف الدولية السائدة عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية داخل القارة الأوروبية كما تناولنا أسباب اندلاع هذه الحرب، وتطرّقنا كذلك إلى مواقف الجزائريين المختلفة من الصّراع الدائر بين القوى الكبرى مثل موقف حزب الشّعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتّواب المنتخبين وكذلك شيوخ الطرق والزوايا، أمّا العنوان الفرعي الثاني الذي جاء بعنوان **"سياسة القمع الفرنسية في الجزائر بداية الحرب العالمية الثانية"** فأشرنا من خلاله إلى مختلف التدابير والإجراءات والقوانين القمعية التي اتخذتها سلطة الاحتلال للتضييق على الجزائريين كحل الأحزاب واعتقال الزعماء وتجنيد الشّباب الجزائري في الجيش الفرنسي وتعطيل ومصادرة الصّحف.

وخصّصت المبحث الثاني الذي حمل عنوان **"المغرب تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية"** والذي شمل عنوانين فرعيين كذلك، حيث جاء العنوان الفرعي الأول **"مواقف المغاربة من الصّراع بين الحلفاء والمحور"** لدراسة وتحليل المواقف المختلفة للمغاربة من الصّراع الدائر بين الحلفاء والمحور، والبداية كانت بموقف السُّلطان محمد الخامس ثم مواقف الوطنيين المغاربة على غرار موقف حزب الاستقلال بقيادة علال الفاسي وموقف الحركة القومية بقيادة الوزاني، وجاء العنوان الفرعي الثاني **"سياسة الحماية الفرنسية بالمغرب بداية الحرب العالمية الثانية"** التي قادها المقيم العام شارل نوجيس.

حمل المبحث الثالث عنوان **"تونس تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية"** وقسمته إلى عنصرين، تطرقت خلال العنوان الفرعي الأول **"تونس في استراتيجية الحلفاء والمحور"** إلى الأهمية التي أولاها كلٌّ من الحلفاء والمحور في السّيطرة على البلاد التونسية، ظهر هذا الصّراع خاصّةً بين فرنسا وإيطاليا، وتطرقت خلال العنوان الفرعي الثاني إلى مواقف التونسيين من الصّراع بين الحلفاء والمحور من خلال مواقف الحزبين الدّستوري القديم والدّستوري الجديد.

جاء الفصل الثاني **"شمال إفريقيا خلال الهدنة الفرنسية الألمانية جوان 1940-نوفمبر 1942"** والذي قسّمته إلى ثلاث مباحث وقسّم كلُّ مبحثٍ إلى مجموعة عناوين فرعية، المبحث الأول: **"الهدنة الفرنسية الألمانية"**، تعرّضت من خلاله لدراسة **"اهتبار فرنسا وتوقيع الهدنة"** بعد الهجوم الخاطف في جوان 1940 لقوات البانزر الألمانية التي فاجأت قوات فرنسا المحمية بخط ماجينو، وتعرضتُ بالدراسة في العنوان الفرعي الثاني إلى **"قيام حكومة فيشي"** المتعاونة مع الألمان في 10 جويلية 1940، في المبحث الثاني **"حكم فيشي في شمال إفريقيا"** والذي قسّمته إلى ثلاث عناوين فرعية، العنوان الفرعي الأول **"الجزائر تحت حكم فيشي"** تطرقت خلاله إلى نشاط مختلف تيارات الحركة الوطنية خلال تلك الفترة على غرار النّشاط السّري لحزب الشّعب، ونشاط النواب الجزائريين، وكذلك

نشاط جمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي، وتناولت خلال العنوان الفرعي الثاني "المغرب الأقصى في عهد حكومة فيشي" إلى نشاط الملك محمد الخامس والوطنيين المغاربة في المنطقة السلطانية خلال فترة حكم فيشي وكذا سياسة فيشي في المغرب التي لم تختلف كثيراً على سياسة سلطة الحماية فيما قبل، في العنوان الفرعي الثالث "تونس خلال الهدنة الألمانية الفرنسية" تطرقت من خلاله إلى شرح وتفصيل طبيعة الصراع الدائر بين القوى الوطنية في تونس وحكومة فيشي وظهور المنصف باي على الساحة السياسية التونسية كقائد بارز وبطل قومي في مواجهة سلطة فيشي، كما تمت دراسة وضعية اليهود التونسيين بعد إصدار فيشي القوانين الخاصة بفئة اليهود، أما المبحث الثالث "دعاية المحور في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية" فقد تناولت من خلاله أدوات ووسائل الدعاية النازية مثل الراديو والدعاية المكتوبة وكذلك محتوى هذه الدعاية في شمال إفريقيا.

أما الفصل الثالث الذي جاء بعنوان: "الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية (عملية الشعلة نوفمبر 1942)" فقد قسمته إلى أربعة مباحث، كل مبحث ينقسم إلى مجموعة من العناوين الفرعية، المبحث الأول "ظروف عملية الإنزال (الشعلة)" شمل عملية التحضير لعملية الشعلة من طرف الحلفاء وكذلك الصعوبات التي واجهت عملية الإنزال، كما استعرضنا العلاقات الفرنسية الأمريكية عشية عملية الإنزال، ونشاط المقاومة السرية التي لعبت دوراً أساسياً في تسهيل الإنزال خاصة على السواحل الجزائرية، وعملية سارية العلم التي رُسم خلالها المخطط النهائي لعملية الإنزال.

إحتوى المبحث الثاني "سير عملية الإنزال الشعلة على السواحل الجزائرية" على عنصرين، الأول "عملية الإنزال الشعلة على سواحل مدينة الجزائر"، والعنصر الثاني "عملية الإنزال الشعلة على سواحل وهران"، وجاء المبحث الثالث بعنوان "عملية الإنزال الشعلة على سواحل المغرب الأقصى" والذي قسمته إلى ثلاثة عناصر: "الإنزال على سواحل مدينة آسفي" و"الإنزال على سواحل الدار البيضاء" و"الإنزال على سواحل بورت ليوتي (القنيطرة)"، وقسم المبحث الرابع "معركة تونس (13 نوفمبر 1942)" إلى ثلاثة عناصر: "حشد قوات المحور بتونس" و"إعداد الحلفاء للحملة على تونس" و"نجاح حملة الحلفاء في تونس".

في الفصل الرابع "أثر الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في شمال إفريقيا (1943-1954)" الذي يحتوي على ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان: "أثر الحرب العالمية الثانية على الجزائر" قسمته إلى أربعة عناوين فرعية، شملت بالدراسة أولاً "بيان فيفري 1943" من خلال: ظروف صياغة البيان، محتوى البيان، ملحق البيان، أهمية البيان، ثانياً "مجازر 8 ماي 1945" من خلال عرض سير المظاهرات، وقمع المتظاهرين من طرف القوات الفرنسية، ثالثاً "انعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على الوضع العام بالجزائر" عرضت من خلاله نتائج المجازر وانعكاساتها على الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وأصحاب الحرية والديمقراطية وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، رابعاً "أزمات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، وتعرضت خلال هذا العنصر إلى أزمة الإنتخابات، والأزمة البربرية، وأزمة الأمين دباغين، وتأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

المبحث الثاني بعنوان "تأثير الحرب العالمية الثانية على المغرب الأقصى"، قسمته إلى ستة عناوين فرعية: لقاء أنفا 14 جانفي 1943 وانعكاساته على المغرب، تأسيس حزب الاستقلال جانفي 1944، تقديم وثيقة الاستقلال 11 جانفي 1944 وردود فعل المغاربة، تأسيس حزب الشورى والاستقلال 1946، مذكرة 23 سبتمبر 1947، زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة أبريل 1947.

المبحث الثالث "تأثير الحرب العالمية الثانية على تونس" وقسمته إلى خمسة عناوين فرعية، أولاً "نفي المنصف باي وردود الفعل التونسية"، تطرقت خلاله إلى شرح ظروف خلع الباي المنصف ونشأة الحركة المنصفية بتونس، ثانياً "تكتل مختلف تيارات الحركة الوطنية التونسية وتبلور مطالبها"، ثالثاً "مؤتمر ليلة القدر أوت 1946"، رابعاً "تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل"، خامساً "المفاوضات والاستقلال".

في الأخير ذيلنا الدراسة بخاتمة شملت جملة ما توصلنا إليه، والتي حاولنا من خلالها الإجابة على الإشكالية الرئيسية للدراسة وكذا مجموعة التساؤلات الفرعية المطروحة، مدعمة بمجموعة من الملاحق الأرشيفية ذات الصلة بالموضوع وبيبلوغرافيا متنوعة باللغة العربية والفرنسية.

8. المادة العلمية المعتمدة في الدراسة:

لقد سعينا خلال هذه الدراسة إلى جمع ما يمكن من المادة العلمية المتنوعة من خلال المراجعة للإنتاج الفكري العربي والأجنبي لاستخلاص التجارب، والتعريف على الاتجاهات الفكرية التي تخص دراستنا، وتم الاعتماد على الوثائق الأرشيفية، ومن الكتب اعتمدنا خاصة على المذكرات الشخصية المنشورة، كما اعتمدنا على الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية، والدوريات والندوات والملتقيات العلمية، والتقارير والمقالات العلمية المنشورة، إضافة إلى القواميس والموسوعات.

1.8. الوثائق الأرشيفية:

1.1.8. الأرشيف الوطني الجزائري:

اعتمدنا في دراستنا هذه على ما توفر لدينا من مادة أرشيفية في الجزائر، فكانت البداية من مركز الأرشيف الوطني Archives Nationales بالجزائر العاصمة، أين وجدنا صعوبات كبيرة في الاطلاع على الأرشيف المطلوب، ونفس الشيء تقريباً بالنسبة لأرشيف ولاية الجزائر التي أصبحت إدارتها توجه الباحثين إلى إدارة الأرشيف الوطني.

بالنسبة لأرشيف ولاية وهران A.W.O فقد قدم لنا عماله تسهيلات استطعنا بفضلها الاطلاع على سلسلتين دون السماح بعملية التصوير وهما: Série1- Affaires Musulman 1837-1961 والتي احتوت على مجموعة من العلب الأرشيفية القيمة حملت تقارير شهرية ونصف شهرية صادرة من مركز الاستعلامات والدراسات CIE والتي تحولت سنة 1947 إلى مصلحة العلاقات لشمال إفريقيا SLNA، وكذلك السلسلة: Sous Série 1 F: Sureté Générale 1832-1957 التي احتوت على مجموعة من العلب، اهتمت الوثائق الموجودة بها بالواقع الاجتماعي للسكان المسلمين. كما استفدنا في مدينة وهران من الزيارة التي قادتنا إلى مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC والذي يضم قسم خاص بالانثروبولوجيا الاجتماعية للتاريخ والذاكرة، حيث اطلعنا على الكثير من البحوث الهامة التي تتعلق بتاريخ الجزائر خلال فترة دراستنا.

2.8. المصادر:

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر المتنوعة والمطبوعة باللغة العربية واللغات الأجنبية المختلفة كاللغة الإنجليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية ومصادر تمت ترجمتها من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية ، أهمها مذكرات شخصية لقادة أو زعماء مؤثرين في الأحداث التاريخية المعنية بهذه الدراسة ونذكر من أهم تلك المصادر:

1.2.8. مصادر جزائرية:

مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة: العفيف الأخضر، عباس فرحات، غداً سيطلع النهار، ترجمة: حسين لبراش، خير الدين محمد، مذكرات، بوضياف محمد، التحضير لأول نوفمبر 1954، المطاوي محمد، مذكرات مناضل،

Abbas Ferhat, *La nuit Coloniale*, Abbass Ferhat, *L'Algérie de la Colonie Vers La Province*, *Le Jeune Algérien* (1930), *Suivi de Rapport au Maréchal Pétain Avril 1941*, Ben khedda Ben youssef, *Les origine du 1er novembre 1954*, Kadache Mahfoud, *Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1951*, Mahsas Ahmed, *Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie de la Première Guerre Mondiale à 1954: essai sur la mouvement national*.

2.2.8. مصادر مغربية:

اعتمدت على مجموعة من المصادر المغربية يعود بعضها إلى أكثر من نصف قرن والتي انقسمت بين قراءات "الاستقلاليين" كما هو الحال بالنسبة لكتاب "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" لعلال الفاسي، وكذلك كتاب "تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب" لعبد الكريم غلاب، ومذكرات القادري أبوبكر "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية"، وكتاب القادري أبوبكر "محمد الخامس ملايح من حياته وصور من جهاده"، وبين قراءات "الشوريين" أو "الدستوريين" فيما بعد على غرار ما كتبه الوزاني محمد حسن "مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية".

Ben Barka Mahdi, *Option Révolutionnaire au Maroc Suivi de Écrits politiques*.

3.2.8. مصادر تونسية:

المطاوي محمد "مذكرات مناضل"، المرزوقي محمد "صراع مع الحماية"، القليبي محي الدين "مأساة عرش"، القصاب أحمد "تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)"، الحبيب بورقيبة "حياتي آرائي جهادي".

- Boularés Habib, *Histoire de la Tunisie les Grandes Dates de la Préhistoire à la Révolution*,

4.2.8. مصادر أجنبية:

إضافة إلى هذه الدراسات التي كتبها الزعماء والسياسيين والمثقفين في كلٍّ من الجزائر وتونس والمغرب خلال هذه الفترة فإننا نجد العديد من المؤلفات الأجنبية سواءً منها الفرنسية التي اهتمت بكتابة تاريخ المنطقة أو المصادر الأجنبية التي كتبت بغير اللغة الفرنسية كالإنجليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الإسبانية والتي أستفدنا منها بشكلٍ كبير خاصةً فيما يخص تلك المصادر التي كتبت عن تطورات الحرب العالمية الثانية على غرار مذكرات ونسطن تشرشل أو كتابات آيزنهاور، ونذكر من أهم تلك المصادر:

- Albin Michel. Marcel Peyrouton, **Histoire générale du Maghreb: Algérie, Maroc, Tunisie.**
- Aron Robert, **The Vichy Regime 1940-1944.**
- Dwight David Eisenhower, **Crusade in Europe: A Personal Account of World War II.**
- Winston Churchill, **Mémoires sur la deuxième guerre mondiale, Le tournant du destin, L'Afrique sauvée, 4 juillet 1942-5 juin 1943.**
- Soustelle Jaques, **Envers et Contre Tout, de Londres à Alger Souvenirs et Documents sur la France Libre 1940-1942.**

3.8. المراجع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المراجع والتي شكّلت بالنسبة لنا مرجعية هامة في رسم مسار لإعداد الأطروحة ووضع قاعدة أساسية لدراستنا هذه، تنوعت بين المراجع العربية والأجنبية، نذكر البعض منها على سبيل المثال:

1.3.8. مراجع باللغة العربية:

راشد أحمد إسماعيل "تاريخ المغرب السياسي الحديث والمعاصر" - الزبيري محمد العربي "تاريخ الجزائر المعاصر" - الزملي الصادق "تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء والخيبة" - سعد الله أبو القاسم "الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)" - عزيز عبد الكريم "نضال شعب أبي تونس 1881-1956 - كارتبييه ريمون" الحرب العالمية الثانية (1942-1945).

2.3.8. مراجع باللغة الأجنبية:

- Benjamin Stora, **Messali Hadj (1898-1974) pionnier du Nationalisme Algérien.**
- Brian Lane herder, **operation torch 1942 the invasion of French north Africa.**
- Jon Diamond, **First Blood in North Africa (Operation Torch and the U.S campaign in Africa in WWII).**
- Marc Olivier Baruch, **Vichy et les préfets Le corps préfectoral français pendant la Deuxième Guerre mondiale.**
- María Rosa de Madariaga, **Los moros que trajo Franco.**
- **Christine Levisse Touzé, L'Afrique du Nord - Recours ou secours ? septembre 1939 - juin 1943, Thèse de doctorat.**
- **Jamaâ Baida, La presse marocaine d'expression française des origines à 1956, Thèse de doctorat.**

4.8. الصحف والمجلات:

كما اعتمدنا خلال هذه الدراسة على مجموعة متنوعة من الصحف والمجلات التي استفدنا منها بالقدر الذي مكّننا من التعرف على التطوّرات الحاصلة في المنطقة خلال فترة الدراسة، هذا بالرّغم من تعرض الكثير من تلك الصحف إلى التضييق خلال فترة الحرب إمّا بالرقابة الشديدة أو حجز بعض الأعداد منها أو تعطيلها نهائيًا، و وصل الأمر في بعض الأحيان حتى إلى مهاجمة الشرطة الفرنسية في باريس مقر بعضًا منها ومصادرة وثائقها على غرار ما حدث مع جريدة الأمة في شهر جوان 1939، بالإضافة إلى المجلات والصحف الصّادرة بكل من الجزائر، تونس أو المغرب سواءً الناطقة باللغة العربية أو الفرنسية، فقد استفدنا خلال هذه الدراسة من الصحف العالمية خاصّةً تلك المتخصصة في فترة الحرب العالمية الثانية بمختلف عناوينها والتي تابعت تطوّرات الحرب العالمية الثانية بالتفصيل، ومن بين كلّ تلك الصحف نذكر: جريدة "البصائر" ومجلة "الشهاب" وكذلك جريدة "الزهرة" و "نشرة أخبار المغرب" وصحيفة "Liberté" و "Le Monde" وكذلك صحيفة "Echo d'Alger" وصحيفة "New York Times".

9. نقد المصادر والمراجع:

أمّا فيما يخص نقد هذه المصادر والمراجع فبالرّغم من استفادتنا منها بشكل كبير لقيمتها العلمية القيّمة إلّا أنّها لا تخلو من بعض التناقضات التي سجّلناها خلال دراستنا المتواضعة، نذكر أهمّها ما سجّلناه بين مؤلفات المؤرخين الفرنسيين خاصّةً ومؤلفات المغاربة بشكل عام حول الكثير من الأحداث التاريخية التي تناولناها خلال دراستنا هذه، فاختلّفت المصطلحات والدلالات وتضاربت الأرقام والإحصائيات وتعارضت حتى طريقة سرد الأحداث وقد يرجع ذلك أساسًا إلى الجانب الذاتي، حيث ركّزت الدراسات الأوروبية والفرنسية بشكل خاص على توجيه تاريخ منطقة شمال إفريقيا وجهةً استعمارية خبيثة لخدمة السياسة الاستعمارية وتبرير وجودها، وانطلق أصحابها من قناعات جعلتهم يتعدّون على الموضوعية العلمية، ليس ذلك فقط بل نجد اختلافًا وتناقضًا حاصلاً حتى داخل المصادر المغاربة في حدّ ذاتها حول بعض الأحداث التاريخية، فمثلاً نجد اختلافًا واضحًا بين ما كتبه الشيوعيون في الجزائر وما كتبه غيرهم من الاستقاليين أو الإصلاحيين حول مسائل تتعلق بفترة دراستنا، ما ينطبق على المغرب الأقصى، فالاختلاف حول بعض المسائل بين كتابات الاستقاليين والدستوريين واضح، إضافةً إلى أنّ المؤرخين المغاربة الذين كتبوا حول هذه الفترة نجد أنّ أغلبهم ابتعدوا عن الموضوعية، خاصّةً عندما يتعلق الأمر بالسلطان محمد الخامس أو مؤسسة المخزن بصفة عامة، ولا يختلف الأمر كثيرًا في تونس إذ نلاحظ اختلافًا بين كتابات الدّستوريين القدامى والدّستوريين الجدد حول بعض المسائل.

10. الدراسات السابقة:

استفدنا خلال دراستنا من الكثير من الدراسات الأكاديمية السابقة خاصّةً المتمثلة في مذكرات الدراسات المعمّقة وأطروحات الدكتوراه المتوفرة باللغة العربية أو باللغة الأجنبية، والتي تناولت موضوع الدراسة بإسهاب وساعدتنا للوصول إلى بيبليوغرافيا غزيرة ساهمت بقسط كبير في إنجاز هذه الدراسة، ونرى هنا أنّه من الواجب العلمي أن نذكر على وجه الخصوص الأعمال التالية:

– آيت بلقاسم فاطمة الزهراء، الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات الوطنية المغربية الجزائر والمغرب الأقصى نموذجين 1939-1956، أطروحة دكتوراه؛

– زايددي عزيز الدين، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا، أطروحة دكتوراه؛

– حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية (مقاربة في المضامين)، أطروحة دكتوراه.

- **Christine Levisse Touzé**, L'Afrique du Nord - Recours ou secours ? septembre 1939 - juin 1943,
Thèse de doctorat.

11. صعوبات الدراسة:

لا يمكن أن تخلو أيُّ دراسة أكاديمية من الصُّعوبات وبما أنَّ دراستنا هذه واسعة الجوانب ومتعدِّدة الأطراف ومتداخلة الأفكار والآراء، فلقد تطلَّب منّا الأمر بذل الجهد والصَّبر والإرادة من أجل مواجهة الصُّعوبات التي واجهتنا أثناء جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة أو خلال فترة تحريرها، ومشكلة دور الأرشيف في الجزائر تعد اهم عائق قد يواجهه الباحث في التاريخ، فهي إمّا غير متعاونة تمامًا مثلما هو عليه الحال بالنسبة لمركز الأرشيف الوطني بالعاصمة أو مركز أرشيف ولاية الجزائر، أو أنها تفتقر إلى أدنى الشُّروط والمواصفات التي يجب أن تتصف بها هياكل حفظ الأرشيف، كما واجهتنا خلال دراستنا هذه مشاكل نقص الوثائق الأرشيفية وكذا المراجع والمصادر المتخصصة باللغة العربية، ما تطلب منّا ترجمة العديد منها إلى اللغة العربية.

الفصل الأول

الحركة الوطنية وسياسة القمع
الفرنسيّة في شمال إفريقيا بداية
الحرب العالمية الثانية

ديسمبر 1939 - جوان 1940

1. اندلاع الحرب العالمية الثانية ومواقف الجزائريين:

1.1. اندلاع الحرب العالمية الثانية:

تميزت العلاقات الدولية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية بالتوتر بين القوى الكبرى وهي بريطانيا الإمبراطورية العظمى التي يطلق عليها اسم "الكومنولث البريطاني-Commonwealth"، وفرنسا التي كانت تسيطر على مستعمرات في شمال غرب إفريقيا، وإفريقيا الاستوائية ومستعمرات في آسيا، وإيطاليا التي كانت إمبراطورية تشمل مستعمرات في شرق إفريقيا، وليبيا في شمال إفريقيا وجزر الدوديكانيز إضافةً إلى ألبانيا التي ضمتها في مارس 1939.

ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة منافسة بسيطرتها على املاك في جنوب القارة الأمريكية وكان لها مناطق نفوذ واسعة داخلها وقواعد بحرية في المحيط الهادي، أما ألمانيا فلم تكن لها مستعمرات إذ فقدتها جميعها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، واقتسمتها كلٌّ من بريطانيا وبلجيكا وفرنسا واليابان، هذه الأخيرة التي كانت تمثل إمبراطورية ولها ممتلكات شاسعة في شرق آسيا، وامتدت سيطرتها على العديد من الجزر حتى بلغت منتصف المحيط الهادي إضافةً إلى سيطرتها على منشوريا وشمال شرقي الصين ومناطقه الوسطى والساحلية الجنوبية، ولم يتبقى للإتحاد السوفييتي أي مستعمرات بعد نجاح الثورة البلشفية 1917، فقد ألغت الحكومة السوفياتية المعاهدات الاستعمارية على كل من الصين، تركيا وإيران¹، وكشفت على الاتفاقيات السرية التي عقدتها روسيا القيصرية مع الحلفاء.

صرح أدولف هتلر² بعد تعيينه مستشاراً للرايخ الثالث في 30 جانفي 1933 قائلاً: «إنّ الرايخ³ الأول هو دولة بسمارك، والرايخ الثاني هو جمهورية فرساي والرايخ الثالث هو دولي»، ومنذ قيامه مرّت سياسة ألمانيا الخارجية على مرحلتين:

- تميزت الأولى بمحاولة تمزيق معاهدة فرساي بشقّ الوسائل تحت ستار العمل على استرداد مكانة ألمانيا كدولة عظمى، لذلك لم ينقضي إلا أشهر حتى أقدمت ألمانيا في أكتوبر 1933 على الانسحاب من مؤتمر تخفيض السلاح، والخروج من عصبة الأمم وأخذت في التسلح علانيةً واحتلت منطقة الراين في مارس 1936⁴، وضلّ هتلر يستعيد الأجزاء التي اقتطعت من ألمانيا واحداً تلو الآخر دون أن يشعر بأيّ ردة فعل من الدول الغربية، بل العكس من ذلك أصبح يحسّ بخوف الدول الغربية التي أصبحت تتنافس لإرضائه وتسابقهم لعقد الاتفاق معه، وضنّ العالم أنّ هتلر سيكتفي بما استعاده من المناطق التي انتزعت منه، لكنه انقض على منطقة السوديت التي تسكنها أكثرية ألمانية ثم تشيكوسلوفاكيا دون أن تحرك الدول الغربية ساكناً⁵، ولعلّ المواقف الاستسلامية لفرنسا وبريطانيا خلال مؤتمر ميونيخ 30 سبتمبر 1938⁶ حملت هتلر على الاعتقاد بأنهما سوف توصلان سياستهما الاستسلامية،

1 عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 102.

2 أدولف هتلر: ولد في برونو العام 1889 في النمسا، أصبح مستشاراً على الرايخ في 30 جانفي 1933 بعد أن فرض نظامه على ألمانيا وأعاد إحياء الروح القومية عبر إعلام قوي، تخلص من المعارضة الداخلية بالنسبة لسياسته الخارجية فرض على أوروبا واقعا جديدا حتى خضعت أقوى الدول الأوروبية لمطالبه.

3 الرايخ (بالألمانية: Reich) هو الاسم الرسمي لألمانيا في الفترة من 1871 إلى 1945 باللغة الألمانية. ترجمته الحرفية هي "الإمبراطورية الألمانية"، تخلت الإمبراطورية الألمانية بعد الحرب العالمية الأولى عن كلمة رايخ والتي تعني "الإمبراطورية" وتحول الاسم الرسمي بصورة غير رسمية، ببساطة إلى ألمانيا.

4 محمد فؤاد شكرى، ألمانيا النازية (دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر 1939-1945)، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2018، ص 14.

5 رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية عرض مصور، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت 1989، ص 13-14.

6 معاهدة ميونخ أو اتفاق ميونخ وهي عبارة عن اتفاقية تمّت في ميونخ في 30 سبتمبر من عام 1938، بين ألمانيا النازية، بريطانيا، فرنسا وإيطاليا. وكانت بمثابة تسوية تسمح بضم ألمانيا النازية إلى منطقة السوديت التابعة لمنطقة تشيكوسلوفاكيا، التي يعيش فيها مواطنون ناطقون بالألمانية في محاولة لاحتواء ألمانيا النازية أيضا لتجنب اندلاع حرب عالمية أخرى.

مما جعله يصمّم على الحرب ضدّ بولندا، كما شكّل توقيع ألمانيا لمعاهدة عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفياتي في 23 أوت 1939¹ سبباً في الدّفع نحو الحرب بالرّغم من أنّ السوفيات اعتبروا الخطوة تكتيكية من شأنها أن تمنحهم الوقت الكافي للاستعداد لمواجهة هتلر.

يرجع السّبب المباشر لاندلاع الحرب إلى أواخر 1938 أين توترت العلاقات بين ألمانيا وبولندا بعد حدوث اضطرابات في بعض المناطق البولندية التي يقطنها ألمان، مما اضطرّ السّلطات البولندية إلى طرد أعداد كبيرة من الألمان من أراضيها، وقد ردّت ألمانيا على ذلك بالمثل، واستمرت عمليات الطرد المتبادلة إلى غاية جانفي 1939 حينما تم التوصل إلى حل المشكل بينهما، لكن الصّحافة الألمانية شنّت حملة إعلامية ضدّ بولندا اتهمت فيها البولنديين بالإساءة للأقلية الألمانية.

بدأت الحكومة الألمانية تثير من جديد مسألة استرجاع ميناء دانزينغ²، وفي أواخر أفريل 1939 يبعث هتلر بمذكرة إلى الحكومة البولندية أكّد فيها على مطالب ألمانيا وأبدى استعداداً لمنح بولندا حرية التجارة في ميناء دانزينغ والتوقيع على معاهدة عدم اعتداء جديدة معها³، لكن كان من الواضح أنّ هتلر لم يكن راغباً في حل يتضمّن بعض التنازلات، كما أن موقف البولنديين الرّافض لاقتراحات هتلر للوصول إلى حل للامّة والمدعوم بتعهّد بريطانيا وفرنسا في 31 مارس 1939 بتقديم المساعدة إلى بولندا في حال تعرّضها إلى أيّ اعتداء، لتقوم الحكومة الألمانية بإلغاء معاهدة عدم الاعتداء الموقّعة مع بولونيا سنة 1934.

أمر هتلر قاداته العسكريين لإعداد خطة الهجوم على بولونيا بأسرع وقتٍ ممكن وأعطيت الخطة اسم الخطة البيضاء⁴ واستطاع هتلر إبعاد جميع الضّباط الذين تردّدوا في تأييد خطط الحرب، وسلك هتلر حسب الخطة النازية التي اشتهرت فيما بعد واعتمدتها دولٌ أخرى للضّغط والتوسّع⁵ على أن يمهد كل ذلك لعملية غزوٍ خاطفة قبل أن يُتاح للبريطانيين والفرنسيين التحرك لنجدة بولندا⁶، ابتدأت الاستعدادات العسكرية لغزو بولونيا، حيث جرت عملية حفر المواضع وإعدادات دفاعات الميدان، وكان يوم 25 سبتمبر موعد الهجوم الأصلي الذي ألغي من قبل هتلر في اللحظة الأخيرة، ولقد ترك هذا الحدث شعوراً بالانفراج عند الجنود الألمان وقادة الجيش لكن سرعان ما تبدّد هذا الشّعور.

صباح يوم 31 سبتمبر صدرت الأوامر بالتقدّم مرة ثانية، لتجتاز 44 فرقة عسكرية نظامية ألمانية الحدود البولونية⁷، ويبدأ تنفيذ عملية الخطة البيضاء، ورغم تدخّل ملك بلجيكا ليوبولد الثالث باسمه وباسم ست دولٍ أخرى وكذلك محاولة الرئيس

1 وقع المعاهدة كل من وزير الخارجية الألماني رينتروب والسوفياتي مولوتوف في موسكو وارتقت المعاهدة ببروتوكول سري حول التقسيم المرقّب لبولونيا، اعتبرت الاتفاقية نجاحاً باهراً للدبلوماسية الألمانية فالاتفاقية التي حققتها مع السوفيات في أسابيع فقط عجزت الدبلوماسية الغربية تحقيقها في أشهر، يرجع ذلك لأن ألمانيا قدمت للسوفيات هدية عجزت بريطانيا وفرنسا عن تقديمها.
2 كانت معاهدة فرساي قد إنتزعت من ألمانيا ميناء دانزينغ الواقع إلى بحر البلطيق، والممر البولندي وهو شريط من الأرض عرضه 25 ميلاً كان يصل بولندا ببحر البلطيق وسلمتها إلى بولندا، وقد ترتّب عن ذلك شطر ألمانيا إلى شطرين وأصبحت الوسيلة الوحيدة للإتصال بينهما هو خط سكة حديدي يخضع لإشراف لإشراف بولندا.

3 فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج4، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان 2014، ص 1357-1358.

4 سيغفريد ويستفال وآخرون، القرارات المهلكة، ترجمة: رشيد صالح، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 1983، ص 12.

5 إعتمدت خطة الضغط الألمانية على تشجيع التذمر على الحدود بين البلدين، حشد قوات ألمانية على الحدود، تدبير إستفزازات مفتعلة وأقامات بالعنوان أشهرها هجوم جنود العاصفة الألمان المنتكرين على محطة إذاعة في سيزيليا واتخاذ الحادث مبرراً على العدوان ضد بولونيا.

6 جمال عبد الملك، السياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ط1، دار الجيل، بيروت 1988، ص 76-77.

7 سيغفريد ويستفال وآخرون، القرارات المهلكة، المرجع السابق، ص 14.

الأمريكي روزفلت¹ وتوسّلات البابا بيوس الثاني عشر ومحاولة موسوليني التوسّط لإيجاد حلٍ غير الحرب إلاّ أنّ كل المحاولات باءت بالفشل.

توغل الألمان في عمق الأراضي البولونية، وفي نفس اليوم أُلحقت دانزينغ بالرايخ وأُعلن ذلك رسميًا في الأول من تشرين الأول، من جهتها تقدّمت القوات السوفياتية داخل الأراضي البولونية وأصبحت أنهار نارو (Naro) والفيسستولا (Vistule) والسين (Seine) الحد الفاصل بين الألمان والسوفييت حسب بنود الاتفاقية السّرية بين البلدين ودخلت ليتوانيا في مناطق النفوذ الألماني، بينما دخلت إستونيا وليتوانيا وفلندا وبيسارابيا (التي تنازلت عنها رومانيا للاتحاد السوفياتي) تحت سلطة الاتحاد السوفياتي.

تسارعت الاتصالات بين بريطانيا وفرنسا ورغم قرارهما الصّارم باحترام التزاماتهما تجاه بولونيا إلاّ أنّ الاختلاف كان على وسائل التدخل وتوقيته، ليتم اتخاذ القرار يوم 03 سبتمبر حيث سلّم السفير البريطاني هندرسون مندوب هتلر بول شميثدث الإنذار الملكي البريطاني²، وبعد ساعتين سلّم سفير فرنسا في برلين روبر كولدندر إنذارًا إلى الحكومة الألمانية يسري مفعوله من اليوم التالي³، ومع الساعة الخامسة من اليوم التالي كانت بريطانيا وفرنسا قد دخلتا الحرب ضدّ ألمانيا⁴.

1 فرانكلين ديلاانو روزفلت: (جانفي 1882-أفريل 1945)، المعروف أيضا باختصار «إف دي آر»، هو رجل دولة وزعيم سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة من عام 1933 حتى وفاته في عام 1945، وفاز في أربعة انتخابات رئاسية متتالية وبرز كشخصية مركزية في الأحداث العالمية خلال فترة حكمه.

2 جاء في الإنذار الملكي البريطاني: "أنه ما لم تقدم ألمانيا ضمانات أكيدة على سحب قواتها من بولونيا قبل الساعة الحادية عشرة، فإن بريطانيا تعتبر نفسها في حالة حرب مع الرايخ".

3 الإنذار الفرنسي لم ترد فيه كلمة حرب وبدأ كان الفرنسيين كانوا يأملون إسترضاء هتلر ولو في محاولة أخيرة.

4 نغبة من القادة العسكريين الفرنسيين، **2194 يوما من أيام الحرب العالمية الثانية**، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1994، ص 17-18.

2.1. مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب العالمية الثانية:

1.2.1. موقف حزب الشعب الجزائري:

قدم مصالي الحاج وعبد الله فيلاي بتاريخ 11 مارس 1937¹ إلى محافظ الشرطة علماً بتأسيس حزب الشعب (PPA)، وصرح مصالي الحاج عشية ذلك اليوم بناتير «أنّ الطفل الذي رأى النور منذ ست ساعات، لا يطلب سوى الحياة وأن يلعب دوره كاملاً، وأنّ ينجز مهمته السامية التي من أجلها وُلد»²، وحافظ حزب الشعب من الناحية الشكلية على نفس التنظيم الهيكلي الذي كان معتمداً في عهد "التجم لكن مع اختلاف بسيط في النظام الداخلي مقارنةً مع "التجم"، حيث اعتمد من الناحية القانونية على نظامين، الأول نظام الحزب الشرعي المصرّح به قانوناً، والثاني نظام سرّي يتكون من الأعضاء العاملين والمؤيدين الذين ينشطون ضمن الجهاز الهيكلي للتجم.

وضّح مصالي الفرق بين التجم وحزب الشعب عند استجوابه من قبل رجال الشرطة والقضاء في 02 سبتمبر، حيث قال أنّ حزب الشعب قد وُلد جزائرياً ونشاطه يجري داخل الجزائر بخلاف التجم، وبينما طالب التجم بالاستقلال الكامل لشمال إفريقيا نجد أنّ حزب الشعب يطالب باستقلال الجزائر لكن في نطاق الشرعية وتحت رمز السيادة الفرنسية في شكل "دومينيون" على غرار ما وقع بالمستعمرات الإنجليزية بالشرق مثل مصر وسوريا³، وحمل الحزب شعار "لا اندماج ولا انفصال بل تحرير" هذا الشعار الذي تباينت الآراء في شأن ما إذا كان يمثل فعلاً تراجعاً عن الخط الثوري أم أنه يعتبر موقفاً سياسياً حكيماً، يأخذ بأسباب الأمور ومراعاة التطوّرات الحاصلة على الساحة الدولية والداخلية، لكنه أدّى إلى مشاكل داخل الحزب، فحسب شارل روبير أجرون أنّ سبب القطيعة بين مصالي الحاج وعمار عيماش يُعزى إلى هذا الشعار الذي وجد فيه الأخير تراجعاً عن الخط الثوري لنجم شمال إفريقيا⁴.

اعطى نجاح حزب الشعب الجزائري في الانتخابات الإقطاعية لسنة 1938 دفعا قويا حيث أصبح الأكثر شعبية في الجزائر، وبالرغم من فشله في تحقيق الجبهة الإسلامية التي كان يدعو إليها، وتضائل نشاطه بسبب مطابقة الإدارة الفرنسية إلّا أنّه استطاع تحقيق

¹ عبد الله فيلاي (1913-1957) ولد بدوار زكرانة بلدية بني ولبان تابع تعليمه ودراسته القرآنية بزاوية سيدي فتح الله بمقعد الحوت أحد أحياء المدينة القديمة وذلك بقسم الشيخ عبد الحفيظ الجنان أحد الوجوه الفكرية بقسنطينة وصديق الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد انخرط عبد الله فيلاي في نجم شمال إفريقيا ونظم زيارة إلى مصالي الحاج بقسنطينة في 19 أكتوبر 1936 قبل أن يرافق العام 1937 المناضل بقنزات بولاية سطيف أرزقي كحال الذي توفي في سركاجي في 1939 جراء وضعه قانون حزب الشعب الجزائري في محافظة نانتر (فرنسا)، ومن ذلك التاريخ مكث عدة مرات في سجون الاستعمار بكل من سركاجي والحراش والبرواقية ولا مبالز وذلك بين 1943 و1945 وقاد حزب الشعب الجزائري جنبا إلى جنب مع لامين دباغين وأحمد مزاما وأحمد بودة وعمار خليل، وقد كلف عبد الله فيلاي العام 1947 بتنظيم فيدرالية فرنسا لحزب الشعب الجزائري-حركة انتصار الحريات الديمقراطية قبل أن ينظم العام 1952 هروب بن بلة من سجن البليدة ويكلف بتحويل محمد خيدر وحسين آيت أحمد مسؤول المنظمة الخاصة بعد وفاة محمد بلوزداد العام 1952 وذلك في سرية بالقاهرة (مصر)، وتوفي عبد الله فيلاي الذي شارك في تنظيم مؤتمر هورني ببلجيكا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية عقب الأزمة التي قسمت الحزب الوطني في 24 نوفمبر 1957 بباريس (فرنسا) وذلك إثر مواجهات بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية. وقد نقلت رفات عبد الله فيلاي الذي دفن بفرنسا إلى قسنطينة من طرف عائلته وذلك بمبادرة من الرئيس الراحل هواري بومدين. أنظر: <https://elhiwar.dz/contributions/42941>.

² أحمد الخطيب، حزب الشعب جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص220.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص173.

⁴ نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015، ص239-240.

نجاح كبير في انتخابات شهر أبريل 1939 بالعاصمة، عندما فاز فيها مرشح الحزب المناضل محمد دوار¹ وعلقت مجلة الشَّباب² على هذا الفوز بقولها «إنَّ الشَّعب الجزائري أصبح يميل إلى الذين يمثلون الوطنية الجزائرية لأنهم يحملون أفكارًا جديدة وبرنامجا ضدَّ اليأس».

كان من الصَّعب على الحزب اتخاذ موقفٍ ميدانيٍّ موحدٍ تجاه الحرب نظرًا لوضعيته، فلقد كان في طور التأسيس والتوسُّع، إضافة إلى تسارع أحداث الحرب ومجرياتها، لكنَّ الموقف المبدئي ظل واضحًا، وجسده خيضر عمار يوم 10 سبتمبر 1938 أي سنة قبل الحرب في قوله: «تستطيع فرنسا تجنيدنا لكننا لن نذهب»، لقد أدرك حزب الشَّعب أبعاد الحرب الدائرة بين قوى استعمارية استغلالية متنافسة ولا فائدة من ورائها، وأبى أن يكون الجزائريون فريسةً لحربٍ أخرى³، ووضع المسألة الجزائرية بل مسألة شمال إفريقيا في إطار تحقيق الأمن والسلام في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وحاول استخدام ذلك الصِّراع كوسيلة ضغط على حكومة الجبهة الشَّعبية، من أجل تحقيق طموحات المنطقة وأقرَّ بأنَّ: «سكان شمال إفريقيا وخاصَّةً الجزائريون بإمكانهم مساعدة الجيش الفرنسي إذا اقتضت الضَّرورة، إذا كانوا مقتنعين بأنهم بإنجازهم لهذه المهمَّة سيذافعون عن مصالحهم الشَّخصية»⁴.

اتخذ حزب الشَّعب السِّري خلال الحرب شعار "لا تفضيل لأيِّ إمبريالية"، وكان من مبادئه «أننا لا نريد الحرب وأنه ليس لنا أيُّ شأنٍ مع أعداء لانعرفهم، وإن كانوا يسلكون نفس سياسة الهيمنة القائمة على القوة».

كما استعمل الحزب صحافته خاصَّةً جريدة الأمة⁵ وكذلك جريدة البرلمان الجزائري⁶ لتوضيح موقفه من الحرب، وجاء في إحدى مقالات الأمة ما يلي: «لا يرغب المسلمون في شمال إفريقيا الذين يمثلون ثلث الجيش الفرنسي أن يكونوا مرتزقة حرب، لكن للدفاع عن الحرية والحقوق فنعم»⁷، وكتبت جريدة البرلمان الجزائري: «ليست هناك حاجة إلى القول بأنَّه ما دام الاستياء المشروع للشُّعوب الإسلامية المتوسطة مستمرًا، وما دامت طموحاتهم الديموقراطية، لم تُؤخذ بعين الاعتبار، ففرنسا لا تستطيع

1 ولد محمد دوار سنة 1912 بقرية ايعوزون بلدية الاربعاء ناث ايرائن (فور ناسيونال سابقا)، وتوفي في 25 جانفي 1943 بسجن تازولت (لامبيز) سابقا، إنضم إلى حزب الشعب الجزائري وانتخب مستشارا عاما في الجزائر العاصمة، في الانتخابات القطاعية لأفريل 1939. قدم من منطقة القبائل للعمل في العاصمة، في شركة السكك الحديدية على الطريق (ترامواي وحافلات بالجزائر الكبرى)، انضم محمد دوار مبكرا إلى نقابة CGTU.

2 يذكر الشيخ عدون أن تأسيس جريدة الشباب كان سنة 1926 وكان تأسيسها حسب الشيخ مرتبط ارتباطا وثيقا بتأسيس معهد الحياة، وجمعية الشباب فقد كانت الجريدة متممة لاعمال الجمعية، حيث يقول الشيخ محمد علي دبو: "ولدت جريدة الشباب مع جمعية الشباب في سنة واحدة لكن الجمعية سبقت الجريدة بوقت وجيز، وكان كل منهما يكمل الآخر فالجمعية لتدريب الأئسنة والجريدة لتعمرين الأقاليم، وكان السيد حمو بن عمر سليمان بو عصبانة لقمان هو من أسس جريدة الشباب الأسبوعية والتي كانت تصدر في البداية كل يوم خميس، لكن منذ بداية العدد (36) أصبحت تصدر مساء يوم الجمعة لتعود إلى الظهور مع بداية العدد (143). أنظر: محمد ناصر بوحجام، جريدة الشباب (1926-1951)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، عدد 1995، ص 4، ص 64-65.

3 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، ط1، دار اللمعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 39.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، منشورات دار القدس العربي، وهران 2013، ص 42.

5 جريدة الأمة: انشأها قادة النجم في أكتوبر 1930 بباريس بعد حله وتصدر باللغة الفرنسية ضلت تصدر دون انتظام الى غاية إيقافها نحاتيا 29 سبتمبر 1939..

6 جريدة البرلمان الجزائري: أصدرها حزب الشعب الجزائري بعد أشهر فقط من إصداره جريدة الشعب عام 1937، وضمناها التوجه التالي: جريدة نصف شهرية تدافع عن حقوق الجزائر العربية، كان شعارها الآية الكريمة: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)، القرآن الكريم ((سورة آل عمران)) الآية 103. تم وقف إصدارها في 27 أوت 1939.

7 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص 40.

الاتكال على صداقتهم»¹، وفي مقال لجريدة الأمة بتاريخ 28 أوت 1936 جاء فيه مايلي: «ينبغي أن يعلم الجميع بأننا نرفض أن نظل مغفلين على الدوام، لقد اكتوينا بنار الحرب العالمية الأولى بما فيه الكفاية، ليكن بعلم الجميع أننا لسنا مرتزقة وإذا كان ولا بد أن نقاتل فليقولوا لنا لماذا نقاتل ولصالح من؟ هذا هو سؤالنا، وإننا ننتظر الجواب عليه بالأفعال الملموسة لا بمجرد الوعود، إن حياتنا ليست بأرخص من حياة الآخرين»². حسب رأي الأوساط المناضلة داخل الحزب فإن فرنسا لم تقدم للجزائريين أي شيء، وإذا اضطرنّا إلى حمل السلاح سوف يكون ذلك من أجل تحقيقنا للاستقلال، فنحن مهوون وعبيد منذ مائة وثمانين سنوات، سنستقبل الفرنسيين بأول بندقية تكون بين أيدينا³.

أما زعيم الحزب مصالي الحاج كان قد عبّر بشكل واضح عن موقفه وكان ذلك في مارس 1941 أثناء محاكمته من خلال مذكرة مكتوبة تليت في جلسة المحكمة، ومن بين ما جاء فيها: «...فيما يرغب حزب الشعب الجزائري؟ إنه يرغب في مشاهدة نهاية نظام الانديجينيّا، يرغب في مشاهدة هذا الشعب يشارك في تسيير مصالحه، يتعاون على أساس المساواة التامة، واحترام عاداته، لغته ودينه طبقاً لبيان 1830، إننا نرغب في التحرّر والاستقلال في شكل دومينيون إنجليزي....، إذا منح لنا هذا أقدم مساندي التامة والكاملة وكذلك مساندة حزبي»⁴.

أما موقف الحزب من النازية فلقد ظهر من خلال رفضه لفكرة التعاون مع الألمان لأن ذلك يجعل من الحزب وأنصاره مطية للغير، وجاء الموقف الرسمي من التحالف مع النازية على لسان زعيمه مصالي الحاج عندما عرض عليه معروف⁵ فكرة التعاون مع الألمان وهو بسجنه في الحراش قائلاً: «الشعب ليس مستعداً لهذا بعد، العمل المسلح سابق لأوانه...التعاون مع الألمان في هذا الميدان أمرٌ مستحيل، حتى أشقاؤنا العرب في الشرق الأوسط وبالرغم من سبقهم السياسي بالمقارنة معنا لم يسلكوا هذا الطريق، الألمان يحضرون للحرب ويهمهم إثارة بؤر التوتر لشلّ قوات خصومهم عن الحركة، لذا فإنهم يودّون استعمالنا كأداة لبلوغ مآربهم، كيف نوليهم ثقتنا وهذا زعيمهم هتلر ينعت العرب في كتابه كفاحي بأنهم جنس منحط، إذا أقدمنا على شيء من هذا القبيل بمعناه أننا نسوق شعبنا إلى المذبحة»⁶.

1 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص43.

2 بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص102.

3 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص41.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص43-44.

5 معروف بومدين: من مواليد مدينة تلمسان كان عضواً في نجم شمال إفريقيا ثم كاتباً عاماً لفرع النجم بتلمسان، ثم عضو في حزب الشعب شعبة تلمسان قبل أن يتم إعتقاله هو وأخيه خلال تنظيمه رفقة مجموعة من مناضلي الحزب تجمع شعبي كبير بمدينة تلمسان في 29 أوت 1937 رداً على سياسة القمع والاعتقالات التي باشرتها سلطة الاحتلال.

6 بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، المصدر السابق، ص118.

أ- موقف لجنة النشاط الثوري: (carna):

سنة 1938 اتصلت عناصر تابعة للزايخ بأحد مناضلي حزب الشعب يدعى الحاج دحمان¹ الذي أطلع راجف بلقاسم² على فحوى لقاءه مع الألمان، لينتقل فيما بعد كل من راجف بلقاسم ومحمد ربوح إلى برلين عبر بلجيكا في سرية تامة بغرض جس نبض الألمان، وكانت نتيجة اللقاء حسب راجف أنّ الألمان مستعدون لاستقبال شبّان جزائريين وتدريبهم عسكرياً، في حين لم يقدم راجف أيّ التزامات من جانبه قبل استشارة قيادة الحزب، وتم تكليف أو عمارة من أجل هذا الغرض، بدوره سافر إلى الجزائر واستطاع الاتصال بمصالي الحاج في سجنه بالحرش بواسطة مناضل من تلمسان يُدعى بومدين معروف وهو مسؤول سابق في اتحادية الحزب على مستوى عمالة وهران وبعد اللقاء وطرح المسألة على مصالي كان الرد بالرفض القاطع³ بل طلب من فريق محمد طالب بتقديم استقالتهم فوراً⁴. تبين فيما بعد أنّ ذلك الإجراء كان في صالح عناصر الفريق، حيث لم يتعرّضوا لأية مضايقة عند اندلاع الحرب، لأنّ إدارة الاحتلال كانت تعتقد أنّ نشاط الجماعة قد توقف بتقديمهم الاستقالة من الحزب، لكنّ الأمر كان غير ذلك، حيث واصلو سعيهم في التعاون مع الألمان خلال الفترة الممتدة من 20 جوان 1939 إلى غاية 15 جويلية 1939 حين سافر كل من طالب، وعمر حمزة، ولخضر مقيدش، وياسين، إلى ألمانيا وتلقى أعضاء الوفد مبادئ أولية عن كيفية استعمال الأسلحة، وصناعة المتفجرات وتقنيات تعطيل محركات الآليات العسكرية، ومكث الوفد بألمانيا ما يقارب الشهر (من 20 جوان إلى 15 جويلية) لكنّ الوفد لم يلمس لدى الألمان أهمية الدوافع الوطنية التي كانت تحرك الجزائريين، كما اتضح أنّ ثمة نوع من سوء التفاهم حول أهداف هذا التعاون بين الطرفين، كما ظهر لدى الألمان بعض الفتور بعد علمهم بموقف زعيم الحزب مصالي الحاج الرافض للتعاون مع الألمان⁵.

2.2.1. موقف النواب المنتخبين:

تأسست اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين سنة 1927 والتي يرى بعض المؤرخين أنّها امتداداً لحركة الشبّان الجزائريين، وتمثل اتحادية المنتخبين الإتجاه اليميني المعتدل في الحركة الوطنية الجزائرية، لقد حاولت الاتحادية تحقيق العديد من الأهداف لعلّ أهمها كان توحيد وتنسيق جهود الممثلين الجزائريين في مختلف المجالس النيابية للدفاع عن ممثلهم، وتشكّلت الاتحادية من ثلاث اتحاديات تمثل

1 الحاج دحمان: من دشرة آيت فراح، الأربعاء ناث ايراث، كان تاجرا في بلجيكا، التحق بصفوف الثورة التحريرية بالمنطقة الثالثة، وقام بعدة عمليات ضد قوات الجيش الفرنسي، قبل استشهاد في ساحة المعركة.

2 راجف بلقاسم: ولد في أفوني بوار (Fort-National) سابقا، هاجر إلى فرنسا سنة 1924 في سن 15، تولى أمانة صندوق مال النجم، اتخذ راجف بلقاسم وبعض رفاقه موقف مؤيد لألمانيا من خلال جريدة الامة الصادرة باسم حزب الشعب في باريس. أنظر: عبد الحميد زوزو: المهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص65.

3 من اجل الاطلاع على لقاء او عمارة بمصالي الحاج ورد هذا الأخير على مسألة التعاون مع الالمان أنظر:

Benyoucef Ben KhEdda: Les origines du 1er novembre 1954, Editions Dahlab 1989, pp, 117-120.

4 جماعة محمد طالب: بعض أعضاء اللجنة الإدارية في حزب الشعب، والمتحمسين لفكرة التعاون مع الالمان، ويقدر عددهم بحوالي عشرة أعضاء من بينهم (عمر حمزة، احمد فليته، علي زاوي، عمار مسعودي).

5 بن يوسف بن خدة، جنور أول نوفمبر 1954، المصدر السابق، ص120.

العمليات الثلاث قسنطينة الجزائر وهران، لكن أهمها وأكثرها نشاطاً وشهرةً وتأثيراً على الساحة السياسية اتحادية عمالة قسنطينة حتى أنها أصبحت العنوان الرئيسي والتسمية الأكثر استعمالاً لما يسمى بـ "اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين"، وقد ترأسها في البداية السيد الشريف سيسبان¹، ثم آلت رئاستها إلى أحد أعضائها وهو الدكتور محمد الصالح بن جلول² سنة 1931، حيث شهدت في عهده نشاطاً وتوسعاً خاصاً مع وجود مجموعة من المثقفين والإطارات³.

عرفت الاتحادية إنتشاراً أوسع بعد فوز كثير من أعضائها في الإنتخابات البلدية والعمليات وحصولها على أغلبية المقاعد⁴، ومن بين أهم الأسماء الفائزة فرحات عباس عن سطيف⁵ والدكتور سعدان عن بسكرة وقاهرة الزين عن سوق أهراس والدكتور الأخضر عن قالمة، لكن الأمر لم يدم طويلاً حتى قرّر الدكتور بن جلول والذي بقي وفياً لفكرة الإدماج تأسيس حزبه "التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري" في أبريل 1938، وكان يسعى من وراء تأسيسه لهذا الحزب جمع مختلف الفئات والأحزاب والطبقات والجمعيات على الشكل الذي كان عليه المؤتمر الإسلامي، غير أنّ اندلاع الحرب العالمية الثانية قد فرض واقعاً مغايراً⁶، أمّا فرحات عباس والذي كان يعتبر الرجل الثاني في الاتحادية فلقد أدرك دور الجماهير في الحياة السياسية، وأنشأ في أواخر جويلية 1938 حزباً تحت اسم "الاتحاد الشعبي الجزائري UPA" الذي تبني شعار "من الشعب وإلى الشعب"، لكن لم يتعدى صده مدينة سطيف⁷.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية أعلنت فئة النواب وقوفها إلى جانب فرنسا في كلّ الظروف، حيث أرسلت فئة النواب المنتخبين بالعمليات الثلاث برقيات تأييد ومساندة إلى السيد "دالاديه Daladier" رئيس الحكومة الفرنسية، وأخرى للسيد "سارو Sarraut" وزير الداخلية، وبرقية ثالثة للسيد "لوبيو Le peaux" الحاكم العام للجزائر، ولقد نشرت جريدة "صدى وهران - L'ECHO

1 الشريف سيسبان: ولد في 10 أكتوبر 1896، بلامبيز "باتنة"، وتوفي بنيس "فرنسا" في 01 ديسمبر 1990، درس بثانوية قسنطينة واصل دراسته بكلية الآداب ثم الحقوق بجامعة الجزائر، أنتخب نائباً في المجلس عن عمالة قسنطينة.

2 محمد الصالح بن جلول: طبيب من زعماء جماعة النخبة، بدأ بن جلول ممارسة السياسة منذ العشرينات بعد أن أصبح يشغل مندوب بلدي ثم مندوب عام، كما قام في بداية نشاطه السياسي ببعض النشاطات في الانتخابات المحلية والصحافة، وكان معجبا بالأمير خالد إنظم سنة 1930 إلى اتحادية المنتخبين بقسنطينة ودخل في منافسة حادة بين عائلته وعائلة محمد ابن باديس في الميدان الانتخابي، وكان بن جلول ورفاقه ينعنون كل من محمد بن باديس والشريف سيسبان وأنصارهما ببني وي وي، كان له دور بارز في عقد المؤتمر الإسلامي 1936، وكان مقرباً من الشيخ بن باديس، بدأ نجمه بالأفول بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. أنظر: مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007. للنشر.

3 نذكر منهم على وجه الخصوص: الصيدلي فرحات عباس، الدكتور سعدان، الدكتور الأخضر، الدكتور بن التومي.

4 مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة 2003، ص 22-23.

5 استقر فرحات عباس في سطيف عام 1933 حيث أصبح في فترة وجيزة نجماً سياسياً لامعاً، فولى مناصب: مستشار بلدي في سطيف سنة 1934 ومستشار عام في انتخابات 14 أكتوبر 1934، ومندوب مالي في مجلس الجزائر العاصمة، وعضو في اتحادية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة، ثم رئيس تحرير جريدتها (l'entente franco-musulmaine) سنة 1937، لكنه انفصل عن الاتحادية سنة 1938 ليؤسس في نفس السنة حزبه (الاتحاد الشعبي الجزائري).

6 حسين مجاود، الثقافة السياسية لدى أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس-يوسف بن خدة نموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس 2016-2017، ص 124-125.

7 للإطلاع على برنامج حزب الاتحاد الشعبي الجزائري أنظر: Mohamed teguia, l'Algérie en guerre, op. p85.

D'ORAN¹ بتاريخ 30 أوت 1939 برقية تأييد من طرف رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين بالقطاع الوهراني السيد مكي جاء فيها: «في الظروف الصعبة التي نمر بها يحتّم علينا واجبنا أن نجدّد لكم باسم كلّ السّكان المسلمين الجزائريين، وباسم المنتخبين الذين تمثلهم تعاطفنا الوطني وارتباطنا الخالص بفرنسا، نعلن لكم رسمياً بأنّ المسلمين الجزائريين مستعدّون للقيام بواجبهم كأصدقائهم الفرنسيين للدفاع عن الأرض المقدسة للوطن الأم وإنقاذ الديمقراطية».

لم يكتف النواب ببرقيات المساندة والتأييد التي بعث بها رؤساء فدرالياتهم بل أرسلوا هم كذلك برقيات فردية ورسائل إلى مختلف الهيئات الإدارية الاستعمارية، وعلى رأسها الحاكم العام الذي تهاطلت عليه برقيات كثيرة خلال هذه الفترة، كما عبّروا عن هذا التأييد أيضاً بتدخلاتهم أثناء انعقاد المجالس المختلفة².

تطوّع بعض النواب في الجيش الفرنسي وعلى رأسهم ابن جلول رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين بقسنطينة وكان قبل ذلك قد عبّر بن جلول عن ولائه لفرنسا ووقوفه إلى جانبها في حربها ضدّ النازية في بيان وجهه للجزائريين قائلاً: «أيها الإخوان الأعزاء في كلّ مكان، في المدن والدواوير قد أجبتكم - حاضرون ! لنداء الوطن»، وأردف قائلاً بعد أن ذكر الجزائريين بوقوف أجدادهم إلى جانب فرنسا سنتي 1870 و1914 بأنهم «سينصرون السلام والحرية والديمقراطية، وبالتالي سيخدمون الإنسانية بتحقيق انتصار فرنسا»³، أمّا السيد مكي رئيس فدرالية النواب المسلمين بالقطاع الوهراني فقد جند كماله في المدفعية، ولم يتخلف فرحات عبّاس هو الآخر في إظهار حسن نيته تجاه فرنسا، حيث خاطب أعضاء حزبه قائلاً: «أنا ذاهبٌ للدفاع عن فرنسا والديمقراطية العالمية»⁴ وأضاف في نفس السّياق دائماً: «في هذا اليوم وفي هذه السّاعة الخطيرة بالذات، والتي أصبحت فيها حرية الأمم الديمقراطية مهدّدة فإنّ حزبنا قد أوقف جميع أنشطته السّياسية، ليتفرغ نهائياً للدّفاع عن سلامة الأمة التي ارتبط بها مستقبلنا ذلك أنه إذا انهارت قوة فرنسا الديمقراطية، فإنّ أملنا في الحرية سيقيد إلى الأبد»⁵.

رغم أنّ عبّاس كان معقياً من الخدمة العسكرية إلّا أنّه أبقى إلّا أنّ يشارك في الحرب العالمية إلى جانب فرنسا، فالتحق كصيدي بإحدى الفرق المقاتلة تروى (Troyes) وشاهد بعينه اختيار فرنسا أمام الجيش الألماني وسقوط باريس، كما وقف على عدم تخلص فرنسا من عنصريتها وعقدة الجنس الأعلى والأسفل، وذلك من خلال معاملتها مع المجندين الجزائريين والعرب⁶، حيث لم تمنح له رتبة ضابط

1 جريدة صدى وهران - L'ECHO D'ORAN : من أقدم الصحف الصادرة داخل الجزائر ويعود تأسيسها إلى سنة 1844 من طرف عائلة Perrie وهي من أكبر العائلات الكولونيالية بالغرب الجزائري ولها مصالح اقتصادية بالمنطقة¹، كانت الصحيفة مع بداياتها تصدر يوم السبت من كل أسبوع لتصبح فيما بعد جريدة يومية خصوصاً مع اتساع مراسيلها وفروعها داخل القطاع الوهراني مع يوم راحة وهو الإثنين من كل أسبوع، وسيرتها السيد Adolphe perrie من أكتوبر 1844 إلى 1879، ثم تسلمها ابنه Paul perrie إلى غاية سنة 1937، ومن ثم خلفه ابنه السيد perrie Lucien إلى غاية سنة 1956 ومن ثم ابنه السيد Lafont perrie إلى غاية توقفها عن الصدور سنة 1962 .

2 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 39-40.

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المرجع السابق، ص 80.79.

4 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ج 2، دار البعث، 1981، ص 234.

5 شارل روبري أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 153.

6 Benjamin stora, zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre algérie, ed: casbah, Alger, 1995, p105.

مثل الفرنسيين بل رتبة رقيب "Sergent" بصفته أهلي لا كمواطن كامل الحقوق، ويصف عبّاس هذه العنصرية بقوله: «في نوفمبر 1939 لم يتمكن الأطباء والصيدالة المسلمون بالجزائر أن يتابعوا دروس فصليل طلبية ضباط الاحتياط (EOR) مثل رفاقهم الأوروبيين بل كادوا أن يسرحوا من الخدمة»، وانتقد مرسوم 13 مارس 1940 الذي نصّ على إنشاء إطار ضباط الصحة الاحتياطيين للمسلمين الجزائريين والذي حرص من جهته -أي المرسوم- على أن يأتي على ذكر لقب "الأهلي"، وكأن دبلوم الدولة الذي حصلوا عليه لم يكن نفسه الذي حصل عليه الأوروبيون، كما اشتكى بمرارة من مرسوم فيفري 1940 الذي رسم الأجرة الشهرية للمجندين لكنه لم يطبق على المجندين الأهالي الذين ضلّوا يتلقون راتبهم باليومية، الأمر الذي نتج عنه عدم المساواة في الأجر وفي المنحة وفي التقاعد¹، بل حتى نوع الخبز الذي كان يقدم للمجندين الجزائريين كان مختلفاً عن الذي يتناوله الفرنسيون، لقد تألم لهذه المواقف ورجع إلى الجزائر تحذوه خيبة الأمل من فرنسا الجمهورية، لقد زادت قناعة الصيدي عندما عاد إلى مدينة سطيف ورأى الوضع البائس الذي آل إليه الشعب الجزائري وأدرك بأنّ فرنسا الاستعمارية لن تتخلى عن عنصريتها مهما بلغ حجم التضحيات التي يبذلها الشعب الجزائري للدفاع عن سيادتها².

1.2.3. موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

كان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الرسمي من الحرب هو السكوت، ورفض منح تأييدها لفرنسا في الحرب العالمية الثانية وهي التي كانت على حدّ قول أجرون في حالة حرب مع الإدارة الفرنسية منذ مارس 1938، وذلك بعد صدور قرار 8 مارس الذي استهدف شل نشاط الجمعية³، ويبدو أنّ هذا القرار كان أحد أهم الأسباب التي جعلت مجلسها الإداري يرفض إرسال برقية التضامن إلى فرنسا في سبتمبر 1938⁴.

تعود أحداث رفض إرسال برقية التأييد كما يرويها حمزة بوكوشة⁵ إلى سنة 1937 عندما ظلّ الناس أن الحرب بين فرنسا وألمانيا على الأبواب، فبعثت عديد الجمعيات والمنظمات رسائل تأييد للحكومة الفرنسية، وشذت جمعية العلماء عن ذلك، فكبر ذلك على الإدارة الفرنسية التي طلبت من الشيخ الطيب العقبي⁶ إرسال الجمعية برقية دعم وولاء للسلطة الفرنسية، وبدوره عرض الأمر على رئيس

1 عباس فرحات، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم "الشباب الجزائري" (1930)، ترجمة: أحمد منور، وزارة الثقافة، 2007، ص172.

2 شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص310.

3 قانون 8 مارس 1938: ينص القانون على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ويمنع تعليمها في المدارس، وهو قانون وزاري أصدره وزير داخلية فرنسا شوطان، ولا يجوز تعليمها في معاهد التعليم سواء كانت حكومية فرنسية، أو شعبية حرة كمعاهد التعليم العربي الحر إلا على أساس الحصول على رخصة من إدارة الاحتلال، واعتبار اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الجزائر. أنظر: علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الاجتماعي والديني (1925-1940)، ترجمة: محمد بجاتم، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص340. أنظر أيضا: جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، مج6، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص140.

4 Charle-Robert Agéron, Histoire de l'algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, Tome2, P.U.F, Paris, 1979, P.579.

5 حمزة بوكوشة: من مواليد الوادي سنة 1907، درس بمسقط رأسه ثم انتقل إلى بسكرة ثم تونس أين حصل على شهادة التطوع من جامع الزيتونة، كان من بين الحضور خلال المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين بنادي الترقى سنة 1931، أنتخب عضوا في المجلس الإداري للجمعية ثم انتدب لفرنسا كمرشد ديني للجالية الجزائرية سنة 1937. أنظر: عبد الكريم بوغزالة، الشيخ حمزة بوكوشة أضاء على سيرته ونماذج من آثاره، دار سامي، الوادي، 2023.

6 الطبيب العقبي: يعد الشيخ الطيب العقبي (1890-1960) من أعلام الإصلاح في الجزائر خلال القرن العشرين، ومن الشخصيات التي ساهمت في وضع أسس الحركة الإصلاحية وتثبيت قواعدها في المجتمع الجزائري، انطلق نشاطه من مدينة بسكرة سنة 1920 معتمدا على المسجد كمنبر للوعظ والإرشاد، وعلى الصحافة كوسيلة للتعريف بالمشروع الإصلاحي، ووجوبه

الجمعية الشَّيْخ ابن باديس الذي أجابه بأنَّ الأمر سيعرض على المجلس الإداري ليقول الأعضاء كلمتهم، وخلال انعقاد الاجتماع الإداري في 23 سبتمبر 1938، طرح بن باديس القضية بحدوء وطلب من الأعضاء إبداء آرائهم فكانت غالبية الآراء ضدَّ كتابة البرقية، واستصوب العقبي إرسالها، وقال في تبرير لذلك: «الحرب على الأبواب، وإرسال البرقية يخفف من حدة الفرنسيين فتسلّم مدارسنا ونوادينا ومشاريعنا الخيرية، ونبقى على اتصال بأمتنا ولو في زمن الحرب»، لكنه لقي معارضة الكثير من الأعضاء، ولما طال النقاش طلب الشَّيْخ ابن باديس من الأعضاء اعتماد التصويت برفع الأيدي، فكانت النتيجة أربع أصوات منهم العقبي يقولون بإرسال برقية التأييد، واثني عشر صوتًا يقولون بعدم إرسالها واحتفظ بن باديس بصوته، حين انتهت المناقشة حمد الله وأثنى عليه وكان مما قاله: «لو كانت أغليبتكم تؤيد إرسال البرقية ما كنتم ترونني في مجلسكم هذا بعد اليوم».

انتقلت القضية من الاجتماع الخاص إلى الاجتماع العام الذي تحضره الجماهير، فقال ابن باديس على رؤوس الملاء: «أقول صراحةً واجتماعنا هذا لا يخلو من جواسيس رسميين وغير رسميين، أي لن أمضي البرقية ولن أرسلها ولو قطعوا رأسي وماذا تستطيع فرنسا فلتعمل، إنّ لنا حياتين حياتنا المادية وحياتنا الأدبية والروحية، فتستطيع فرنسا القضاء على حياتنا المادية بقتلنا ونفينا وسجننا وتشريدنا لكن لن تستطيع القضاء على سمعتنا وشرفنا فتحشرونا في زمرة المتملقين إننا قررنا السكوت»¹، وأضاف الشَّيْخ ابن باديس: «إنّ جمعيتنا لا تقدم شواهد إخلاص ولا تقوم بأي عمل من أعمال التملق للحكومة»².

أمام إصرار الشَّيْخ العقبي من جهة ومعارضة الشَّيْخ ابن باديس وأغلب أعضاء المجلس الإداري من جهة أخرى، قدم الشَّيْخ العقبي استقالته وصرح قائلاً: «جمعية العلماء لم تكون العقبي، وإنما كونها العقبي وأمثاله بالمبادئ والدعوة»، ويبدو أنّ الشَّيْخ العقبي كان على خلافٍ مع بعض أعضاء الجمعية قبل سنة 1938، خاصةً حول قضية مقتل الشَّيْخ كحول³، حيث شعر الشَّيْخ الطيب العقبي بأنّ زملاءه في الجمعية قد تخلّوا عنه، وبعد استقالته أسّس جمعية دينية باسم "الإصلاح الإسلامي"، وجعل من جريدته القديمة "الإصلاح" لسان حالها⁴.

يرى بن باديس بأن «الحرب بين فرنسا وألمانيا هي حقد الاستعمار بعضه على بعض، ورغبة بعضه في إثارة مستعدي بعضه عليه، واستمالتهم إلى نفسه لأن تملك الأمم المستضعفة هي مادة حياته وأساس قوته، فهو يتقاتل من أجلها تنافساً عليها لا رحمة بها، وإن تظاهر بالعطف والشفقة»⁵، وكان بن باديس قد سبق له وأن أوضح موقف العلماء من الصِّراع الدائر بين القوى الأوروبية

للنهوض بالجمتمع حتى يتسنى لأفراده مزاحمة الأجانب في مختلف الميادين. لم تسمح الظروف باستقرار دائم للشَّيْخ العقبي في منطقة بسكرة، بل اضطره الأمر للتنقل بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م إلى مدينة الجزائر، بدعوة من أهلها ممن تأثروا بأسلوبه وثقافته، زادت شهرته بهذه المدينة وذاع صيته بين العامة وأصبح له مستمعين أوفياء من مختلف الشرائح يحضرون دروسه بنادي التزقي، ويستمعون لخطبه ومحاضراته. استمر الشَّيْخ على هذا المنوال بدعم من رجال الجمعية إلى غاية 1938م، أين تعرض لمشاكل كثيرة اضطرته للخروج منها والانسحاب من مجلس إدارتها. لم يتراجع النشاط الإصلاحية للشَّيْخ العقبي بالمنطقة في ظل الظروف المتوترة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية، بل واصل عمله الدؤوب في الدعوة إلى العلم الصحيح، والعمل المفيد للأفراد والجماعات إلى غاية وفاته رحمه الله.

1 نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016 الجزائر، صص 59-60.

2 أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسلطان الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، دار البعث، (دم)، (دت)، ص179.

3 عمر بن دالي المدعو محمد كحول القسنطيني صاحب جريدة كوكب إفريقيا ومؤلف كتاب القوم الجزائري، عين مفتية في قسنطينة عام 1916، ثم في العاصمة 1936 خلفا للشَّيْخ الحفناوي، يعد أحد رجال الثقافة وعلماء الدين في الجزائر قال فيه أبو القاسم سعد الله: "لو أنه سخر قلمه لفائدة الدين والعلم والوطن لقدم فائدة كبيرة لأنه كان متعلما قويا"، أغتيل يوم 02 أوت 1936 بطعنة سكين بشارع لالير بالعاصمة، واتهم الطيب العقبي بتدبير حادثة الإغتيال.

4 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1981، ص286.

5 عبد الحميد بن باديس، نحن بين راديو باري و راديو الجزائر يستشهد بنا كل على الآخر، البصائر، العدد 165، 22 ربيع الأول 1358، 12 ماي 1939.

الكبرى، حين أكد أنه لا يمكن لشمال إفريقيا أن يكون أداة في يد أي دولة وذلك بقوله: «وأعرّف عن نفسي وعن رجال هذا الشمال الإفريقي إخواني، أننا نأبي أن نكون أداة في يد أي من الأمم التي تكيد لفرنسا، إباءً وترفعاً قلميه علينا عزة الإسلام، وشيم العروبة...»¹.

يروى الشيخ أحمد حماني أنه في إحدى أمسيات خريف 1939 عندما كانت بوادر الحرب العالمية في الأفق، وفي مجلس بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة كان الحديث يدور حول الأوضاع السياسية في العالم، وإعلان الحرب العالمية الثانية وقبول بعض رجال الأحزاب السياسية في الجزائر التطوع في صفوف الجيش الفرنسي طوعاً، الأمر الذي أسف له الشيخ ابن باديس وعبر عن رأيه بقوله: «لو أنهم استشاروني واستمعوا إلي وعملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعاً إلى جبال الأوراس، وإعلان الثورة المسلحة ولو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائريين وافقوني على إعلان الثورة لأعلنتها».

تحدث الأستاذ حمزة بوكوشة وهو من المقررين للشيخ بن باديس، أن الشيخ دعاه ذات يوم للمبايعة على إعلان الثورة المسلحة وحدّد له تاريخ الإعلان بدخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا ضدّ فرنسا، مما يحقق هزيمتها السريعة، فبايعته على ذلك وكان بالجلس غيري فمنهم من تردّد ومنهم من أقدم على المبايعة، وقد أكد الشيخ محمد بن الصادق جلوي هذه الرواية ودعمها لكن المنية أدركت الشيخ ابن باديس في 16 أبريل 1940 أي قبل دخول إيطاليا الحرب بأقل من شهرين².

يبدو أن موقف الجمعية الرسمي وموقف رئيسها الشيخ ابن باديس لم يرض الإدارة الفرنسية التي راحت تتصل بأعضائها البارزين، فأرسلت إلى الشيخ مبارك الميلي³ رئيس تحرير جريدة البصائر تطلب منه إبراز البصائر، لأنّ الشيخ ابن باديس قد أشار على مكتب الجمعية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية الأخذ بأسلوب توقيف الصحف وعلى رأسها الشهاب والبصائر، وذلك ليجنب الجمعية الإحراج الذي أرادت الإدارة الاستعمارية أن توقعها فيه بعد أن طلبت الإدارة الاستعمارية من الجمعية أن تعلن باسمها، وتكتب على صفحات جرائدها مقالات ضدّ دول المحور وتأييداً لفرنسا وحلفائها، وفعلاً تم التوقيف وعبر إبراهيمي على هذا الأسلوب بقوله: «التعطيل خير من نشر الأباطيل»⁴، فكان رد الشيخ الميلي «إنما ليست جريدتي الخاصة، إنما هي جريدة الجمعية ولا أستطيع إبرازها إلّا بقرار منها»، فطلبت منه الإدارة الفرنسية تقديم استقالته فأجاب: «بأي صفة أقدم استقالة؟ إذا احتجت إلى تقديم الاستقالة سأقدمها إلى رئيس الجمعية بن باديس».

1 عبد الحميد بن باديس، كلمات صريحة الشمال الإفريقي كيف يجب أن يعالج، الشهاب، ج9، المجلد 13، نوفمبر 1937، ص398.

2 رشيد مياد، منهج بن باديس في تعميق الفكر الثوري، مجلة، مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد2، جوان2019، ص ص138-139.

3 مبارك الميلي: مبارك بن محمد بن مبارك إبراهيمي الميلي، نسبة إلى منطقة الميلية المولود بتاريخ23ماي1896، أحد أهم الشخصيات في المشهد التاريخي و الإصلاحي و التربوي في الجزائر، تحصل على شهادة العالمية بجامع الزيتونة بتونس، عاد إلى الجزائر سنة1925 وحل بقسنطينة ليصبح معينا للشيخ بن باديس، إستعان به أعيان منطقة الأغواط لنشر الوعي و الإصلاح فحل بها أواخر1926 وأسس بها مدرسة الشبيبة للبنات و البنين، دخل في صراع مع الطريقين وتعرض لتهديدات وضغوطات كبيرة فعاد إلى مسقط رأسه بميلة أين أسس مسجدا للصلاة وجمعية إسلامية وثقافية خيرية، كتب العديد من المقالات في جريدة المنتقد و الشهاب وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة1931، وانتخب عضوا في المكتب الإداري وأميناً عاماً للمالية، وعين سنة1937 مديراً عاماً لجريدة البصائر خلفاً للشيخ العقبي، عانى من مرض السكري وتوفي سنة1945.

4 محمد خير الدين، مذكرات، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر 1985، ص ص297-298.

تقدمت الإدارة الفرنسية بطلب إلى الشيخ العربي التبسي للإدلاء بتصريح مساندة لفرنسا وحلفائها يذاع على الراديو أو ينشر في الصحف فكان رده: «ليس لي حق في الإدلاء بأي تصريح باسم الجمعية حتى وإن كنت الكاتب العام لها، وإن ابن باديس هو وحده من يملك الحق في ذلك»¹.

عبر الشيخ البشير الإبراهيمي رفضه تأييد فرنسا وحلفائها إثر زيارة قام بها القاضي محمد بن جورة وبتكليف من النقيب (شون-schoen) من العاصمة إلى تلمسان خلال شهر سبتمبر 1939 في محاولة لإقناع الشيخ الإبراهيمي ومع تطوّر الحرب بقي الشيخ الإبراهيمي ثابتاً على موقفه، بعد أن وجهت له الإدارة الفرنسية طلب تقديم خطابات دائمة ضدّ دعاية راديو برلين تكون موجهة إلى بلدان المغرب العربي².

إلا أنّ جريدة الوفاق عدد 19 جانفي 1940³ أشارت إلى أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد قام بتوقيع عريضة مساندة لفرنسا بتاريخ 09 جانفي 1940⁴، مع نواب وأعيان من تلمسان وإرسالها إلى الحاكم العام، لكنه وقعها بصفته مديراً لمدرسة دار الحديث وليس كنائب رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأمام هذا الرضّ تقرّر نفيه إلى منطقة آفلو في 10 أفريل 1940 أي أسبوع فقط قبل وفاة رئيس الجمعية الشيخ ابن باديس⁵.

1.2.4. موقف الحزب الشيوعي الجزائري:

بعد الحزب الشيوعي الفرنسي من أكثر التيارات السياسية بالمتروبول⁶ احتكاكاً بالقوى الوطنية الجزائرية، ومنذ 1924 أسّس فدرالية تابعة له بالجزائر⁷، واستمر حوالي خمسة عشر عاماً كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي وأصدر الحزب صحيفة (ألجي ريبيليكين - Alger républicain) التي بدأت أسبوعية ثم أصبحت يومية⁸.

- 1 أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسلطان الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ص 180.
- 2 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على فتح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين (1931-1944)، دار القدس العربي، وهران 2015، ص 165.
- 3 جريدة الوفاق: جريدة أسبوعية سياسية وطنية، صدرت بمدينة وهران في 1938/03/23، لمديرها و حررها محمد السعيد الزاهري، توقفت عن الصدور سنة 1940 بسبب معاناتها من صعوبات مادية وفنية. أنظر: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.
- 4 أشارت وثيقة فرنسية إلى أن جريدة "الوفاق" كتبت مقالا بعنوان: "علماء الدين و الأعيان الجزائريين يدافعون عن موقف فرنسا" أوضحت فيه الصحيفة أنها علمت من مصدر موثوق أن الشيخ الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين بالإضافة إلى بعض المنتخبين المحليين وكبار الشخصيات الإسلامية في تلمسان قد بعثوا خطابا إلى الحكومة الفرنسية يحمل أسماءهم وتوقيعاتهم، معلنين ولاءهم لفرنسا وتضيف الصحيفة قائلة: "لقد علمنا بأن الشيخ الإبراهيمي أضاف تعليقات على الخطاب تفيد بأنه حين علم أن جمعية العلماء ترددت قليلا في خدمة مصالح فرنسا في الديمقراطية فإنه حاول الاستقالة ولم يتردد في محاربة هذا القرار". أنظر: جريدة الوفاق، العدد 29 بتاريخ، 19-01-1940، نقلا عن وثيقة رسمية فرنسية برقم: A 18 GG 15H. لكن يرى محفوض قداش في كتابه: Histoire Du Nationalisme Algérien أن ذلك محض افتراء وتزوير للحقائق .
- 5 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 47.
- 6 المتروبول: (Metropole) تعني في قاموس المعاني "المدينة الأم" أو الحاضرة، وتطلق على المدينة الكبرى التي تمثل مركزا رئيسيا سياسيا واقتصاديا وثقافيا لدولة أو إقليم، وغالبا ما تكون مقر الحكومة، وقد تشير أيضا إلى الأراضي الأوروبية الرئيسية للدول الاستعمارية، مثل فرنسا الأوروبية. أنظر: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-fr/metropole/>.

- 7 Claude Collot-Jean Robert Henry, le mouvement national algérien, texte (1912-1954), O.P.U, Alger. 1981, P26.
- 8 ألجي ريبيليكين (بالفرنسية: Alger républicain) جريدة أسبوعية وطنية ناطقة بالفرنسية، الفترة من 1938 إلى 1962، لقبقتها الصحافة الاستعمارية بـ "المتسول الصغير" بسبب الصعوبات المالية التي واجهها ومصادرتها عديد المرات، أنشأها عام 1935 إدmond أوازاس الاشتراكي الراديكالي، الذي كان أول رئيس لها وبير تابارو، من الحزب الشيوعي الجزائري، وهي جزء من حملة أطلقها الجمهوريون لإنشاء صحافة يومية مستقلة عن القوى المالية، وبالتالي فإن الخط التحريري يميل بشكل علني إلى اليسار، وقريب من الدوائر الاشتراكية التي تنقل مطالب الجبهة الشعبية، جمع مجلس إدارتها الأول شخصيات من خلفيات متنوعة، بما في ذلك ثلاثة مواطنين: التاجر عباس تركي، والمدرسين الاشتراكيين قدور مكاشي ومهند ليتشاني، وكان الأخير أيضا صحفيا ومدير La Voix des Humbles.

سنة 1935 حصلت المجموعة الجزائرية على حق تكوين حزب شيوعي جزائري مستقل عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وتحقق ذلك بمبادرة من الحزب الشيوعي الفرنسي الذي صادق في مؤتمره الثامن المنعقد في شهر جانفي "بفيلوربان - Villeurbanne)، على تحويل الفدرالية الجزائرية إلى حزب شيوعي جزائري تابع مباشرة إلى الأمانة الشيوعية¹.

عقد أول مؤتمر تأسيسي للحزب في أكتوبر 1936، وأخذ قسم الحزب الشيوعي الفرنسي اسم الحزب الشيوعي الجزائري، وأُسندت مهمة رئاسة الحزب للمستوطن الفرنسي (جان شانتيرون - Jan chantiron)، وأصدر بياناً سطر فيه المبادئ والقيم التي يسير عليها الحزب، وقد بيّن هدف الحزب في عبارة "إنقاذ الجزائر من الدمار والانحطاط والموت"، وذلك لا يكون في نظره إلا بتحرير العامل والفلاح من ظلم الأنديجينا والكولون²، وقد يتساءل البعض على موافقة الحزب الشيوعي الفرنسي بتأسيس حزب جزائري مستقل بعد أن عارض ذلك بشدة من قبل حتى مع موافقة الكومنترن على ذلك، لكن سرعان ما اختفت تلك المعارضة بسبب وقوع الحزب الفرنسي في مشكلة مذهبية تمثلت في التراجع عن دعم ومساندة المستعمرات بعد التحالف الفرنسي السوفييتي سنة 1935 ضدّ الفاشية والنازية، ممّا أدّى باتخاذ قرار إنشاء الحزب الشيوعي الجزائري، الذي كان استقلاله ظاهرياً فقط، حيث بقي وبشكل دائم خاضعاً إلى استراتيجية الشيوعية العالمية عامة والحزب الشيوعي الفرنسي خصوصاً، ما جعله يتبنّى سياسة الاتحاد مع فرنسا بهدف مواجهة العدو الخارجي المشترك النازي والفاشية وإنقاذ الديمقراطية³.

عمل قادة الحزب الشيوعي الجزائري بالتنسيق مع الحزب الشيوعي الفرنسي، هذا ماجاء في تصريح للسيد قدور بلقاسم الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في شهر ديسمبر 1937: بأنّ «المسلمين لا يرغبون أن يكون هناك طلاقٌ بينهم وبين فرنسا، بعد الإنجازات التي استفادوا منها»، وأكد ذلك في تصريح آخر: «إنّا لم نعرف إلا في الوقت الحاضر بأنّ الاتحاد بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي، يعتبر ضرورياً وسيبقى كذلك إلى الأبد».

أكد العضو في الحزب الشيوعي السيد بن علي بوقرط⁴ على التقارب بين الإسلام والشيوعية في مقال نشره بعنوان: [شعب الجزائر، من هم أصدقاؤك؟ - ?Peuple d'Algérie Quels sont tes amis] الذي قال فيه: «إنّ الإسلام والشيوعية متوافقان ولو عاش النبي محمد اليوم، في هذه الفترة التي يُضطهد فيها المسلمون ويقيدون في معظم البلدان، فإنه كان سيدعوهم للنضال من أجل التحرير»⁵، واعتمد بارتيل تكتيكاً مزدوجاً تركز على معاداة الفاشية في أوساط الأوروبيين، ومعاداة الاستعمار في أوساط المسلمين، وهو الحل التوافقي الذي استهدف من خلاله استقطاب الطرفين وفرض الشيوعيين على الساحة الوطنية الجزائرية⁶.

1 الأمانة الشيوعية: أو الكومنترن (Comintern) أسسها الزعيم الشيوعي لينين عام 1919، وذلك لتنظيم الثورات عن طريق الأحزاب الشيوعية، في كل دولة قام الاتحاد السوفييتي بحل الكومنترن عام 1943 كدليل على حسن النية تجاه حلفائه في الحرب العالمية الثانية.

2 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص282.

3 الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988، ص38.

4 بن علي بوقرط: الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري، قدم استقالته بعد غزو الاتحاد السوفييتي لفرنسا وانفصل تماماً عن العمل السياسي وعن عضويته بالأمانة الشيوعية.

5 Natalya Vinee, the algerian war the algerian revolution, Palgrave Macmillan, Switzerland 2020, p140

6 مصطفى أوعامري، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920 - 1954)، المرجع السابق، ص458.

شارك الحزب في المؤتمر الإسلامي 07 جوان 1936¹ إلى جانب أغلب التيارات السياسية في الجزائر ما عدا التّجم، ويبدو أنّ هدفه من خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي، كان خلق تحالف يجمع بين جبهة المؤتمر الإسلامي والجبهة الشعبية في فرنسا التي كان الحزب الشيوعي عضواً فيها، كما ساند الحزب الشيوعي مشروع بلوم فيوليت²، وأيد سياسة التجنيس والإدماج وهاجم الحزب الشيوعي الجزائري كلّ من نادى بالاستقلال أو الانفصال عن فرنسا، خاصّةً حزب الشعب وأعضائه الذين وصفهم بالنازيين والفاشيين واعتبر مصالي وحزبه بمثابة منظمة انفصالية تعمل ضدّ فرنسا، ووصفت جريدة الحزب الشيوعي الجزائري جماعة مصالي بالمشاغبين والمستغربين عندما يطالبون بالاستقلال عن فرنسا³.

ابتعد الحزب الشيوعي الجزائري عن التوصيات الأممية الشيوعية التي كانت ترى أنّ تحرير الجزائر وتونس من شأنه أن يضرب الامبريالية الفرنسية في الأعماق، وألغى من أدبياته استقلال الجزائر ليمسك فقط بضرورة العمل على اتحاد الشعب الجزائري مع شقيقه الأكبر الشعب الفرنسي، لكن الحقيقة تكمن في أنّ الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن سوى بوقاً للحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يرفض عن قناعة كل عمل من شأنه أن يؤدّي إلى انفصال الجزائر عن فرنسا، أي أنّ وطنية الحزب الشيوعي لم تكن تسمح بتجسيد الفكر اللينيني عندما يتعلق الأمر بمستقبل الجزائر المستعمرة في ظل الاحتلال الفرنسي⁴.

عارض في البداية الحزب الشيوعي بالجزائر دخول فرنسا الحرب العالمية الثانية والتي اعتبروها حرباً إمبريالية على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي، وانعكاساً لسياسة الاتحاد السوفياتي الذي كان قد وقّع على معاهدة عدم الاعتداء مع ألمانيا في 23 أوت 1939⁵، ما عرّض الحزب للحل واعتقال قادته ومناضليه، ولم تلبث أن تغيرت هذه السياسة بدخول الاتحاد السوفياتي الحرب مرعماً في صيف 1941 إلى جانب الحلفاء دفاعاً عن أراضيها التي اجتاحتها القوات النازية، لتختفي بعدها كلمة الاستقلال من الدعاية الشيوعية في الجزائر⁶، والتي أصبحت تركز على محاربة النازية والمطالبة بضرورة تحالف الجزائر مع فرنسا ضدّ النازية الألمانية⁷.

رغم حله قانونياً وعودته للنشاط تحت اسم جبهة الحرية، فقد تخلّى الحزب الشيوعي الجزائري عن كلّ القيم النضالية وراح يدعو إلى التعبئة المادية والبشرية من أجل تحرير فرنسا⁸ وكان هذا الموقف متوقعاً نتيجةً لسياسة الحزب آنذاك، والقائمة على عدم الاعتراف بالهوية الجزائرية⁹.

1 المؤتمر الإسلامي: عقد المؤتمر الإسلامي يوم الأحد 07 جوان 1936، بقاعة السينما الماجستيك بالعاصمة الجزائر، حضرته وفود تمثل جمعية العلماء والمنتخبين الجزائريين، والإشتراكيين، و الشيوعيين الجزائريين، وعارضه النجم.

2 مشروع بلوم فيوليت: نسبة الى موريس فيوليت (1870-1960) حاكم الجزائر الليبرالي السابق، المعروف بين المستوطنين باسم Viollette L'Arbi لتعاطفه المفرط المفترض مع السكان المسلمين، اقترح مشروع قانون Blum-Viollette المواطنة الكاملة لـ 25000 جزائري (قدامى المحاربين والطلاب والمسؤولين المنتخبين والقادة النقابيين) دون أن يفقدوا حالتهم الشخصية الإسلامية. عُرض على البرلمان في ديسمبر 1936، وعارضه بشدة نواب مؤيدون للاستعمار في الجمعية الوطنية.

3 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، المرجع السابق، ص 282.

4 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999، ص 222-223.

5 معاهدة عدم الاعتداء (23 أوت 1939) وقعت في موسكو معاهدة عدم الاعتداء الألمانية السوفياتية المعروفة أكثر تحت اسم الاتفاق الألماني السوفيتي، ووقعها الاتحاد السوفيتي وألمانيا النازية عن طريق تمثيلهما مولوتوف وريبنتروب، ولذلك يعرف أيضاً باسم اتفاقية مولوتوف-ريبنتروب، تشكل الميثاق من جزئين أحدهما علي يقضي بعدم الاعتداء وجزء سري يقضي بإنشاء مناطق نفوذ سوفياتية وألمانية في أوروبا الشرقية، واتفق الطرفان على تقسيم بولندا على طول خط أنخار ناريف وفيستو والسين. أنظر: طه عبد الناصر رمضان، حين اقتربت الاتحاد السوفيتي

من التحالف مع هتلر، <https://www.alarabiya.net/last-page/2023/03/17/1>

6 مصطفى أوعامري، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920-1954)، المرجع السابق، ص 460.

7 Pierre leffon, **Histoire de la France en algérie**, éd. PLON, Paris, 1980, p 314.

8 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 224.

9 Benjamin Stora-Zakiya daoued, **Ferhat Abbas une autre algérie**, op cit, p 97.

5.2.1. مواقف شيوخ الطرق والزوايا:

جاءت المواقف المؤيدة من بعض الأسر الكبيرة ورجال الدين الرسميين، وأصحاب الأوسمة والشهادات وقدماء المحاربين وطائفة القياد والباشاغات وشيوخ العرب¹، فبمجرد تعقد الأمور في أوروبا وأصبح الأمر ينذر بالانفجار عبر عدد من شيوخ الطرق شفوياً وكتائياً عن مساندتهم وولائهم لفرنسا، ووجهوا في هذا الصدد عدداً كبيراً من برقيات المساندة إلى الإدارة الاستعمارية وسوف يضل هذا التأييد مستمراً طيلة فترة الحرب بل إنَّ وفدًا هاما منهم سوف يسافر إلى باريس لاحقا.

استجاب بعض رجال الدين الرسميين وبعض المرابطين وشيوخ الزوايا، نذكر منهم قاسمي مصطفى وبوعزيز بن قانة شيخ العرب والشَّيخ قدور بلحول شيخ الطريقة القادرية بزاوية وادي الخير بمنطقة شلف، كما بعث أحمد التجاني شيخ زاوية تماسين الفرع الثاني للزاوية الأم الزاوية التيجانية برسالة مؤرخة في 23 ديسمبر 1942 موجهة للحاكم العام عنوانها "أحب فرنسا وأخدمها" يبرز فيها مدى دعمه اللا محدود لفرنسا في حربها ضدَّ الألمان، وأنه على ثقة بانتصارها فهي مدعومة بإرادة الله حسب تعبيره².

كانت الإدارة الاستعمارية قد سارعت في 31 ماي 1941 إلى تنظيم تجمع كبير في الجامع الأعظم، جمع شيوخ الزوايا والمرابطين وأتباعهم، وشارك فيه الطيب العتيبي بحضور السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية وذلك بهدف كسب التأييد لفرنسا مما أعطى لهذا التجمع طابع الاتحاد المقدس³.

وفي رسالة وجهها أحد شيوخ الطرق الدينية بالقطاع الوهراني إلى رئيس دائرة مستغانم جاء فيها: «...يسعدني أن أخبركم بأن الأمور على أحسن ما يرام فيما يخصنا، الكل هادئ وينتضر يوم النصر، الذي نصلي من أجله صباحا مساء»، هذا يعكس الولاء التام لهذه الفئة أو لعناصر منها والتي كانت لها إمتيازات ومصالح تدافع عنها⁴.

لكننا نستثني بعض المواقف خلال هذه الفترة، مثل الشَّيخ محمد الأمين شيخ الزاوية القادرية بالرويسات الذي وصفته التقارير الفرنسية بالشَّيخ المريب خلال فترة الحرب العالمية الثانية، ويشير نفس التقرير أنه كان من دعاة التحالف مع دول المحور⁵.

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، المرجع السابق، ص170.

2 محمد الأمين شرويك، الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة و المحاولة للإستعمار (1830-1954)، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس 2019-2020، ص250.

3 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ط2، دار مداد، قسنطينة، 2009، ص260.

4 مصطفى أوعامري، الحزب الشيوعي الجزائري و المسألة الوطنية (1920-1954)، المرجع السابق، صص38-39.

5 محمد الأمين شرويك، الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة و المحاولة للإستعمار (1830-1954)، المرجع السابق، ص250.

2. سياسة القمع الفرنسية في الجزائر بداية الحرب العالمية الثانية:

1.2. التعبئة العسكرية:

تعود فكرة استغلال الجزائريين من طرف الجيش الفرنسي للاعتماد عليهم في التوسّعات الداخلية إلى الكونت "دي بومون" De Bourmont¹ حين تأكّد من أنّ السّيطرة على الجزائر ليست بالأمر السّهل، فسعى إلى تدعيم جيش الاحتلال بالعناصر المحلية وبشكل مكثف حتى يتمكن من غزو مختلف المناطق التي بدا من السّهل احتلالها، غير أنّ رفض الجزائريين للمستعمر ومقاومته منذ البداية تطلب عملاً كبيراً وجهوداً عسكرية متواصلة من طرف الاستعمار لقمع المقاومات وتحقيق المشروع الاستعماري، ومن أجل ذلك سعى الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى إلى تشكيل فرق عسكرية من السّكان المحليين تكون بمثابة الدّليل الذي يتعرّف به على القبائل والأرياف في الجبال، وبذلك تتحول هذه الفرق إلى أداة يعتمد عليها الاستعمار في فرض سيطرته على البلاد، وفي العمليات التوسعية والحروب الخارجية، ومن هذه الفرق نذكر: فرقة الزواف (zouaves)² وفرقة القناصة الجزائريين (les Chasseurs Algériens)³ وفرقة المخزن (Makhzen)⁴ وفرقة القوم (Goumiers)⁵.

ومع بداية القرن العشرين أصبح تعزيز القوات العسكرية الفرنسية في أوروبا أمراً حتمياً في خضمّ الاستعدادات العالمية تحسباً لاندلاع حرب أوروبية وشيكة الوقوع، لذلك لجأت فرنسا إلى مستعمراتها وعلى رأسها الجزائر لتحقيق حاجتها المادية والبشرية، وبحلول سنة 1907 أخذت قضية التجنيد الإجباري للجزائريين منعاً جدياً، حيث سيطرت على جدول أعمال الطبقة السّياسية مما أدّى إلى اختلاف الرّؤى حول هذه القضية بين مؤيّد ومعارض⁶.

تعدّ فكرة استخدام الجزائريين من طرف الجيش الفرنسي مشروعاً استعماريّاً قديماً طالما كان محل نقاشات من طرف الأوساط الرسمية العسكرية والمدنية منذ منتصف القرن التاسع عشر، و ظهر مشروع الجنرال موليار Molliere في سنة 1845 الرامي إلى تجنيد 200000 رجل، وبأمر من الإمبراطور أعلن وزير الحرب الفرنسي فليبار فيان Jean -Baptiste Philibert Vaillant في 27 سبتمبر 1855 عن مشروع تشكيل جيش من الجزائريين قدره 70000 رجل، غير أنّ المشروع فشل بحجّة صعوبة التجنيد لغياب قوائم مضبوطة للحالة المدنية⁷.

1 دي بومون (Louis-Auguste-Victor de Ghaisnes de Bourmont) (2 سبتمبر 1773 - 30 جانفي 1846): كان جنرالاً في جيش نابليون بونابرت. عينه شارل العاشر وزيرا للحرية قاد الحملة الفرنسية على الجزائر عزل وعوضه كوزير على الجزائر.

2 إنظم افرادها لجيش الاحتلال الفرنسي غداة غزوه للجزائر سنة 1830 شكلت منهم قوات الاحتلال وحدات قتالية تابعة لسلاح المشاة ثم قننت بمرسوم ملكي 1831 أنضّر: بوليفة سعيد او عمر: جرجرة عبر التاريخ، الجزائر، 1925، ص 295.

3 أدى وجود الفرنسيين والجزائريين في نفس الفرقة العسكرية إلى إثارة النزاعات والصراعات بسبب اختلاف العادات والتقاليد، مما أقلق السلطة العسكرية فاستدعى ذلك تجميع الأهالي في تنظيم عسكري جديد عرف بالقناصة الجزائريين الذين التحقوا بالسلك العسكري الفرنسي "قناصة إفريقيا" وتشكل لواءين جديدين للجيش الإفريقي. أنضّر: بجاوي محمد الصالح، متعاونون ومجنّدون جزائريون في الجيش الفرنسي، 1830-1918، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 156.

4 فرقة المخزن: تشكلت هذه الفرقة منذ العهد العثماني من فرسان لبعض القبائل في الجزائر ووهران، وكان هؤلاء يحضون بامتيازات خاصة لدى البايات، إذ أوكلت لهم مهمة إقرار الأمن وجمع الضرائب من القبائل ومعاقبة الثائرين، مقابل إعفائهم من الضرائب المخزنية كالغرامة والمعونة والزرعة.

5 فرقة القوم: عرفها كل من "سيمون" Simon و"بيكر" Bequet في فهرس الحقوق الإدارية في الجزائر سنة 1883 هم جماعة من الرجال يحملون السلاح وهو مسخرون للخدمة العسكرية تحت قيادة شيخ القبيلة الذي بدوره يخضع لسلطة الأغا أو الخليفة أو ضابط فرنسي، و"القوم" لا يتقاضون راتباً شهرياً، وإنما يتلقون مساعدات غذائية وعسكرية مقابل خدماتهم.

6 بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس 2016، ص (11-13).

7 Charles Robert Agéron, Les Algériens Musulmans et La France 1871-1919, P.U.F, PARIS, 1968, p1057.

بدأ استخدام المجندين الجزائريين داخل الجيش الفرنسي بهدف دفع عجلة التوسّع الاستعماري، فتم إشراكهم في القضاء على مقاومات الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وبوزيان وفاطمة نسومر وغيرها، أمّا خارج الجزائر فقد تم استخدامهم في القارات الأربع بداية بحرب القرم 1845¹ وحملة إيطاليا 1859 والسنغال 1860-1861 وحملة المكسيك 1862-1867 والحروب البروسية الفرنسية 1870 والحملة على تونس 1881 والحملة على مدغشقر 1895، والمشاركة في الاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى، كما شارك الجزائريون في التمهيد للاحتلال الفرنسي لبلاد الشام².

وضع كليمنصو Clemenceau بصفته وزير الداخلية ورئيس الحكومة التجنيد الإجباري موضع التنفيذ بالموازاة مع الانخراط، وبمقتضى مرسوم 17 جويلية 1908 أمر بإحصاء الجزائريين الذين بلغوا سنّ الثامنة عشر من نفس السنة، وكان الغرض من ذلك جمع المعلومات الكافية بخصوص عدد الشبان الجزائريين، وتحضير الرأي العام الجزائري والأوروبي لتقبل فكرة الخدمة العسكرية الإجبارية التي تنوي الحكومة فرضها على الجزائريين³.

لقي المشروع رفضاً واسعاً سواءً من طرف الجزائريين أو الأوروبيين، وعبر رؤساء البلديات الكاملة الصلاحية عن رفضهم المشروع علانية ما أدى إلى تأجيل تنفيذ القرار، ليعاد طرح فكرة الإحصاء مجدداً بموجب مرسوم مؤرخ في 19 أكتوبر 1909 الذي أمر بإحصاء الشبان الجزائريين غير المجنسين والذين يبلغون سن الثامنة عشر في 1 جانفي 1910 في الإقليم الخاضع للحكم المدني ابتداء من 1 نوفمبر 1909، وعلى أثر صدور هذا المرسوم بعث الحاكم العام جونا-Jonart⁴ منشوراً إلى رؤساء البلديات والمتصرفين بخصوص إحصاء الشبان الجزائريين المولودين في 1891 وألح الحاكم العام على أن تتم عملية الإحصاء في هدوء دون أن يثير ذلك احتجاج الأهالي، لكنّ الاحتجاجات والاضطرابات تواصلت مثلما حدث في تلمسان خلال سنتي (1908-1909) ومستغانم (1909)⁵.

طرح مشروع تجنيد الجزائريين مرة أخرى في سنة 1910، ونظراً لأهميته بالنسبة للمؤسسة العسكرية الفرنسية طلب وزير الحرب جان بران Jean Brun من الحاكم العام جونا موافاته بكل تفاصيل العملية، وأن يتعاون في هذا الإطار مع اللجنة المكلفة من طرف الوزارة بعملية الإحصاء بقيادة النقيب شاردوني Chardenet الذي أشرف شخصياً على العملية، كانت خطة شاردوني تهدف إلى رفع عدد المجندين إلى 5200 مجند ليصل هذا العدد في الجزائر وتونس إلى 46000 رجل على مدى عشر سنوات على أن يكون نصفهم من المجندين والنصف الآخر من المنخرطين، وذكر ميسيمي مسؤول ميزانية الحرب في تصريحاته وخطبه أنّ الخدمة العسكرية للجزائريين فرصة مواتية للشروع في تطبيق الإصلاحات حيث قال: «علينا أن نستغل هذا الكم الهائل من الجنود ومقابل ذلك لابد من الانفتاح على رعايانا يوماً بعد يوم بإعادة النظر في قانون الأهالي والضرائب التي أثقلت كأهلهم...»⁶.

1 القرم: شبه جزيرة روسية على ساحل البحر الأسود، عاصمتها سيمفيريوبول، تبعت اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية بعد 1922، ثم ألحقت بجمهورية روسيا بعد 1945 ثم بأوكرانيا السوفياتية سنة 1945 وسرعان ما انفصلت عنها بعد تصدع الاتحاد السوفياتي عام 1991 لتصبح جمهورية مستقلة.

2 سيقاق الطاهر، المجنودون الجزائريون في الجيش الفرنسي بالشام (1918-1946) بين الالتزامات العسكرية والانتماءات الحضارية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2018/2017، صص 28-31.

3 بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، المرجع السابق، ص 38.

4 جونا gonart ولد في 27 ديسمبر 1857 عين رئيس ديوان الحاكم العام بالجزائر في 1881 ثم مدير مصلحة الجزائر بوزارة الداخلية في 1814 شغل منصب وزير الأشغال العمومية 1893 وفي 1900 عين حاكماً عاماً للجزائر، استقال في 1901 ثم أعيد تعيينه في 1903 في نفس المنصب 1903 شغل منصب وزير الخارجية في 1911 و توفي في 30 سبتمبر 1927.

5 بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، المرجع السابق، صص (39-40).

6 Charles Robert Agéron, Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919, Paris, P.U.F, 1968, p1070.

اقترح في البداية مدة الخدمة بثلاث سنوات، والاحتياط سبع سنوات، كما اقترح أن يكون التدريب بسيطاً وسريعاً، لأنّ المجند الجزائري حسب اعتقاده لا يهيمه التدريب الجيد، كما رأى في نفس الوقت ضرورة تحضير جيشٍ منظم يقي شرهم أثناء تمردهم، وأكد على ضرورة تلقينهم الروح العسكرية الفرنسية ومبادئها، وقد جعل ميسيمي لهذا المشروع لجنةً تتكون من العسكريين والاقتصاديين ورجال القانون لدراسة المشروع دراسة جدية داعياً إلى رفع عدد جنود الجيوش الفرنسية¹. ومع توتر الأجواء الدولية وبروز بوادر الحرب العالمية الأولى في الأفق، ضغط المستوطنون على حكومتهم الفرنسية²، حتى تصدر قرار فرض التجنيد الإجباري وهو الأمر الذي حدث فعلاً عندما صدر قانون 03 فيفري 1912، وحسب تقرير وزير الحرب "ميليران Milierand" الموجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية "البير فاليار A-Falliere" فإنّ قانون 03 فيفري 1912 جاء نتيجة الحاجة الماسة لمضاعفة عدد المنخرطين من الأهالي في الجيش الفرنسي الذين لم يكن عددهم يفوق (17000) وهو تفهقٌ خطير، وعليه أصبح من الضروري فرض قانون التجنيد الإجباري.

كنكملة للتجنيد عن طريق التطوع اتخذ البرلمان الفرنسي يوم 03 فيفري 1912 قراراً يجبر فيه الجزائريين على أداء الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين لثلاث سنوات مع البقاء في فرق الاحتياط لمدة سبع سنوات بعد الانتهاء من الخدمة³، وبالمقابل كانت المدة المفروضة على الشُّبان الفرنسيين سنتين فقط، دون إعطاء الجزائريين الحقوق السياسية والمدنية التي يتطلعون إليها⁴.

نشر قانون 03 فيفري 1912 في الجريدة الرسمية "المبشر-LE Mobacher"⁵ يوم السبت 02 مارس 1912 واحتوى على ثلاثين مادة مقسمة على أربعة أبواب⁶، وانطلقت الحكومة الفرنسية في إجراءات عمليات الإحصاء ثم القرعة والتجنيد، وكانت الفرق المكلفة بإجراء عملية القرعة من الرماة والصبايحية والمشاة مستعدّة تحسباً لأيّ طارئٍ، وقد بدأت مهمتها في حدود شهر جوان 1912 و حدّدت الولاية العامة ووزارة الحرب وقيادة الجيش بالجزائر ألفان وخمسمائة وخمسين شاباً (2550) لتجنيدهم سنة 1912⁷.

صدر في 28 نوفمبر 1913 صدر مرسوم نصّ على رفع سنّ تجنيد الجزائريين إلى تسعة عشر سنة بدل ثمانية عشر سنة، وكعادتها لم تتأخر السلطات الاستعمارية في الدفاع عن خياراتها الرامية إلى استغلال الجزائريين، حيث رافع ميسيمي أمام البرلمان سنة 1913 لأجل مصلحة فرنسا في رفع عدد المجندين الجزائريين في جيشها، وعلى الرغم من ذلك تواصلت معارضة الجزائريين لقرار التجنيد الإجباري، مما جعل الحكومة الفرنسية تتخوف من قيام ثورة في الجزائر في حال اندلاع حرب أوروبية، ونتيجةً لهذا التخوّف أرسل وزير الحرب "البير

1 حميد أيت حبوش، قانون التجنيد الإجباري 1912، دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه، الحوار المتوسطي، مجلد 9، العدد 2، جامعة سيدي بلعباس، سبتمبر 2018. ص (277-278).

2 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع والعشرين، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 44.

3 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المجلد الثامن، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 443.

4 عبد الرحمن بن براهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى (1920-1936)، ج 1، ط 3، منشورات السانحي، الجزائر، 2010، ص 41.

5 جريدة المبشر: كانت جريدة المبشر جريدة عربية- فرنسية بطبعة لكل لغة، تنشر كل 15 يوم تحت إشراف المكتب السياسي للشؤون العربية، ولم تتوقف عن الصدور الا في 31 ديسمبر 1926، وهو نفس تاريخ توقف النشرة الرسمية للحكومة العامة في الجزائر (Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie) وتم تعويضهما ابتداء من 01 جانفي 1927 بالجريدة الرسمية، إعتبر أبو القاسم سعد الله الجريدة (وسيلة للدعاية والتخدير)، باعتبارها كانت رسمية ومثلت مشروعاً فرنسياً دام ثمانين سنة. أنظر:

Fiori, H. *Bibliographie des ouvrages imprimés à Alger de 1830 à 1850*, Slatkine Reprints, Genève, 1998, p77.

6 عبد الرحمن بن براهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936)، المرجع السابق، ص 33.

7 حميد أيت حبوش، قانون التجنيد الإجباري 1912 دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه، مرجع سابق، ص 280.

لوبران" في 09 جوان 1913 فيلقًا سنغاليًا إلى الجزائر تعداده 272 رجلًا، وفيلقًا آخر من إفريقيا الغربية من نفس العدد، كما أوصت إدارة الاحتلال مؤيديها من بعض الجزائريين إلى إعلان ولائهم المطلق لفرنسا، وأن يحثوا الأهالي أن يفعلوا مثلهم، وأن يُقبلوا للدفاع عنها¹.

2.2 التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي:

مباشرة بعد أن أعلن رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكاريه - Raymond Poincaré عن التعبئة العامة للحرب العالمية الأولى في أوت 1914، حتى أصدرت وزارة الحرب مرسومًا في 03 أوت 1914 للجنرال هانوتو - Hanotaux قائد السلك التاسع عشر (19^{eme} Corps) بخصوص التجنيد طيلة الحرب، كانت حصيلة شهر أوت وسبتمبر 1914 تجنيد 7000 رجل، ويبدو أنّ الحاكم العام أراد أن يبيّن أهمية التجنيد عن طريق الانخراط الطوعي من الناحية العسكرية مقارنةً بالتجنيد بواسطة الاستدعاء الذي كان مرفوضًا في البداية من طرف المعمرين حتى لا يتمكن الجزائريون من الحصول على الحقوق السياسية من جهة، ومن جهة أخرى تخوف إدارة الاحتلال من قيام انتفاضة الجزائريين في خضم ظروف الحرب الأوروبية بسبب التجنيد الإلزامي، غير أنّ الأخبار الواردة من ساحات المعارك والمتمثلة في أهوال الحرب ومدى معاناتهم هناك أمام القوات الألمانية، أدّى إلى تراجع عدد المتطوعين².

عندما تسلم غالييني - Gallinier وزارة الحرب في أكتوبر 1916، عاد التركيز على التجنيد الإجباري، حيث صرّح بهذا الشأن: «كلنا نعلم أنّ الخدمة العسكرية غير مقبولة في الجزائر كما في فرنسا، وإذا حدثت اضطرابات فذلك بسبب عملية القرعة وليس بسبب الاستدعاءات، وعليه يجب إلغاء مبدأ التعويض³ وإقرار المساواة في الخدمة العسكرية»⁴. كما ارتفع عدد المجندين نسبيًا في نفس السنة 1916، إذ يذكر مصالي الحاج⁵ في مذكراته «أنّ مدينة تلمسان مثلاً كانت حقًا تستحق تسميتها بالمدينة الثكنة، أتذكر أنّي رافقت في العديد من المرات العساكر إلى محطة القطار، ركب الجنود الذاهبون إلى ساحات المعارك في عربات مخصصة من قبل للحيوانات»⁶.

عندما أصبح كليمنصو - Clemenceau⁷ رئيسًا للمجلس طلب إرسال إمدادات من جميع المستعمرات، غير أنّ قيادة الجيش في الجزائر طلبت بأن لا يشمل التجنيد إقليم الجنوب الذي أصبح يعاني من نقص التعداد، وأكدت أنّ دفعة 1918 لا يمكن أن تزود أكثر من 18 ألف رجل قادر على الخدمة العسكرية خاصّة بعدما ذكرت تقارير طبية بوجود مرضى في صفوف المجندين في هذه

1 بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، المرجع السابق، ص49.

2 بلجة عبد القادر، نفسه، ص50.

3 مبدأ التعويض: جاء في المادة الثالثة والعشرون من مرسوم 03 فيفري 1912، حيث يمكن للمجنّد أن يعوّض بشاب آخر شريطة أن يكون هذا الأخير معفى من الإلتزامات العسكرية، وأن يكون بصحة جيدة.

4 Meynier Gilber, *L'Algérie Révélée: Lageurre de 1914-1918 et Premiere Quart du XXe Siecle*, Librairie Droz, Paris, 1981, p397.

5 مصالي الحاج: ولد بمدينة تلمسان في 16 ماي 1898، وتوفي بالعاصمة الفرنسية باريس في 3 جوان 1974 زعيم وطني جزائري كان واحد من المطالبين بالاستقلال عن فرنسا منذ العشرينات، مؤسس حزب ونجم شمال إفريقيا الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري، ثم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

6 مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر 2006، ص62.

7 جورج بنجامين كليمنصو Georges Benjamin Clemenceau (1841 - 1929): رجل دولة فرنسي طبيب وصحفي، أنتخب مرتين لرئاسة الحكومة الفرنسية رئيسًا للوزراء الثاني والسبعين للمرة الأولى في الفترة بين 1906 - 1909 والرئيس الخامس والثمانين للمرة الثانية في الفترة الحرجة بين 1917 - 1920، إذ قاد فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، كان أحد أقوى المساهمين في معاهدة فرساي وقد لقب بالكثير من الألقاب منها أبا النصر والنمر.

الدفعات، وذكر الجنرال هيري- Herry أنّ الجزائر وفرت 170 ألف جندي في الحرب العالمية الأولى منهم 33 ألفًا كانوا في الشكنات قبل الحرب مجندين إجباريًا ومتطوعين، إلّتحق بهم 180 ألف مجند¹ و 57 ألف متطوع¹.

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الحلف الثلاثي وانتصار الوفاق، وعلى الرّغم من أنّ الجزائريين قد أّفحموا في حرب لا تعنيهم إلّا أنّهم دفعوا تضحياتٍ جسام في كلّ الجبهات قدرتها تقارير عسكرية بأكثر من 19 ألف قتيل وأكثر من 6 آلاف مفقود² و 73 ألف من الجرحى، منهم 8779 من المشوهين، أمّا الجنرال كلايتون فقد ذكر أنه سقط خلال الحرب 36 ألفًا من الجزائريين والتونسيين دون تقديم إحصائيات عن عدد المغاربة³.

بعيدًا عن الأرقام خلّفت الحرب أيضًا آثارا وخيمة على حياة الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية، بحسب دراسة غير رسمية أّورها أوغستين بيرنارد - Augustin Bernard⁴ أنّ 173 ألف مجند جزائري و 80 ألف عامل أي ما يمثل حوالي 22.8% من إجمالي السّكان الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و 59 سنة عاشو بعيدًا عن أسرهم فترة الحرب العالمية الأولى.

تسببت الحرب على المستوى الاقتصادي في تفكير وتجويع الجزائريين، وأدّت إلى انخفاض قدرتهم الشرائية بسبب توجيه الإنتاج الزراعي بما يخدم جبهات الحرب، كما أدّى رفع حجم الضّرائب المفروضة على الجزائريين واستحداث ضرائب جديدة إلى تكريس البؤس و الشقاء والتعاسة في أوساطهم، وما يمكن تسجيله أيضًا في تلك الفترة أنّ بعض المهاجرين والمجندين منهم حققت لهم الحرب ولعائلاتهم مداخيل هامة، قدّر الباحثون عدد المستفيدين منها بملّيون شخص موزعين على 225 ألف عائلة، استفادوا من المنح والعالوات ورواتب المجندين والعمال المهاجرين في عمالة الجزائر وحدها أرسلها هؤلاء إلى ذويهم.

استفاد من جهةٍ أخرى المجندون الجزائريون باحتكاكهم بالمجتمع الأوروبي، فاطلعوا على المنجزات الحضارية المختلفة، وكان أكبر مكسبٍ لهم هو التحكم في استعمال الأسلحة وصيانتها واكتساب مهارات قتالية جديدة، والاطلاع على معارف عسكرية لم تكن متاحة في الظروف العادية، كما استفاد العمال الجزائريون والمجندون من احتكاكهم بالأوروبيين، فاكسبوا مهارات تقنية وحربية جديدة، واستفادوا أيضًا من الخبرة التنظيمية في العمل النقابي شكّلت رصيدًا إضافيًا استثمره الجزائريون لاحقًا في كفاحهم ضدّ الاستعمار الفرنسي⁵.

3.2. المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية:

كانت ظروف الحرب العالمية الثانية صعبةً ومغايرةً عن ظروف الحرب العالمية الأولى من عدّة جوانب، حيث كان الوضع لايزال يعاني من تدهور الأحوال الاقتصادية للثلاثينيات وانتصار الفاشية في أوروبا وفشل الجبهة الشّعبية وازدياد شعور كراهية الأجانب عند جل الشّعب الجزائري، هي عوامل فتّرت تأخر التجنيد والأسلوب العسكري الدفاعي الحذر لفرنسا، وفي المقابل كانت مزاعم

1 Charle Robert agéron, **Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919**, op.cit, p42.

2 Ibid, p1166.

3 Antony Clayton, **Histoire De Larmee Francaise En Afrique**, Albin Michel, Paris1994, p305.

4 اوغستين برنارد (Augustin Bernard) (1865 - 1947 م) هو مؤرخ وجغرافي فرنسي، كان عضوًا في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية توفي عن عمر يناهز 82 عامًا.

5 Charles Robert Agéron, **Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919**, op, cit, p1212.

فرانكو¹ التوسعية في المغرب الأقصى والإقليم الوهراني، ورغبات إيطاليا التوسعية في تونس وتصاعد التيار الوطني وقائع ساهمت في دفع التجنيد إلى الأمام، حيث سعت قيادة أركان الجيش الفرنسي إلى تركيز قوات هائلة في شمال إفريقيا. خلال فترة تدهور العلاقات الدولية بدأت تلوح أسباب الحرب، واستعداداً لها بيّنت دراسة أجراها خبراء عسكريون فرنسيون وضعوا مخططاً عسكرياً باسم (plan E) صدر في 19 جويلية 1937 قدروا فيه إيصال عدد القوات المجنّدة خلال السنة الأولى من الحرب في حال اندلاعها بـ: 300 ألف عسكري مجنّد من المستعمرات².

إذا ألقينا نظرةً على عمليات التجنيد في مختلف الأسلحة بين عامي (1925-1938) لأخذنا فكرةً عن توزيع المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي حسب الأسلاك والمصالح المختلفة عند اقتراب موعد الحرب العالمية الثانية:

السنة	رماة	صباحية	كـ	مدفعية	القطار	هندسة	تمريض	ك إدارة	طيران	بحرية	المجموع
1925	2280	599	46	34	43	02	06	10	02	/	3051
1926	1576	339	36	21	65	13	04	13	05	/	2114
1927	2201	227	34	87	63	12	05	42	07	/	2844
1928	2389	160	40	32	40	51	11	67	07	/	2844
1929	1087	223	20	30	03	08	20	43	03	/	1486
1930	2367	439	21	50	44	17	24	42	02	/	3143
1931	3360	738	54	109	169	24	05	37	12	/	4665
1932	2589	783	47	67	84	33	02	26	05	/	3706
1933	2145	528	08	52	22	22	/	40	03	/	2937
1934	2508	319	29	52	48	31	/	29	/	/	3131
1935	4103	490	41	83	130	24	01	31	01	/	5020
1936	4151	606	55	101	131	39	06	20	01	/	5110
1937	4224	761	68	120	115	35	02	27	/	93	5445
1938	4744	650	47	126	170	18	04	17	/	102	5858

المصدر: (belkacem, recham ,p5 5)

الملاحظة الأولى من خلال الجدول هي أنّ سلاح المشاة يحتل الصدارة بالنسبة للرماة والخيالة، يليهما كتائب المرتفعات والمدفعية والقطار وهي بلا شك أسلاك تتطلب استعدادات بدنية معتبرة وقدرة فائقة على تحمّل مشاق العمل ومخاطره وعلى رأس هذه المخاطر الموت المحقق، أما الملاحظة الثانية فهي ندرة الجنود الموجهين إلى سلاح البحرية والطيران والتمريض، ولم يكن ذلك بسبب قلة

1 فرانكو: فرانثيسكو فرانكو بوهاموند- fran'θisko 'fran̄ko (4 ديسمبر 1892 - 20 نوفمبر 1975) هو جنرال وديكتاتور إسباني أحد قادة انقلاب سنة 1936 للإطاحة بالجمهورية الإسبانية الثانية التي أدت إلى الحرب الأهلية الإسبانية. وبعد ذلك حكم إسبانيا حكما ديكتاتوريا بدءا من 1939 إلى 1975، ملقبا نفسه بالكوديو أو الزعيم. رئيس الدولة - حتى وفاته سنة 1975. أنظر:

Cristina Tango, **L'Espagne: Franquisme, transition démocratique et intégration européenne 1939-2002**, Publications euryopa, Genève, 2006.

2002-1939,

2 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص23.

إقبال أو نفور المجندين الجزائريين وإنما بسبب تعمد فرنسا عدم السماح لهم أو تقليص الفرص أمامهم للانضمام إلى هذه الأسلاك والقطاعات، فسلح الطيران والبحرية حسب بعض الفرنسيين يستخدم تكنولوجيا ريفية ومعقدة لا يتقنها الجزائريون أو بالأحرى لا يجب عليهم إتقانها.

بلغ إجمالي الجزائريين في الجيش الفرنسي في الفاتح جانفي 1939 حوالي 68 ألفاً منهم 48 ألف عامل متقاعد والباقي احتياطي مستدعي، موزعين على مختلف الأسلحة والقطاعات وهم يمثلون حوالي 1.40% من إجمالي سكان الجزائر البالغ عددهم في نفس العام أي أزيد من 2.6 مليون نسمة¹.

مع دخول فرنسا الحرب رسمياً في 01 سبتمبر 1939 أقرّ مجلس الوزراء تحت رئاسة ألبرت لوبران مراسيم تلزم التجنيد العام للقوات الفرنسية في كامل التراب الفرنسي والمستعمرات ومنها الجزائر، كما تم الإعلان عن حالة الطوارئ في فرنسا وأقاليم الجزائر الثلاث²، كما أوصى مخطط التعبئة الشاملة في إفريقيا الشمالية بتشكيل 14 قسماً (division) و5 مجموعات (brigades) من الفرسان أغلبها انتقل إلى فرنسا ولقد تم توزيع الدفقات المعنية بالتعبئة على الشكل التالي:

جدول توزيع الدفقات المعنية بالتعبئة:

طبيعة التجنيد	الدفقات
بكل الآليات: الانخراط إعادة الانخراط - الاستدعاء	- دفقة 1939 (الجزء الأول) - دفقة 1938 (الجزء الأول والثاني)
المتوفرة فعليا: (1939)	- دفقة 1938 (الجزء الأول) - دفقات (1935-1936-1937)
الاحتياط الأول	من دفقة 1920 إلى غاية دفقة 1934
الاحتياط الثاني	من دفقة 1910 إلى غاية دفقة 1934

المصدر: (belkacem, recham, p58)

يتبين لنا من خلال الجدول مدى سعي السلطات الاستعمارية للاستفادة من الجزائريين، ولذلك لجأت إلى ضبط العملية بإصدار قانون 11 جويلية 1938 الذي نصّ على أنّ الدفقات المسرحة بعد الخدمة العسكرية تبقى تحت تصرف وزارة الدفاع الوطني والحرب، بالإضافة إلى ذلك لجأت قيادة الجيش في مارس 1940 إلى مراجعة قائمة المعفيين والمقصيين من أجل إعادة استدعائهم للخدمة العسكرية مثلما حدث مع دفعتي 1934 و 1937 والبالغ عددهم 70 ألف شاب، ما يعادل متوسط دفقة عادية³.

1Belkacem Recham, **Les Musulmans Algériens Dans L'armée Française (1919-1945)**, Hrmattan, Paris1996, p146.

2 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص23.

3 عبد القادر بلجة، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، المرجع السابق، ص ص 159-160.

توجه الحاكم العام للجزائر (لوبو-lebeau) بكلمة وجهها إلى سكان الجزائر وصف فيها عملية التعبئة بقوله: «إنّ عملية الاستنفار في جزائرها تجري بطريقة تثير الإعجاب في نظامها وانضباطها»¹، وفي 02 ديسمبر وجه الوزير (سارو-Sarraut) خطاباً يؤكد بأنّ فرنسا لن تنسى أبداً ما تدينه لأنبائها في شمال إفريقيا²، وبالرغم من تظاهر السُّلطة الاستعمارية بالعدل بين المجندين وحرصها على إخفاء التمييز بينهم من خلال إصدار مراسيم وتعليمات تؤكد هذا المنحى منها مرسوم 07 أيفري 1940³ ومرسوم 13 مارس 1940⁴ إلا أنّ الجزائريين عانوا من عدّة صعوبات أهمها التمييز الذي كان واضحاً في مجالات عديدة، كالأجرة والترقية وظروف العمل التي جعلت الفوارق بينهم وبين الفرنسيين واضحةً ومحسوسة يومياً، وما يؤكد ذلك شهادة المجندين أنفسهم، منهم شهادة أحمد بن بلة⁵ الذي وصف حالة التمييز بين المجندين بقوله: «إنّ اللامساواة بين الضباط الجزائريين والضباط الفرنسيين كانت فاضحة، حيث كانت هناك قاعتان للأكل منفصلتان للصنّفين، وصحوننا لم يكن لها الحق في أن تتأخى مع صحون الفرنسيين المساوين لنا في الرتبة، وكؤوسنا لم يكن لها الحق بأن تفرع كؤوسهم حتى ولو كان بكؤوسهم خمر وبكؤوسنا ماء، لقد تسبب لنا هذا التمييز العنصري في الكثير من الضيق والمهانة»⁶.

أمّا فيما يخص العمال فإنّ معاناتهم بدأت قبل بداية الحرب لأنّ حرب الإنتاج والاستغلال قد بدأت حوالي ثلاث سنوات قبل الموعد الرسمي لاندلاع الحرب، كما صدرت في هذه الفترة العديد من القوانين التشريعية والمراسيم التي منعت قانون العمل الفرنسي سواء في مدة العمل أو في الأجور أو في ما يخص التحكيم والمنازعات، وأقر مرسوم 01 سبتمبر 1939 بنظام العمل كالتالي: 60 ساعة عمل في الأسبوع و40 ساعة عمل إضافية، يخصم من أجور العمال 75% أمّا الفارق المقدّر بـ: 25% فيوجه إلى الصندوق الوطني للتضامن كما يتم خصم 15% من أجور العمال بين 18 و 49 سنة كضريبة وطنية⁷.

حاول نظام فيشي التظاهر بالتوايا الحسنة لإنجاح التجنيد فزاد في حجم الخدمات الاجتماعية للجيش كالتكفل بمعطوي الحرب وإعانة عائلات المجندين وإيواء العساكر، وإقامة مخيمات صيفية للأطفال ورفع المنح العسكرية للأهالي المجندين بـ50% الأمر الذي أدّى إلى تلبية نصف الشّباب المدعو للتجنيد حتى نوفمبر 1940، ما اعتبرته الإدارة الاستعمارية رقماً إيجابياً ومقبولاً، رغم ذلك سعى نظام فيشي إلى جعل وإبقاء المثقفين الجزائريين بعيدين عن الجيش الفرنسي، ومن أجل هذه الغاية دعت تعليمية صادرة من وزارة الحربية موجهة إلى جنرالات الجيش الفرنسي بتاريخ 24 أبريل 1941 إلى مايلي: «ليس لدينا أيّ مصلحة في إثارة المثقفين، ربما يكونون نواة لقيام تمرد أو ثورة محتملة... وإذا كان الحال بقبول ترشيحات ما، ستتخذ الإجراءات الكفيلة بعدم نجاح أي مترشح بعد التصحيح»⁸.

1 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص174.

2Charle robert Agéront, histoire de l'algerie contemporaine (1830-1964), Op cit, p549.

3 سمح للأهالي المسلمين البالغين من العمر 21 سنة بالدخول إلى المدارس العسكرية دون تجنيس، وفتح إمكانية ترقيةهم إلى صف ضباط وضباط.

4 قن لأول مرة وجود فئة ضباط إحتياطيين أهليين.

5 أحمد بن بلة (25 ديسمبر 1916 - 11 أبريل 2012)، ولد في مدينة مغنية تلمسان أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال، من 15 أكتوبر 1963 إلى 19 يونيو 1965. ناظر من أجل استقلال البلاد، وشارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني عام 1954 واندلاع الثورة التحريرية، أحد رجالات الأمة الجزائرية في تاريخها الحديث والذي ترك بصمات هامة في التاريخ السياسي للدولة الجزائرية منذ مرحلة النضال السياسي في صفوف الحركة الوطنية والتحضير للعمل المسلح من أجل الاستقلال والقيام بالثورة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي.

6 أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الأدب، بيروت، 2011، ص47.

7 عبد الحفيظ إقنان، واقع الحركة العمالية في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية(1939-1945)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 10، العدد01، جوان 2019، صص19-20.

8 عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، صص25-26.

هذا وشارك الجنود الجزائريون في الجبهات الأوروبية من خلال المساهمة في معارك عديدة، وبحلول 05 جوان 1944 وصلت جيوش الحلفاء الى مدينة لاسيان شمال إيطاليا وبدأ التخطيط لتحرير فرنسا وهو ماتطلب جنود إضافيين تم تجنيدهم من المستعمرات خاصة الجزائر وبلغ عدد المجندين الجزائريين بحلول سنة 1943 (16800 جندي) مثلما يوضح الجدول التالي:

مكاتب التجنيد	المجندين المقبولين	عدد المجندين فعلا
الجزائر	6649	4250
قسنطينة	8268	5300
وهران	11395	7250
المجموع	26312	16800

المصدر: (بلجة 2015 - 2016، ص 215)

يظهر من خلال الجدول الفرق بين المجندين المقبولين والمجندين فعلا، إلا أن تقارير فرنسية اشارت الى أن عملية التجنيد سارت بشكل حسن وذلك راجع الى الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها سكان المستعمرات والتي دفعت بالشباب في كل من تونس الجزائر والمغرب ينخرط ضمن عملية التجنيد بهدف التخفيف من حدة هذه الأزمة، وفي ماي 1944 وصل عدد المجندين في الاقطار الثلاث (الجزائر-تونس- المغرب) الى 232000 جندي من أصل 550000 جندي يشكلون الجيش الفرنسي وتوزعوا على النحو التالي:

مساهمة البلدان المغاربية في الجيش الفرنسي سنة 1944

البلد	الجزائر	تونس	المغرب الأقصى
عدد المجندين	129000	88000	15000
النسبة	%55.6	%37.9	%6.4

المصدر: بلجة عبد القادر، 2016/2015، ص 216.

من خلال قراءة متأنية لمعطيات الجدول نلاحظ أن عدد المجندين متفاوتة وذلك يرجع الى عدة عوامل أهمها:

- عدد السكان الذين بلغ عددهم سنة 1944 (الجزائر 7.68 مليون نسمة)، (المغرب الأقصى 7.14 مليون نسمة)، (تونس 2.68 مليون نسمة).

- طريقة التجنيد ففي الجزائر كانت عملية التجنيد تتم بطريقتين تجنيد طوعي وتجنيد إجباري، أما في المغرب الأقصى فقد اعتمدت سلطة الحماية التجنيد الطوعي فقط لذلك نجد أن أكبر عدد من المجندين كان من الجزائريين .

4.2. حل الأحزاب واعتقال الزعماء:

بالنسبة لقادة حزب الشعب الجزائري لقد تم اعتقال أعضاء الهيئة الإدارية للحزب الخمسة وهم: مصالي الحاج ومفدي زكرياء وخليفة بن عمار وحسين لحول وعرافة إبراهيم الذين أُلقي عليهم القبض في 27 أكتوبر 1937، وذلك إثر الخطاب الذي ألقاه مصالي الحاج في اجتماع عام في العاصمة بشارع (طيبة-thébes) وأعلن فيه أن هدف الحزب هو الاستقلال، وصدر الحكم في حقهم أسبوعاً

بعد ذلك يوم 4 نوفمبر 1937 بستين سجنًا بسجن الحراش، وطبق عليهم نظام الحجز السري، فعزلوا عن بعضهم ومنعت عليهم الزيارة، أما التهم التي وُجّهت إليهم فكانت التحريض على الاضطرابات ضد أمن الدولة وإعادة تأسيس جمعية منحلة، كما مارست الشرطة الفرنسية العنف ضد زوجة مصالي الحاج (إميل بوسكوان-Émilie Busquant)¹، التي كانت تقود عمليات الاحتجاج ضد اعتقال زعماء الحزب في العاصمة، ومنعتها الشرطة من عقد اجتماع عام في سنما دياموند، ليتم عقد الاجتماع في مقر الحزب بشارع ديكان لكن الشرطة هاجمته وأمرت الحاضرين بالتفرق².

وبدأت سلسلة الاعتقالات الثانية في 25 فيفري 1938، باعتقال الكاتب العام بالنيابة أرزي كحال الذي خلف مصالي في العاصمة، وفي الفاتح من مارس أُعتقل الإخوة فيلاي علي وجلول أحمد، وبوجريدة عمار في قالمة، ومحمد بالبرهان وبومعزة علاوة وعبد الكريم الطاهر بقسنطينة وأحمد مزغنة ومصطفى دشوك وعبد القادر هرقة ومحمد العساكر بالعاصمة وعبد الكريم بن عصمان بتلمسان وموساوي رابح وعمار بن دحمان والسي الجيلاني بفرنسا وصدر بحقهم حكمًا بالسجن سنة كاملة بسجن بربروس³. كما تم اعتقال أعضاء فدرالية وهران التي أنشأت في 29 أوت 1937⁴ وكانت مدينة تلمسان مقرها الرئيسي ومن أبرز أعضاء هيأتها الإدارية نجد معروف بن رزوق، عبد الله بوعنان، محمد صبان، محمد ممشاوي، وقد اعتقل هؤلاء في نوفمبر 1938 وصدرت بحقهم أحكام قضائية في 30 جانفي 1939.

داخل فرنسا وقعت عمليات قمع واضطهاد على أعضاء الحزب كانت موازية تقريبًا لما يجري داخل الجزائر، فلقد داهمت الشرطة منازل مسؤولي الحزب، ووجهت إلى أعضاء الهيئة الإدارية تهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة، كما هاجمت الشرطة أعضاء حزب الشعب خلال المسيرة التي شاركوا فيها في 14 جويلية 1939 وأسفرت عن وقوع خمسين جريحًا من بينهم أطفال ونساء حسب ما جاء في جريدة الأمة والتي وصفت الحادثة بالمجزرة، كما داهمت الشرطة مقرات مراكز القسمات خلال شهري أوت وسبتمبر 1939، ومنعت في 27 أوت 1939 كل المظاهرات الوطنية، وأقدمت السلطات الفرنسية على تعطيل جرائد حزب الأمة والبرلمان الجزائري بدعوى أنها قدمت مقالات عنيفة ضد الحرب، ومع اقتراب نذر الحرب وجدت الحكومة الفرنسية الفرصة مواتية للقضاء على المعارضة الداخلية، فأصدرت حكمًا بتاريخ 26 سبتمبر 1939 يقضي حل حزب الشعب الجزائري، وألقي القبض على بعض القادة منهم مصالي الذي كان أطلق سراحه في أوت 1939، وأرسل قادة ومناضلون آخرون إلى المعتقلات، ورفعت دعوى على 41 من مناضلي الحزب بتهمة تشكيل رابطة منحلة جديدة والتظاهر ضد السيادة الفرنسية والتعدي على حرمة التراب الوطني⁵.

أمام غمرة القمع ضد مناضلي حزب الشعب ارتأى أن يُرفع التحدي وترشح الزعماء المعتقلين للانتخابات الإقليمية التي ستجري في أكتوبر 1937، فرشح الحزب الرئيس مصالي الحاج في العاصمة محمد مسطول في البلدية وحسين الاحول في المدية وموساوي

1 إميل بوسكوان-Émilie Busquant: المولودة بفرنسا في نوفيس-ميزون في 3 مارس 1901 وتوفيت في الجزائر العاصمة في أكتوبر 1953، ناشطة فرنسية نسوية ونقابية ومناهضة للاستعمار، تزوجها مصالي الحاج على الطريقة الإسلامية وغيرت اسمها إلى رشيدة واستطاعت تعلم اللغة العربية قراءة وكتابة، ساهمت إميل في الحركة الوطنية الجزائرية وساندت مصالي الحاج في مختلف المراحل التي عاشتها معه. أنظر: مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938 ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص129.

2 أحمد الخطيب، حزب الشعب جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، المرجع السابق، ص263.

3 محمد قناش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص55.

4 حسب رواية كوللو فإن تأسيسها كان بتاريخ 12 مارس 1938.

5 الجيلالي صاري. محفوض قداش، المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، صص 69-70.

رابح في تيزي وزو، ومفدي زكريا في قسنطينة، وعبد القادر بن هرقة في قلمة وخليفة بن عمار في سكيكدة وبومدين معروف في وهران، ومصطفى زروق في سيدي بلعباس وبالفعل لم تحب نتائج العاصمة أمل الحزب.

بينما كانت النتائج ضعيفة في باقي المناطق وحصل مصالي على 2484 صوتاً خلال الدورة الأولى و3450 صوتاً في الدورة الثانية متصدراً أمام باقي المترشحين، لكن الإدارة الفرنسية أعلنت عن نتائج مغايرة بفوز مرشح الإدارة محي الدين زروق بـ 2432 صوتاً، وعندما أثار الأمر ضجةً أمام الرأي العام حول صحة النتائج، حيث اعتبرها البعض تزويراً فاضحاً من طرف الإدارة للانتخابات، وأمام الضغط اضطر مجلس عمالة العاصمة بالاعتراف بأن مصالي قد حصل على العدد الأكبر من الأصوات لكن ذلك لا يعني فوزه لأن أهليته للترشح غير قانونية بسبب الأحكام الصادرة ضده في نوفمبر 1934 وماي 1935 وبالتالي أعلن المجلس فوز مرشح الإدارة محي الدين زروق.

عجلت الإدارة الفرنسية بإصدار الأحكام على المعتقلين لمنع تكرار ترشحهم للانتخابات¹، وواصلت سياستها القمعية ضد الحزب خلال الانتخابات الجزئية بلدية العاصمة في نوفمبر 1938، حينما دعم الحزب بكل قوته لائحة الاتحاد الاقتصادي التي تضم المحامي أحمد بومنجل الذي تولى الدفاع عن معتقلي الحزب بالإضافة إلى محمد عباس عضو الحزب وكان الانتصار باهراً أمام مرشحي الحزب الشيوعي إذ نال محمد عباس على 1201 صوتاً وأحمد بومنجل على 1119 صوتاً، فكان رد فعل الإدارة على هذه النتائج حملة اعتقالات واسعة في صفوف الحزبين شملت 26 مسؤولاً من مختلف مناطق الوطن وصدرت بحقهم أحكام مختلفة في 30 جانفي 1939². جرت في 25 أبريل 1939 الانتخابات الجزئية في عمالة الجزائر، رشح فيها الحزب أحد مناضليه المغومرين المدعو محمد دوار الذي كان يعمل في شركة الترامواي، وكانت مفاجأة كبرى عندما فاز مرشح الحزب بأغلبية الأصوات في الدورة الثانية، هذا الفوز الذي صُنع له خصوم حزب الشعب ولم تتحمله الإدارة التي لم تكن مستعدة أبداً لأن تترك عضواً من حزب الشعب يحتل مقعداً نيابياً داخل مجلس استشاري عام، ولم تلجأ إلى تزوير النتائج هذه المرة لكنها لجأت إلى وسيلة اعتقدت أنها تؤمن غطاءً قانونياً بحيث أصدر مجلس العمالة في 03 جوان 1939 قراراً يلغي فيه نيابة مترشح الحزب دوار بحجة أنه موظف في شركة الترامواي التي تتلقى إعانة من العمالة (الدولة)، وبذلك اعتبرت مرشح الإدارة زروق هو الفائز في الانتخابات³.

إستأنفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاطها في المجال السياسي وحركتها الثقافية الوطنية، ما أثار خوف وحذر خصومها من طريقتين ومسلمين متجنسين ودعاة الاندماج الفرنسي الإسلامي ومستوطنين أوروبيين، الأمر الذي حث الإدارة الاستعمارية

1 أحمد الخطيب، حزب الشعب جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، مرجع سابق، ص 258.

2 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 302.

3 قداش محفوظ، قنانش محمد، حزب الشعب الجزائري وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 36.

على إتخاذ إجراءات لوقف ذلك النشاط¹، وانطلقت الإدارة الاستعمارية في تلك الإجراءات منذ عام 1937 مع حكومة الجبهة الشعبية للحد من نشاط الجمعية الثقافية، وكتكملة لمرسوم ميشال- Michel 1933² وقرار رينيه Renee - التعسفي في عام 1935³.

استعملت إدارة الاحتلال الفرنسي خلال فترة الدراسة كل الوسائل الإدارية والإجراءات الزجرية لمحاربة جهود العلماء وعرقلتهم على تأدية مهمتهم الإصلاحية، فلجأت إلى وسائل الحبس والنفي والتعزيم، بالإضافة إلى الاستنطاقات البوليسية والمداهمات لمنازل العلماء وتهديد أنصار الجمعية ومتابعتهم، والتضييق عليهم في وظائفهم وتجارتهم وإغلاق مدارسها وسن القوانين والمراسيم الظالمة⁴، فتوالت الاحتجاجات من طرف جمعية العلماء وفروعها في جميع أنحاء الجزائر ضد تصرفات الإدارة والتي نذكر منها على سبيل المثال الاحتجاج الذي رفعه الشيخ ابن باديس باسم المجلس الإداري لجمعية العلماء إلى الحاكم العام بالجزائر والذي جاء فيه: «...ومتأسف جد الأسف للمظالم والاعتداءات المتكررة على رؤساء وأعضاء جمعيات التهذيب والتعليم العربي، وبما أنّ جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تُلغى بغير سببٍ أو لا يُجاب أصحابها، وحيث أنّ طالبي الرخص لم يشاهدوا هذا الحيف، ويرون في ذلك ما يعاكس رغبتهم ويضيع ما بذلوه من الجهود في هذا السبيل....» وحيث أنّ الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية، وبهذه الطريقة المعقولة يحاكمون ويساقون أمام المجالس العدلية كأنهم، جناة وحيث أنّ هذا العمل الممقوت تكرر في عددٍ كثير من المدن والقرى بالعمالات الثلاث (كوهران، الأغواط، شرشال، بجاية، وعدة بلديات بناحية قالمة وأوراس)، وحيث أنّ المسلمين يتعسر عليهم فهم ما يقصد من هذه المعاملات القاسية الشاذة، التي تعرقل سير التعليم وتثبط مساعي الرجال الذين ينهضون لعلاج الحالة السيئة الناشئة عن قلة عدد المدارس الرسمية ويتعذر عليهم تصوّر الأسباب التي تقاوم بها الحكومة رغبتهم الشديدة في نشر التعليم عوض أن تشجّع هذه الرغبة وتعينهم على تنفيذها، وهذه الأسباب والموجبات إلتمس المجلس الإداري، من السيد الحاكم العام يطلب منه بكل إلحاح أن يرسل حيناً إلى الحكام المحليين الأوامر والتعليمات اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل والإنصاف ويكفوا عن محاكمة الذين فتحو بعض المكاتب غير المخالفة للقوانين المتعلقة بالموضوع»⁵.

تميز القمع الإداري لشلّ الحركة الإصلاحية على المستوى الجهوي بالقطاع القسنطيني بعدم مساس الجامع الأخضر⁶ ونادي الترقى وذلك بتوجيه الضربات إلى مؤسّساته الثقافية والدينية، بأساليب مختلفة وفي أكثر من مناسبة وهو ما نوضّحه كالاتي:

1 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على فتح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، دار القدس العربي، وهران 2015، ص 157.

2 مرسوم ميشال- Michel 1933: تكملة للمخطط الاستعماري قام ميشال الكاتب العام لولاية الجزائر في 18 فيفري 1933 بالتوقيع على منشورين يتضمنان تعليمات إدارية موجهة إلى رجال الامن والادارة الفرنسية في شتى النواحي لمراقبة العلماء والتضييق عليهم ومنعهم من أداء مهامهم، بدعوى أنهم يبنون المبادئ الوهابية والمذهب الشيوعي، وأنهم يقومون بأعمال مضادة للوجود الفرنسي، وتم بموجب المرسوم غلق المدارس العربية الحرة وتعطيل الصحف العربية التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء.

3 سبيحي عائشة، القوانين الكولونيالية واللغة العربية في الجزائر (ميشال 1933، رينيه 1935، شوطان 1938) أفودجا، مجلة صوت القانون، المجلد 7، العدد 3، المركز الجامعي مرسلبي عبد الله، تيبازة، 2021، ص ص 1462-1465.

4 عبد الحميد عبدوس، تسعون سنة على تأسيس جمعية العلماء وما زالت الرسالة مستمرة، البصائر، العدد 1062، 02 ماي 2021، ص 04.

5 جريدة البصائر، عدد 76، 23 جويلية 1937.

6 الجامع الأخضر: مسجد سيدي الأخضر يعد من أعرق المعالم الدينية في مدينة قسنطينة، حيث يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1743م، فترة حكم الباي العثماني حسن بن حسين المعروف بـ "أبو حنك" الذي حكم قسنطينة 18 عاما من عام 1736 إلى 1754. يقع المسجد بحي الجزائر قرب رجة الصوف يتميز مسجد سيدي الأخضر بطرازه المعماري الذي يغلب عليه الطراز المعماري للمغرب العربي، والذي يتجلى في شكله الخارجي ولونه الأبيض الطاغي وطول صومعته الواقعة بجوار مبنى المسجد فإنه لا يخلو من طابع الطراز العثماني الملموس في شكل المئذنة المثمنة الشكل والتي نجدتها تقريبا في أغلبية المساجد التي بناها البايات العثمانيين في الإيالات المغاربية التي تولوا حكمها، علاوة على السقف والأعمدة الخشبية والجدران السمكية التي تحفظ من الحرارة صيفا والبرودة شتاء.

- ملاحقة ممثلي كل من جمعية الفلاح ونادي الأمير خالد وبعض المدرسين المنتسبين إليهما مثل زور الميلود، وعزوز الجيلالي، والسّي صحي مع محمد بن عمر وذلك طيلة صيف 1937؛
 - غلق دار الحديث الإصلاحية بتلمسان وذلك يوم 26 ديسمبر 1937، ومحكمة مديرها الشيخ البشير الإبراهيمي؛
 - محاكمة بلحاج زيان ومالك مختار إثر افتتاحهما لمدرستين قرآنتين في مستغانم؛
 - غلق المدرسة الإصلاحية الوطنية بمستغانم وهي المدرسة التي أسسها الاتحاد الأدبي الإسلامي؛
 - غلق كل من المدرسة التي يشرف عليها الشيخ القباطي في الغزوات مع منع وصول جريدة البصائر إلى المشتركين فيها بالغزوات؛
 - غلق مسجد سيدي عامر وتوقيف تدريس القرآن الكريم به؛
 - رفض الإدارة الاستعمارية لطلب أعضاء جمعية الفلاح بوهراڤ لفتح مدرسة بها على شاكلة دار الحديث بتلمسان، مع توقيف نشاط هذه الجمعية كلياً في فترة لاحقة (05 ماي 1942) وسجن أعضائها البارزين.
- مثّل قرار 8 مارس 1938 المعروف بقرار (شوطان-Chautemps)¹ ذروة الإجراءات التعسفية التي حاولت شل حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثقافية، مما حمله من منصوص تخصّ إغلاق المدارس العربية الحرة التي لا تملك رخصة عمل، ومنع المدرّسين من مواصلة التعليم بدون رخصة من السلطات المسؤولة، وتثلّت خطورة هذا القرار خصوصاً في اعتبار اللغة العربية لغةً أجنبية في الجزائر²، ونصّ هذا القرار أيضاً على ضرورة تضيق الخناق على هجرة الجزائريين نحو فرنسا وذلك بوضع شروط تعجيزية على رأسها وجوب حيازة بطاقة الخدمة العسكرية³.
- ندّد العديد من العلماء بعد إصدار قانون 8 مارس 1938 بمقالاتهم في جريدة البصائر ومجلة الشّهاب، وحلّل رئيس الجمعية بن باديس أهداف إصدار هذا القانون بقوله: «بينما الأمة الجزائرية تنتظر من فرنسا منحها حق التصويت البرلماني مع بقائها على شخصيتها الإسلامية، إذا أعداء الأمة الجزائرية يجمعون أمرهم ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قراراً وزارياً بعقوبات صارمة على التعليم ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها، علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته فناصبوا لها العداوة وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي والضم بالرخص واسترجاع بعضها حتى لم يبق منها إلا القليل، ولما رأوا تصميم الأمة على تعلّم قرآنها ودينها ولغتها، واستبسال كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين والقرآن... ورغم الزجر والتغريم، لما رأوا كل هذا سعوا سعيهم وبذلوا جهدهم حتى استصدروا هذا القانون، قانون العقاب الرهيب»⁴.

استخلص مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين الذي انعقد بنادي الترقّي بالعاصمة في 27 مارس 1939 على أنّ أهداف قانون 8 مارس 1938 القضاء على الإسلام ولغته، وأن غلق مدرسة في ناحية إنما هو مقدمة لغلق البواقي وأنّ الترخيص لغير أعضاء الجمعية

1 نسبة إلى رئيس وزراء ووزير داخلية فرنسا Chautemps، الجريدة الرسمية الفرنسية 15 مارس 1938، ص 3071. وكذلك الجريدة الرسمية للجزائر لنفس السنة، ص 861.

2 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، ص 160.

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 21-22.

4 عبد الحميد بن باديس، يا لله للإسلام والعربية في الجزائر وكل من يعمل بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن، جريدة البصائر، العدد 107، قسنطينة، 1938/4/8، ص 1.

والموالين إنما هو ترخيص مؤقت يُراد به تفرقة كلمة الشعب إلى إصلاحي وطرقى، وأنّ التستر في حرب الإسلام ولغته بحرب جمعية العلماء، إنما هو وسيلة للغاية المقررة وهي محو للإسلام ولغته من الجزائر¹. هذا إضافةً إلى نفي الشيخ الإبراهيمي إلى منطقة آفلو، كما سبق وأن أشرنا بعد رفضه إعلان مساندته لفرنسا في الحرب وإغلاق دار الحديث بأمر من الوالي، أما المساجد فقد كانت ممنوعة على العلماء، ولذلك اضطرّ العلماء لتأسيس المساجد الحرة. وازدادت غطرسة الإدارة الاستعمارية تجاه اللغة العربية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية بإصدار قوانين استهدفت المطبوعات والصحف العربية، وخضعت هذه المطبوعات للمراقبة الشديدة من طرف الإدارة الفرنسية وتم توقيف ومصادرة العديد منها وهذا خشيةً من تأثيرها على الجزائريين².

على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي لم يسلم الحزب الشيوعي الجزائري هو الآخر من قمع الإدارة الفرنسية، حيث دخل الشيوعيون فترة الحرب العالمية الثانية مهزومين ومقسمين بسبب قرار الحل الصادر في أوت 1939، وذلك بسبب توقيع الاتحاد السوفياتي على معاهدة عدم الاعتداء مع ألمانيا في 23 أوت 1939، والذي ترتب عنه إلقاء القبض على كلّ أعضاء المكتب السياسي تقريباً، ويأتي في مقدمتهم السيد قدور بلقاسم رئيس الحزب وأعضاء اللجنة المركزية وعدة إدارات جهوية ومحلية، ونتيجة استقالة بعض القادة الأساسيين أمثال بن علي بوقرط³، وانسحاب عددٍ غفير من المناضلين، وتعود أسباب هذا القمع أساساً إلى موقف الحزب الذي كان مرتبطاً بموقف الحزب الشيوعي الفرنسي المناهض للحرب⁴، هذا الأخير الذي طالب بضرورة تحالف الجزائر مع فرنسا ضدّ النازية الألمانية⁵ ورغم حله قانونياً وعودته للنشاط تحت اسم "جبهة الحرية"، فقد تخلى الحزب الشيوعي الجزائري عن كل القيم النضالية وراح يدعو إلى التعبئة المادية والبشرية من أجل تحرير فرنسا⁶، وكان هذا الموقف متوقعاً نتيجةً لسياسة الحزب آنذاك، والقائمة على عدم الاعتراف بالهوية الجزائرية⁷.

1 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، المرجع السابق، ص 161.

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 33.

3 بن علي بوقرط: (4 فيفري 1983/1904): هو بن علي بوقرط بن أحمد ولد الحاج أحمد ولد مصطفى ولد أحمد بوقرط، أمه عائشة قرين من مواليد دوار القصبة بمازونة إحدى ملحقات البلدية المختلطة رونو Renault التابعة لدائرة مستغانم، انخرط في صفوف رابطة الشبيبة الشيوعية، ساهم في تأسيس صحيفة العمل بباريس، انتقل إلى موسكو سنة 1933 وقضى هناك 18 شهراً قبل أن يعود إلى الجزائر، شارك بالمؤتمر الاسلامي 1936، شارك كمجند في الحرب العالمية الثانية، قدم استقالته بعد توقيع الاتحاد السوفياتي لمعاهدة عدم اعتداء مع الرايخ، وغزو الاتحاد السوفياتي لفرنسا، انفصل تماماً عن السياسة وعن الأهمية الشيوعية. أنظر:

Benjamin Stora, Dictionnaire biographique des militants nationales Algériens (1926-1954), L'harmattan. Paris, p.341.

Benali Boukort, Le Souffle du Dahra, Entreprise nationale du livre, Alger, 1986.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 49.

5 Pierre Leffon, Histoire De La France En Algérie, éd. Plon, Paris, 1980, p314.

6 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 224.

7 Benjamin Stora-Zakya daoued, Ferhat Abbas L' autre Algérie, op cit, p97

3. المغرب تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية:

1.3. السياق التاريخي لتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب 30 مارس 1912.

مقولة نابليون الجغرافيا تحدّد سياسة البلد ونحن نقول الجغرافيا تحدّد تاريخ البلد، فموقع المغرب بالشمال الغربي لإفريقيا والمنفتح على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، يعدّ موقعًا خاصًا بامتياز وله تأثيرٌ على مختلف جوانب السياسة المغربية، حيث جعل منها محل أطماع عديد الدول الأوروبية، أهمها فرنسا التي لها روابط خاصّة مع المغرب، فمنذ 1914 لجأت فرنسا إلى المغرب لتطعيم جيوشها بالرجال، باعتبار أنّ مستعمراتها في شمال إفريقيا كانت (مشاتل للرجال) حسب مقولة ليوطي الشهيرة، كما زودت المنطقة فرنسا بالغذاء خلال أزماتها¹.

بالنسبة للقانون الدولي الحماية هي تعاقد أو اتفاق بين دولتين ذات سيادتين، تحتفظ فيه الدولة المحمية بسيادتها، وتحترم الدولة الحامية سيادة الدولة المحمية، يعرفها محمد حسن الوزاني² في مقدمة كتابه (الحماية جنائية على الأمة) بأن الحماية اختراع شيطاني تستعمله الامبريالية الاستعمارية لفرض حكمها الغاشم على الشعوب المستضعفة التي تستعبدتها سياسيًا وفكريًا لاستغلالها والاستيلاء على أرضها والانفراد بخيراتها. أمّا السلطان عبد الحفيظ³ الذي وقّع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب، فقال عنها بعد تجربة قصيرة: «ليست لي سلطة، ولم يبق لي سوى القدرة على إعطاء التصائح، لقد كبّلوا يدي ورجلي وقالوا مارس الحكم»⁴.

تعود أصول الحماية الفرنسية على المغرب إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث كان المغرب لا يزال يدفع ضريبة الدم بعد هزيمته في حرب تطوان ضدّ الإسبان (1860)، الأمر الذي أضّرّ بالوضع الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، وأدّى إلى إنتشار الفوضى التي وصلت إلى حد اغتيال رعايا فرنسيين من بينهم الدكتور (موشان-Mauchamp)⁵ بمراكش، وهي الفرصة التي انتظرها فرنسا للتوغل عسكريًا داخل الأراضي المغربية واحتلت منطقة الشاوية 1907، وأعلنت أمام الرّأي العام العالمي أنّ المغرب لم تعد قادرة على حماية رعاياها الأجانب على أرضها، ومن ثم تكون هذه المهمة واجبًا على فرنسا⁶، وقامت بإرغام السلطان عبد الحفيظ على إمضاء معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب بفاس في (30 مارس 1912) وتحت مصطلح تمويهي حماية المغرب من الفوضى الداخلية، وادّعت فرنسا أنّها لا ترمي بحمايتها على المغرب سوى مساعدته على تحديد أنظمتها السياسية وإدخال إصلاحات عليها ليصبح دولة عصرية ومتقدمة⁷.

1 إدريس ولد القابلة، قضايا سياسية في المغرب، دار ناشري للنشر الالكتروني، المغرب 2003، ص7.

2 محمد حسن الوزاني: ولد بفاس سنة 1910، درس بثانوية مولاي إدريس وحضر البكالوريا في باريس، شارك في تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين وانتخب عضوا في مكتبها، ثم أمينا عاما لها سنة 1928، أشرف على جريدة عمل الشعب سنة 1933 ثم جريدة إرادة الشعب، انفصل عن كتلة العمل الوطني وأسس "الحركة القومية"، نفى إلى الجنوب الشرقي المغربي في الفترة بين (1937-1946) أسس بعد عودته من المنفى حزب الشورى والاستقلال، توفي في فاس سنة 1978. أنظر: الوزاني عز العرب، الديمقراطية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة محمد بلحسن الوزاني، أعمال ندوة دولية نظمت بفاس، أيام 9-12 شتنبر 1998، مطبعة النجاح الجديدة - المغرب.

3 السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوي (24 فيفري 1876-04 فيفري 1937): يعرف شعبيا في المغرب باسم (مولاي عبد الحفيظ)، سلطان المغرب من (1908 إلى 1912) تاريخ فرض الحماية الفرنسية على المغرب، حيث أجبره الفرنسيون على التنازل على العرش لصالح أخيه يوسف بن الحسن.

4 محمد حجي، وثقتان جديدتان حول ملايسات إبرام معاهدة الحماية ومعاونة السلطان عبد الحفيظ، كتاب التاريخ والفقه، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، مطبعة الجناح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص60.

5 موشان-Mauchamp: تم إغتيال الدكتور ماشان من طرف سكان مراكش في (09 مارس 1907) بسبب الاشتباه بكونه عميلا سريرا لفرنسا، حادثة أثارت تعاطف الرّأي العام الفرنسي مع الضحية وسخطا على الجناة، وكرد فعل على هذا الحادث قوات ليوطي تحتل وجدة رغم مقاومة قبائل بني زناسن.

6 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة جهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ج5، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، الرباط، 1982، ص ص، 88 . 92.

7 من الناحية القانونية أقرت معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب إقتسام السلطة في منطقة الحماية الفرنسية بين السلطان والمقيم العام الذي يمثل الجمهورية الفرنسية في مراكش.

بعد حوالي ثمانية أشهر وقّعت فرنسا وإسبانيا اتفاقية بتاريخ 27 نوفمبر 1912 أصبح بموجبها شمال المغرب وبعض أقاليمه الجنوبية، خاضعاً لنفوذ إسبانيا¹، ويقضي الاتفاق على أنّ إدارة مناطق النفوذ الإسباني تكون تحت سلطة مقيم عام إسباني، وخليفة سلطاني يختاره السلطان من بين شخصين مغربيين تقدّمهما دولة إسبانيا للسلطان²، ويعطى للخليفة تفويض يحوّل له جميع الحقوق المحفوظة للسلطان والسلطة في إجراء الأعمال بمنطقة النفوذ الإسباني، ووفق ما أشارت إليه المؤرخة الإسبانية - María Rosa de Madariaga³ في كتابها (مغاربة في خدمة فرانكو) فإنه يمكن اعتبار الخليفة بمثابة سلطان تحت إشراف مقيم عام إسباني، أو بشكل أدق لقد وضعت إسبانيا سلطاناً خاصاً بها في الأراضي الواقعة تحت سلطتها، وبهذا أصبح المغرب مقسماً إلى ثلاث مناطق هي:

- المنطقة السلطانية تحت حماية فرنسية بالرباط؛
- المنطقة الخليفية تحت حماية إسبانية بتطوان؛
- منطقة طنجة الدولية والتي تقرّر في اتفاقيات تالية بنظامها الدولي مع الاعتراف بسيادة السلطان المغربي عليها⁴.

2.3. مواقف المغاربة من الصّراع بين الحلفاء والمحور:

1.2.3. موقف السلطان محمد الخامس:

ولد محمد بن يوسف بالقصر الملكي بفاس يوم الجمعة 23 رجب 1327 هـ الموافق لـ 10 أوت 1909م، وتمت مبايعته بتاريخ 18 نوفمبر 1927⁵، لبصبح سلطاناً على المغرب بعد وفاة والده وهو في سن الثامنة عشر، ولم تكن خلافته لوالده واردة في الوسط المخزني نظراً لصغر سنه، باعتباره الابن الثالث للسلطان المولى يوسف، لكنّ فرنسا اختارته أملاً أن تجد فيه عاهلاً مطيعاً سهل المراس، نظراً لعدم خبرته بالسياسة ودوايب الحكم⁶ وأن تستخدم اسمه وسلطته ستاراً تخفي وراءه عملية استغلالها للإقليم⁷، وترى على يد خدام مخلصين لفرنسا مثل السّي محمد المعمري ومحمد المقرّي الصّدر الأعظم⁸، وكان واجبه يفرض عليهم إملاء الكلام عليه لكنه كان تواقاً للنطق من تلقاء نفسه، كان في حصار بين من يريد أن لا يكون أكثر من الدمية وبين من يريده بطلاً حياً مقدماً⁹.

1 لم تعترف إسبانيا بمعاهدة فاس (30 مارس 1912) إلا بعد مفاوضات مع فرنسا وبحضور السفير الإنجليزي، إنتهت بتوقيع الطرفين على اتفاق في (27 نوفمبر 1912)، ووقع عليها السلطان مولاي يوسف في (14 ماي 1913)، وألحق بالاتفاقية بروتوكول خاص بسكة الحديد (فاس - طنجة) على أن تكون لفرنسا 60 % من رأس المال وإسبانيا 40 % .

2 محمد العربي الشاوش، أسرار عن موقف المولى عبد الحفيظ من معاهدة فاس، مجلة دعوة الحق، العدد 246، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، 1995، ص. 171.

3 ماريا روسا دي ماداريغا - María Rosa de Madariaga (9 فبراير 1937 - 29 يونيو 2022)، هي مؤرخة، باحثة، وكاتبة إسبانية، مؤرخة بارزة متخصصة في العلاقات بين المغرب وإسبانيا خلال فترة الحماية، أنجزت أعمالاً مهمة تتعلق بالمغرب، وهي تهتم كثيراً بتاريخ العلاقات الإسبانية المغربية، وخصوصاً الفترة المتعلقة بالحماية الإسبانية في شمال المغرب وهي حاصلة على الإجازة في الفلسفة والآداب بجامعة كمبلوتنسي بمدريد، وعلى دبلوم اللغة والأدب العربي من المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس، وعلى شهادة الدكتوراه في التاريخ جامعة باري، واشتغلت كموظفة دولية مدة أربع سنوات بـ اليونيسكو.

4 مصطفى المرون، في حوار أجراه معه: سعيد باجي، جريدة العالم الأمازيغي، العدد 142، ماي 2012، ص. 07.

5 أبو بكر القادري، محمد الخامس ملامح من حياته وصور من جهاده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص. 4.

6 محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط 2011، ص. 597.

7 جلال يحي، عبد الكريم الخطاطي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1968، ص. 117.

8 محمد المقرّي: (1854 - 1957) ينحدر من عائلة جزائرية كانت تقطن مدينة تلمسان، تمكن من تسلق أعلى المراتب في دوائر المخزن، فمن مستشار للسلطان إلى منصب الصدر الأعظم، عاش خمسة ملوك مغاربة، وجايل تسعة مقيمين عامين، وكان له تأثير في الاحداث الكبرى التي رسمت تاريخ المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. أنظر:

وقف السلطان محمد الخامس منذ اليوم الأول من الحرب إلى جانب الحلفاء وضدّ دول المحور، وأعلن موقفه المساند لفرنسا في رسالته التي بعث بها إلى الشعب المغربي¹، وبصفته أميراً للمؤمنين والرئيس الروحي للإسلام بالمغرب، أمر السلطان بقراءة رسالته على كلّ رعاياه في جميع مساجد المغرب². وقامت صحيفة (صدى المغرب - Léchao du maroc) في عددها الذي طبع في 05 سبتمبر 1939 بنشر رسالة السلطان كاملة والتي جاء فيها: «إنه لمن واجبنا أن نعبر للحكومة الفرنسية عن اعترافنا بالجميل على كل ماقامت به من أعمال لصالحنا، وكل من أخلّ بهذا الواجب الأساسي والمبدئي فهو غير مخلصٍ لأسلافنا المنعمين، ويكون قد خالف ما أمر به الخالق الذي أوصانا بأنّ الاعتراف بالجميل واجبٌ، وأنّ الابتعاد عن ناكره واجبٌ، فانطلاقاً من يومنا هذا وإلى أن تتوج رايات فرنسا وحلفاؤها بالنصر، علينا أن نؤازرها ونضمن لها مساندتنا المطلقة دون أن نبخل عليها بثرواتنا أو بتضحيات أخرى، لقد كنا مرتبطين بها زمن السكينة والرخاء فعلياً إذاً أن نبقي إلى جانبها في هذا الامتحان العسير الذي تحتاز ولنا اليقين الثابت أنّها ستخرج منه ظافرةً كبيرة»³.

بعث السلطان برسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية آلبر فرانسوا لويران - Albert François Lebrun بواسطة السيد موريز المعتمد بالإقامة العامة ونشرت على صفحات جريدة "الوداد" في عددها رقم 40 بتاريخ 12 سبتمبر 1939 جاء فيها: «في هذه الساعة العصيبة التي يجتازها العالم، نرغب أن نعلن من جديد لسعادتكم عن شعور الولاء لفرنسا، الذي يجالينا ويحالج معنا رجال المخزن وجميع رعايانا، وإننا سنكون بجانبها من صميم قلوبنا وسنقدم لها دون قيد أتم وسائل مساعدتنا، ونجدد لكم في الختام تأكيد ودنا الثابت»⁴.

بعد أيام قلائل من إعلان الولاء والمساندة حضر السلطان مهرجاناً دينياً بمدينة مولاي إدريس، وهناك ألقى خطبةً أخرى دعا فيها المغاربة والمسلمين للانضمام إلى فرنسا المسيحية في حملة صليبية موحدة من أجل الهدف المشترك والمتمثل في الحفاظ على الحضارة، وكان الرجوع إلى الرمزية الدينية على الدوام يشكّل الجزء الرئيس من خطاب السلطان⁵، وتحدث الملك الحسن الثاني⁶ في كتابه (التحدي) عن موقف والده حيث قال: «لقد كانت ظروف العالم وهو يعيش الحرب ظروفاً مفجعة، فعندما اكتسحت ألمانيا بولونيا، وأعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على الرايخ الثالث، وقف والدي وقفةً صادقة كما كان جدي قد فعل عام 1914، إلى جانب فرنسا ودون أن يكون قد وقع عليه أيّ ضغط، وصرح بصفة رسمية علينا جميعاً نحن المغاربة أن ننضم إلى القضية المشتركة، وأن لا نبخل على فرنسا بثرواتنا البشرية ولا ثرواتنا المادية، وقد طلب الملك منذ بداية الحرب من كلّ وزرائه وممثليه ومن كل رجال العلم المغاربة أن يحملوا الشعب المغربي على أن يكون وفيّاً لفرنسا ومخلصاً لها».

1 ثامر عزام أحمد الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936-1956)، دار عبيد للنشر و التوزيع، الأردن، 2016، ص85.

2 جورج سييلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)، ترجمة: محمد المؤيد، منشورات أمل، الرباط، 2014، ص96.

3 جورج سييلمان، نفسه، ص96.

4 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية (1930-1940)، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص484.

5 غرد هب وآخرون، عميان عن التاريخ (العرب و ألمانيا النازية و اليهود)، ترجمة: محمد جديد، شركة قدمس للنشر و التوزيع، (ب،ب) 2007، ص204.

6 الحسن الثاني: ثاني ملوك المملكة المغربية بعد الإستقلال، والملك الثاني والعشرين للمغرب من سلالة العلويين الفيلاليين، تولى حكم المملكة المغربية خلفاً لوالده الملك محمد الخامس في 26 فيفري 1961، عمل قبل ذلك إلى جانب والده مستشاراً سياسياً خاصة بعد تعيينه ولياً للعهد عام 1957 بحكم تكوينه الدراسي وثقافته الواسعة والنباهة التي عرف بها منذ الصغر، إذ حضر ولم يتجاوز بعد سن الرابعة عشرة اللقاء التاريخي بين والده والرئيس الأميركي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل في الدار البيضاء عام 1943، شارك في المفاوضات التي أجريت في فيفري 1956 حول استقلال المغرب، وعينه والده قائداً عاماً للقوات الملكية المسلحة ورئيساً لأركانها، وفي عام 1960 تقلد منصب وزير الدفاع.

2.2.3. مواقف الوطنيين المغاربة:

تنظم الإتحاهان بطريقة سرية وشكّل أقواها الحزب الوطني لتحقيق المطالب بقيادة علال الفاسي⁶ وأحمد بلافريج⁷ ومحمد اليزيدي، وكونت الأقلية الحركة القومية بقيادة الوزاني، وأصبح لكلّ حزب صحفه بالفرنسية والعربية العمل الشّعبي والأطلس والمغرب بالنسبة للحزب الوطني، وعمل الشّعب والدفاع بالنسبة للحركة القومية، وعمل الحزبان وبصورة أكبر الحزب الوطني على توسيع قاعدتهما الشّعبية، فكّونا فروعاً لهما في مختلف مدن المغرب وحاولا الاستفادة من المنظمات الكشفية والمدارس القرآنية لغرس الوطنية لدى الشّباب، ولقد أثبت نشاط الحزبين فعاليته خاصّةً خلال أحداث سبتمبر 1937.⁸

- 46

مارست الحركة القومية نشاطها بشكل سري، وهي التي كانت تؤمن بأن معاناة المغاربة كانت نتيجة انحراف سياسة الإدارة الاستعمارية، وتنكر فرنسا لوعودها والتزاماتها للمغاربة في معاهدة الحماية ليتحول نظام الحماية إلى استعمار، وطالبت أن تبدأ العملية الإصلاحية في المغرب من الإصلاح السياسي قبل غيره، وجاء برنامجها تحت اسم يحمل السياسة القومية، كما شارك القوميون بشكل فعال للتصدي لسياسة القمع التي مارستها الإدارة الفرنسية ضد المغاربة لاسيما في أحداث بوفكران 1937¹، كما تضامنوا مع أعضاء الحزب الوطني بعد تعرضه للقمع من طرف الإدارة².

أ. موقف الحزب الوطني:

رغم القمع الذي تعرض له الحزب الوطني بإصدار قرار حل الحزب ونفي زعيمه علال الفاسي واعتقال أهم مناضليه، إلا أن خلايا الحزب الوطني بقيت نشطة بشكل سري وتمكن مناضلو الحزب من بسط سيطرتهم على الساحة خاصة بعد إطلاق سراح الزبيري الذي نجح في تسير الحزب بذلك خاصة بمدينة فاس أين استمر التنظيم والدعاية دون انقطاع³.

حاول الوطنيون بعث نشاط جديد داخل صفوف الحزب بعد الهزات العنيفة التي تعرض لها، وحسب أبو بكر القادري فإنه كان لزاماً على الوطنيين إثبات وجودهم والاستفادة من ظروف الحرب العالمية، ويبدو أن حركة الحزب حسب القادري كانت تسير بجاحين، أحدهما علني يشمل سائر الوطنيين المنتمين للحزب، والثاني سري ويضم غير المعتقلين والذين يمكن الاتصال بهم والأخذ برأيهم، وبعد عدة اجتماعات ولقاءات عديدة بين أعضاء الحزب تقرر توجيه نداء للمناضلين المنضوين في الجماعة السرية⁴، وتقرر إعلان تصريح يعبر عن رأي أعضاء الحزب الوطني أمام الأوضاع المستجدة والأحداث التي كانت تنذر باقتراب اندلاع الحرب، فحرر التصريح الذي حمل تأييد وتضامن أعضاء الحزب الوطني مع الحلفاء في الحرب وتم الاتفاق على صيغته النهائية، وألقى الفقيه محمد غازي تصريح التأييد أمام المقيم العام⁵ والذي جاء فيه التأكيد على التضامن الفرنسي-المغربي ومساندة فرنسا أمام الخطر المحدق بها⁶.

عبر علال الفاسي عن موقف حزبه بقوله: «مع كل ما كابدته الوطنية المغربية، ومع كل ما واصلت الإقامة العامة فعله من ظلم وإرهاق، فإن الحزب الوطني أبي إلا أن يعرب مرة أخرى عن حسن نواياه، فأرسل وفداً للمقيم العام يعلن له تضامن الوطنيين المغاربة مع جلالة السلطان في رغبته في عدم وقوع أي شيء يمس بمصلحة التصرف في الحرب القائمة»⁷.

حاول الحزب الوطني تحقيق بعض الأهداف من وراء تقديم هذا التأييد لحكومة الحماية ومن ورائها الحلفاء تتمثل في:

- العمل على إطلاق سراح المعتقلين والعفو عن المنفيين المغاربة؛

1 أحداث بوفكران: اندلعت انتفاضة ماء بوفكران مع إطلالة شهر سبتمبر من سنة 1937 عندما اصطدمت ساكنة مكناس بغلاة المعمرين المتطاولين على الموارد المائية للسكان والفلاحين، وأنت هذه الانتفاضة أو ما يسمى بـ: "معركة الماء لخلو" بفعل تضافر عدة عوامل موضوعية، كان من أبرزها إقدام السلطات الاستعمارية على تحويل جزء من مياه وادي بوفكران وحصره على المعمرين لتستفيد منه ضيعاتهم، وكذا المرافق المدنية والعسكرية الفرنسية بالمدينة الجديدة، في وقت كانت حاجة السكان إلى هذه المياه ملحة ومتزايدة. أنظر: بوشى بوعسيرة، أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شتنبر 1937، ص. 24. وكذلك: التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985.

2 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، المصدر السابق، ص. 64. أنظر: بوشى بوعسيرة، أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شتنبر 1937، ص. 24.

3 علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط2، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1948، ص. 224.

4 للإطلاع على هذا النداء أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940، ج1، ص. 475.

5 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940، ج1، المصدر السابق، ص. 475.

6 البير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، المرجع السابق، ص. 391.

7 علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص. 229.

- فسح المجال أمام تنظيم الحزب للقيام بنشاط أوسع داخل وخارج المغرب؛
- قطع الطريق أمام إدارة الاستعلامات بقيادة "ميلي - Millie" والتي كانت تدبر خطة لقمع الوطنيين؛
- رفض طغيان الدكتاتورية النازية التي أصبحت تهدد قيم الحرية والإنسانية في العالم.

لكن ماتحقق من أهداف لم يرق إلى تطلعات أعضاء الحزب الوطني حيث اكتفت الإدارة الفرنسية بإطلاق سراح بعض المعتقلين من أعضاء الحزب، واعترفت الإقامة العامة بجمعيات قدماء تلاميذ الثانويات الإسلامية، وأعطت بعض المقاعد في مجلس الحكومة لبعض أعضائها، وتساهلت مع المنظمة الكشفية الحسنية التي كانت تحت الرئاسة الشرفية للأمير الحسن¹.
التزم أعضاء الحزب الوطني موقفًا سياسيًا معاديًا لألمانيا والمحور رغم الدعاية المركزة التي مارسها النازيون²، ويشير علال الفاسي إلى هذا الأمر بقوله «ولقد استطاع الوطنيون أن يكتشفوا نوايا الألمان ويعرفوا حقيقة مراميهم، واستطاع أنصار الحزب بباريس وغيرها من المدن الأوروبية، أن يتعرفوا على الحقيقة ويطلعوا الزعماء عليها، وهي أن ألمانيا لا تريد إلا تشييد إمبراطورية مبنية على التفوق الجنسي الآري»، وأكد أحمد بلافريج الأمين العام للحزب الوطني أنه أجرى اتصالات مع الألمان بعد الانتصارات التي حققوها على فرنسا في الحرب ليتحقق من نواياهم، لكنه لم يجد لديهم أي استنكار للاستعمار الفرنسي ولم يلمس أي عطف على القضية المغربية، مما جعله يكتب لأصدقائه في الحزب الوطني يحذرهم من التعامل مع الألمان³.

تعرض موقف الحزب الوطني المؤيد لفرنسا لانتقاد شديد خاصة من طرف محمد حسن الوزاني زعيم حزب الحركة القومية حيث هاجم أعضاء الحزب الوطني بقوله: «...ومع أن ذلك الخطاب صريح في مبناه ومعناه، وغني بنفسه عن كل تعليق فإننا لا نتمالك عن إبداء بعض ملاحظاتنا ومآخذنا عليه، أوله أنه لا محل له من الإعراب مطلقًا بعدما حدث في المغرب من اعتقالات ومحاكمات وإراقة دماء وإزهاق أرواح.... ثم إن حركة ذلك الوفد كانت على الأقل فضولية من الحيثيات الوطنية والسياسية والعملية، كما كانت إقتياتا على الوطنية الصادقة المتمثلة في المخلصين الأوفياء الذين كانوا في جحيم المعتقلات والمنافي، ولهذا أعدت تلك الحركة ممعنة في الطيش والتهور ومنافية للعزة والشهامة، كما اعتبرت طعنة بالخنجر من الخلف موجهة لضحايا القمع من المعتقلين والمنفيين... ومن أشد ما نلاحظه على ذلك الوفد أنه ادعى النطق باسم الوطنيين المغاربة أجمعين، كما لو كان مفوضًا منهم أو كانت له أي صلاحية لتمثيلهم والتحدث عنهم وهم في أعماق السجون، وإنه لمن الغريب جدًا أن يعلن المغاربة للمقيم العام تضامنهم مع موقف جلالة السلطان في حين أن الذي أعلنوا التضامن معه هو المقيم العام نويس⁴».

1 البير عياش، المغرب و الاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، المرجع السابق، ص 391-392.

2 ميغل مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860-1956)، ترجمة: عبد العزيز الوديعي، ط1، منشورات التل، الرباط 1988، ص 175.

3 علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 230.

4 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، مؤسسة محمد الوزاني للنشر، 1982، ص 56.

ب. موقف الحركة القومية:

تقدم أعضاء من وفد الحركة القومية بعريضة تحت اسم "المثقفين" بتاريخ 01 سبتمبر 1939، وكانت مؤقّعة من طرف كل من إدريس رودياس، أحمد بوهلال، الصديق رودياس، عبد السلام بن سعيد، محمد أشماعو، أحمد بن احساين وغيرهم وقدمت للمقيم العام نويس¹، وجاء فيها كما نشرت "جريدة الوداد"² في عددها رقم 40 بتاريخ 27 رجب-12 سبتمبر 1939: «إننا يا سعادة المقيم العام نتشرف بإحاطتكم علماً، بأنّ تتبعنا لتطوّرات الحالة الدولية وما تنذر به من خطرٍ أوجب علينا أن نؤكد لكم بصريح العبارة تضامننا التام معكم لمصلحة البلدين المغرب وفرنسا، وأنّ جميع هيئات المثقفين المغاربة لا يتأخرون عن مؤازرتكم بما وسعهم من حجة وبيان، لتوضيح مصلحة المغرب العليا لدى جميع الطبقات تقبلوا فائق الاحترام».

علقت نفس الجريدة على العريضة قائلة: «أمّا الوفد الثاني فقد ارتأى أن يستصحب عريضة هامة مهيرة من طبقات المثقفين وهياتهم ليمثل لسعادة المقيم العام، أنّ أهم طبقة من الشعب المغربي تحسّ مع سعادته ذلك الإحساس القوي المبني على إدراك المصلحة العليا للمغرب وفرنسا، وقد أقبل المثقفون على إمضاء العريضة حتى أمهرت بمآت الإماءات، ولم يتأخر أحد إلا من ضاقه الوقت عن وصولها ليده»، ووصفت الجريدة نفسها استقبالي المقيم للوفد بقولها: «وخطوا بمقابلة سعادته، معربين له عن استعدادهم التام لمساعدة ممثل فرنسا، فأجاب سعادة المقيم أنّه لايشكّ في حسن إدراك المثقفين المغاربة لمصلحة المغرب العليا وهو يقدر ذلك الإدراك ويعتمد عليه»³.

نفى الوزاني من جهته أيّ موقف مؤيّد من أعضاء حركته لفرنسا ويقول أنّ رجالها ثبتوا وقت الشدّة، بل لم يأت أبداً على ذكر الموقف الذي جاء في جريدة الوداد، كما دافع عبد الهادي بوطالب عن موقف الحركة القومية وهو أحد أعضائها حينما أكّد أنّ الحركة القومية لم تتخذ أيّ موقف، وأنّ سكوتها هذا يؤكّد أنّ موقفها مغاير لموقف الحزب الوطني ويرشّح أنّ ظروف الحزب الداخلية في تلك المرحلة قد ساهمت في سكوتها وعدم إبدائها أيّ موقف، وهي التي عانت قيادتها من قمع الإدارة الاستعمارية، وانتقد موقف الحزب الوطني المتضامن مع فرنسا حسب رأيه.

1 شارل نويس-Auguste Paul Charles Albert Noguéz : 1876-1971 جنرال فرنسي تخرج من كلية الفنون التطبيقية و أمضى معظم حياته المهنية في شمال إفريقيا، حيث تم استدعاؤه في عام 1912 إلى مكتب ليوطي، وشارك سنة 1924 في حملة الريف، ثم أصبح مديراً لشؤون السكان الأصليين بالرباط سنة 1928، و تولى قيادة الفيلق التاسع عشر في الجزائر العاصمة عام 1933، عين كمقيم عام في المغرب عام 1936، كما تولى في عام 1939 مهام القائد العام لمسرح عمليات شمال إفريقيا، اضطر إلى ترك منصبه عندما وصل الجنرال ديغول إلى الجزائر العاصمة في جوان 1943. أنظر: <http://cavaliers.blindes.free.fr/profils/nogues.html>

2 صحيفة الوداد: جريدة سياسية ثقافية إخبارية أسبوعية، صدر العدد الاول منها يوم الخميس 24 جوان 1937، وأشرف على إدارتها محمد أشماعو، وكان شعارها الذي يتصدر يمين الصفحة الاولى ويختزل خطها التحريري: "لسان القومية والدين الوداد نضال يرضي الحق ولا يشفيه ويكف المبطل ولا يغريه، الوداد دفاع عن المصالح العامة ونبراس مضى يكشف قناع الجهالة عن حقائق الامور"، وحملت الجريدة في أوائل اعدادها بجانب إسمها على نحو ما أكده مديرها أشماعو "لسان الحركة القومية". أنظر: ياسر صاير، الممارسة الصحفية الورقية بالمغرب مقارنة كرونولوجية، مجلة المعرفة، العدد 11، ديسمبر 2023.

3 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940، المصدر السابق، ص 476.

دافع أبو بكر القادري¹ عن موقف الحزب الوطني وبيّن أهداف الحزب من موقفه المؤيد لفرنسا والذي تمت الإشارة إليها سابقاً، كما أكد على صحة موقف الحركة القومية المؤيد هو الآخر لفرنسا، ورشح أنّ الرجلين الوزاني وبوطالب لم يطلعا على العريضة التي قدمها قادة أعضاء الحركة القومية في الرباط وسلا للمقيم العام، وخاصةً إذا علمنا أنّ الوزاني كان قد حرّر مذكراته بداية الستينات أين كانت العريضة لم تظهر بعد وقد نضيف احتمالاً آخر هو أنّ الوزاني كان على دراية بالوثيقة لكنه رأى أنها لا تمثل موقف الحركة القومية.

فشل الألمان في الحصول على تأييد من طرف الوطنيين المغاربة سواءً أعضاء الحزب الوطني أو أعضاء الحركة الوطنية، بالرغم من أنّ الألمان كان لهم نشاطٌ مكثفٌ داخل منطقة النفوذ الإسبانية، وهذا ما قد يدفعنا إلى طرح السؤال بشأن عدم استفادة المغاربة بصفة عامة والوطنيين بصفة خاصة من التفوق الألماني على فرنسا بداية الحرب العالمية الثانية، وعدم التعاون معهم لتحقيق أهدافهم في التخلص من السيطرة الفرنسية، أو على الأقل كان بإمكان الوطنيين المغاربة تقديم مطالب أو شروط مقابل تأييدهم لفرنسا، لكن ذلك لم يحدث بل نجد تأكيد الوطنيين المغاربة على أنّ ما أعلنه السلطان محمد الخامس يجب الالتزام به من طرف الجميع، وهذا يقودنا إلى التأكيد على الدور الأساسي للسلطان المغربي في توجيه السياسة الوطنية العامة خلال تلك الفترة من تاريخ المغرب وهو ما أكدّه زعيم الحزب الوطني علال الفاسي².

نشرت جريدة السعادة³ في عددها الصادر بتاريخ 08 سبتمبر 1939 كلمة تحت عنوان: "من ظواهر الإخاء والتعاون الفرنسي المغربي" جاء فيها: «وفدٌ يمثل مدينة فاس، يقدم للجنرال حاكم المدينة عواطف إخلاصه ويعمل لشراء طائرة حربية تهدى للحكومة»، وتكلم باسم الوفد العام السيد العباس بناني فكان مما قال: «إن المجلس العلمي والعلماء المجتمعين في القرووين، تطوعوا إلى الله مبتهلين أن يخزي الله الظالم وينصر فرنسا، ومن واجبي أن أعترف أن هذا العمل صدر عن اختيار، ودون طلب رأي المراجع الرسمية وقد قرّرنا أن نفتتح إكتتاباً لشراء طائرة نهدّيها إلى الحكومة راغبين أن يطلق عليها اسم فاس».

عقد أعضاء الغرفة التجارية الرباطية السلاوية اجتماعاً حضره رئيس ناحية العدوتين السيد (كومينو)، وألقى فيه الحاج بوبكر بن عبد الله عواد كلمة جاء فيها: «نرى من واجب الاعتراف بالجميل أن نبادر بالإعراب للدولة الفخيمة من عظيم ولائنا وقوى إخلاصنا، خصوصاً في هذه الظروف الحاضرة التي تكتنفها أهواء المفسدين في الأرض، والمثيرين للحروب الطاحنة والمستبشرين في إراقة الدماء البشرية لبلوغ مطامعهم المقبوضة للحضارة والمخالفة للإنسانية، ويسرّنا أن نوّكد لسعادة المقيم العام ممثل فرنسا الدولة الحامية أننا لا نبرح نتشبت بفرنسا محافظين على محبتها والإخلاص لها كيفما كانت الحالة.

1 أبو بكر القادري: (أفريل 1913 - مارس 2012)، ولد بمدينة سلا المغربية يعد أحد رواد الحركة الوطنية المغربية وأحد بناء النهضة التعليمية بها، أنشأ سنة 1933 مدرسة عربية حرة أسماها "النهضة" كانت نواة لتطور شامل في حقل التربية والتعليم للارتقاء به ثم تحولت هذه المدرسة إلى "ثانوية النهضة" التي ساهمت في تنشئة أجيال من الطلاب، ولقد تعرض للمضايقات والمنع لأكثر من عقدين وأدى به هذا الإصرار إلى السجن سنة 1935، يعد من أصغر مؤسسي الحركة الوطنية المغربية الأولى في الثلاثينات وسيصير بالتتابع أحد أعضاء الجمعية التي كانت تعرف بـ "الطائفة" ثم لجنة العمل الوطني وهو من العشرة الموقعين على "دفتّر مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934، ومن القادة المؤسسين لكتلة العمل الوطني في أكتوبر 1936 والحزب الوطني سنة 1937 مما جعله يتعرض للاعتقال يعد من مؤسسي حزب الاستقلال في ديسمبر 1943، ومن الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال التاريخية في 11 جانفي 1944 والمنظم لمظاهرة 29 جانفي الدامية بسلا التي أدت إلى اعتقاله مدة سنتين بسجن لعلو بالرباط. أنظر: عبد الإله التهامي، أبو بكر القادري: العالم والمؤرخ والمربي، مدارات، جوان 2025.

2 ثامر عزام أحمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936 - 1956)، المرجع السابق، ص 76.

3 جريدة السعادة: (07 نوفمبر 1904 - 27 ديسمبر 1956) صحيفة أسبوعية ناطقة بالعربية تنشر في المغرب، وكانت بمثابة لسان حال الحكومة الفرنسية، كانت ممولة من طرف فرنسا، وطبعت في الأصل في مقر المفوضية الفرنسية في طنجة، واستخدمت كوسيلة لنشر الأفكار الفرنسية بين المغاربة، وزعت في جميع مدن المغرب الكبرى تقريبا، وقد وصف محتواها بأنه إستعماري. أنظر: ياسر صاير، الممارسة الصحفية الورقية بالمغرب مقارنة كرونولوجية، مجلة المعرفة، العدد 11، ديسمبر 2023.

أصبحت تُكتب عرائض تضامنية كرسالة من الشُّباب البيضاوي ورسالةً من علماء ابن يوسف¹، ولقد تحمّس الأستاذ عبد اللطيف الصَّبْحِي بدوره للمساندة غير المشروطة فاكتب هو وهيئة موظفي جريدة **الصَّوت الوطني** التي كان يصدرها بالفرنسية، ولم يكتفِ بذلك، فسجل نفسه في لائحة المجندين في المدرسة العسكرية بمكناس وصار يدعو الشُّبان للتجنيد والالتحاق بتلك المدرسة. حتى الشَّعر المغربي لم يغيب عن التعبير على التضامن المغربي مع فرنسا، فنظم الشَّاعر المطبوع السيد عبد الله القباج قصيدة جعل عنوانها "محاسن فرنسا ومساوئ هتلر" جاء في مطلعها:

سَلَامٌ كَوَجْهِ قَدْ كَسَاهُ وَسَامٌ سَلَامٌ كَصَدْرِ قَدْ عَلَاهُ وَسَامٌ

أما شاعر الحمراء السيد محمد بن إبراهيم فقد كتب نشيداً إسمه "النشيد الوطني" أذاعته إذاعة مراكش جاء في طليعته:

إِنَّ هَتْلَرَ الصَّحَايَا يَصَاحُ مَا بَيْنَ الْبَرَايَا الْمَزَايَا فِي الرِّزَايَا هُوَ دِينِي بِاعْتِقَادٍ

لقد انبرى الخطباء والشُّعراء والكتاب والأدباء في إلقاء خطبهم ومحاضراتهم وأشعارهم في الإشادة بالوفاء بالعهد، أي الوفاء لفرنسا في ظروف محنتها والإشادة بأعمالها التمدينية التي قالوا أنها قامت بها في المغرب بعد فرض الحماية عليه².

3.3. سياسة الحماية الفرنسية بالمغرب بداية الحرب العالمية الثانية:

عاش المغرب منذ عقد اتفاقية الحماية تحت نظام حالة الطوارئ³، التي أعلنت بأمر صادر بتاريخ 02 أوت 1914 في مجموع المملكة الشريفة، ثم ألغيت حالة الطوارئ بتاريخ 25 جويلية 1924 في المناطق المدنية، واحتفظ بها في المناطق العسكرية وتم فرضها من جديد في كافة المناطق بتاريخ 01 سبتمبر 1939 أي بداية الحرب العالمية الثانية، بأمر من المقيم العام القائد الأعلى لجيوش الاحتلال بالمغرب ولم ترفع منذ ذلك التاريخ، فانتقلت سلطة الحفاظ على الأمن والسكينة العامين والتي كانت بيد السلطات المدنية إلى السلطات العسكرية، وأصبح قضاء القانون العام المتعلق بالبحث في الجرائم والجناح والمخالفات، التي تمه الأمن الداخلي والخارجي للدولة وأمن الجيش من اختصاص المحاكم العسكرية⁴.

نظرا لانعدام الضمانات الفردية بالنسبة للمغاربة لم تكن الحريات تعني أي شيء في مثل هذا الجو، إذ كان رجل السلطة المتمثل في المراقب المدني أو ضابط الشؤون الأهلية أو مفوض الحكومة لدى المحاكم الشريفة هو الذي يصدر الأمر بالمتابعة أو الاعتقال وكان الباشا أو القائد، وكلاهما رجل سلطة هو الذي يحاكم وينطق بالحكم بمساعدة موظف جهاز المراقبة الفرنسية، ولم تكن للمتهم المغربي خارج منطقة اختصاص محاكم الدار البيضاء وفاس ومراكش ووجدة والرباط ومكناس الحق في تنصيب محام للدفاع عليه، كما

1 جامع ابن يوسف بمراكش كان محجا للعلماء وطلاب العلم بشكل جعل العاصمة الرباطية منبرا للدعوة الإسلامية، ومنهلا للمعرفة، فقد شهد الجامع إجراء المناظرة التاريخية الكبرى بين ابن تومرت وفقهاء المرابطين، التي أسفرت عن تطورات سياسية ومذهبية أشغلت الغرب الإسلامي كله طوال ثلاثة قرون وأدت إلى قيام الدولة المعروفة في التاريخ بدولة الموحدين وازدهار العلوم الفلسفية، ومن بين من وفد عليه وزاول مهمة التدريس فيه منذ عهد التأسيس علماء كبار من المغرب والأندلس مثل: أبو الوليد ابن رشد الجدل رأس فقهاء الأندلس، وحفيده أبو الوليد ابن رشد إمام الفلاسفة والحكماء، كما كانت جنبات الجامع تعج بفطاحل العلماء من أمثال: ابن زهر، ومالك بن وهيب، و بن عطية، وابن القصيرة، وابن أبي الحصال وغيرهم. أنظر:

https://www.arrabita.ma/museums_cart

2 أبوبكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940، مرجع سابق، ص 102-103.

3 قانون حالة الطوارئ: هو الوضع الذي يستدعي فيه تحول صلاحيات القيادة حيث تؤول إلى سلطة الجيش، الذي يفرض حالة الحصار وإقرار حالة الاستنفار القصوى، فتتمركز قوات الجيش بالمدن وتفرض نوعا من الحصار مع تنفيذ التعليمات العسكرية من منع التجمعات وتحديد مواقيت الدخول والخروج ليلا ونهارا وهو ما يسمى بحضر التجول، ومنع الاشخاص من التجمهر ونشر المعلومات بدون الرجوع الى القيادة العسكرية، ويمتد هذا الظرف إلى السلطة القضائية التي تجرد وتعمل محلها الاجتهادات العسكرية.

4 أحمد إسماعيل راشد، تاريخ المغرب السياسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 124.

يتعرض المغاربة للحجز والإقامة الجبرية والنفي، ولم يكن من المسموح للسكان مغادرة مناطق سكنهم إلا بإذن من سلطان المراقبة¹. أما بالنسبة لحرية التعبير فقد كانت مقيدة وعرفت وضعيتها عدة تقلبات، فقد نظمت الصحافة بظهير 17 أبريل 1917 الذي ينص على أن إصدار الصحف المحورة ولو جزئياً باللغة العربية أو العبرية، كان يتطلب الحصول على إذن مسبق بواسطة قرار وزيري، ويكون معرضاً باستمرار للإلغاء، وقد عزز هذا الظهير المنضم للصحافة بظهير 26 جويلية 1939 الذي يمنع المنشورات (الهدامة)، وجاء في مادته الأولى ما يلي:

- يمنع إدخال وسحب وتوزيع وعرض وبيع وإذاعة المنشورات والتشترات وجميع المطبوعات التي يكون من شأنها الإخلال بالنظام العام والهدوء والأمن من طرف أي شخص وفي أي مكان وبأي شكل كان.

حددت العقوبات في حالة المخالفة بالحبس مدّة تتراوح بين ستة أشهر وستين، وغرامة مالية يتراوح مقدارها بين ألف وعشرة آلاف فرنك وإسقاط الحقوق الوطنية كلياً أو جزئياً والتجريد من الحقوق المدنية والعائلية والإبعاد لمدة تتراوح بين خمسة وعشرة سنوات². صدر في 29 أوت ظهير يسن الرقابة على الأخبار ويحول للمفوض المقيم العام أمر تحديد جميع الإجراءات الواجب اتخاذها من أجل تنظيم الرقابة العامة للأخبار، كيفما كانت طبيعتها وخصوصاً المطبوعات المحتوية على صور أو المكتوبة والموجهة للنشر (المادة الأولى) وتميزت مصالح المراقبة بالتشدد إلى غاية 1945، كما كان بإمكان المقيم العام أن يفرض الرقابة متى شاء على من يشاء وفي نفس الوقت يحتفظ دائماً قائد القوات الفرنسية في المغرب والمقيم العام نفسه بحق منح رواج المنشورات المطبوعة خارج المغرب، وكذا توقيف أو منع نشر كل صحيفة أو دورية، وكانت كل مخالفة لهذه الإجراءات تعرض مرتكبها إلى الحبس من سنة إلى ستة أشهر وغرامة مالية بين ألف وعشرة آلاف فرنك³، ولم يكن يسمح بتأسيس أية جمعية أو تعديلها إلا بعد الحصول على إذن من الكتابة العامة للحماية والذي يسلم بعد موافقة السلطة البلدية وسلطة المراقبة⁴.

عمدت فرنسا في فيفري 1934 إلى تحويل المغرب من وزارة الشؤون الخارجية إلى وزارة المستعمرات، ما أدى إلى احتجاج المغاربة وإرسالهم بقرقيات من مدن فاس والرباط والدار البيضاء ومراكش إلى رئيس الحكومة دالادي-Daladier⁵ ورؤساء لجنة الشؤون الخارجية والبرلمان الفرنسي، مما سمح بتأسيس كتلة العمل الوطني في ماي 1934، والتي كانت بمثابة نواة للاتجاهات الوطنية السياسية، و أعدت الكتلة برنامجاً للإصلاحات طالبت فيه فرنسا بتطبيق معاهدة الحماية لأن قانون فيفري 1934 يفيد أنّ المغرب أصبح مستعمرة وليس محمية مثلما أقرته معاهد الحماية⁶.

1 Moche Gershovich, **French military rule in Morocco**, Frank Cass, London, 2000, p 56.

2 البير عياش، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، المرجع السابق، ص 104.

3 لجأت الصحف الوطنية أمام هذا التشدد الكبير إلى أسلوب جديد، حيث إمتنعت عن تعويض المقالات المنوعة مع الاحتفاظ بنفس الحيز الذي كان من المفروض أن يشغله على صفحات الجريدة ويكتب في مكانه "حذفته الرقابة" بالخط العريض حتى أن بعض الصحف تصدر ببضاض أحيانا ولا تظم سوى مقالا أو مقالين. أنظر: ياسر صايب، **الممارسة الصحفية الورقية بالمغرب مقارنة كرونولوجية**، مجلة المعرفة، العدد 11، ديسمبر 2023.

4 البير عياش، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، المرجع السابق، ص 301.

5 إدوارد دالاديه - Édouard Daladier - (18 جوان 1884 - 10 أكتوبر 1970)، سياسي فرنسي اشتراكي راديكالي، عين رئيسا للوزراء في فرنسا وكان قد وقع اتفاقية ميونيخ قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، حين كان وزيرا للدفاع من عام 1936 إلى عام 1940، أدى فشل فرنسا في مساعدة فنلندا ضد غزو الاتحاد السوفيتي خلال حرب الشتاء إلى استقالة دالاديه في 21 مارس 1940 واستبداله بيول رينو، بعد سقوط فرنسا حوكم دالاديه بتهمة الخيانة من قبل حكومة فيشي، بعد معركة قلعة إيتز استأنف دالاديه مسيرته السياسية كعضو في مجلس النواب الفرنسي من عام 1946 إلى عام 1958 وتوفي في باريس عام 1970. أنظر: <https://francearchives.gouv.fr/fr/agent/226799263>

6 يحي جلال، **العالم العربي الحديث**، دار المعارف، القاهرة 1996، ص 721.

قائد الجنرال شارل نويس - Auguste Paul Charles Albert Noguéz السياسة الفرنسية في المغرب خلال الفترة (1936 - 1943) عندما عيّن مقيمًا عامًا لفرنسا بالمغرب، خلفًا للسيد مارسيل بيروطن¹ الذي غادر بسرعة فلم يتوفر له الوقت الكافي لإبراز قدراته، لم يكن نويس خطيبًا ماهرًا إذ كان يتكلم بصوتٍ رتيبٍ وغير واضح، أما شخصيته فكانت تعبر عن رجلٍ رصينٍ متعقلٍ وكتومٍ وكان يحاور بكلِّ مرونة، وتوفرت فيه ثلاث خصال ذات أهمية لرجالات الدولة هي: المزاج والشجاعة والنزاهة، وكان يملك القدرة على الإقناع.

حاول نويس كسب احترام وثقة أغلب الفرنسيين وبالفعل تمكن من ذلك، أما في المغرب فكانت علاقته بالسلطان أكثر من علاقة تحالف بل علاقة صداقة حقيقية، كما ربط علاقات مع أعضاء المخزن خاصةً وجهاء مدينة فاس العاصمة الثقافية البرجوازية العتيقة، أما بالنسبة لعلاقته بالوطنيين المغاربة فقد مارس سياسة عرفت بسياسة (الأبوية و العنف)، وبرزت هذه السياسة عندما أمر نويس بإطلاق سراح المعتقلين من أعضاء الكتلة الوطنية في 17 ديسمبر 1936² بعد اعتقالهم من طرف إدارة الحماية وبموافقة السلطان، وكان هدف نويس من هذا الإجراء هو تهدئة الوضع الذي كان يُبذر بانفجارٍ وشيكٍ، وكذا التقرب من الوطنيين، وسمح نويس في جانفي وفيفري 1937 بإصدار بعض الصحف وهي: العمل الشعبي وعمل الشعب والمغرب والعمل والوداد.

أصدرت إدارة الحماية قبل ذلك قرارًا وزاريًا صدر بتاريخ 18 مارس 1936 يقضي بحل كتلة العمل الوطني بدعوى أنّ تأسيس الكتلة يتعارض مع ظهير 24 ماي 1940 المنظم للجمعيات، وكانت المواجهة الأعنف بين نويس و الوطنيين المغاربة خلال أحداث سبتمبر 1937 عندما قامت السلطات الفرنسية بإصدار مرسوم في 12 فبراير 1937 يقضي بمنح 16 حصة مائية من أصل 24 من مياه بوفكران الذي كان يزود الأحياء المغربية في مكناس بالمياه للمستوطنين الفرنسيين الذين احتكروا المناطق الخصبة التابعة لقبائل كروان وبني امطير، ولم تتمكن العرائض التي وقعها آلاف الأشخاص من أن تحمل الإدارة على التراجع عن قرارها، فخرجت مظاهرات قمعتها الإدارة الاستعمارية واعتقلت الكثير ممن أسمتهم "المخرضين"، وتم إطلاق النار على المتظاهرين فكانت الحصيلة عشرون قتيلًا ومئة جريح من المغاربة وإثنان وخمسون جريحًا من قوات الأمن، وامتد الغليان إلى عدة مدن مغربية أخرى مثل مراكش والخميسات وحدثت مواجهات دامية مع الجيش، واحتلت قوات الجيش مدينة فاس التي لم تدخلها الجيوش الفرنسية منذ 1912 وطوق جامع القرويين الكبير وقت صلاة الجمعة واعتقل جميع المصلين³.

أمام تردي الوضع عقد مؤتمر عامٌ بالرباط في 13 أكتوبر 1937 بقيادة الفاسي⁴، وأصدر ميثاقًا وطنيًا تضمن الاحتجاج على سياسة الإدارة في اضطهاد الشعب المغربي وكبت الحريات العامة، فكان ردّ المقيم العام نويس على قرارات المؤتمر هو حل الحزب

1 مارسيل بيروطن - M peyrouton: (1887-1983): بدأحياته السياسية كسكرتير عام بالجزائر ما بين (1931-1933)، ثم مقيمًا عامًا بتونس (1933-1936)، ثم مقيمًا عامًا بالمغرب من مارس 1936 إلى سبتمبر 1936 ثم حاكمًا عامًا على الجزائر في جانفي 1943. أنظر:

<https://francearchives.gouv.fr/fr/agent/226799263>

2 كان سبب الاعتقال بسبب عدة لقاءات ومؤتمرات طالب فيها أعضاء الكتلة الوطنية وبالخاصة على تحقيق الحريات الأساسية الأربعة: حرية الصحافة وحق التجمع وتأسيس الجمعيات والحق النقابي. أنظر: امر عزام أحمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936 - 1956).

3 البير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة: عبد القادر الشاوي، نور الدين سعودي، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط 1985، ص 391.390.

4 للإطلاع على سير أعمال المؤتمر وصيغة الميثاق النهائي الذي أقره. أنظر: غلال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، ط2، تطوان، 1948، ص 217-219.

الوطني في 25 أكتوبر 1937، وغلق مكاتبه وإصدار أمر باعتقال علال الفاسي ومحمد اليزيدي وعمر عبد الجليل وأحمد مكار، وبتاريخ 03 نوفمبر 1937 تم نفي علال الفاسي إلى الغابون ونقل الآخرون إلى مناطق مختلفة.

ولم تسلم الحركة القومية هي الأخرى من قمع الإدارة الفرنسية حيث نفي رئيسها محمد حسن الوزاني إلى أقصى الصحراء أين بقي في المنفى نحو تسع سنوات (1937-1946)، والحكم على أهم قادة الحركة القومية بالسجن¹.

دفعتم الإقامة العامة السلطان المغربي إلى إصدار جملة من التشريعات التي تتوافق مع ما أصدرته حكومة الجمهورية الثالثة في فرنسا بخصوص مسائل الاعتقال الإداري، وإنشاء محتشدات لإيواء العناصر غير المرغوب فيها أو التي تشكل أي تهديد للأمن القومي، مثلما جاء في الظهير الصادر في 24 جوان 1938² والذي يعاقب بالسجن والغرامة المالية أي نشاط نقابي بالمملكة، وتم تمديد قوانين الاعتقال الإداري الصادرة في فرنسا إلى المغرب بحيث كانت أساساً لإقامة العديد من المعتقلات ومراكز الإيواء المحروسة، ووفقاً لرسالة العقيد (جروس - Gross) رئيس وفد مديرية مصالح الهدنة في شمال إفريقيا فإن عدد المعتقلين في هذه المراكز في المغرب قد بلغ 3600 شخصاً إلى غاية 01 أبريل 1941، ومن أشهر مراكز الاعتقال في المغرب نذكر مركز بودنيب بمنطقة مكناس إقليم تافيلالت ومركز واد زام بالدار البيضاء ومركز ميسور بمنطقة فاس بإقليم تازا³.

يبدو أن كل هذا القمع الذي سلطته إدارة الحماية الفرنسية على الوطنيين المغاربة، في هذا الوقت بالذات هو نتيجة تأثير عاملين أساسيين، أولهما داخلي وهو تطور نشاط الوطنيين المغاربة، أما الثاني فهو خارجي ويخصّ الوضع المضطرب في المنطقة الشمالية، وهو ما كان يقلق الفرنسيين بشكل أكبر، خاصةً بعد غرامة جويلية في المنطقة الإسبانية الذي فتح أبواب الحرب الأهلية الإسبانية⁴، وجعل من المغرب قاعدة انطلاق الجنود النازيين على الحكم القائم بإسبانيا، وخزانة من الجنود والعتاد مما جعل الفرنسيين متخوفين من الوضع سواء فشل غرامة فرانكو أو نجح، لأن فشله سيؤدي إلى حملة قمع قاسية من طرف الحكومة الإسبانية تطال المغاربة في المنطقة الإسبانية، لكن تأثيرها سيمتد إلى المغاربة في المنطقة الفرنسية وأشد ماتحشاه الإدارة الفرنسية هو أن يستغل الوطنيون المغاربة الوضع لخلق مشاكل قد تخرج الوضع عن السيطرة، أما في حالة نجاح فرانكو المدعوم من ألمانيا فإن الخطر سيكون أكبر خاصةً عند عودة الجنود المغاربة إلى بلادهم مدججين بالسلاح ومنتشرين بانتصارهم في الحرب على جيش يحتل بلدهم، وتحصي التقارير أن أزيد من ستين ألف مغربي كانوا جنوداً مع قوات فرانكو بين (1936-1939) وهو ما يعادل 07% من جنود الجيش القومي الإسباني⁵، وهذا ما جعل

1 ثامر عزام أحمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936 - 1956)، المرجع السابق، ص 75-76.

2 في عام 1938 ولد اتحاد النقابات المتحدة بالمغرب CGT - تلك كانت تسميته منذ ذاك - ويضم 20 ألف عضو منهم 5 آلاف مغربي. وبما أن سنتا 1937-1938 شهدتا إضرابات كثيرة، خاصة في الدار البيضاء، فقد هددت الإقامة العامة بمعاينة الأوروبيين والمغاربة الذين لا يلتزمون بالمنع (ظهير 26 يونيو 1938).

3 عامر عنان، شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2016-2017، ص 280.

4 الحرب الأهلية الإسبانية: تصف عبارة "الحرب الأهلية الإسبانية" تلك المرحلة الدامية، في تاريخ المملكة الإسبانية، والتي امتدت على مدار 3 سنوات، الفترة الواقعة بين 18 جويلية 1936 وحتى الأول من أبريل 1939، وراح ضحيتها أكثر من 1.5 مليون إنسان، بين قتيل وجريح وسجين ومشرّد، وقد دارت هذه الحرب بين الجمهوريين، المدافعين عن الجمهورية، الذين شكلوا تحالفا يضم الحكومة الشرعية المنتخبة في فيفري 1936، والممثلة في اتحاد أحزاب اليسار تحت راية "حزب الجبهة الشعبية" برئاسة مانويل أزانا، ويسانداهم الفقراء والفلاحون وطبقات الشعب المهمشة، وبعض الضباط الذين انشقوا عن الجيش، وعلى الطرف الآخر كان هنالك القوميون الذين كانوا يدعمون عودة النظام الملكي، ويستمدون قوتهم من سلطة الكنيسة الكاثوليكية، ويتشكلون من تحالف قوى الجيش بقيادة الجنرال فرانسيكو فرانكو، الذي انقلب على الحكومة عام 1936، تسانده الأحزاب اليمينية الفاشية، والأثرياء وملاك الأراضي، ورجال الدين والكنيسة، وقد تأثرت هذه الحرب بالأهلية بالأجواء المحلية والدولية، السياسية منها والاقتصادية، والتي كانت سائدة قبل وأثناء الحرب، وكانت إسبانيا ساحة حرب دولية، خاضت الأطراف المحلية فيها حرباً بالوكالة عن اللاعبين الدوليين. أنظر:

Julián Casanova, A Short History of the Spanish Civil War, Revised Edition, Spanish, 2017.
5 María Rosa de Madariaga, Los moros que trajo Franco, Alianza Editorial, 2015, pp, 52.53.

بيروطن¹ يعتقد أنه من السهل عليهم إثارة مشاكل في الشمال قد يصل صداها إلى المنطقة الفرنسية، وأمام هذين الاحتمالين خلص بيروطن إلى القول بأنه: "كيفما نظرنا إلى غرامة فرانكو فإنه يبدو مشحونا في المستقبل"².

عبرت فرنسا عن هذه المخاوف لكن بلسان السلطان الذي أصدر بياناً يستنكر فيه الصّراع الجاري في الشمال، وتأسف لمشاركة جزء من شعبه في نزاع لا يعنيه، والتزم بالعمل يداً بيد مع الحكومة الفرنسية لحماية أراضي الإمبراطورية الفرنسية من كلّ خطرٍ قد يهدّد أمنها، كما أصدر ظهائر خلال شهري أوت وسبتمبر 1936 أوقفت تدفق البضائع والجنود المتطوعين عبر الحدود.

تخوفت فرنسا من أطماع موسوليني الذي كان يحلم في أن يجعل من المتوسط بحيرة إيطالية، ورأت فرنسا أن تعاون موسوليني مع فرانكو غايته محاصرتها برّاً وبحراً، وصرح موسوليني بذلك في نوفمبر 1937 بقوله: «إننا لو استعملنا قاعدة مايوركا وقاعدة بانطليريا والقواعد المجهزة الأخرى، فلن نستطيع أي زنجي العبور من إفريقيا إلى فرنسا».

كان هاجس الفرنسيين الأكبر من الألمان الذين كثفوا نشاطهم في شمال المغرب منذ بداية غرامة فرانكو، وأشارت تقارير استخباراتية فرنسية بأن رجال الاستعلامات الألمان يهمسون في آذان المسلمين في شمال المغرب بالحكم الذاتي واستقلال المنطقة الإسبانية، كلّ هذه المؤشرات أوحى إلى بلوم أنّ الحرب بشأن المغرب قد تندلع في بداية 1937، ما جعله يطلب فييتو تعزيز وسائل الدفاع في المحمية استعداداً لأيّ طارئ، وقد أخبر نويس عن قرب وصول جنود ألمان إلى تطوان وسبتة وربما العرائش بعد العاشر من جانفي، خاصّة أنّ بعض الوحدات الاستطلاعية الألمانية كانت فعلاً قد وصلت إلى المنطقة الإسبانية، هذه الأجواء المشحونة كانت منطلقاً لنشاط دبلوماسي محموم على الصّعيد الخارجي، أما على الصّعيد الداخلي فقد أسفرت عن قمع طال خاصّةً الوطنيين المغاربة³.

يمكننا أن نستخلص أنّ إدارة الحماية في المغرب قد وضعت منظوراً متكاملاً لكافة تدخلاتها بالمغرب بما يخدم مصالحها من حيث الأمن والاستغلال، واعتمدت الإدارة في تسيير شؤون الجهات والأقاليم في المغرب على ما أُصطلح عليه بالسياسة الأهلية، أي الاهتمام بكلّ تفاصيل الحياة اليومية، وكان من مقومات هذه السياسة الحفاظ على هيكل السّلطة، يقول ميشوبيلير: «فالحديث عن القادة يعني الحديث عن سياسة قبلية تركز على من يحكمها وليس على ما تمثله من قاعدة بشرية».

نظراً لأهمية هذه السياسة في التسيير أوصى ليوطي بأن تظل هي روح الحماية داعياً إلى التمسك بها بهدف غزو العقول والقلوب بسلطة الذكاء والروح، أي توظيف المغاربة كآلية من آليات الغزو والاستغلال لصالح الرموز الاستعمارية العاملة في المغرب، كما ظلت الازدواجية في التشريع والتسيير قائمة بين الجهاز المخزني وجهاز الحماية وفي ذلك يقول ليوطي «نمارس الحماية لا الإدارة المباشرة،

1 مارسل بيروطن - Marcel Peyrouton (1887-1983) بعد حصوله على شهادة الدكتوراه عين رئيساً لديوان حاكم تاهيتي سنة 1910، شارك في الحرب العالمية الأولى وأصيب بجروح خطيرة، تم تكليفه بعدة مهام في قارة إفريقيا في كل من مدغشقر الكامرون وتوغو، عين أميناً عاماً للحكومة في الجزائر سنة 1930 ثم مقيماً عاماً بتونس سنة 1933، ثم مقيماً عاماً بالمغرب سنة 1936، وعند وصول الجبهة الشعبية إلى السلطة في فرنسا تم استدعاؤه كسفير في الأرجنتين، عينه الجنرال جيرو حاكماً عاماً على الجزائر لكنه فضل الانسحاب عقب الصراع القائم بين جيرو وأنظر:

Marcel Peyrouton, Du service public à la prison commune Souvenirs Tunis Rabat Buenos-Aires Vichy Alger Fresnes, Librairie Plon, Paris, 1950.

2 Albin Michel, Marcel Peyrouton Histoire générale du Maghreb: Algérie, Maroc, Tunisie, des origines à nos jours, Floch, Paris, 1966, p85.

3 وليام هويستون، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج و الأفول تحت قيادة الجنرال نويس 1936-1943، ترجمة: إبراهيم أبو طالب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2001، ص 206-209.

ينبغي ألا نطمس الأطر التقليدية بل نستغلها وألا نقاوم أعضاء المخزن بل نسخرهم في إدارة البلاد»، وهي نفس السياسة التي اعتمدها نويس تقريباً في إدارته للسياسة الفرنسية خلال فترة إدارته كمقيم عام بالمغرب¹.

1 صالح شكاك، السياسة الجهوية بالمغرب خلال فترة الحماية، مجلة المناهل، العدد 89-90، جوان 2011، ص 251-256.

4. تونس تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية:

بعد احتلالها للجزائر بدأت فرنسا العمل على احتلال تونس، واتخذت من تنقل القبائل التونسية عبر الحدود الجزائرية ذريعةً للاحتلال¹، بعد أن قدمت الحكومة الفرنسية احتجاجاً إلى الباي محمد الصادق وحملته مسؤولية هذا الفعل العدواني²، وبالرغم من أنّ الباي عمل على تأديب تلك القبائل لتفويت الفرصة على الفرنسيين التدخل في شؤون بلاده أو احتلالها، إلا أنّ فرنسا جهّزت حملة عسكرية برية على تونس عبر الحدود الجزائرية تتألف من 31816 جندي بقيادة الجنرال (فور جمول - For Gemol)، وعبرت القوات الفرنسية الحدود التونسية عبر مدينة الكاف التونسية باتجاه قصر "باردو"³.

هاجم الأسطول البحري الفرنسي بنزرت في الشمال وفي صبيحة 12 ماي 1881 وصلت فرقة الجنرال (بريار - Breart) إلى ضواحي تونس ودخل في حامية إلى قصر باردو⁴، أين كان القنصل (روستان - Roustin) في انتظاره بعد أن أعلم الباي رسمياً بهذه المقابلة وما كان للباي إلا أنّ يخضع ويوقع على معاهدة باردو⁵ التي كرّست الهيمنة الفرنسية على تونس، ولم تكن المعاهدة سوى قرار للحكومة الفرنسية فرض على محمد الصادق، وبالرغم من أنّ المعاهدة لم تجرد الداوي من كامل صلاحياته، إلا أنّها حرمت من تسيير شؤون البلاد الخارجية وعملت على تهميش نفوذ الدولة التونسية عبر مراحل بداية بإسناد أهم المسؤوليات الوزارية إلى فرنسيين ثم تعيين كاتب عام للحكومة الفرنسية لمراقبة العمل بالوزارة وصولاً إلى تغليب عدد الفرنسيين في الهيئات التمثيلية⁶.

شهدت تونس مقاومات عنيفة وثورات شعبية واحتجاجات شملت مناطق الجنوب التونسي خاصةً، إلا أنّها فشلت نظراً لسوء التأطير والتنظيم ونقص التسليح، ليظهر بعد ذلك نوع آخر من المقاومة وهي المقاومة السياسية أو انبعاث الحركة الوطنية، ففي سنة 1907 تأسست أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار في تونس بقيادة علي باش حانمبه⁷ والشيخ عبد العزيز الثعالبي وتأثرت هذه الحركة في نظامها وأهدافها بحركة تركيا الفتاة، ولعبت الحركة دوراً بارزاً بين سنتي 1907 و 1912.

1 كانت قبائل بني خمير تغير أحيانا داخل الحدود الجزائرية وفي 30 مارس 1881 حدث إشتباك بين القوات الفرنسية والقبائل التونسية، وهو ما اعتبرته فرنسا حجة للتدخل العسكري. أنظر: عبد الرحمان تشايجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881/1913، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص 67.

2 مخول موسى، موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين في إفريقيا، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، ص 123.

3 قصر باردو: يعود تاريخ قصر " باردو " الواقع في الضاحية الغربية للعاصمة التونسية إلى ما يقارب ستة قرون من الزمن امتزج فيها بأغلب الأحداث التاريخية الحديثة والمعاصرة التي عرفتها البلاد التونسية، وقد اختلفت أدواره على مدى هذه القرون فتحول من منتزه ملكي في عهد الحفصيين المنشع إلى مقر إقامة أميرى تقام فيه المواعب السلطانية في عهد المراديين، واتخذ بعض أمرائهم مقراً للحكم، وأصبح عاصمة ملك في عهد الحسينيين فمقراً لسيادة الشعب في دولة الاستقلال احتضن أعمال المجلس القومي التأسيسي (1956-1959) وفيه تم إعلان الجمهورية (25 جويلية 1957) وشهد المراحل التأسيسية لبناء الدولة الحديثة، ودارت بين جنباته أعمال المجالس النيابية بطريقة متواصلة حتى اليوم. أنظر:

https://www.arp.tn/ar_SY/presentationarp/10

4 عبد الرحمان تشايجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881/1913، المرجع السابق، ص ص 126.129.

5 معاهدة باردو: للإطلاع على نص معاهدة الحماية الفرنسية على تونس أنظر: علي المحجوبي، إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس 1986، ص ص 152-154.

6 عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005، ص ص، 94.93.

7 علي باش حانمبه: صحفي ورجل سياسة تونسي. ولد عام 1876 بمدينة تونس وتوفي في 29 أكتوبر 1918 بإسطنبول في تركيا، يعد من أحد الشخصيات المؤسسة للحركة القومية التونسية ومن مؤسسي حركة الشباب التونسي، ينحدر علي باشا من أسرة مسيرة الحال من أصول تركية وكان والده من أعوان الوزير (مصطفى بن إسماعيل). أنظر: الهادي جلاب، علي باش حانية 1876-1918، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة مناضل وأثره، تونس، 2005.

عند نهاية الحرب العالمية الأولى وأثناء انعقاد مؤتمر الصّالح بباريس 1919 اتصل الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالمؤتمر، وقدم إليه مذكرة تتعلق باستقلال تونس وتطالب بتطبيق مبادئ ويلسون، ونشر كتاباً في باريس تحت عنوان "تونس الشهيدة"¹، فبرز الشيخ الثعالبي والتفت حوله الشعب وطلائع المثقفين والمناظرين ودعوا إلى تأسيس حركة سياسية وطنية، فتّم تأسيس الحزب الحر الدّستوري التونسي في مارس 1920 وانتخب الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالإجماع رئيساً له.

كانت ثلاثينيات القرن العشرين حبلً بالأحداث على السّاحة التونسية، حيث مثلت تلك السّنوات مرحلة التّحدّي الاستعماري بالنّسبة للتونسيين، قابلته سلطة الحماية بسياسة القمع والتهريب، فالأزمة الاقتصادية في تونس والتي طالت لسنوات طويلة قد ساهمت في تدمير البنية التقليدية للاقتصاد والمجتمع، وكان عقد المؤتمر الأفخارستي² والاحتفال بخمسينية تركيز نظام الحماية، وكذلك أحداث مسألة التجنيس تحمل تحدياً واعتداءً واضحاً لسلطات الحماية على الهوية الوطنية التونسية، كما تعرف فترة الثلاثينيات بمرحلة الآمال المحبّطة بالنّسبة للتونسيين التي مثلتها التجربة القصيرة لحكومة الجبهة الشّعبية في فرنسا وما حملته من آمال للوطنيين التونسيين لكنها انتهت بخيبة أمل وأحداث دامية.

أدّت هذه العوامل إلى بداية مسار جديد في تونس، فقد خلاله الجناح التقليدي داخل الحزب الدّستوري موقعه المتقدّم، الذي انتزعه الجيل الجديد الذي يتمتع بتكوين عصري خريج المدارس والجامعات الفرنسية والمتشبع بمناهجها وفكرها الغربي، والذي رفع لواء "الحداثة والوطنية التونسية" بدل شعار "الجامعة الإسلامية"، فأدّى ذلك إلى اختلاف في المنهج بين جيلين، جيل الشّباب المتطلع نحو التجديد والاقتراب من الحضارة الغربية، وجيل الشّيوخ الذي تعود على طريقة الكفاح التقليدية التي تقوم أساساً على الاحتجاج ونشر المقالات المطوّلة في الصّحف، واعتماد سياسة التهذؤ والاعتدال في أغلب الأحيان مع إدارة الحماية، معتمداً على أسس فكرية تمتد جذورها إلى الفكر السّلفي الإصلاحية وربط نضال التونسيين بالحركة الوطنية بالشرق، وتشكّلت معظم قياداته من الطبقة الأرسطراطية التقليدية من شيوخ الزيتونة وأعيان العاصمة تونس، هذه العوامل أدّت إلى نفور الجيل الجديد داخل الحزب إضافةً إلى تراجع نشاط الحزب بعد نفي زعيمه الشيخ الثعالبي³.

خلال تلك الظروف انعقد مؤتمر نهج الجبل (المدينة العتيقة) يومي 12-13 ماي 1933، وانتخبت جماعة "العمل التونسي" كأعضاء داخل اللجنة التنفيذية للحزب، وطالب الأعضاء الجدد من الحزب التخلي عن وسائله القديمة وبرنامجه الذي تجاوزه الزّمن والذي لم يعد يستجيب لطموحات التونسيين، وطرحوا مسألة السّير بالشّعب التونسي نحو التحرير، وأعلنوا مقاطعتهم سياسة التعاون والتشارك⁴، وسرعان ما أدب الخلاف بين أعضاء اللجنة التنفيذية عندما احتجّت جماعة العمل التونسي على قرار فصل زميلهم

1 كتاب تونس الشهيدة: صدر الكتاب فب جانفي 1920 بباريس باللغة الفرنسية بدون توقيع، ويدحض الكتاب الدعاية التي جعلت من الاستعمار وسيلة لتمدين السكان المحليين، كما يبين الكتاب الوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب الذي تعيشه تونس، و يوضح طرق إبتزاز خيرات التونسيين لفائدة المعمرين، ويتعرض إلى أساليب الغزو الثقافي لطمس هوية التونسيين، كما طالب فيه الوطنيين تبني نظام يقوم على الفصل بين السلطات وعلى مجلس تشريعي يراقب أعمال الحكومة.

2 المؤتمر الأفخارستي - Eucharistic Congress: شهدت البلاد التونسية في شهر ماي سنة 1930 تنظيم تظاهرة كبرى بمناسبة انعقاد المؤتمر الأفخارستي، وانهقد المؤتمر الأفخارستي تحديدا بقرطاج بين 7 و 11 ماي 1930، وقد تم الاختيار على قرطاج باعتبارها عاصمة قديمة للمسيحية في شمال إفريقيا، والمهم كذلك أن هذا المؤتمر قد تزامن مع الاحتفالات التي قام بها الاستعمار الفرنسي بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر (1830)، وإصدار الظهير البربري بالمغرب الأقصى في نفس الشهر ماي 1930، ولذلك اعتبر التونسيون هذا المؤتمر تحدياً لمشاعرهم الإسلامية، خاصة وقد تم خلاله توزيع منشائر بالعربية تدعو التونسيين إلى اعتناق المسيحية ووقع استعراض آلاف الأطفال الذين يرتدون أزياء بها صلبان بما يذكر بالحملة الصليبية الثامنة التي قادها لويس التاسع لاحتلال تونس عام 1270م. أنظر: Jean Comby, *Léucharistie au 20^e siècle*, Lyon, janvier 2000.

3 الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس 1990، ص 61.

4 عبد المجيد كرم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة)، جامعة منوبة، تونس 2008، ص 83.

البحري قيقة¹، واعتبروه قرارًا جائزًا وقدّموا استقالتهم من الحزب وتم عقد مؤتمر إستثنائي في 02 مارس 1934 بقصر هلال² تم فيه تأسيس الحزب الدستوري الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة³.

1.4. تونس في استراتيجية الحلفاء والخور:

كان للاعتبارات الاستراتيجية في تحديد العلاقات بين الدول الكبرى من جهة وتحديد مناطق النفوذ من جهة أخرى، وقد مثلت تونس بموقعها المتميز القريب من أوروبا والمطل على البحر الأبيض المتوسط، هدفًا للقوى الاستعمارية وطموحًا استراتيجيًا لها خاصةً تلك الأنظمة الناشئة الطامحة إلى تدارك مقرّرات مؤتمر برلين، فالسيطرة على البلاد التونسية تمكّن أي قوة من التحكّم في مصير الملاحة المتوسطية والعبور إلى مضيق جبل طارق نحو الأطلسي وقناة السويس، وقد برزت هذه البلاد في سياسة المحور بشكل واضح في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين، فاعتبرت إيطاليا أنّ الوجود الفرنسي في تونس يمثل حاجزًا أمام أهدافها التوسّعية، حيث مثلت مدينة بنزرت بفضل موقعها القريب من صقلية ومينائها العسكري هدفًا يمكنها من السيطرة على طريق الملاحة في المتوسط، ومع نهاية 1938 أصبحت المطالب الإيطالية في تونس علنية خاصةً بعد تصريحات (الكونت تشيانو - Comte Ciano) وزير الخارجية الإيطالي في 30 نوفمبر 1938 خلال ندوة أكّدت فيها التشنّث بمطالب الشعب الإيطالي ومطامحه الطبيعية⁴.

لم تعد اتفاقية "لافال-موسوليني" الموقعة في 07 جانفي 1935⁵، ترضي طموحات إيطاليا، حيث أراد موسوليني إحياء اتفاقية 1896 التي ضمنت بقاء حقوق إيطاليا على الدّوام، وهذا ما أخبرت به الكونسلتا-Consulta وزارة الخارجية الفرنسية في 17 ديسمبر 1938 أنّ الحكومة الفاشية لم تعد تعترف باتفاقيات 1935⁶، بالرّغم من ذلك لم تنجح فرنسا في ثني الدوتشي على المطالبة بتغيير الوضع القائم في شمال إفريقيا لصالح المشروع الإيطالي⁷، وأشارت الإحصائيات إلى زيادة عدد القوات الإيطالية في ليبيا من 60.000 جندي بداية 1939 إلى 130.000 جندي في أكتوبر من نفس السّنة، وحسب التقديرات الفرنسية فإنّ التعزيزات الإيطالية قد سمحت برفع عدد القوّات إلى ثلاثة عشر فرقة من سلاح المشاة في المنطقة الطرابلسية وحدها، وفي شهر مارس 1940 أشارت مصادر المكتب الثاني

1 تم عزل البحري قيقة بعد إفشائه محتوى اللقاء الذي كان قد دعى إليه المقيم العام الفرنسي أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري للتشاور معهم حول بعض الإصلاحات التي كان ينوي القيام بها، لكنه طلب إليهم عدم إفشاء الأمر خوفا من ردة فعل المستوطنين الفرنسيين، لكن البحري قيقة أخبر صديقه الشاذلي خير الله بالخبر هذا الأخير الذي قام بنشر الخبر على جريدة "تونس الاشتراكية" لسان الحزب الاشتراكي الفرنسي بتونس، فدعى المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية ولامهم على هذا الأمر، وبدورهم إتخذوا قرارا بعزل البحري قيقة بصفته عضو اللجنة التنفيذية. أنظر: عبد المجيد كرم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة)، جامعة منوبة، تونس 2008.

2 مؤتمر قصر هلال: انعقد في 2 مارس 1934 بحضور ممثلين عن 49 شعبة دستورية موالية للقادة الجدد (جماعة العمل) وأعلن عن حل اللجنة التنفيذية وطرد أعضائها من الحزب، وتأسيس الحزب الدستوري الجديد بقيادة جديدة سميت الديوان السياسي. أنظر: عبد المجيد كرم وآخرون، مؤتمر قصر هلال 2 مارس 1934، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 2000.

3 الحبيب بورقيبة، حياتي آرائي جهادي، نشرات كتابة الدولة للإعلام، تونس 1978، ص 76.

4 محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 243.

5 الاتفاقية الفرنسية الإيطالية أو حلف روما أو معاهدة موسوليني-لافال وقع عليها في 7 يناير 1935 كل من بينيتو موسوليني، رئيس وزراء إيطاليا وبيير لافال وزير خارجية فرنسا، في روما، وكان الهدف من توقيعها بداية هجوم دبلوماسي محاصرة ألمانيا هتلر بشبكة من التحالفات، تضمنت الاتفاقية تنازل فرنسا لإيطاليا عن العديد من المناطق المتنازع عليها، منها جزيرة دمية في الصومال الفرنسي (جيبوتي حاليا) لتصبح جزءاً من إريتريا، كما أعطت إيطاليا نصيب 20% من أسهم سكة حديد جيبوتي-أديس أبابا، اما بالنسبة للشأن التونسي فقد أعادت تعريف وضع الإيطاليين في تونس الفرنسية، على ألا تطالب إيطاليا بامتلاكات في تونس. أنظر: D.C.Watt, The Secret Laval-Mussolini Agreement of 1935 on Ethiopia, Middle East Journal, Vol. 15, No. 1 (Winter, 1961), pp. 69-78.

6 شارل اندري حوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1976، ص 116.

7 آلان جون-بيرسيفال تيلور، أصول الحرب العالمية الثانية، ترجمة: مصطفى كمال خيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1990، ص 112.

في ليبيا أن الإيطاليين بدأوا يتهيأون لقرب إعلان الحرب، حيث تم إحصاء السكّان القادرين على حمل السلاح وتحويل بعض المدارس إلى مستشفيات، كما تمت تعبئة الميليشيات الفاشستية استعداداً للحرب¹، الأمر الذي يؤكّد تلك التهديدات الموجهة نحو تونس، كما شرعت وزارة المستعمرات الإيطالية المختصة بشمال إفريقيا في إعداد ملف يتكون من 60 صفحة، يحتوي على تقارير التنظيم المستقبلي لتونس الإيطالية².

لم يشعر التونسيون أبداً بأيّ تقدير نحو إيطاليا خاصّةً بعد أن رأوا سياسة الدوتشي الإسلامية في طرابلس، كما عزّزت الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة الفرنسي دالادييه - Daladier إلى تونس بين (03 و 05 جانفي 1939) والتي أكّد فيها على أنّ حماية تونس هي مهمّة فرنسية وستبقى كذلك، وأنّه لا يشك في أنّ سكّان تونس سيبرهنون كما فعلوا دائماً في ساعة الخطر أنهم إلى جانب فرنسا وأنهم على ارتباط وثيق بها، أمّا بالنسبة للأوروبيين الفرنسيين بتونس فكانوا يميلون دائماً لمن يحفظ مصالحهم داخل المحمية ولا يهتمون كثيراً إن كانت فرنسا أو غيرها، لذلك لم يخفوا إعجابهم بالدوتشي، وكانوا يهيمسون أنّه في حالة إفلاس النفوذ الفرنسي في تونس سيجدون التعويض من إيطاليا³، كما عملوا بكلّ الوسائل لعرقلة أيّ إصلاحات أو تنازلات لصالح التونسيين.

كانت مطالب الدّستوري الجديد وأنصاره الشّباب أكبر ممّا كان الفرنسيون على استعداد لتقديمه أو التنازل عليه⁴، أمّا الجالية الإيطالية في تونس فكان عددها كبيراً إلى حدّ أنّ مثلاً إيطاليا كان يقول: «أنّ تونس مستعمرة إيطالية تديرها فرنسا»، ووصف الكاتب والمسرحي دومينيكو تومياتي تونس خلال تلك الفترة قائلاً: «بينما تسير في شوارع تونس، تسمع الإيطالية في كلّ مكان والانطباع السائد هنا هو أننا في مدينة إيطالية يحتلها الجيش الفرنسي».

عمدت ألمانيا إلى التوفيق بين مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية، ولتحقيق ذلك سعت ألمانيا منذ إنشاء محور برلين-روما إلى مراعاة المطالب الإيطالية في السّيطرة على غربي المتوسط، بحكم أنّ مصالحها ستحقق في شرق أوروبا⁵، لكن بالرّغم من ذلك فلقد شكّلت تونس خاصّةً وشمال إفريقيا بصفة عامة اهتماماً اقتصادياً، فقد قامت عدّة شركات ألمانية بزيارات لتونس لعقد صفقات مع التجار الإيطاليين⁶، وبذلك أصبحت مطامح إيطاليا كبيرة بعد تحالفها مع هتلر، وهو ما شكّل خطراً على المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا وخاصّةً تونس المجاورة للمستعرة الإيطالية ليبيا⁷.

2.4. أحداث 09 أفريل 1938 في تونس:

عقد الحزب الدّستوري الجديد مجلسه المالي في مارس 1937 وسط أجواء مشحونة تميزت باستقالة رئيس الحزب محمود الماطري، وفي جو صاحب خطب بورقية مهاجماً الماطري بقوله: «منذ إبعادنا في برج الباف كان الماطري عبثاً على الحزب بالدعوة إلى الهدوء»، واقترح أن يتولى الطاهر صفر رئاسة الحزب لكن الأخير أعلن تأييده لسياسة الماطري بقوله: «...كنت دائماً مسانداً لسياسة الهدوء مع

1 عامر عنان، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ماوراء البحار، المرجع السابق، ص 48.

2 محمد السعيد عقيب، الحزب الدّستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 238.

3 شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، المصدر السابق، ص 116.

4 Derek-Hopwood, **Habib Bourguiba of Tunisia: The Tragedy of Longevity**, St.Martin s Press, New York 1992, p56.

5 محمد زروقي، «تأثير الدعاية المتضاربة على تونس خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)»، مجلة العلوم الانسانية، العدد 04، مارس 2018، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، ص 213-237.

6 مثل الزيارة التي قامت بها شركة (ديازل - Diesel) المتخصصة بصناعة المحركات الى سوسة في أوت 1938.

7 محمد السعيد عقيب، الحزب الدّستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 238.

الماطري وكنت في ظروف صعبة عند تطبيق سياسة القمع في عهد Peyrouton أتجول وأدعو للهدوء، الذي مازلت متمسكاً به»، فقام بورقيبة وخطب قائلاً: «بما أنّ الحكومة الفرنسية ليس في نيتها تلبية المطالب الوطنية فإنّ المجال مفتوح وبدون تأخير للمقاومة التصاعدية من اجتماعات ومسيرات ومظاهرات وعمليات تخريب ثمّ العصيان العسكري والمدني، وعلى كلّ الثواب تبليغ هذه التوصيات إلى الخلايا».

عاد الطاهر صفر بعدما أخذ الكلمة إلى محاولة تهدئة الأجواء المشحونة وأقر موافقته اعتماد المظاهرات والاجتماعات مع التزام الهدوء وقال لبورقيبة أنّ العصيان المدني والعسكري لا تقوم به إلاّ الحركات السّرية والأحزاب الثورية أمّا التخريب والعنف فهو مرفوض واعتبره عملاً إجرامياً، لكن مجموعة من المناضلين قاموا بمقاطعة خطابه وأيدوا منهج بورقيبة حينها غادر الطاهر صفر قاعة المؤتمر بعدما أعرب عن تقديمه الاستقالة من صفوف الحزب¹.

حسب آراء الدّستوريين القدامى وبعض الحزبيين الجدد فإنّ جو العنف الذي ساد المؤتمر وقراراته الثورية التي لم يوافق عليها الماطري كانت تستهدف بالدرجة الأولى إقصاء الماطري من رئاسة الحزب، ويعتبر هؤلاء أنّ المناورة كانت مدبّرة من طرف الأمين العام للحزب الجديد بورقيبة الذي كان يهدف إلى السّيطرة على الحزب الدّستوري الجديد²، الأمر الذي يطرح التساؤل حول مسألة سياسة تسيير بورقيبة للحزب الدّستوري الجديد، فرغم تبني الحزب للمبادئ الديمقراطية بشكلها اللبرالي آنذاك، غير أنّ الواقع يؤكّد مخالفة بورقيبة لهذه المبادئ سواء داخل الحزب في نصوصه وخطاباته وممارساته³ أو مع بقية الأطراف السياسية الوطنية التونسية⁴.

واصل بورقيبة تعبئة الجماهير الشّعبية وتوالت الاجتماعات العامة للحزب الدّستوري الجديد طوال شهر ديسمبر 1937 وجانفي 1938، وجاءت أحداث بنزرت⁵، لتعلن القطيعة بين الإقامة العامة والدّستور الجديد الذي أصبح منذ ذلك الوقت تحت تأثير العناصر الراديكالية مثل سليمان بن سليمان وصالح بن يوسف مدعومين بعناصر نشطة مثل الهادي نويرة والمنجي سليم ويوسف الرويسي وعلي البهلوان ومحمود بورقيبة، وكان للحزب دور واضح في إزاحة بلقاسم القناوي أمين عام جامعة عموم العملة التونسية الثانية التي تأسّست في 27 جوان 1937 وتنصيب المحامي الهادي نويرة مكانه إثر انعقاد مؤتمر إستثنائي في 29 جانفي 1938 بتحريض من أعضاء الدّستوري الجديد المتواجدين في الهياكل النقابية للجامعة بهدف السّيطرة عليها⁶.

عاد الشّيخ الثعالبي مؤسس حزب الدّستور في جويلية 1937 إلى تونس، كان الثعالبي شخصية شعبية ومحترمة وحظي باستقبال كبير لقد كان قائداً بالفطرة، لذلك لم يستغرق الوقت ولا الجهد الكبيرين لإعادة تنظيم صفوف الدّستور القديم، وجمع المؤيدين من حوله، وكان يحمل عزيمة كبيرة في إعادة توحيد الصّف ولمّ الشمل بين الدّستوريين، الأمر الذي كان يتعارض مع طموحات بورقيبة

1 عبد الكريم عزيز، نظام شعب أبي تونس 1881-1956، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 295.

2 الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)، المرجع السابق، ص 65.

3 كانت سياسة تسيير بورقيبة للحزب غير ديمقراطية سواء في إتخاذ القرارات المصيرية أو طريقة تعيين قادة الحزب الجدد والتي كانت تتم دون إستشارة باقي الأعضاء، الامر الذي أدى إلى إنسحاب العديد من أعضاء الحزب أهمهم: محمود الماطري والطاهر صفر.

4 عندما تزعم بورقيبة حركة إنشقاق ضد الحزب الدستوري ووصف زعيمه الثعالبي بالمستبد بالرأي واعتمد على العنف في مواجهة المشروع الوحدوي الذي قاده الشّيخ الثعالبي وأدى إلى سقوط قتلى وجرحى.

5 أحداث بنزرت 08 جانفي 1938 حصلت حوادث دامية بمدينة بنزرت وضواحيها أسفرت على سقوط حوالي 13 شهيد وعشرات الجرحى في كل من بنزرت وجرزونة ومنزل عبد الرحمان.

أنظر: <https://ar.leaders.com.tn/article/4340-%D9%81%D9%8A>

6 عبد المجيد كريم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964 (مقاربة)، المرجع السابق، ص 101-102.

الذي شعر بالتهديد وبدأ في عرقلة عمل الشيخ الثعالبي وإثارة المعارضة ضده، ووصل الأمر إلى حدّ إطلاق النار على سيارة الثعالبي الذي نجا بالرغم من مقتل سائقه، أظهر تصميم بورقيبة على تحقيق طموحاته بأيّ وسيلة الجانب السيئ من شخصيته¹.

أمام هذه التطوّرات أصدرت الإقامة العامة بإيعاز من الكاتب العام للحكومة قرارًا يمنع رفع العلم التونسي والشعارات التونسية، دعا الحزب مناضليه إلى رفضها وعدم الامتثال لها، أمّا السبب المباشر لاندلاع أحداث 09 أبريل 1938 فتعود إلى قضية الأستاذ علي البلهوان عندما منعه السلطات الفرنسية من إلقاء محاضرة بقاعة السينما "Variétés" بعنوان: "دور الشباب في المعركة الوطنية"، لكنّه أصرّ على إلقائها بمقر الحزب بباب السويقة لتقوم السلطات الفرنسية بفصله عن العمل بمدرسة الصادقية في 26 مارس 1938، وإيقاف العديد من قادة الحزب ومناضليه في مقدمتهم: سليمان بن سليمان، يوسف الرويسي والهادي نويرة بتهمة التحريض وتم تعطيل جريدة "العمل" لسان حال الدّستوري الجديد².

وعلى إثر هذا القمع انتظمت مظاهرة احتجاجية ضمت قرابة 2500 متظاهر يوم 07 أبريل 1938، اعتقلت فيها السلطات الفرنسية عشرة مناضلين من الحزب، لينظم الحزب إضرابًا عامًا يوم الخميس 08 أبريل 1938، وانطلقت في نفس اليوم مسيرتان بالعاصمة الأولى من ساحة الحلفاويين بقيادة علي البلهوان، والثانية من رحبة الغنم بقيادة المنجي سليم، والتقت المسيرتان أمام مقر الإقامة العامة، حيث رفع المتظاهرون شعارات من أهمها "برلمان تونسي، حكومة وطنية وتسقط الإمتيازات" بلغ عدد المتظاهرين فيها بين سبعة وعشرة آلاف متظاهر، وألقى البلهوان خطابًا حماسيًا أمام مقر الإقامة العامة الفرنسية³ جاء فيه: «... يا أيها الذين آمنوا بالقضية التونسية، يا أيها الذين آمنوا بالبرلمان التونسي، إنّ البرلمان التونسي لا ينبغي إلّا على جماجم العباد، ولا يقام إلّا على سواعد الشباب، جاهدوا في الله حق جهاده، إذا اعترضكم الجيش الفرنسي أو الجندمة شردوهم في الفيافي والصحاري، فأنتم الوطنيون الدائمون في بلادكم، وهم الاستعماريون الدخلاء عليكم، بالله قولوا لحكومة خرقاء سياستها خرقاء يجب أن تحطم وأن تداس، وها نحن حطمانها ومزقناها، فالحكومة قد منعت وحجرت رفع العلم التونسي وها نحن نرفعه في هذه السّاحة رغمًا عنها، والحكومة قد منعت التظاهر وها نحن نتظاهر ونملأ السّاحات بجماهير بشرية نساءً ورجالاً وأطفالاً نملأ الجو هتافًا وحماسًا»⁴.

دعا البلهوان قبل تفرق المتظاهرين⁵ إلى تنظيم مظاهرة سلمية يوم السبت 10 أبريل إلّا أنّ السلطات الفرنسية عمدت في اليوم الموالي أي الجمعة 09 أبريل إلى اعتقال الأستاذ البلهوان مما جعل الجماهير تتجمع أمام المحكمة الفرنسية بالقصبة تضامنًا معه وبمجرد وصول الجماهير إلى مكان المحاكمة بدأت قوات الأمن في إطلاق النار على المتظاهرين ليتحول المشهد إلى أعمال قمع كبير سقط

1 Derek-Hopwood, Habib Bourguiba of Tunisia: The Tragedy of Longevity, Op cit, p46

2 جريدة العمل: تأسست الجريدة سنة 1929 من طرف نخبة من شباب الحزب الحر الدستوري التونسي الذين درسوا في فرنسا، وقد كانت تسمى قبل ذلك بجريدة "صوت التونسي" التي صدرت في 1928، قبل أن تتحول إلى اسم "العمل التونسي"، وكان من أبرز أعلامها آنذاك محمود الماطري، الطاهر صفر، البحري قيقّة، الحبيب بورقيبة، صدر عددها الأول في جوان 1934 وهي جريدة نصف أسبوعية ثم أصبحت يومية بداية من سنة 1955، مضمونها سياسي إخباري ونتيجة لمعارضتها للسياسة الاستعمارية في القطر المغربي عطلتها سلطات الاحتلال الفرنسي بداية من سبتمبر 1934، لتعود للصدور بتاريخ 8 ماي 1937 إثر عودة القادة المنفيين من الجنوب، واحتجبت مرة أخرى في 7 أبريل 1938 بعد أحداث أبريل 1938، لتعاود الظهور يوميا بداية من 25 أكتوبر 1955. أنظر: رخيعة عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، المصادر، مجلة يصدرها م و د ب ح و ث 1954، الجزائر، العدد 1.

3 Ahmed Kassab-Ahmed Ounaies, Histoire Generale De La Tunisie (1881- 1956) Lépoque Contemporaine, tome 3, Sud Idition, tunis2010, p411.

4 <https://inkyfada.com/ar/2021/04/09/%D8%> .

5 كان محمود الماطري قد التحق بالمظاهرات في باب الجديد وألقى كلمة أمام المتظاهرين الغاضبين واقترح الماطري تكوين وفد لمقابلة المقيم العام، فقاطعه البلهوان قائلا: لا للحوار معهم فليستعملوا أسلحتهم ثم نرى ماذا يقدر ان يقوم به الشعب، وأخذ الماطري الكلمة مرة أخرى ودعا الجماهير الى الانسحاب بمهوء - أنظر:

Mahmoud el Materi, Itinéraire d'un militant 1926- 1942, Cérés production, avril 1992.

على إثرها حسب جريدة L' action tunisienne التونسية ليوم 10 أبريل 122 قتيلاً و80 جريح، بينما أحصت التقارير الفرنسية 17 قتيلاً و110 جريح، وما إن تمت السيطرة على الوضع من قبل سلطات الحماية حتى استصدر المقيم العام من الباي أمراً بإعلان حالة الحصار على ثلاث مقاطعات (العاصمة، والساحل، وبنزرت)، كما تم في نفس اليوم اعتقال بورقيبة والمنجي سليم وأحيل القادة الدستوريون على المحكمة العسكرية بدعوى التآمر على أمن الدولة، وتم حل الحزب الدستوري الجديد بتاريخ 12 أبريل 1938¹.

3.4. موقف الحزب الدستوري القديم من الصراع بين الحلفاء والمحور:

أظهر الحزب موقفه بصورة واضحة أثناء زيارة الرئيس الفرنسي دالاديه لتونس في بداية جانفي 1939، في رسالة مفتوحة وجهها إليه، فبعد أن استعرضت الرسالة واقع الشعب التونسي، وما ألمَّ به في الشهور الأخيرة من أحداث وطالبت: «بإطلاق سراح المعتقلين في أحداث أبريل 1938، وتمكين الشعب التونسي من مقاليد البلاد حتى لا تكون تونس محل أطماع إيطاليا، ذلك أنّ قيام التونسيين بصيحة الاستنكار ضدّ مطامع إيطاليا لا يدلّ بحال من الأحوال على أنّنا راضون على هذه السياسة، خاضعون لنيروها ولكنّه صبر الشهيد وصمت الحكيم... ثم إنّ حكومتكم يمكن لها أن تحرز على رضائنا، وذلك بتمكيننا من مطالبنا وبذلك ينتهي كل طمع أجنبي في تونس، وبهذا لا تحززون على مودة وصدقة مليونين ونصف من التونسيين فقط بل تكسبون مودة أربعمئة مليون مسلم»².

بداية الحرب أظهر الحزب الدستوري القديم موقفاً متحفظاً وحذراً من الطرفين المتصارعين حتى تتضح الأمور ويتجلى الموقف إلى حدٍّ أنه رفض نشر مقال في صحيفة الإرادة الناطقة باسمه، فيه إنحيازٌ ظاهرٌ لفرنسا بعث به أحمد توفيق المدني³ عضو اللجنة التنفيذية، لأنّ الحزب اعتبر ما جاء في المقال خروجٌ على خط الحزب، كما رأى فيه خدمة مجانية لفرنسا المستعمرة لتونس لا مبرر لها⁴، كما حمل الدستور القديم السلطات الفرنسية قهواً وأعلن أنه يعتبر أنّ التهم الاستعماري الفرنسي في تونس هو الذي غدّى الأطماع الإيطالية في البلاد، وأحسن أسلوب لسدّ الطريق أمامها هو إنجاز إصلاحات تحسّن وضع البلاد العام، وتفتح أبواب التعاون مع التونسيين وتعاملهم معاملةً بشرية لائقةً وديموقراطية تجعلهم غير مبالين بالمطامح الإيطالية الراغبة في تونس والتي تقدم وعوداً لهم.

نظر الحزب إلى أنّ الهدف الرئيسي للصراع الدائر بين المحور والحلفاء هو مسألة الإستيلاء على المستعمرات وإعادة توزيعها لتجد كل دولة استعمارية ما تحتاج إليه من المواد الأولية ولتؤسّس فيما ينوبها من مستعمرات سوقاً لترويج مصنوعاتهما والتخلص من الفائض من إنتاجها الزراعي.

1 عبد الكريم عزيز، نظام شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 318.

2 محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 243.

3 أحمد توفيق المدني: أحمد توفيق المدني بن أحمد المدني، من مواليد نوفمبر 1899 بالعاصمة التونسية من أبوين جزائريين، كان والده من كبار علماء الجزائر وبفعل السياسة الاستعمارية الغاشمة، قررت عائلة المدني التوجه إلى تونس، انتقل إلى الزيتونة أين تأثر بأستاذه في التاريخ (حسن حسني عبد الوهاب)، الذي كان وراء توجيهه للدراسات التاريخية، وقد ظهرت هنا موهبته في الكتابة ما دفعه إلى تحرير عدة مقالات سياسية واجتماعية نشرها بجريدة "الفاروق" التونسية 1924 ومن هنا كانت انطلاقته نحو الكفاح السياسي وهو في سن لا يتجاوز الخامسة عشر من العمر، وفي ماي 1924 أسس الجمع العلمي التونسي الذي يهدف إلى إعادة الحياة العلمية لتونس، والرفع من مستوى العلمي والاجتماعي، وقرر تأسيس الرابطة العلمية في نفس السنة سعياً من المفكرين الجزائريين والتونسين لإيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري والعلمي بينهم، وشارك في مهرجانات مسرحية تجسد شخصيات تاريخية ونشر عدة مقالات في مجلات تونسية من أهمها "أفريقيا الفتاة" أيد فيها ثورة الريف في المغرب الأقصى، فكان هذا المقال كذريعة الحد من نضاله بتونس، فنفي إلى الجزائر في جويلية 1925، ومن هنا بدأت مرحلة كفاحه السياسي بالجزائر. أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات مع ركب الورة التحريرية، ج 3، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

4 محمد الحبيب شلي، موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء ثلاثة رسائل من الشيخ أمين الحسيبي إلى عبد العزيز الثعالبي، المجلة التاريخية المغربية، العدد 21-22، أبريل 1981، ص 133.

دَكَرَ الحزب الدُّستوري القديم السُّلطات الفرنسية على أنَّ مصلحة فرنسا الحقيقية لا تتطلب أكثر من الإشراف على سير الممالك المحمية بها وإرشادها للرفي المادي والأدبي وإعانتها على تكوين المراكز الحربية بريَّةً وبحريَّةً لدفع العدوان عنها ولحفظ الاتصال بينهما، ثم الحصول لإبناء الحماية على الاختصاص بالمنح والقيام بالمشاريع العمرانية التي تقصّر عن القيام بها الأمة المحمية بنفسها ويتطلبها الرفي وهذا يجب فيه حفظ حق الطرفين كي لا تؤوّل إلى الامتياز المضّرّ ببناء الوطن مثلما هو جارٍ الآن¹.

اعتبر الحزب الدُّستوري القديم أنَّ الصِّراع دائر بين محورين على تقسيم خيرات الأمم المأسورة رغم أنفها وإرادة التسلّط على أقطارها لا على ترجيح مبدأ لتحقيق راحة تلك الأمم والتنفيس عنها، كما يدّعيه الجانبان وعلى هذا المقياس فلا فائدة لنا نحن معاصر الشريكين في المفاضلة بين المحورين ومنزعهما واحد، ويؤيّد الشّيخ عبد العزيز الثعالبي هذا القول فهو يرى أنَّ المعسكرين المتصارعين على الهيمنة العالمية لا يضمنان مصالح البلاد التونسية ولا يحققان طموحها في الاستقلال، لذلك فهو يقترح على التونسيين والعرب والمسلمين ألاّ ينحازوا إلى أيّ طرفٍ من طرفي الصِّراع²، كما حمل الحزب الطرفين المتصارعين الفاشيين والليبراليين الديمقراطيين أسباب التوتر العالمي، وخاصّةً سياسة الاستقطاب التي شهدتها المنطقة، بداية الحرب العالمية الثانية، وهو ينذر بحدوث الكارثة ولا يرى الحزب كحلّ للامّة إلّا في حل قضية المستعمرات.

وقف الحزب الدُّستوري القديم موقفًا محايدًا من الصِّراع الدائر بين الحلفاء والمحور عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، لكنّ ذلك لم يكن موقفًا نهائيًا، بل كان موقفًا مؤقتًا تطوّر تدريجيًا مع تطوّرات الحرب فيما بعد³، حيث أعاد الحزب حساباته مع بروز أطماع إيطاليا الفاشية في تونس وغير من موقفه معتبرًا أنَّ الأنظمة الليبرالية هي الأقرب إلى التونسيين ولطالب الحركة الوطنية التونسية وعلى رأسها الدُّستوري القديم من الأنظمة الفاشية المعادية للديمقراطية والحريات الفردية والجماعية، والقائمة على حكم الفرد، وجاء في جريدة الإرادة: «من ناحية المبادئ العامة نحن نرى أنَّ فوز الدكتاتورية يزيد من موجة الطغيان الفردي الذي يلتهم اليوم الجزء الأكبر من أوروبا، ولن يزداد بذلك النظام الديمقراطي إلّا ضعفًا ومهانةً، والنظام الديمقراطي على ما فيه من مساوئ وعيوب يعدّ أفضل لحكم الشُّعوب بصفة عامة من نظام السُّلطة الفردية مهما كانت ظواهرها خلابة».

ندّد الدُّستوري القديم بتمرد فرانكو واستيلائه على السُّلطة في إسبانيا بدعم من هتلر وموسوليني، مبدئيًا أسفه لسقوط النظام الجمهوري وحكومة الجبهة الشَّعبية باعتبارها وليدة إنتخابات حرة⁴، كما رأى الحزب أنَّ الحل الوحيد لإنهاء هذا الصِّراع بين الحلفاء والمحور لا يكون سوى بإنهاء مشكلة المستعمرات وتمكين الشُّعوب من حقها في تقرير مصيرها، أمّا بالنسبة لفرنسا فيجب عليها تحسين علاقتها مع التونسيين وتوطيد أواصر الارتباط بهم خاصّةً إثر مناورات الإيطاليين وأطماعهم في البلاد⁵.

1 نور الدين الديقي، تنظيم الحكم في تونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1998، ص 182.

2 الصادق الزمرلي، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء والخيبة، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ص 52-54.

3 محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 242-243.

4 الإرادة، العدد 282، 15 ديسمبر 1938.

5 محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 243.

4.4 موقف الدستور الجديد من الصّراع بين الحلفاء والمحور:

أعلنت السلطة الاستعمارية بعد حوادث 09 أفريل 1938¹ حالة الحصار في تونس ولجأت إلى إلقاء القبض على قادة الحزب الدستوري الجديد، وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة الذي كان ملازمًا للفراس في ذلك التاريخ لأسبابٍ صحيّة، كما تم حل الحزب الدستوري الجديد وغلق محلاته، ونقل الحبيب بورقيبة وزملاءه إلى السّجن العسكري بتونس، ثم إلى سجن تيرسوق وأخيرًا نقلوا إلى سجن سان نيكولا بالقرب من مرسيليا، وقد شكّل ذلك ضربةً قويّةً للحزب الدستوري الجديد حيث تزعزعت أركانه، غير أنّ الأحداث اللاحقة أظهرت مدى تعاطف الشعب التونسي مع قيادته ومناضليه، وأعاد باقي مناضلي الحزب إعادة التنظيم بشكلٍ سرّي وقاد هذا التنظيم خلال هذه الفترة الباهي الأدغم صحبة صلاح الدين بوشوشة وجلولي فارس وعمر بن حميدة ومحمد بن عمارة، وحاول هذا التنظيم القيام بعمليات تخريب ضدّ مصالح السّلطة الاستعمارية²، لكن لم يدم الأمر طويلًا حتى تم اعتقال الباهي الأدغم ورفاقه في نوفمبر ونقلوا إلى سجن لامبيز بالعاصمة الجزائر ليتولى الدكتور الحبيب ثامر قيادة الحزب بعد عودته من فرنسا مدعّمًا بقرّيه الطيب سليم، وواصل الحزب تنظيم الخلايا السّرية وتقديم العرائض وقيادة المضاهرات والمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، لكنه تم إلقاء القبض عليهما سنة 1942 وهما يحاولان اجتياز الحدود التونسية الطرابلسية وحكم عليهما بعشرين شهرًا من الأشغال الشاقة³.

إستطاع الحبيب بورقيبة أن يوجّه رسالةً للدكتور الحبيب ثامر وكان آنذاك رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد بالنيابة وذلك في 10 أوت 1942⁴، وتبّه الحبيب بورقيبة في رسالته من خطورة الوقوف إلى جانب المحور داعيًا القوى الوطنية إلى مساندة الحلفاء وكتب: «إنّ ألمانيا لن تنتصر في الحرب ولا يمكن لها أن تنتصر، فبين العمالقن الروسي والأنغلوساكسوني الذين يحتلان البحار والذين يملكان إمكانيات صناعية لا حصر لها فإنّ ألمانيا سيقع سحقها، وإني أعطيكم الأمر لكم وللمناضلين للدخول في علاقة مع الفرنسيين المقربين من الجنرال ديغول لتنسيق عملنا السّري. يجب أن تكون مساندتنا غير مشروطة إنّها قضية حياة أو موتٍ بالنّسبة لتونس»⁵.

إذا كان موقف بورقيبة واضحًا في مساندته اللّا مشروطة لفرنسا ووقوفه إلى جانبها ضدّ دول المحور، فإنّه من الصّعب التعرّف على مواقف باقي قادة الحزب الدستوري الجديد حيث تميّزت مواقفهم بعدم الوضوح، أمّا الذين تعاطفوا مع ألمانيا فقد كانوا يعملون في سرية تامة، حيث سجّل نشاط لبعض القيادات الشابة في الحزب الذين تعاملوا مع لجان الهدنة الألمانية والإيطالية مثل الحبيب ثامر رئيس الديوان السّياسي الذي طالب بالتعاون مع المحور، وقد مثّل الحضور العسكري لجيوش المحور في تونس لبعض قادة الحزب تحقيقًا للأمر المنشود في تحرير تونس في ظلّ سياسة القمع الفرنسية، كما ركّزت قوات المحور على ربط علاقات مع قيادات الحزب الدستوري الجديد الشابة مثل: رشيد إدريس وحسين التريكي وفريد بورقيبة، هذا الأخير الذي أكّد في 21 مارس 1943 بمناسبة الاحتفال بعيد المولد

1 حوادث 09 أفريل 1938: هي مظاهرات جماهيرية شهدتها تونس وأطرها الحزب الدستوري الجديد وطالبت بمرلمان تونسي، بدأت عند خروج مظاهرتين الأولى من ساحة الحلفاوين بقيادة علي البهلوان و الثانية من رجة الغنم يقودها المنجي سليم، واجهتها سلطات الاستعمار بوحشية وأطلقت الرصاص على المحتجين ما أسفر على سقوط العشرات من القتلى. أنظر:

<https://www.mosaïquefm.net/ar>

2 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986، ص 567-568.

3 الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1959)، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 1976، ص 56.

4 الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سريرة زعيم، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1999، ص 5.

5 رؤوف بن رجب، السياسة الخارجية لدى الحبيب بورقيبة دبلوماسية البراغماتية والنظرة الإستشرافية الثوابت والمتغيرات، موقع انترنت:

<https://www.lediplomate.tn/%D8%A7%D>

الشريف الحرية التي يتمتع بها التونسيون بحضور المحور، كما ساهم بعض القادة في الحزب في خدمة الحضور العسكري للمحور فجريدة "إفريقيا الفتاة" الناطقة باسم الحزب الدستوري الجديد والتي أشرف عليها الحبيب ثامر كمدير سياسي قد أفرطت في نقل انتصارات قوات المحور، إضافة إلى ما قام به رشيد إدريس ومحمود المسعودي من دعاية للمحور عبر موجات راديو الوطن، وكان من نتائج هذا التعاون مع المحور طرد كل من الرشيد إدريس وحسين تريكي من عضوية الحزب في 28 فيفري 1943.

فيما يخص عموم الشعب التونسي، فقد أشار تقرير رسمي إلى ارتفاع نسبة التونسيين المعادين لفرنسا بداية 1943، وهو مؤشر يبين اختلاف رأي الجماهير التونسية مع توجهات الحزب الدستوري الجديد وقائده بورقيبة، وانتشرت على الجدران عدة كتابات منها (نجما هتلر، نجما ألمانيا، تسقط فرنسا)، كما شكّل دعم التونسيين للمادّي لقوات المحور دورًا كبيرًا في التمويل، وأقام أهالي مدينة قومبالية مآدب طعام على شرف الجنود الألمان حين حلّوا بالمنطقة في 15 نوفمبر 1942، كما تشير تقارير إلى ما أبداه سكان نفزاوة ودوز من رغبة في مساندة قوات المحور، إذ أشار تقرير (Gay) مسؤول كتيبة دوز في 10 أبريل 1943 إلى انخراط العديد من الأهالي المتعاطفين في وحدة المهاري الألمانية¹.

1 محمد زروقي، تأثير الانزال الانجلو أمريكي بالجزائر 6-9 نوفمبر 1942 على نشاط الحركة الوطنية إلى غاية 1945، المرجع السابق، ص 213-237.

الفصل الثاني:

شمال إفريقيا خلال الهدنة
الفرنسية الألمانية

جوان ١٩٤٠ - نوفمبر ١٩٤٢

1. انهيار فرنسا وتوقيع الهدنة:

يوم 07 أكتوبر 1939 وفي خطاب له أمام مجلس الشعب الألماني الرايخشتاغ أعلن هتلر أنه تكتم بالسلام على بريطانيا وفرنسا بعد اجتياحه لبولندا، لذلك بدأت فترة هدنة غير معلنة Sitzkrieg¹ دامت حتى شتاء 1939، لم تحاول فيها ألمانيا أو الدول الغربية شن أي هجوم، حيث بقي الألمان خلف خطهم الدفاعي زيجفريد² Siegfried وبقي الفرنسيون خلف خطهم الدفاعي ماجينو-**Majinot line**³ الذي كان من بنات أفكار وزير الحرب الفرنسي أندريه ماجينو⁴، وتم بناؤه بين عامي 1928 و 1938 على طول معظم الحدود الشرقية لفرنسا، وبلغت تكلفته ثلاثة مليارات فرنك في الثلاثينيات، أي حوالي 3.7 مليار دولار أمريكي سنة 2017، كان خط ماجينو مشروعًا ضخمًا يتألف من 100 كيلومتر من الأنفاق، و 12 مليون متر مكعب من الأعمال الترابية، و 1.5 مليون متر مكعب من الخرسانة، و 150 ألف طن من الفولاذ و 450 كيلومترًا من الطرق والسكك الحديدية، كان مجتمع التحصين النهائي يحتوي على 589 مبنى رئيسي فوق الأرض بالإضافة إلى حوالي 5000 منزل صغير منفصل، ربطت العديد من المباني الرئيسية الأنفاق الجوفية والثكنات ومرافق التخزين، كان خط ماجينو أعجوبة في الهندسة العسكرية في ذلك الوقت⁵، وكان من وجهة نظر القوات المسلحة تقدمًا عظيمًا بالقياس إلى الحصون القديمة، كما زوّد الخط بمناطق مكيّفة للهواء وكان يُشار إلى مرافق المغطية بأنها مريحة أكثر من أي مدينة عصرية⁶.

اتفق معظم قادة فرنسا العسكريين وزعماءها السياسيين على أنّ خط ماجينو كفيل بصد أي عدوان ألماني ضدها، وكان على رأس المدافعين على هذه النظرية المارشال بيتان، لكنّ الضابط الشاب شارل ديغول كان يرى أنّ التطوّر في صناعة الدبابات والطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل لم تعد تجدي معه التحصينات التقليدية مهما كان حجمها وعمقها⁷ لكن هل نجح الخط في حماية فرنسا؟، في ظاهر الأمر لا حيث، استغرق غزو فرنسا عام 1940 ستة وأربعين يومًا فقط، خلال عملية غزو بولندا كانت تقف على الحدود الغربية الممتدة من إكس لاشابيل إلى حدود سويسرا إثنان وأربعين فرقة ألمانية، وكانت هذه الحشود خالية من أي فرقة مدرعة، أمّا في الجهة المقابلة فقد كانت سبعين فرقة فرنسية قادرة على تغيير مجريات الحرب⁸، لو استغلّت الفرصة لكان في إمكانها عبور الراين

1 Sitzkrieg: أو: Phony: إصطلاح سياسي عسكري مشتق لغويا من زفير أو أخذ النفس، ويعرف ايضا بالحرب الزائفة ويعني حالة توقف مفاجئ لطرفين متصارعين دون اتفاق معلن لأخذ الأنفاس لجولة أخرى من الصراع لا يعرف فيها أي طرف نوايا الطرف الآخر في مواصلة الصراع من عدمه. أنظر:

<https://warfarehistorynetwork.com/article/sitzkrieg-on-the-western-front>

2 خط سيغفريد كان اسم خطي الدفاع المحصنين اللذين أقامتهما ألمانيا في أوائل القرن العشرين، وقد أقام الجنرالان الألمانيان بول فون هيندينبرغ وإيريك لديندورف خط سيغفريد الأول في شتاء 1916 - 1917، خلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918). كان الخط يمتد عبر شمال فرنسا وبلجيكا. حطمه الحلفاء الذين أطلقوا عليه خط هيندينبرغ عندما اقتربت الحرب من نهايتها، خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، شيد أدولف هتلر خط سيغفريد جديد على طول الحدود بين ألمانيا وفرنسا.

3 لويس ل. سنيدر، أدولف هتلر، ترجمة: طارق السيد خاطر، كتب عربية، ص 87.

4 أندريه ماجينو-André Maginot: (فيفري 1877 - جانفي 1932)، ولد بباريس وبدأ حياته العملية موظفًا مدنيًا، ثم انتخب عضواً في المجلس الوطني (مجلس النواب الفرنسي) وبعد ثلاث سنوات عين وكيلا لوزارة الحرب، تطوع للخدمة العسكرية كرفيق خلال الحرب العالمية الأولى، وأصيب إصابة بالغة في ساقيه وحصل على وسام ميدال العسكرية - Médaille Militaire وهو أعلى وسام عسكري في فرنسا، عاد الى العمل السياسي بعد الحرب العالمية الأولى، وتولى في فترات متقطعة وزارات مختلفة كوزير للمستعمرات ووزير للتقاعد ووزير للحرب، اطلق فكرة خط ماجينو كأداة فعالة لصد أي هجوم ألماني ودافع عن فكرته بشدة.

5 Ray A. Rothrock, **Digital Network Resilience: Surprising Lessons from the Maginot Line**, the Cyber Defense Review, Vol. 2, No. 3, (FALL 2017), Army Cyber Institute, pp. 33-40.

6 نجدة فتحي صفوة، هذا اليوم في التاريخ، ط1، دار الساقي 2016، ص 24-25.

7 Ray A. Rothrock, **Digital Network Resilience: Surprising Lessons from the Maginot Line**, op.cit, pp33- 40

8 ونسطن تشرشل، مذكرات تشرشل، ج3، مراجعة: محمد عطا، منشورات مكتبة المنار، بغداد، ص 77.

وتحديد منطقة الروهر الاستراتيجية، وهو ما أشار إليه الفريق كايتل رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة بقوله: «وكنا نحن العسكريين نتوقع هجوماً من فرنسا خلال حملتنا على بولندا، وكانت دهشتنا بالغة عندما لم يتحقق ما توقعناه».

جعل هذا الأمر الجميع يتساءل لماذا بقيت فرنسا ومعها بريطانيا جامدتين إلى أن إنتهى هتلر من غزو بولندا¹، قدم ونستون تشرشل جواباً على هذا السؤال في مذكراته قائلاً: «لقد تقررت نتيجة هذه المعركة منذ سنوات، فالفرصة كانت مواتية ومضمونة عام 1938 يوم كانت تشيكوسلوفاكيا موجودة، وقبلها عام 1933 كان في وسع عصبة الأمم أن تستصدر أمراً ترغم به ألمانيا على الرضوخ دون حاجة إلى إراقة قطرة دم واحدة»².

يمكن أن نضيف كذلك أسباب أخرى، فالروح الهزيمة التي سيطرت على القيادة الفرنسية العليا وحكومة فرنسا وشعبها وكذلك الذكريات المريرة عن الحرب الكونية الأولى عندما سالت دماء الفرنسيين بغزارة، مما خلق تصميمًا عند المسؤولين على عدم تكرار تلك المذابح إذا كان في الإمكان تجنبها، والسبب الثالث هو خوف الفرنسيين من قوة سلاح الجو الألماني، وبالفعل فقد أصّر الفرنسيون منذ البداية على أن يتمتع سلاح الجو البريطاني على مهاجمة الأهداف الألمانية مخافة أن يثار الألمان بالإغارة على المصانع الفرنسية³.

بتاريخ 10 جانفي أعلم هتلر قادة جيوشه الثلاثة غورنغ قائد سلاح الجو ورايدر قائد القوات البحرية وبروخيتش قائد القوات البرية بقراره القاضي بفتح الجبهة الغربية في 17 جانفي، لكنه يؤجل الهجوم في 13 جانفي نظراً لسوء الأحوال الجوية إلى 20 جانفي ثم يؤجله إلى الربيع، وفي 09 أبريل يبدأ الاجتياح الألماني للدنمارك والنرويج، وفور وصول نبأ الاعتداء الألماني على الدنمارك والنرويج طلبت بريطانيا وفرنسا من بلجيكا حق الدخول إلى أراضيها للتصدي للألمان، لكن بلجيكا ترفض الطلب، بعد هزيمة الحلفاء في النرويج عزل رئيس الوزراء تشامبرلاين داخل مجلس العموم وأجبر على الاستقالة، وفي فجر 10 ماي يفتح هتلر جحيمه على الجبهة الغربية، في وقت واحد أنزلت فرق مظلية ألمانية في هولندا للسيطرة على جسور روتردام ودوردوش وموردجيك، ونزلت فرق في بلجيكا للسيطرة على حصن إبن إميل (Eben-Email)، وتقدمت المجموعتان العسكريتان (A) و (B) داخل حدود اللكسمبورغ بلجيكا وهولندا.

صباح نفس اليوم تقتحم قوات طلائع الجيش السابع الفرنسي وقوة الغزو البريطانية حدود بلجيكا بقيادة الجنرال موريس غاملان⁵، كان الهجوم الألماني إلى الشمال باتجاه هولندا وشمال بلجيكا طعماً من أجل جر البريطانيين والفرنسيين إلى الشمال، وخلال خمسة أيام فقط احتل الألمان هولندا وأجبروا جيشها المكون من 400 ألف رجل على الاستسلام، بعد أن احتل المظليون الألمان المطارات والجسور والنقاط الإستراتيجية قرب روتردام ولاهاي بمساعدة طابور خامس من أعوان النازية في هولندا، وتلقوا تعزيزات جوية تمكنوا من

1 وليام شيرر، تاريخ ألمانيا النازية (نشأة وسقوط الرايخ الثالث)، ترجمة: خيري حماد، ط2، منشورات مكتبة المنفى، بغداد 1966، ص 27.

2 ونستون تشرشل، مذكرات تشرشل، المصدر السابق، ص 77.

3 وليام شيرر، تاريخ ألمانيا النازية (نشأة وسقوط الرايخ الثالث)، المرجع السابق، ص 28.

4 نشر الألمان المجموعة (B) المؤلفة من 29 فرقة ونصف وتحتوي على ثلاث فرق عسكرية مدرعة تحت إمرة الجنرال فون بوك، في المنطقة الممتدة من جنوب الحدود الهولندية إلى مدينة إكس لاشايل، أما المجموعة (A) و المؤلفة من 45 فرقة ونصف الفرق، منها سبعة فرق مدرعة وثلاث فرق آلية بقيادة فون راندشتدت في المنطقة الممتدة من إكس لاشايل حتى تريف، أما المجموعة (C) و المؤلفة من 19 فرقة بقيادة الجنرال فون ليففقد إنتشرت من تريف إلى غاية الحدود السويسرية. أنظر:

Ruth Henig, The Origins of the Second World War 1933-1941 Second edition, Methuen & Co. Ltd, New York, 1985, p 58-65.

5 نغمة من القادة العسكريين الفرنسيين، 2194 يوما من أيام الحرب العالمية الثانية، ج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1994، ص ص 49-50.

خلالها شل تحركات الجيش الهولندي، في وقتٍ شنت فيه القوات الألمانية هجوماً برياً مع قصف مكثف للطائرات التي ركزت قصفها على مدينة روتردام وقتلت 30 ألف مدني وهددت بالمزيد من القصف إذا استمرت المقاومة، لتستسلم القوات الهولندية مساء 14 ماي¹. سار كل شيء بالنسبة للألمان على حسب الخطة المرسومة بل كان أحسن مما اعتقدوا، أما بالنسبة للحلفاء فإنهم لم يستوعبوا ما حدث وأصبحت أذهانهم بالشلل والفوضى لتلك الانتصارات النازية، وصعق ونستون تشرشل الذي تولى رئاسة الوزارة في أول يوم من المعركة، وفي 14 ماي انطلق الهجوم الكاسح أو ما أصبح يطلق عليه في العقيدة العسكرية بالحرب الخاطفة ومع تحرك قوات الحلفاء إلى الشمال نحو المصيدة انطلق الهجوم الألماني الثاني، جيش من الدبابات الألمانية المدرعة يُطلق عليها **فرق البانزر** ينحدر بسرعة عبر غابات **الآردنيز** التي اعتقد البريطانيون والفرنسيون أنه من غير الممكن أن تتجاوزها القوات المدرعة الألمانية، لكن فرق البانزر سرعان ماتخطتها لتصل الريف المكشوف² وتحرق الجيشين الفرنسيين التاسع والثاني وتتجه بسرعة خاطفة وراء خطوط قوات الحلفاء في بلجيكا، كان زحفاً آلياً مربعاً مهّدت له أمواج متتابعة من قاصفات شتوكا أعجزت الفرنسيين عن الدفاع، ذهل الجنرال غاملان من سرعة الزحف الألماني، لقد انقطعت طرق المواصلات وتم الاستيلاء على الريف القائم وراء الجبهة ولم يكن باستطاعة الحلفاء المقاومة لعدم وجود احتياطي من القوات لدى الفرنسيين، وكتب تشرشل فيما بعد يصف شعوره حينذاك: «لقد صُغقت، أمرٌ لا يصدق أن لا يحتفظ جيشٌ جبار باحتياطي من الجنود حين يتعرض لهجوم»، ويضيف: «أقر أنّ هذا كان من أعظم المفاجآت التي تعرضت لها في حياتي»³. بعد أسبوعين فقط من استسلام هولندا، بلجيكا تعلن استسلامها للألمان، لقد دفع اندحار قوات الحلفاء إلى السّواحل حيث أصبحت في وضعٍ مكشوف تطوقها فرق البانزر الألمانية، وكاد جيش بريطاني بالكامل أن يقع في الأسر ولم تنج قوات الحلفاء من هذا الوضع إلاّ بقرارٍ من هتلر⁴، ليتمكن الحلفاء في 04 جوان من إجلاء أكثر من 300 ألف جندي عبر ميناء دانكرك الفرنسي المنفذ الوحيد الذي استغلّه سلاح البحرية البريطاني لإجلاء القوات المحاصرة، استطاعت القوات الألمانية أن تتجّاح الغرب بسرعة مذهلة، بفضل ما توافر للجهاز العسكري الألماني من مخططات محكمة، ومن قيادات ذات كفاءة عالية ومن قوات تمتلك درجة عالية من التدريب والروح المعنوية⁵، ويبدو من الوهلة الأولى أنّ هدف هتلر كان احتلال فرنسا نظراً لعداوته الشديدة لها وهذا ما أكّده في كتابه **كفاحي**⁶: «إنّ فرنسا هي عدوتنا الحقيقية في أوروبا»، ويقول في موضعٍ آخر: «إنّ تصفية حسابنا مع فرنسا خطوة ضرورية أولى لا بد لكل ألماني مخلص إقرارها»⁷.

1 جمال عبد الملك، السياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، دار الجبل، بيروت، 1988، ص85.

2 وثائقي معارك الحرب العالمية الثانية على النت:

3 Winston S. Churchill, **The Second World War (The Hinge Of Fate)**, Vol 4, Houghton Mifflin Company, New York, 1950, p152.

4 طهرت وثائق بعد إنتهاء الحرب هي عبارة عن يوميات صدرت عن مقر قيادة رونشتادت تشير أن الأوامر صدرت منتصف ليل الثالث والعشرون من ماي من مقر القيادة العامة تحمل توقيع براوخيتش. أنظر: **ملوكات تشرشل**، ص109.

5 بسام العسلي، **المذاهب العسكرية في العالم**، ط1، دار النفائس، بيروت 1993، ص224.

6 **كتاب كفاحي**: (Mein Kampf) يتألف الكتاب من جزئين، جزء سيرة ذاتية لهتلر و الجزء الثاني هي أطروحة نازية تشرح المكونات الرئيسية للنازية، بدأ هتلر كتابته في عام 1924 في سجن لاندسبرج بعد إدانته بالخيانة العظمى ومحاولة قلب نظام الجمهورية الألمانية في نوفمبر 1923، في سنة 1925 أصدرت دار النشر للحزب النازي (فرانز آهر) المجلد الأول، ونشر المجلد الثاني في الغام 1926، بعد تعيين هتلر كمستشار ألماني 1933 تم بيع أكثر من 850 ألف نسخة، أصبح الكتاب ممنوعاً من التداول بعد هزيمة ألمانيا 1945 ونقلت السلطات الأمريكية في وقت لاحق حقوق التأليف والنشر لحكومة ولاية بافاريا التي منعت إعادة إصدار الكتاب، في 01 جانفي 2016 إنتهت سيطرة حكومة بافاريا على حقوق تأليف ونشر "كفاحي".

7 أدولف هتلر، **كفاحي**، ترجمة: لويس الحاج، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، 1963، ص251.

أعلنت إيطاليا الفاشية في 10 جوان 1940 الحرب على فرنسا لكن دورها كان محدودًا، وعلق الرئيس الأمريكي روزفلت على ذلك بقوله: «في يوم العاشر من جوان 1940 قامت اليد التي كانت ممسكةً بالخنجر بطعنة في ظهر جيرانها»، أما رئيس الوزراء البريطاني تشرشل فقد وصف تصرف موسوليني بكلمة واحدة "عمل جبان"، وكان موسوليني قد أبلغ هتلر في رسالة بتاريخ 30 ماي أنه قرر دخول الحرب إلى جانب ألمانيا بتاريخ 05 جوان، لكن هتلر طلب منه تأجيل موعد دخوله الحرب ثلاثة أيام وعلّل ذلك بأنه يريد توجيه ضربة قاضية للقوة الجوية الفرنسية، ويبدو أن هتلر كان لا يريد لموسوليني أن يتقاسم معه نصره فأجل موسوليني دخول الحرب خمسة أيام، وبالرغم من زيارة تشرشل لباريس وإعطائه أوامر بتقديم مساعدات عسكرية مستعجلة لها¹، والدفاع المستميت للكولونيل ديغول على رأس الفرقة المدرعة الرابعة إلا أنّ الجيش الألماني الثامن عشر بقيادة (فون كوخلر - Georg von Küchler) استطاع دخول باريس وانتزع العلم الفرنسي من على برج إيفل ليثبت مكانه الصليب المعقوف².

بثت الإذاعات باللغة الألمانية بداية الاحتلال الألماني لباريس في 14 جوان 1940³ الأمر الذي أدى لجلاء الحكومة الفرنسية عن باريس والفرار إلى بوردو، ليستقبل إثر هذه الأحداث الرئيس الفرنسي رينو وحكومته يوم 16 جوان 1940، وتم استخلاف هذه الأخيرة بحكومة المارشال (بيتان - Henri Philippe Pétain)⁴ الموالية للنازيين⁵، وفي ظل تسارع الأحداث اضطرّ رئيس الوزراء الفرنسي بيتان يوم 17 جوان إلى طلب شروط إعلان الهدنة عن طريق السفير الإسباني حين توجه بخطاب عبر الإذاعة مخاطبًا فيه الفرنسيين جاء فيه: «...لقد توجهت هذه الليلة إلى الخصم لأطلب منه إذا كان مستعدًا للبحث معي عن سبل السلام وعن وسائل كفيلة بوضع حد لهذه الحرب....»⁶.

بعد أن نجح بيتان في إفشال مخطط نقل الحكومة الفرنسية إلى شمال إفريقيا ومواصلة الكفاح من هناك بواسطة مناوراته السياسية، ليتم توقيع الهدنة في غابة "كومبيان - Compiègne" أين كان الألمان قد وقعوا في 11 نوفمبر 1918 هدنة حربية مع الفرنسيين وتوجد في المكان صخرة كبيرة من الغرانيت محفور عليها الكلمات التالية: «في هذا المكان بتاريخ 11 نوفمبر 1918 استسلم زهو الإمبراطورية الألمانية الإجرامي.. حيث هزمها الشعب الحر الذي كانت تحاول أن تستعبده»، لذلك قرّر هتلر إهانة الفرنسيين في نفس المكان وطلب بإحضار نفس عربة السكة الحديدية التي وقعت بداخلها هدنة الحرب العالمية الأولى، ليتم توقيع الهدنة، وبحضور

1 وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ج6، ط2، دار نوبليس، بيروت 2005، ص37.

2 للصليب المعقوف تاريخ كبير فقد تم استخدامه منذ 5000 عام على الأقل قبل أن يصمم أدولف هتلر العلم النازي. وكلمة الصليب المعقوف swastika مشتقة من الكلمة السنسكريتية svastika، ومعناها "حظ سعيد" أو "صحة جيدة"، لقد كتب أدولف هتلر في كتابه كفاحي Mein Kampf ما يلي: "لقد قررت بنفسى بعد محاولات كثيرة، وضع شكل نهائي؛ وهو علم بخلفية حمراء وقرص أبيض وصليب معقوف أسود في الوسط. فبعد محاولات طويلة، وجدت أيضا نسبة محددة بين حجم العلم وحجم القرص الأبيض، وكذلك بين شكل وسمك الصليب المعقوف"، سيصبح الصليب المعقوف هو الرمز الذي لا ينسى للدعاية النازية؛ والذي يظهر على العلم الذي أشار إليه هتلر في Mein Kampf ويظهر كذلك على ملصقات الانتخابات وياقات الذراعين والميداليات والشارات الخاصة بالمؤسسات الحربية وغيرها.

3 نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، 2194 يوما من أيام الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص 49-50.

4 المارشال بيتان - Henri Philippe Pétain (1856 - 1951): شخصية عسكرية فرنسية، حقق انتصارات في الحرب العالمية الأولى ولقب ببطل فردان لأنه قاد المعركة الفاصلة التي حققت النصر لفرنسا، تولى بعدها قيادة الجيش ووزارة الحربية و رئاسة الوزارة ورئاسة الدولة، أُنْتُخِبَ سنة 1929 عضوا في الأكاديمية الفرنسية ليشغل المقعد الثامن عشر في مجمع الخالدين، وكان نفسه الذي أعلن سنة 1940 إستسلام فرنسا لألمانيا. أنظر:

Général Hering, La vie exemplaire de Philippe Pétain, Paris-Livres, Paris, 1956.

Philippe Collin, Le Fantôme de Philippe Pétain, France Inter/Flammarion, France, 2020.

5 وليام شيرر، تاريخ ألمانيا النازية (نشأة وسقوط الرايخ الثالث)، المرجع السابق، ص 126.

هتلر تلا قائد القيادة العليا للجيش الألماني ديباجة شروط الهدنة¹ بين ممثل ألمانيا الجنرال "كليتل-Klittel" وممثل فرنسا الجنرال "هنتزنجر-Huntzinger"²، توقع فرنسا الهدنة مع ألمانيا يوم 22 جوان 1940 وبعدها بيومين وقعت الهدنة الفرنسية الإيطالية بروما، ليفرض هتلر على فرنسا نفس المذلة التي تعرضت لها بلاده إثر استسلامها في الحرب العالمية الأولى³.

أذاع الماريشال بيتان في 25 جوان خطاباً جاء فيه: «أيها الفرنسيون في فرنسا وفيما وراء البحار، أخاطبكم اليوم لأوضح لكم الأسباب التي دعتنا إلى عقد اتفاقيتي الهدنة الأول مع ألمانيا منذ ثلاثة أيام والثانية أمس مع إيطاليا، إن الأمر الذي يجب التنويه به قبل كل شيء هو الوهم الخادع الذي بنت عليه فرنسا وحلفاؤها آمالهم بشأن قواتهم العسكرية الحقيقية وأثر السلاح الاقتصادي وحرية البحار والحصار والموارد التي كانوا يستطيعون الحصول عليها، فاليوم - كما في أمس - لا تُكسب الحرب بواسطة الذهب والمواد الأولية فقط، إن النصر يتوقف على القوات والمعدات وكيفية استخدامها وقد دلت الحوادث على أن ألمانيا كانت متفوقة في هذا الميدان في ماي سنة 1940 تفوقاً ساحقاً كنا لا نستطيع أن نواجهه عندما دارت رحى المعركة إلاّ بعبارات التشجيع والأمل»⁴.

إذا أردنا البحث في الأسباب التي أدت إلى هزيمة فرنسا بتلك السرعة فلا بد لنا أن نركز على مسألتين مهمتين، القوة العسكرية الفرنسية وسياستها الخارجية، وهذا ما أشار إليه دي جوفينيل بقوله: «لا يمكن أن تكون هناك سياسة جيدة مع جيش سيء»، وتحدث محافظ فرنسي بارز آخر بول رينود الذي سعى بقوة لدعم الجمهورية عندما أصبح رئيساً للوزراء خلال الازمة الكبرى لعام 1940 في مجلس النواب في يناير 1937 مناشدا السياسيين الفرنسيين أن «يمنحوا الأمة سياسة خارجية تتناسب مع جيشها - أو جيشاً يتناسب مع سياستها الخارجية»، فهل أخطأت فرنسا في تبني سياسة خارجية لا تتناسب مع حجم قوتها العسكرية؟.

مازال الانحيار في الغرب في عام 1940 بمثابة "هزيمة غربية"، مثلما جاء في الوصف الشهير لمؤرخ السوربون في العصور الوسطى، (مارك بلوخ- Marc Bloch): «لا يزال من الأسهل شرح سبب فوز الألمان على تفسير انهيار فرنسا»، كانت الحملة، انتصاراً لم يتوقعه سوى عدد قليل جداً في برلين أو باريس أو لندن، أو في واشنطن العاصمة⁵.

2. قيام حكومة فيشي في فرنسا:

لم يتناول التاريخ الأكاديمي الفرنسي نظام فيشي ولا شخصية الماريشال بيتان Philippe Pétain، بالبحث إلا بعد انقضاء خمسة وعشرين عاماً على نهايته، حيث نظم (رينيه ريمون Rene Raymon) بمعهد العلوم السياسية الندوة الأولى التي تطرقت إلى نظام بيتان، وتناولت موضوع: (حكومة فيشي والثورة الوطنية بين 1940-1944 - Le gouvernement de Vichy et la Révolution nationale entre 1940-1944)، وفي الثمانينيات حصل تطوّر مهم فقد خرجت المحفوظات عن هذه الفترة إلى الوجود مما أثار نقاشاً سياسياً وفكرياً واهتماماً كبيراً داخل المجتمع الفرنسي، وفي سنة 1992 أصبح موضوع فيشي شأنًا عاماً يخوض

1 من بين أهم مجاه في هذه الشروط: 1- تعهد فرنسا بعدم محاولة إستئناف الحرب. 2- وضع مراكز الأسلحة تحت السيطرة الألمانية و الإيطالية معاً. 3 - تسليم كل السلاح الموجود في الأراضي المحتلة. 4- تسريح الجنود وإلغاء التعبئة 5 - خلق شروط ضرورية لبناء سلام جديد الهدف منها التكفير عن الظلم الذي تعرض له الشعب الألماني.

2 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 64.

3 شارل ديغول: مذكرات الحرب، النفي (1940-1942)، ترجمة: عبد اللطيف شرارة، أحمد عويدات، ط3، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 1983، ص 128.

4 محمد الجوادي، يوم أعلنت فرنسا إستسلامها واشتعل اللوم علنا بين ديغول وبيتان، <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/12/6/%D9%8A%>

5 Raoul Aglion, **De gaule et Rosevelt**, 2em édition, la Bruyère, Paris, 1997, pp. 38-40.

فيه الجميع، ونتج عنه اضطراب داخل فرنسا فقد خرجت التظاهرات وكُتبت بيانات في الموضوع ولم يتم احتواء الموضوع إلا بعد تدخل السلطة، وأسفرت هذه الأجواء المتوترة سنة 1991 عن قضية (رينيه بوسكيه - René Bousquet)، ومحاكمة (بول توفيه - Paul Touvier) سنة 1994، (وموريس بابون - Maurice Papon) سنة 1998¹.

نتيجة لاتفاق الهدنة مع ألمانيا تم تقسيم فرنسا إلى قسمين، الأول وهو الأكبر ويتشكّل من الجزء الشمالي والغربي بما في ذلك العاصمة باريس خاضع للسيطرة الألمانية (المنطقة المحتلة) وتقع تحت إدارة عسكرية تسمى: Militärbefehlshaber frankreich² هي التي تمثل السلطة التنفيذية وتضمن مراقبة الإدارة الفرنسية في المنطقة المحتلة، والاستغلال الاقتصادي للبلاد وهي المسؤولة عن الحفاظ على النظام العام والأمن³، أما القسم الثاني فيتشكّل من المنطقة الجنوبية "المنطقة غير المحتلة" إضافةً إلى جميع المستعمرات الفرنسية تحت سيطرة حكومة بيتان، وفي 02 جويلية حكومة بيتان تغادر بوردو لتستقر في فيشي⁴، وفي نفس اليوم يتم تعيين بيير لافال رئيسًا للحكومة⁵. سارعت بريطانيا في اليوم التالي 03 جويلية إلى السيطرة على أسطول السفن الحربية الفرنسية الراسية في مرفئ بلايموث وبورتسموث وسوثامبتون، وقامت القطع البحرية البريطانية بقيادة الأميرال سومرفيل بقصف القطع الفرنسية التي لجأت إلى مرفأ المرسى الكبير بوهران بعد توقيع الهدنة و أطلق على العملية إسم (عملية كاتابولت - Catapult)⁶.

ركز الهجوم البريطاني الذي بدأ مساءً على السفن التي كانت راسيةً في الميناء ملحقًا بها أضرار كبيرة وكانت الحصيلة لهذا الهجوم تقدر بـ 1000 قتيل و 150 جريح وكان ذلك بسبب تخوف بريطانيا من استغلال الألمان للأسطول الفرنسي في توجيه ضربة قاضية لها، بينما استطاعت قطع فرنسية تجنب القصف والعودة إلى ميناء تولون الفرنسي، وخلفت عملية كاتابولت استياء واستهجانًا شديدين من قبل الفرنسيين حتى أولئك الموجودين في بريطانيا، وصرّح نوجيس قائلاً: «إنّي مشمئز من الأنجليز، لأنّي ساندتهم في حربهم إلى أقصى حد... الألمان أنفسهم لم يكونوا ليقدموا على هذا النوع من الخيانة»، كما انتشرت في مدينة وهران مشاعر الكراهية والحقد

1 تمت محاكمة موريس بابون تحت ضغط اللوبي اليهودي في فرنسا بوصفه مسؤولاً مباشراً عن تسهيل تسفير اليهود إلى ألمانيا في عهد حكومة فيشي، في 2 أبريل 1998، بعد أربعة وتسعين يوماً من جلسات الاستماع، واثنى عشرة ساعة من توجيه الاتهام، وستين ساعة من المرافعات، وتسع عشرة ساعة من المداولات، أصدرت محكمة الجنائيات في بوردو حكماً بإدانة موريس بابون بالتواطؤ في جرائم ضد الإنسانية لدوره في اعتقال 1600 يهودي عندما كان أميناً عاماً لمحافظة جيروندي بين عامي 1942 و 1944، وحكم على موريس بابون بالسجن لمدة عشر سنوات وحرمانه من حقوقه المدنية وهو في سن 87 عاماً. أنظر:

https://www.lemonde.fr/idees/article/2007/08/16/retrocontroverses-1998-fallait-il-juger-maurice-papon_944972_3232.html

2 Gaël Eismann, **Le Militärbefehlshaber in Frankreich et la genèse de la « solution finale » en France (1941-1942)**, Vingtième Siècle. Revue d'histoire 2016/4, N° 132, pages 43 à 59.

3 Alya Aglan-Robert Frank, **L'occupation Allemande en Europe Régimes et Répression 1937-1947**, Galimard (folio), Paris 2015, p1725.

4 نسبة إلى مدينة فيشي الفرنسية التي تقع في إقليم آلي وسط فرنسا، والتي كانت عاصمة الدولة الفرنسية خلال فترة الهدنة بين فرنسا و ألمانيا.

5 Natalya Vince, **The Algerian War, The Algerian Revolution**, Springer Nature, Switzerland AG 2020, p40.

6 عند توقيع الهدنة كان الأسطول الفرنسي مشتتاً بين موانئ طولون و بريطانيا و داکار و الاسكندرية، أما ميناء المرسى الكبير فقد كان يحوي الجزء الأهم من الأسطول الفرنسي والتي كان يجري الإستعداد لتعطيلها حسب اتفاق الهدنة مع الألمان و الإيطاليين، كما طلبت القيادة الألمانية من السلطات الفرنسية إستعادة كل السفن الحربية الفرنسية الموجودة في بريطانيا، الأمر الذي رفضته بريطانيا واسنولت على جميع القطع البحرية الفرنسية وضمها إلى أسطولها، وبدأت في تنفيذ عملية Catapult التي تهدف إلى السيطرة على الأسطول الفرنسي بأكمله أو تدمير الجزء الذي كان خارج سيطرتها. أنظر: Alya Aglan-Robert Frank, **L'occupation Allemande en Europe Régimes et Répression 1937-1947**.

لكلّ ماهو بريطاني في أوساط البحارة والعساكر وحتى المدنيين جرّاء ماخلفته من ضحايا إثر القصف الذي طال المدينة¹، بينما قطعت فرنسا الفيشية علاقتها الدبلوماسية مع بريطانيا²، يوم 10 جويلية إجتمع البرلمانيون في فيشي وتمت الموافقة على إعطاء بيتان كامل الصلاحيات الدستورية وبأغلبية ساحقة حيث تلقى تأييد 569 صوتاً ومعارضة 80 صوتاً بينما امتنع 20 صوتاً، ومنذ 12 جويلية أعلن نفسه رئيساً للدولة³.

أحدث الاحتلال الألماني للأراضي الفرنسية انشقاقات داخل الأحزاب السياسية، وفي الأوساط الاجتماعية والنقابية، وداخل فرنسا نفسها التي كانت مختزقة بما عرف بـ "الخط الفاصل أو الحدودي"⁴، الذي قال عنه الجنرال الألماني فون ستولبناغل - Von Stulpnagel: «إنه كماشة (أو لجام) في فم الحصان، إذا ثارت فرنسا فسندد عليه، وسنخفف من شدته كلما كانت فرنسا طائعة»⁵.

أصبحت فرنسا مسرحاً للصراع بين بيتان والجنرال ديغول، هذا الأخير الذي توجه إلى لندن في 17 جوان صحبة الجنرال سبيرس - Spears والملازم الأول كورسال - Courcel، واعتبر توقيع الهدنة بمثابة تحطيم لعظمة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، ووجه نداءه المشهور في 18 جوان 1940 للفرنسيين من أجل المقاومة على أمواج إذاعة (BBC) البريطانية⁶، ثم بدأ ديغول الاتصال بالقيادات السياسية والعسكرية لتشكيل نواة المقاومة، لكنّ طلبه قبول بالرفض ليعاود الاتصال بقيادات فرنسية أخرى بتاريخ 24 جوان 1940، طالباً منهم هذه المرة المشاركة في تأسيس لجنة وطنية فرنسية، غير أنّ أهم اتصال والذي أسس عملياً لحركة المقاومة التي قادها ديغول هو الاتصال الذي أجراه مع رئيس الحكومة البريطانية ونستون تشرشل عندما أبرق إليه في 26 جوان 1940 يعلمه بنيته ومن معه في تشكيل لجنة فرنسية للمقاومة يكون مقرها الأراضي البريطانية⁷.

استمرت حكومة فيشي للسنوات الأربع اللاحقة دون تغيير الدستور، وكانت سياساتها تعمل في تناغم مع أحوال ومستجدات الحرب، وفي 13 ديسمبر من سنة 1940 سقط لافال من السلطة إثر مؤامرة حيكت ضده، وخلفه في منصب رئيس الوزراء (بيير إيتيان فلاندين - Pierre-Étienne Flandin) وبعده الأدميرال (فرانسوا درلان - François Darlan)، وتميزت حينها فترة حكومة فيشي بالانتظار والترقب في تعاملاتها مع الألمان، وأصبحت فرنسا فيشي حينها ولو ظاهرياً دولة نقابية⁸.

غيرت حكومة فيشي شعار الجمهورية الفرنسية والذي هو نفسه شعار الثورة الفرنسية «حرية. مساواة. إخاء» بشعار جديد: «العمل. الأسرة. الوطن»، وأصدرت ميثاق العمل وأطلقت ما سميت بـ (الثورة الوطنية) كإيديولوجية رسمية للنظام الفيشي، وكانت هذه

1 Christine, Levisse-Touzé, **L'afrique du Nord dans La Guerre 1939- 1945**, Edition Albin Michel, S.A, Paris, 1998, p127.

2 عزيز الدين زابدي، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال افريقيا، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2014/ 2015، ص184.

3 Serge Berstein, **Le Front Populaire a-t-il Voté Les Pleins Pouvoir à Pétain**, Lhistoire, N197, Mars 1960, p.86.

4 Reinhard Marcel, **Histoire de France de 1715 à 1946, ouvrage collectif, Larousse éditions**, Paris, 1954, p 477.

5 الموسوعة العربية العالمية: [http:// www.mawsoah.net/gae/theme 4/rights-logo.gif](http://www.mawsoah.net/gae/theme 4/rights-logo.gif)

6 هذا النداء و النداءات التي تلتها والتي كان يلقيها على إذاعة (BBC) البريطانية مسجلة في كتابه:

Charles De gaulle. **Discours et message 1940- 1946**, ed. Plon, Paris, 1970, p.3.5.

7 شارل ديغول، مذكرات الحرب، النفي 1940 - 1942، المصدر السابق، ص 122-123.

8 Henry Rouso, **The Vichy Syndrome: History and Memory in France since 1944**, Translator: Arthur Goldhammer, Harvard University Press, USA, 1984, p 142.

النظرية تتقدم المصالح الذاتية أكثر منه المصالح العليا للبلد على عكس ما روج بيتان في حينها، كما أورد المؤرخ الأمريكي روبرت باكستون - Robert O Paxton الذي أظهر كيف تعاون بيتان ورفاقه بشكل وثيق مع المحتلين، واستغلوا كارثة الهزيمة لفرض رؤيتهم المحافظة المتشددة لمفهوم "الثورة الوطنية" على فرنسا، لكن من جهة أخرى جادل فيه بأن التعاون الفرنسي مع ألمانيا كان برنامجاً تطوعياً نيابةً عن حكومة الدولة الفرنسية وأنه لم يتم فرضه من قبل الألمان¹.

3. الجزائر تحت حكم فيشي:

انطلاقاً من معطيات تاريخية وشهادات ومقاربات يتبين أنّ للجزائر مكانة خاصة لدى الفرنسيين سواء البيتانيين أو الديغوليين، ولا يمكن في أيّ حال من الأحوال التخلّي عنها، لذلك كانت الجزائر عاصمة فرنسا الفعلية والعملية أثناء فترة الهدنة وهو ما يقر به (لوسيان أداس - l. Adas) عندما ذكر في كتابه **المغامرة الجزائرية - L'Aventure algérienne** بأن الجزائر العاصمة كانت العاصمة الحقيقية لكل إفريقيا الشمالية وأنها المدينة الثالثة بعد باريس ومرسيليا، ويذهب المؤلف أكثر من ذلك عندما يؤكد بكل جرأة ووضوح أن الجزائر كانت هي فرنسا²، كما يرى (ايف ماكسيم دانان - Yves-Maxime Danan) في كتابه "الحياة السياسية في الجزائر (1940-1944)" أن الجزائر كانت عاصمة فرنسا الفيشية بحكم موقعها الاستراتيجي وكذلك أهميتها كنقطة تاريخية للتغلغل الفرنسي شمال الصحراء، إضافة إلى أنها كانت مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في شمال إفريقيا³.

أدهش انخيار فرنسا السريع أمام الجيوش الألمانية غالبية الجزائريين، ويكون ذلك قد أفلقهم أكثر مما أفرحهم والواقع أنه كان مفاجأة كبرى بالنسبة للجزائريين، لأنّ ذلك لم يكن يتناسب مع العظمة والجبروت اللذين أظهرتهما فرنسا مع الجزائريين طيلة المدة التي قضتها في الجزائر، لكن ذلك لم يفصح عن مظاهر فرح أو حزن لدى الجزائريين حتى وإن كان الموقف مدهشاً بالنسبة لهم، لأنّ الجزائري كانت له اهتمامات أخرى مثل التفكير في صحة حيواناته، أو كيف سيكون محصوله الزراعي لهذه السنة لأنه ببساطة كان ينتظر عواقب هذه الهزيمة، وغالباً ماتساءل الجزائريون هل سيحل مستعمر جديد على أرضه؟ أم ستمكن فرنسا مرة أخرى من تجاوز ضعفها وانكسارها ومواصلة احتلالها للجزائر؟⁴.

ارتبط هذا التخوف أساساً بعودة الآلاف من الجزائريين من فرنسا خاصةً مساجين الحرب⁵، والمجندين بعد تسريحهم من الجيش وعمال المصانع، خاصةً في الأسابيع التي تلت الهدنة وكانت عودة أغلب هؤلاء دون المرور بالقنوات الرسمية للتبليغ عن عودتهم، ما خلق مشكلاً في قضية إدماج هؤلاء المسرحين، فالإطارات والفائض من المتطوعين كان لهم الاختيار بين مجموعة من الحلول فإما مغادرة

1 Robert O. Paxton, **Vichy France: Old Guard and New Order 1940-1944**, Columbia University Press, New York, 1976, p165.

2 Lucien Adés, **L'aventure Algérienne 1940-1944, Pétain - général De Gaulle**, Ed Belfond, Paris, 1997, pp 25-27.

3 Yves Maxime Danan, **La vie Politique à Alger De 1940 à 1944**, librairie generale de droit et de jurisprudence, paris 1963, p10

4 A.W. O, B 4476, GGA/Sécu.Gle, N°5005.G3, Alger le 06/03/1941.

5 عقدت ندوة في الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 02 إلى 05 جانفي 1941 حول مساجين الحرب الشمال افريقيين، والتي نظمتها المحافظة العامة للجزائر، قدم من خلالها "إيف شاتل - Chatal Yves" الحاكم العام للجزائر حصيلة لعدد المساجين الجزائريين المنششرين في المعتقلات في المنطقة المحتلة والتي أطلق عليها اسم "فرونستالاغ- Front Stalags" بـ 60000 معتقل جزائري، وتشير التقارير أن وضع المساجين في المنطقة المحتلة التي تشرف عليها ألمانيا كان أفضل مما كان عليه المساجين في معسكرات فيشي. أنظر: Yves Maxime Danan, **La vie Politique à Alger De 1940 à 1944**.

الجيش أو الالتحاق بمهينة مدنية، أو التطوع في الحرس الجمهوري المتنقل مع تخفيض الرتبة أو الالتحاق بالجيش الذي كان في طور التشكل بداية من نوفمبر 1940 في المشرق¹.

مثل الجنود المسرحين المصدر الحي الذي نقل أخبار هزيمة فرنسا بالتفصيل باعتبارهم شهود عيان، أما فيما يخص العمال فمثلوا القوة العاملة الجزائرية التي نُقلت إلى فرنسا بعد حملات التعبئة والتجنيد، وبحكم احتكاكهم المباشر مع الألمان وقفوا على واقع فرنسا وهي خاضعة للاحتلال الألماني، وفي المقابل ترجّح المصادر أن يكون الألمان قد تعاملوا مع الجزائريين معاملةً حسنة ليقوموا بدور دعائي لصالح الألمان في الجزائر خاصة وشمال افريقيا عامة.

تشير تقارير أجهزة الأمن التابعة للإدارة الاستعمارية وتقارير الحكام الإداريين، بأن ذهنية الجزائريين أصبحت صعبة منذ جويلية 1940، حيث انكسر جدار الخوف لديهم وزادت نسبة تجرّهم على السلطات الفرنسية، وبدأوا يظهر عداوة إزاءهم بألمانيا واحتقارهم للمعتمدين وفرنسا وظهر على بعضهم نوع من التمرد على السلطات الاستعمارية، كما أصبح الجزائريون يعلقون نوعاً من الآمال على ألمانيا لتخليصهم من الاستعمار الفرنسي، ولا شك أنّ الدعاية النازية بالإضافة إلى دعاية اليد العاملة الجزائرية التي عادت إلى أرض الوطن ودعاية الجنود المسرحين قد عملت على ترسيخ هذه الفكرة²، إلا أنّ الحقيقة التي كانت تتجاهلها تلك التقارير دائماً هي سياسة القمع والاحتقار الفرنسية لإبناء المستعمرات والظروف القاسية التي مرّوا بها خلال فترة الحرب وبعدهم عن أهلهم وعائلاتهم مدة طويلة³.

حاولت سلطات فيشي متابعة هؤلاء المساجين العائدين لمعرفة مدى تأثير الدعاية الألمانية عليهم، وأعطت تعليمات لإداري السلطة الاستعمارية باستقبال مباشر لأيّ سجين عند وصوله وتزويده ببعض المواد الضرورية كالسמיד وبعض الملابس وتوفير عمل للبعض، وبالرغم من هذه اليقظة إلا أنّ تقارير الأعوان الإداريين للبلديات المرسلة إلى حاكم عمالة وهران تشير إلى أسماء مساجين وجنود عملوا على نشر الدعاية الألمانية⁴.

اهتمت المصالح الإدارية والأمنية الاستعمارية خلال حكم فيشي بشؤون المسلمين الجزائريين، كانت القيادة الفرنسية تتلقى تقارير عن الوضع العام في الجزائر من مختلف مصالحها المتمركزة في الجزائر وتونس، وإعداد نشرات يومية وأسبوعية وشهرية ترصد من خلالها كل صغيرة وكبيرة، وكانت تلك التقارير مع مطلع 1941 تنقسم بصفتين أساسيتين هما:

- أولاً: التقارير الواردة من المكتب الثاني لهيئة الأركان الحربية التابعة التاسعة عشر بالجزائر والإقامة العامة الفرنسية في تونس، وكانت كلها متفائلة من الوضع في الجزائر.

- ثانياً: تقارير مركز إعلام الدراسات التابع للحكومة العامة في الجزائر وقسنطينة، والمكتب الثاني لهيئة الأركان بتونس ومصالح الشؤون العسكرية والإسلامية وتقارير مختلف المخبرين كانت كلّها متشائمة⁵، ووصفت نفس التقارير الوضع السياسي والاقتصادي بعمالة

1 Raffael Schec, **Nazi Propaganda Toward French Muslim Prisoners of War**, Holocaust and Genocide Studies 26, N°3, Winter 2012, P744.

2 مصطفى أو عامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 71-72.

3 Robert Aron, **Les Origine de la Guerre d algérie**, ed: Fayard, Paris, 1962, p79.

4 DIR (Aff.Musulmaines-Avril 1942). A.W.O. cart. 4476.G.G.A.

5 يوسف مناصرة، "وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية"، المصادر، العدد 08، السداسي الأول 2003، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، ص 05-12.

قسنطينة بالقلق بفعل صعوبات التموين¹، وعدم اهتمام السكان المسلمين بتداعيات الحرب، وعدم تأثير استقالة الحاكم العام "بيروتون" على الشارع القسنطيني، ولا حتى تعيين المندوبين المسلمين داخل المجلس الوطني الفرنسي².

أثار حدث تمرد فرقة القناصة في ثكنة الحراش، والتي تصدّى لها الجيش الاستعماري بكل وحشية، تخوف القيادة العسكرية من تأثيراتها وانعكاساتها على الأوساط الشعبية، التي بدأ يظهر عليها تأثير دعاية المحور من جهة ونشاط حزب الشعب البترى مما أدى بأن تصنفها التقارير الاستعمارية بأنها حركات نامية في بلدان شمال إفريقيا انتقل تأثيرها إلى عقول الفرق العسكرية الأهلية.

أدت هذه الاحداث بالقيادة العسكرية الاستعمارية إلى تكوين لجنة تحقيق في الوضع العام في الجزائر وتونس³، وقامت هذه اللجنة بإنجاز عملها في الجزائر من (26 فيفري إلى 04 مارس ثم من 06 إلى 10 مارس 1941)، وفي تونس من (04 إلى 06 مارس 1941) وقام أعضاء البعثة بإجراء عدة اتصالات مع السلطات العسكرية والمدنية ومختلف الشخصيات المطلعة على الوضع في البلدين، وبعد جمعها للمعلومات اللازمة قامت بدراسة المسائل التي تدخل ضمن أهدافها خاصة الوضع في الجزائر وقدمت تقريراً بذلك إلى السلطات العسكرية الاستعمارية بتاريخ 14 مارس 1941 وجاء في تقرير هذه اللجنة أنّ الوضع في الجزائر سيء للغاية وينذر بمخاطر حقيقية من المحتمل أن تشتد في أي وقت، وتكمن هذه المخاطر في سخط السكان المسلمين على الاستعمار الفرنسي والذي بلغ درجة عالية في أوساط مختلف الطبقات الشعبية بسبب قناعة الجزائريين بعدم جدوى السياسة الاستعمارية التي لم تقدم شيئاً إيجابياً رغم (الولاء) الذي أظهره الجزائريون بداية الحرب العالمية.

استخلصت البعثة أنّ الوعود الفرنسية بتلبية مطالب الجزائريين ظلت حبراً على ورق ولا توجد أيّ إصلاحات إيجابية الأمر الذي جعل طابع الرفض والعصيان أصبح الشعور العام المسيطر على الأهالي، ولاحظت البعثة أنّ عدم تلبية مطالب الأهالي أدّى إلى إذكاء نشاط الأحزاب الوطنية التي عملت على إقناع الأهالي بمطالب جديدة، لذلك اقترحت اللجنة بالإسراع في تطبيق إصلاحات مماثلة لإصلاحات فيفري 1919 كمكافأة على الولاء والإخلاص الذي أظهره الأهالي والاعتراف بتضحية الفرق الجزائرية في ميادين الحرب الفرنسية، كما لاحظت اللجنة أنّ تطوّر كل من فرحات عباس وبن جلول في صفوف الجيش الفرنسي، وانضمام القائد الشبيوعي بن علي بوقرط إلى الإدارة الفرنسية لا يعدّ ولائاً بقدر ما يعدّ سياسة ليّ اليد أو الذراع مسبقاً للحصول على التعويضات والامتيازات السياسية خاصة بعد انتهاء الحرب.

1 حسب الجزائريين الذين عايشوا تلك الفترة فإن المواد الغذائية كانت مفقودة، و الأهالي كانوا يأكلون الأعشاب ويشربون من الآبار العفنة، وهذا ما أدى إلى إنتشار الأمراض خاصة مرض التيفوس-Typhus حيث سجلت 5701 حالة مرض في شهر مارس لدى الاهالي و405 حالة مرض لدى الأوروبيين. أنظر: يوسف مناصرة، "وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية".

2 ANOM, GGA, 5cab/66, CIE N° 220 du 02 avril 1941, activités indigène dans le département de Constantine durant le mois de mars 1941. (Rapport de15p).

3 وحددت مهام هذه البعثة فيما يلي: الاتصال بهيئة أركان الناحية التاسعة عشر(الجزائر) والقيادة العليا للفرق العسكرية بتونس من أجل شرح مهام مصالح الشؤون الإسلامية التابعة لهيئة الأركان الحربية، وتحديد علاقتها المستقبلية مع مختلف مكاتب هيئات الأركان وجمع الوثائق الضرورية لتنشيط وتشغيل تلك المصالح المذكورة مستقبلاً والقيام بدراسة ميدانية للعديد من المسائل التي تعتبر من صلاحيات مكاتب الشؤون الإسلامية ومنها: -مراقبة الوضع الروحي والعسكري للأهالي -تنظيم هيئة الشؤون العسكرية و الإسلامية وتقديم نظام أساسي لصالح ضبط هذه الهيئة -ضبط قانون وظروف العمل الحالية لضباط المصالح الخاصة بالجزائر وتونس إضافة الى التحقيق في الحالة الراهنة في تونس والجزائر، وتأثير حادثة التمرد في ثكنة الحراش، ونشاط مختلف الحركات السياسية ومدى تأثيرها على الأهالي أنظر: ANOM, GGA, 5cab/66, CIE N° 220 du 02 avril 1941, activités indigén dans le département de Constantine durant le mois de mars 1941. (Rapport de15p)

يؤكد نفس التقرير على أنّ الجزائريين ينظرون على أن ما سيحصلون عليه من إصلاحات أو تعويضات هو حقهم المشروع نتيجة تضحياتهم وكفاحهم وليس منحة من فرنسا، كما أشار إلى الشعور بالسخط على موقف الحاكم العام، في تمثيل الجزائريين في اللجنة التي خلفت النيابة المالية في ديسمبر 1940، وتحديد عدد الممثلين الجزائريين في اللجان الولائية والبلدية، وعدم تعيين ممثلين لهم في المجلس الوطني الذي أنشئ بباريس (Metropole) في شهر جانفي 1941، اعتبرت جميعها في نظر الجزائريين والمعمرين معًا مؤامرة يحرك خيوطها حاكم الجزائر العام¹.

1.3. النشاط الوطني في الجزائر خلال الهدنة الفرنسية الألمانية:

1.1.3. حزب الشعب الجزائري والنشاط السري:

ساد اعتقاد لدى بعض الفرنسيين بإمكانية مواصلة المقاومة انطلاقاً من شمال إفريقيا ضدّ النازية تحت لواء حكومة ظل مقرها الجزائر بقيادة الحاكم العام لوبو - Lepeaux وبالتنسيق مع دكار وبراغافيل وبيروت، خصوصاً بعد قيام الحاكم العام لوبو بتوجيه خطاب للجزائريين في 20 جوان 1940 جاء فيه: «...أكدتُ بسمكم لرئيس الحكومة الإخلاص التام للجزائر الجزء المكمل لفرنسا وإرادتها في مواصلة بذل كل الجهود للدفاع عن الوطن...»²، ولأنّ عدد القوات الفرنسية في شمال إفريقيا بلغ 400 ألف عسكري في جوان 1940 وهو عدد يمكن الاعتماد عليه لمواصلة المقاومة ضد ألمانيا، لكنّ الواقع كان غير ذلك فبعد توقيع الهدنة الفرنسية الألمانية تم تنصيب لجان الهدنة الألمانو-إيطالية³ وقام بيتان بإرسال الأميرال أبريال - Abrial ليحل مكان لوبو كحاكم عام على الجزائر⁴.

حاول أبريال ربط اتصالات مع زعماء الحركة الوطنية بهدف كسب تأييدها لحكومة فيشي، وكلف الضابط الفرنسي النقيب شوان - Shoen بهذه المهمة فباشر اتصالاته بمصالي الحاج في سجنه بالجزائر وفعلاً لقد تم اللقاء في 21 جوان 1940، ثم تكرر لقاء آخر بوساطة مفدي زكرياء في 23 نوفمبر 1940، وفي شهر ديسمبر من نفس السنة اتصل به محاميه علي بومنجل في محاولة لنقل اقتراحات شوان الذي طرح على مصالي فكرة التعاون على قدم المساواة بين الفرنسيين والمسلمين، شريطة تخليه عن المطالبة بالاقتراع العام والبرلمان الجزائري، لكن مصالي دافع عن قناعاته وأجاب بومنجل قائلاً: «أخبر شوان بأنّ رأيي سأعلن عنه أمام المحكمة العسكرية»⁵. تم تقديم مصالي الحاج أمام المحكمة العسكرية في 17 مارس 1941، وبعد مداوالات شكلية أصدرت المحكمة حكماً بسجنه لمدة 16 سنة مع الأشغال الشاقة بسجن لامبيز - Prison de Lambèse، ومنعه من الإقامة مدة 20 سنة، هذا رغم خطابه السياسي الذي وصف بالمرن تجاه الإدارة الاستعمارية، وذلك بدعوى قيام مصالي الحاج بمظاهرات ضدّ السيادة الفرنسية والتامر عليها وإخلاله بأمن الدولة، وتم سجنه داخل سجن لامبيز⁶، وشملت الأحكام القضائية العديد من أعضاء الحزب الآخرين في مختلف أنحاء البلاد، نذكر من بينهم بالقطاع الوهراني: محمد مشاوي وبومدين معروف بـ 15 سنة سجنًا مع الأشغال الشاقة، أما عبد القادر تركي فحكم عليه بـ 05 سنوات سجن مع الأشغال الشاقة بالإضافة إلى 27 مناضل آخر صدرت ضدّهم أحكام تتعلق بحظر الإقامة والحرمان

1 يوسف مناصرة، "وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية"، المرجع السابق، ص 05-12.

2 Echo d'oran, 29 juin 1940.

3 للاطلاع على التعليمات حول صلاحيات وفود ولجان المراقبة الإيطالية والألمانية في شمال إفريقيا، والعلاقات التي يجب الحفاظ عليها معهم، وأفراد الشرطة والدرك المرخص لهم من قبل اللجان (1941-1942). أنظر: <https://recherche-anom.culture.gouv.fr/ark:/61561/zf476poriv>

4 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص 176.

5 Robert Aron, *The Vichy Regime 1940-1944*, op.cit, p79.

6 Benjamin Stora, *Messali Hadj (1898-1974)*, éd: Le Sycomore, Paris 1982, p186.

من الحقوق المدنية لمدة 20 سنة وغرامات مالية قدرت بـ 161000 فرنك¹، ومناضلين آخرين من منطقة متيجة نذكر منهم: أوجراح عبد القادر وبين كدة زروق المدعو زاموشة ومقداد علي المدعو المازوني ويحيواي علي المعروف بالباريسي وتم توجيه بعضهم إلى معتقل جنان بورزق الواقع بمنطقة عين الصفراء والبعض الآخر إلى سجن الحراش².

حاولت حكومة فيشي وبكل الطرق أن لا تعطي المحاكمة طابعاً سياسياً قد يؤثر على علاقتها مع الجزائريين، وأن تجعل منها مجرد مناوشات واضطرابات محلية لا بدّ من ردعها بالقوة حتى يستتب الأمن، لكن البعض شبّهها بالقوانين ذات الطابع النازي، ولعل ماصرح به بول بودوين - Paul Louis Arthur Baudouin وزير الشؤون الخارجية الفرنسي آنذاك: «بأن عالم ما قبل 1940 قد دفن نهائياً»، لأكبر دليل على أنّ قوة هذه الحكومة تعتمد أساساً على سلطة القوانين الاستثنائية التي سلّطت على كل المعارضين³.

واصل قادة حزب الشعب ومناضلوهم نشاطهم السري خلال فترة حكم فيشي، ولم تمنعهم حالات القمع والاضطهاد الإداري والقضائي التي اقترتها حكومة فيشي في حقهم، وبادر بعضهم بمحاولات لإعادة تنظيم الحزب⁴ وتكوين هياكل سرية بغرض تنسيق النشاط الوطني عبر ربوع الجزائر كلها، وبعث نشاط خلايا الحزب النائمة للعودة إلى العمل السري تحت توجيه قيادة جديدة والتي مثلت الجيل الثاني في قيادة الحزب⁵، حيث قامت بتشكيل لجنة مركزية سرية تضم كل من: مقري الحسين ومحمد طالب وغرافة إبراهيم وأحمد مزغنة وأحمد بودو وحسين عسلة، ولعل أبرز المناضلين داخل اللجنة هما: السيد أحمد دوار والدكتور الأمين دباغين، هذا الأخير الذي أصبح رئيساً للجنة المركزية في خريف 1942، ودخلت معه عناصر شابة أخرى إلى الحزب⁶.

تركز هذا النشاط بصفة خاصة في المقاهي وقاعات الحلاقة أو عن طريق توزيع المنشير وأعداد جريدة العمل الجزائري - Action Algérienne واللقاءات السرية⁷، ومن بين نشاطات الحزب السرية في مدينة سطيف تنظيم مجموعة من الشبان بقيادة قنفيي محمود جمعية إسمها "الخيرية" سنة 1941، أمّا في مدينة مشرية فقد أخذ المعلم تبون حاج أحمد من المدرسة مركزاً لإعادة بعث نشاط الحزب بتكوين الشبان وحثهم على ضرورة العمل السري، وفي المدينة كان الحاج الحسين مسؤول خلية المدينة يقوم بتجميع الثانويين وإعادة بعث نشاط الحزب من جديد⁸، كما استأنف مناضلو الحزب نشاطهم السري في عمالة وهران بعد الهدنة الفرنسية الألمانية حيث عادت الكتابات الحائطية إلى الظهور منذ سبتمبر 1940، إذ سجلت كتابات جدارية في تلمسان في ليلة 18 و 19 مارس تزامنت مع مرور الحاكم العام بالمدينة جاء فيها: «تسقط فرنسا، يحيا الشعب الجزائري»، وفي نفس الليلة تم نزع حوالي 12 علماً من واجهة مكاتب شركة (سياب - S.I.A.P) وبعض الورشات المجاورة لها⁹، كما لاحظت سلطات الاحتلال في شهر أفريل 1941 على مستوى مدن القطاع المتيجي كتابات جدارية تجاوزت نطاق الأحياء العربية إلى مستوى الشوارع الرئيسية للمدن ومن بين هذه الكتابات

1 Mahfoud Kadache, **Histoire du Nationalisme Algérien**, tome2, (Alger: S.N.E.D 1980), p p 611-612.

2 عامر عنان، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ماوراء البحار، العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال افريقيا، المجلد الأول، العدد 01، جانفي 2018، ص ص 173-188.

3 Mahfoud Kaddache.et Djilali Sari, **L'Algérie dans l'histoire**, Op cit, p79.

4 مصطفى أو عامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 87.

5 عامر عنان، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ماوراء البحار، المرجع السابق، ص 179.

6 Charle Robert Agéron, **Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de liberation 1954**, op cit, p585.

7 عامر عنان، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ماوراء البحار، المرجع السابق، ص 179.

8 Mahfoud Kadache, **Histoire du Nationalisme Algérien**, op cit, p883

9 مصطفى أو عامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص ص 89-90.

ذكرت التقارير الأمنية الفرنسية العبارات التالية: "يحيا مصالي"، "حزب الشعب سوف ينتصر"، "أيها المسلمون مصالي هو قائدكم"، "كل الشعب مع مصالي"، "الجزائر للجزائريين"، وأضيف إلى سلسلة هذه الشعارات عبارة "يحيا هتلر"¹.

حاول حزب الشعب مواصلة نشاطاته السرية إلا أن شرطة الاستعلامات العامة أبلغت بوجود اجتماعات سرية مشبوهة لأعضاء الحزب، وتمكنت من اكتشاف مركز لنشاطات الحزب في 13 جوان 1941 بالوحدة 27 بمحطة القطار بالعاصمة، كما استطاعت حجز منشورين أرسلهما الحزب إلى مناضليه الأول رقم 03 لشهر فيفري 1941 والثاني رقم 06 لشهر جوان 1941.

يبدو أن ظروف الحزب في هذه المرحلة لم تكن تسمح بالقيام بأي عمل من شأنه المساس باستقرار فرنسا، ما عدا نشاط لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا التي حاولت استغلال ظروف الحرب للتعاون مع الألمان، غير أن الألمان لم يكن لديهم اهتمام كبير بهذا الشأن، كما حدث تمرد فرقة القناصة في ثكنة الحراش والتي تصدى لها الجيش الاستعماري بكل وحشية، والتخوف من تأثيراتها وانعكاساتها على الأوساط الشعبية، التي بدأ يظهر عليها تأثير دعاية المحور من جهة ونشاط حزب الشعب السري مما أدى بأن تصفها التقارير الاستعمارية بأنها «حركات نامية في بلدان شمال إفريقيا، انتقل تأثيرها إلى عقول الفرق العسكرية الأهلية»².

أدت هذه الأحداث بالقيادة الاستعمارية إلى تكوين لجنة تحقيق في الوضع العام في الجزائر وتونس، وقامت هذه اللجنة بإنجاز عملها في الجزائر من 26 فيفري إلى 04 مارس ثم من 06 إلى 10 مارس 1941 وفي تونس من 04 إلى 06 مارس 1941 وقام أعضاء البعثة بإجراء عدة اتصالات مع السلطات العسكرية والمدنية ومختلف الشخصيات المطلعة على الوضع في البلدين، وبعد جمعها للمعلومات اللازمة قامت بدراسة المسائل التي تدخل ضمن أهدافها خاصة الوضع في الجزائر وقدمت تقريرا إلى السلطات الاستعمارية بتاريخ 14 مارس 1941 وجاء في تقرير اللجنة أن الوضع في الجزائر سيء للغاية وينذر بمخاطر من المحتمل أن تشتد في أي وقت، وتكمن هذه المخاطر في سخط السكان المسلمين على الاستعمار الفرنسي والذي بلغ درجة عالية في أوساط مختلف الطبقات الشعبية بسبب قناعة الجزائريين بعدم جدوى السياسة الاستعمارية التي لم تقدم شيئا إيجابيا رغم الولاء الذي أظهره الجزائريون بداية الحرب العالمية.

استخلصت البعثة أن الوعود الفرنسية بتلبية مطالب الجزائريين ظلت حبرا على ورق ولا توجد أي إصلاحات إيجابية، الأمر الذي جعل طابع الرفض والعصيان أصبح الشعور العام المسيطر على الأهالي، ولاحظت البعثة أن عدم تلبية مطالب الأهالي أدى إلى إذكاء نشاط الأحزاب الوطنية التي عملت على إقناع الأهالي بمطالب جديدة، لذلك اقترحت اللجنة بالإسراع في تطبيق إصلاحات مماثلة لإصلاحات فيفري 1919 كمكافأة على الولاء والإخلاص الذي أظهره الأهالي والاعتراف بتضحية الفرق الجزائرية في ميادين الحرب الفرنسية³.

2.1.3. نشاط النواب الجزائريين:

ساعد فراغ الساحة السياسية الجزائرية من أي تنظيم سياسي بن جلول وفرحات عباس على التحرك، وإذا كان بن جلول معروفا كشخصية سياسية فإن غموضه وتذبذب مواقفه خلال فترة ما قبل الحرب لم يساعده على كسب ثقة الشعب الجزائري، في حين

1 عامر عنان، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ماوراء البحار، المرجع السابق، ص 180.

2 Mahfoud Kadache, Histoire du Nationalisme Algérien, op cit, p883

3 يوسف مناصرة، وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، المرجع السابق، ص 05-12.

أن فرحات عباس وإن كان معروفا نسبياً إلا أنه لم يكن قد وصل إلى مسؤوليات عليا، ولم يكن بارزا كقائد سياسي في حجم مصالي الحاج أو الشيخ ابن باديس، ويبدو أن تسارع الأحداث وتلاحقها وعدم تمكن فرنسا من الصمود أمام ضربات القوات الألمانية وانحيارها السريع، كان له كبير الأثر في توجهات فرحات عباس الذي تمكن من استيعاب التطورات الحاصلة والمتغيرات الجديدة، مما أدى به إلى مراجعة ما كان يتبناه من مطالب الأمم متجاوزاً بذلك حدود المساواة إلى طرح القضية الجزائرية وفق رؤية جديدة¹.

كتبت جريدة الوفاق-L entente في عددها الصادر خلال جويلية وأوت 1940 مقالاً تعرض للمنع تحت عنوان: "الجزائر الجديدة في الأوقات الجديدة، نظام جديد"، تضمن هذا المقال على وجه الخصوص مشروعاً للإصلاحات²، قرر الحاكم "أبريال - Abrial" في 21 ديسمبر 1940 تعيين مجلس مالي لتعويض المندوبيات المالية المنتخبة، فرفض فرحات عباس هذا التعيين وأدانه ووجه له في 16 ديسمبر 1940 رسالة، ينتقد فيها تركيبة اللجنة المالية للنواب المسلمين جاء فيها: «إن هذا الاختيار تنكيدي، تقريباً فكل الجزائريين المعنيين هم شيوخ زوايا وأميون متعصبون ولا ضمير لهم»، أما عن الأوروبيين فيصفهم فرحات: «يمتازون بعدوانيتهم تجاه الجزائريين المسلمين»، ويضيف قائلاً: «إن زمن الموظفين الكبار قد ولى»، وفي رسالة أخرى وجهها إلى رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين يوم 26 مارس 1941 جاء فيها: «إن سكان قسنطينة وكذلك سطيف لم يستقبلوا هذا التعيين بالفرح، لأنه لا يحل مشكل الأكواخ القذرة... إن تعيين السيد سيسبان هو انتصار جديد للمعمرين، وليس انتصاراً للمسلمين»³، لكن أبريال استدعاه وقام بتهديده بعد نقاشٍ حاد دار بينهما⁴.

قرّر فرحات عباس في 10 أبريل 1941 تقديم تقرير إلى المارشال بيتان-Philippe Pétain مباشرة⁵، بواسطة ماكس بونافوس-Max Bonnafous عامل عمالة قسنطينة على شكل نداء باسم الشّباب الجزائري والفلاحين والعمال قدّم فيه عباس عرضاً مفصلاً حول الوضعية المزرية التي كان يعيشها الجزائري المسلم، ذكر فيه هيمنة فئة قليلة من الكولون الإقطاعيين على الأملاك العقارية وذلك على حساب ستة ملايين ونصف مسلم جزائري، وطالب من حكومة فيشي الشروع في تطبيق إصلاحات تشمل جميع الميادين في الجزائر كإلغاء النظام العسكري في الجنوب، وإعادة توزيع الملكيات العقارية والأراضي الزراعية، وإنشاء بنك للفلاحين وتطوير التعليم والمساواة بين الموظفين الأوروبيين والمسلمين والمساواة في الخدمة العسكرية بين الجزائريين والأوروبيين، لأنه لم يعد هناك سوى جيش واحد وجندي واحد⁶.

1 شيخ بوشياخي، الحركة الوطنية والنزعة الجزائرية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2018، ص 232.

2 مصطفى أو عامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 76-77.

3 A.W.C, IR, boîte N°13 Lettre de Ferhat Abbas: à Mr: Le president de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national).

4 كان تأثير احتجاج فرحات عباس لدى الأميرال أبريال مقلقا حيث استدعاه إلى الجزائر العاصمة واتهمه بالتحريض ضد فرنسا وكرهه لها، ومحاولة إستغلال الفلاحين لتحقيق أهدافه السياسية، ثم هدده بإلقاء القبض عليه وأمره بالخروج من مكتبه، ويذكر بنيامين سطورا أن النقاش كان حاداً جداً حيث لجأ أبريال إلى دفع فرحات بقوة خارج الباب وأراد إلقاء القبض عليه لكن الجنرال ويقان هو الذي هدأ غضب أبريال ونصح به بعدم الإقدام على سجنه بسبب إزداد شعبية فرحات عباس. أنظر:

Benjamin Stora et Zakya Daoud, Ferhat Abbas L'autre Algérie, op.cit, p127.

5 للإطلاع على التقرير كاملاً عدا المدخل أو المقدمة أنظر: Ferhat Abass, L'Algérie de la Colonie Vers La Province, Le Jeune.

6 Ferhat Abass, L'Algérie de la Colonie Vers La Province, Le Jeune Algérien (1930), Suivi de Rapport au Maréchal Pétain(Avril1941), Paris: éditions Garnier Frères,1981, p p.173-208.

يذكر فرحات عن هذا التقرير بأنه آخر محاولة له لطلب المساواة في الحقوق في إطار الجمهورية الفرنسية، لينتقل بعدها إلى مرحلة سياسية أخرى، واعتقد أنّ الوقت مناسبٌ لتغيير سياسي حقيقي في الجزائر، معلاً ذلك بمحاولة إنقاذ الأمة الجزائرية من الغرق، لأنّ كل الأبواب قد أُغلقت في وجه الجزائريين المسلمين، وباءت كل محاولات الإصلاح قبل هذا التاريخ بالفشل، ووصفه في موضع آخر بأنه تقريرٌ بما يشبه آخر إنذار قبل سفك الدماء¹.

التقرير الذي قدمه عباس كان حصيلة سياسية واقتصادية واجتماعية للجزائر التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي الذي كان يشكّل فيه الأهالي أفقر الطبقات وأحقرها، وإنما كان عبارة عن برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي لجزائر الغد التي قد لا يكون فيها أيّ مظهر من مظاهر الظلم و الجور²، ووصفه جون لاقوتير - Jean Lacouture³ بقوله: «استعمل فرحات عباس في تقريره هذا أسلوباً نبيلاً متأثراً بأسلوب الكتاب الفرنسيين الكبار أمثال شاتو بريان، ومستمداً من قراءة فرحات عباس لـ غوتييه -Gautier، وأوغستان برنار -Augustin Bernard، ووليام مارسيسيه -William Marçais، وأضاف قائلاً: «إنّ فرحات عباس كان صريحاً جداً في وقتٍ كثير فيه التملق».

ظن فرحات عباس أنّ الظروف مواتية لتغيير النظام الكولونيالي على يد الماريشال بيتان، الرجل الذي ظلّ بعيداً عن تأثيرات الدوائر السّرية التي طالما أعاقّت كل مبادرة إصلاحية في الجزائر، لكنّه أخطأ، كما أورد فيما بعد، لأنّ بيتان كان مدعوماً من النازيين ومن قادة الجيش وقادة البحرية والتروست "Trust" الاحتكاري الاستعماري، وجاء رد بيتان عن طريق الجنرال الفرنسي لور -Laure في 04 أوت 1941 بأن شكر فرحات عباس لكنه اعتبر ذلك المشروع المطّلي في غير وقته وسابق لأوانه⁴، وعلق شارل رويير أجرون على ذلك بقوله: «إنّ فيشي لم يفهم أنه حينما يريد تجنب ثورة، يجب أن يقوم بها هو بنفسه»، أي خلق أزمة ثم تسييرها وتوجيهها حسب رغبته وفي الأخير إيجاد الحلول لها والخروج منها منتصراً⁵.

قدّم فرحات عباس في شهر مارس 1942 مذكرة أخرى سلّمها لوزير الداخلية انتقد فيها بصفة خاصّة الممارسات التي يقوم بها شيوخ البلديات والمتعلقة بالتمييز بين الأوربيين والأهالي في التموين، كما دافع فيها عن العلماء وطالب بإطلاق سراحهم وبخاصّة رئيسهم الشّيخ الإبراهيمي وضرورة تحقيق مطالبهم وإلغاء مرسوم 08 مارس 1938⁶، ووجّه فرحات عباس يوم 04 أوت 1941 رسالة إلى بن جلول رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين بعمالة قسنطينة يعلمه فيها تقديم استقالته من نيابة رئاستها، ومعبراً عن احتجاجه عن

1 Ferhat Abass, L'Algérie de la Colonie Vers La Province, Le Jeune Algérien (1930), op.cit. p 169.

2 فرحات عباس، غدا سيطلع النهار، ترجمة: حسين لبراش، دار الجزائر للكتاب، 2012، ص 12.

3 جان لاقوتير - Jean Lacouture 9 جوان 1921 / 16 جويلية 2015، صحفي وكاتب فرنسي، أقام لمدة عامين في المقر العام الفرنسي في الرباط بالمغرب (1947-1949)، بدأ جان لاقوتير حياته المهنية كصحفي ومراسل في مجلة كومبات عام 1950، ثم واصلها في صحيفة لوموند عام 1951 بفرنسا ثم بالقاهرة بين عامي 1953 و1956. عاد إلى لوموند عام 1957 حيث كان رئيساً للقسم الخارجي ثم كبيراً للمراسلين حتى عام 1975، كما تعاون أيضاً مع صحيفة لو نوفيل أوبسيفاتور، بعد التحاقه بالجيش الفرنسي في الهند الصينية نهاية الحرب العالمية الثانية اكتشف حقيقة الاستعمار الفرنسي.

4 Ferhat Abass, L'Algérie de la Colonie Vers La Province, Le Jeune Algérien (1930), op.cit. p137.

5 Charles Robert Agéron, Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de liberation 1954, op.cit, p146.

6 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 78.

الأخطاء الإدارية التي وقعت فيها الفدرالية، ومدحها للحاكم العام ونظام فيشي وقبولها التعاون مع النظام الجديد في إطار السياسة المعادية للمسلمين مبرراً استقالته بقوله: «إنَّ سكوتنا عن ذلك هو خداعٌ لشعبنا»¹.

واصل عباس إبداء رفضه لسياسة فيشي في الجزائر من خلال استقالته في شهر جويلية من اللجنة المالية الجزائرية، ورفض تعيينه رئيساً شرفياً للجنة المسلمين لمساعدة فرنسا، كما رفض دعوة الحاكم العام شاتيل-Châtel، هذا الموقف الذي زاد من شعبيته وبرهن على موقفه الحقيقي والصريح والمعادي لسياسة فيشي والاحتلال بصفة عامة، وانتقد عباس سياسة المستوطنين في الجزائر، حيث ذكر أنَّ 80% منهم كانوا موالين لحكومة فيشي ووصفهم بالجشع وأنَّ همهم الوحيد تحقيق مصالحهم والاحتفاظ بالجزائر تحت سلطتهم، ويقول بهذا الصدد: «فكرنا بعد آلام فرنسا بأنَّ المستوطنين سيعملون على رد الاعتبار للقضية الجزائرية، لكن كان العكس حيث مال معظم المستوطنين إلى حكومة فيشي حفاظاً على مصالحهم، واتصلوا بالضبَّاط الألمان وحاولوا إقناعهم بالوقوف ضدَّ الجزائريين المسلمين، ووصفوههم بأنهم شيوعيون وثوريون خطرون»².

وجَّه الدكتور بن جلول هو الآخر مذكرة في 27 أوت 1942 إلى المارشال بيتان وإلى رئيس الحكومة الفرنسية لافال-Laval، وإلى الحاكم العام شاتيل-Châtel حمّل فيها المسؤولية الكاملة للسلطة في ضعف الإصلاحات السياسية، وعدم تطبيق الإصلاحات الاجتماعية وهيمنة المعمرين على الاقتصاد الجزائري، فضلاً على اللامساواة في التموين، وهذد باستقالته من اللجنة المالية إذا لم تكن هناك نية في تحقيق الإصلاحات الضرورية³.

اتخذت الإدارة الفرنسية إجراءات إدارية ضدَّ بعض النواب الجزائريين الذين حامت حولهم شكوك بانضمامهم إلى مجموعات معارضة لحكومة فيشي، وتشكيل فرع لما إسمته الإدارة الاستعمارية "البسار" بمدينة معسكر، والذي كان يحركه فرحات عباس بحسب الإدارة الفرنسية وقد ضمَّ هذا الحزب وطنيين ومناضلين من حزب الشعب الجزائري وشيوعيين ومستشارين بلديين أقيلا من مناصبهم، وكانت الاجتماعات تعقد بالمدرسة الإصلاحية "باب علي"، هؤلاء الذين أبدؤا معارضة لسياسة الإدارة الفرنسية⁴، إضافة إلى ذلك همشت حكومة فيشي العناصر النشطة من النواب، والتي حاولت الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين وخيبت آمالهم خاصة فرحات عباس الذي ناضل على عدة جبهات سواءً أمام سياسة فيشي الاستعمارية أو في مواجهة غلاة المستوطنين واللوبي الكولونيالي في باريس .

حاول عباس جاهدا خلال تلك الفترة نشر الوعي التحرري في أساط الجزائريين المسلمين، لكن يبدو أن الوسائل التي كانت بيده لم تكن كافية لمواجهة سياسة الإدارة الاستعمارية، والتي كان لها تأثير على توجه فرحات عباس لم يعد يكتفي بموقف المعارض من نظام فيشي بل أصبح ينادي بمطالب قريته من التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية، وقد وصف السيد مهساس هذا التغير الحاصل في الخط السياسي لفرحات عباس بقوله: «كان هذا التغير السياسي الأكثر تعبيراً في الحركة السياسية الجزائرية، والذي

1 A. W.C, IR, boîte N°13 Lettre de Ferhat Abbas à Mr: Le président de la .F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national).

2 عز الدين معزة، فرحات عباس و الحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009 - 2010، ص ص206-207.

3 Mahfoud Kadache, Histoire du Nationalisme Algérien, op.cit., p610.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص ص79-80.

اعتبرته بعض الأوساط السياسية الفرنسية بمثابة تغير مفاجئ أو خيانة تقريباً مع ثبوت سوء النية، مع أنّ هذه الأوساط هي نفسها التي عارضت سياسة الإدماج كان يتبناها فرحات عباس قبل الحرب العالمية الثانية وحالت دون نجاحها¹.

3.1.3. نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بالرغم من طابعها الإصلاحية التربوي المعلن لم تكن الجمعية بمنأى عن استمرار تفاعل قضية اغتيال ابن دالي عمر المدعو كحول الذي ألصقت الإدارة الاستعمارية تهمة اغتياله بالشيخ الطيب العقبي كما ذكرنا ذلك فيما سبق، ما يدلّ على أنّ الجمعية لم تسلم هي الأخرى من مكائد الإدارة الاستعمارية، وما زاد من انكفاء الجمعية على نفسها فقداها لرئيسها الشيخ ابن باديس الذي وافته المنية في 16 أبريل 1940².

اجتمع خمسة أعضاء بارزين في المجلس الإداري للجمعية بقسنطينة في 07 نوفمبر 1940، واتفقوا على تعيين البشير الإبراهيمي رئيساً للجمعية رغم أنه كان تحت الإقامة الجبرية بأفلو، ورغم ظروفه فقد بادر الإبراهيمي بتسيير شؤون الجمعية عن طريق الرسائل التي كان يتبادلها مع أعضاء الجمعية بواسطة بعض الزوار الموثوق بهم والذين تردّدوا عليه في السجن³، وكان الإبراهيمي قد لمح لأحد أصدقائه أنه يأمل في إطلاق سراحه عن قريب، وأنه سيتفرغ لقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قصد استمالتهم إليها ولإظهار نوع من الليونة تجاه العلماء رخصت الإدارة الاستعمارية للبشير الإبراهيمي بزيارة حمام بوحنيقية بغرض الاستشفاء، حيث أقام مع عائلته في هذا المركز الاستشفائي في الفترة بين 28 جوان و11 جويلية، كما سمح له بعد ذلك بزيارة مدينة سيدي بلعباس لمدة 48 ساعة، وكذلك مدينتي غليزان وتيارت، وكانت هذه الزيارات مناسبةً للالتقاء بأعضاء الجمعية خاصّةً التلمسانيين الذين زاروه في بوحنيقية⁴.

واصل أعضاء الجمعية نضالهم رغم المضايقات الشديدة ضدّهم واستمرت حركة التعليم والتوجيه رغم أنّ التجمعات والنوادي قد خفت لكنّ نشاطهم استمر خلال هذه الفترة، لكنّ الدكتور أبو القاسم سعد الله وصفه بقوله: «أنّه كان نشاطاً هادئاً»⁵، إلّا أنّ عبد الكريم بوصفصاف ينفي أن يكون نشاط الجمعية خلال فترة الأربعينيات بالضعيف والجامد وأنه حكم خاطيء، وذكر أنّ نشاط العلماء قد تضاءل خلال فترة الحرب العالمية الثانية على جميع الأصعدة حتى تجاوز في بعض الأحيان نشاط الجمعية، وأن جهود العلماء لم تظهر للجماهير بسبب توقف صحف الجمعية عن الصدور بعد اندلاع الحرب بشهور قليلة، بالإضافة إلى تضاعف تنقل قادة الجمعية من منطقة إلى أخرى بسبب قوانين السفر المشدّدة عليهم⁶.

بمجيئ الحاكم العام الجديد ويغان-⁷ Maxime Weygand إلى الجزائر سجّلت بعض الإصلاحات في عهده خلال شهر أوت 1941، هذا بعدما قام الماريشال بيتان في صيف 1940 بإلغاء قانون 1904 الذي كان يمنع التعليم الحر في المؤسسات

1 شيخ بوشیخی، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 232-233.

2 شيخ بوشیخی، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954 - 1962، ص 80.

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المرجع السابق، ص 182.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 82-83.

5 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المرجع السابق، ص 182-183.

6 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، المرجع السابق، ص 311.

7 ماكسيم ويغان- Maxime Weygand (21 جانفي 1867 / 28 جانفي 1965): ضابط رفيع في الجيش الفرنسي شارك في الحرب العالمية الأولى والثانية، وهو ثاني مفوض سامي عسكري انتدبته فرنسا لحكم سوريا ولبنان من أبريل 1923 إلى 29 نوفمبر 1924، خلال الحرب العالمية الثانية وفي 19 مايو 1940 عين قائدا للجيش الفرنسي، وكان

الدينية مسيحية كانت أو يهودية أو إسلامية¹، مما جعل العلماء يتحمسون، وقام بعض أعضاء المكتب الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتقديم عريضة للحاكم العام ويغان في 19 سبتمبر 1941 مضمونها جملة من المطالب، ومن بين ما جاء فيها: الإفراج عن الشيخ الإبراهيمي وإطلاق سراح أعضاء الجمعية الذين اعتقلوا في 21 ماي، معاملة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلما يُعامل أعضاء جمعية الديانة المسيحية، من حيث السماح لهم بحرية التنقل للوعظ والإرشاد، وتعليم أخلاق الإسلام، ومعاملة القرآن واللغة العربية مثلما تعامل كتب ولغات الديانات الأخرى، حرية الوعظ في المساجد وحرية تعليم اللغة العربية تحت مراقبة الإدارة، وإلغاء مرسوم 08 مارس 1938، وأمضى هذه العريضة كل من الشيخ العربي التبسي، الأمين العام أحمد معيزة، الأمين العام للصندوق سهلي سعيد، مساعد أمين الصندوق خير الدين مراقب، مبارك الميلي عضو مساعد، وهكذا ومن خلال هذه العريضة نلاحظ بأن العلماء استأنفوا نشاطهم العلني الذي توقفوا عنه منذ مدة وبعد مرور أكثر من سنة على وصول بيتان للسلطة².

بهذا الصدد كان لابد من استشارة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإطلاعه على هذا النشاط، لذلك قام بوشمال أحمد من قسنطينة بزيارة البشير الإبراهيمي في آفلو نهاية أكتوبر، مستغلاً فرصة عيد الفطر كذريعة لتلك الزيارة، ولقد وافق الإبراهيمي على العريضة شكلاً ومضموناً، لكنه شكك في تنفيذ الإدارة لما ورد فيها من مطالب.

جاء رد الحاكم العام على مطالب العلماء في 13 نوفمبر 1941، حيث أكد لهم بأن عريضتهم ستدرس من طرف لجنة خاصة تشكّل لهذا الغرض، وأن تعليم اللغة العربية سيؤطر في المدارس العمومية، أمّا الشيخ العربي التبسي فيقول في هذا الصدد بأن الحاكم العام أكد لنا بأنه سيُعَيّن لجنة خاصة لدراسة مسألة تعليم اللغة العربية، وأن المسائل الأخرى سينظر إليها لاحقاً وابتداءً من الفاتح جانفي 1942 ستُفتح مدارس جديدة³.

عقد المجلس الإداري اجتماعاً في 27 و28 نوفمبر 1941 بعد عودة بوشمال إلى قسنطينة، ويبدو أنّ أعضاءه قد قرروا بعث عمل الجمعية العلني على المستوى الوطني، ويُلاحظ ذلك في الرسالة التي بعث بها الشيخ العربي التبسي إلى مختلف فروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر الوطن⁴، كما أنّ الإدارة الاستعمارية كانت على اطلاع بعملية التبرعات المالية المنتظمة التي كانت تُدفع لصالح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من طرف المتعاطفين مع الجمعية في مدن القطاع الوهراني وذلك طيلة فترة الحرب⁵.

ربط الطبيب العقبي مشاركة الجزائريين في الحرب بتحقيق المطالب، فقد كتب مقالاً مطولاً في جريدته "الإصلاح" تعرّضت أجزاء كثيرة منه للمنع تحت عنوان "همسة في أذن الحاكم العام" تعرّض فيه إلى الوضعية السيئة التي يعيشها الجزائريون بسبب القوانين الاستثنائية المطبقة عليهم، وطالب الإدارة الاستعمارية الجديدة بالمساواة، كما تقدم إلى الحاكم العام في سبتمبر 1940 بمخطط للإصلاحات يتعلّق بتعليم اللغة العربية لكنه لم يحصل على شيء.

أحد أبرز القادة العسكريين الذين أعلنوا الهدنة مع ألمانيا النازية، أصبح وزيرا في حكومة فيشي عام 1941، وبعد الحرب بقي من المدافعين عن أفكار المارشال بيتان، كما كان من داعمي أنصار الجزائر الفرنسية في فترة الحرب الفرنسية على الجزائر. أنظر:

Bernard Destremau, **Weygand, Perrin**, 1^é éd. Paris, 1989, p 842

1 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، المرجع السابق، ص 166.

2 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقى" بالجزائر، دار الكتاب الجزائر 1988، ص 72

3 أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 101. 102.

4 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 85-86.

5 إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، المرجع السابق، ص 167.

منح نشاط العلماء في عهد فيشي بين العمل السري والعلني قد فشل في تحقيق أي مطلب باستثناء إطلاق سراح بعض المناضلين المعتقلين، بل إن إدارة فيشي خيّبت آمال حتى الذين ساندوا فرنسا في الحرب مثل الشيخ الطيب العقبي¹.

4.1.3. نشاط الحزب الشيوعي الجزائري:

لاحظنا سابقاً كيف تعرّض قادة ومناضلو الحزب الشيوعي الجزائري للاعتقالات والاضطهاد من قبل الإدارة الفرنسية، بسبب موقفهم المناهض للحرب (الإمبريالية) والمطابق لموقف الحزب الشيوعي الفرنسي، ولم يختلف الأمر أيضاً بعد توقيع الهدنة بل لقد زاد سوءاً خاصة مع إعلان هتلر الحرب على روسيا الشيوعية واتهامهم من طرف حكومة فيشي بالعمل ضدها، الأمر الذي أجبر مناضلي الحزب للجوء إلى العمل السري، حيث استطاع الشيوعيون الجزائريون من تكوين منظمة سرية في نوفمبر 1940، وإنشاء مطبعة صغيرة استأنفوا من خلالها إصدار جريدتهم "الكفاح الاجتماعي - La Lutte Sociale"² وطبع المناشير المختلفة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيوعيين الإسبان الذين فرّوا من الحرب الأهلية الإسبانية، واستقروا خاصة بالمدن الساحلية الغربية كلاجئين³.

اعتمد الشيوعيون على فكرة الاعتماد على أبناء المستعمرات كمسألة مهمة في نضالهم ضد الاستعمار، وأولوا الأهمية للعمل النقابي والاهتمام بالطبقة الشغيلة، وفي محاولة لتوسيع قاعدتهم الشعبية في الجزائر استنكر الشيوعيون التمييز العنصري بين العمال، ودعوا الحكومة الفرنسية إلى المساواة بين كل العمال، أمّا خلال فترة الحرب العالمية فقد حاول الشيوعيون إظهار معاناة الجزائريين واستنكر الحزب على لسان جريدة الكفاح الاجتماعي الظلم الذي يتعرّض له الأهلي الجزائري في محاولة لتسييس تلك القضايا الاجتماعية واستغلالها لصالح الحزب⁴.

عمل الشيوعيون في الجزائر بعد انهزام فرنسا أمام الألمان وقيام حكومة فيشي في فرنسا على نشر دعاية مناهضة لحكومة فيشي، و ركزت هذه الدعاية على تحرير الشعب الجزائري من العبودية، وفي هذا الصدد توجهوا بندا إلى الشعب الجزائري عبر جريدة الكفاح الاجتماعي السرية في نوفمبر 1940 ومن بين ما جاء فيه: «أيها الشعب الجزائري لقد حان الوقت لإنهاء العبودية...، لهذه المهمة يدعوك الحزب الشيوعي الجزائري. منذ مائة وعشر سنوات وفرنسا تضطهد شعبنا بدعوى نشر الحضارة، نطالب باستقلال الجزائر لإقامة حكومة جزائرية ديمقراطية في بلدنا... لقد هُزمت فرنسا، وبلادنا اليوم موضع مساومة بين الفاشيين الفرنسيين والألمان والإيطاليين... هذا يكفي، لقد حانت ساعة كسر القيد... الإمبريالية الفرنسية تنهب بلادنا.. إنهم يريدون زجنا في الحرب بالقوة... إننا إمبريالية بغیضة... شعبنا غير مسؤول عن هزيمة فرنسا فلماذا ندفع الثمن؟»⁵.

1 جيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 24.

2 جريدة الكفاح الاجتماعي - La Lutte Sociale: تأسست لأول مرة كجريدة اشتراكية بسيدي بلعباس خلال 1909-1914، سعت إلى كسب الجماهير الجزائرية مركزة على تحسين الجانب المادي للأهالي من خلال متابعة أحوال وأمور العمال والفلاحين في الجزائر، تحولت إلى جريدة شيوعية سنة 1920 لتصبح لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري بعد تأسيسه سنة 1936، تصدر بنظام نصف شهري باللغة الفرنسية مع توظيف اللغة العربية في بعض الأحيان، اهتمت بالمواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تغير اسمها سنة 1946 إلى "الجزائر الجديدة" كان رئيس تحريرها عمار أوزقان ومديرها أحمد محمودي. أنظر:

الامين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 37.

3 العربي بلعزوز، اللاجئون الإسبان في الجزائر خلال (1936-1962)، ط 1، دار دزائر أنفو، الجزائر 2013، ص 113.

4 La lutte sociale. 33^{ème} année. 22/1/1942.

5 Charles Robert Agéron, Le Parti Coministe Algerien de 1939 a 1943, Revue D'histoire, N°12. Octobre 1986, pp.39-50.

نشرت الجريدة ايضا على صفحاتها الكثير من المقالات التي تهاجم الألمان وتدعو فيها الجزائريين إلى مقاطعة الألمان اقتصاديًا ومنع تموينهم بالحبوب، كما ربط الشيوعيون معاناة الجزائريين ومشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية بالظلم النازي الألماني وحكومة فيشي الفرنسية الموالية له وسياستها التعسفية ضد المستعمرات خاصة الجزائر، ووصفوا الألمان بـ "عزّاي العبودية"¹.

تناول كتاب طبع باللغة العربية بعنوان: "الحقيقة - la vérité" في 02 ديسمبر 1940 دعاية شيوعية حملت مواضيع وأفكار مختلفة مثل: استقلال الجزائر ومحاربة الإمبريالية وإعادة توزيع الأراضي على العمال، كما قامت إدارة فيشي بمصادرة العدد الثاني من جريدة الكفاح الاجتماعي التي كانت تنشر سرًا، وغالبًا ما نشرت الجريدة مطالب تندد فيها بنظام العبودية الذي طبّقه حكومة فيشي وسياسة تجويع الجزائريين وذكرت في هذا الصدد: «قمّحنا يستفيد منه الألمان لمواصلة الحرب الإمبريالية»، وطالبت في مواضيع أخرى بحرية بيع المنتجات الجزائرية، وإعفاء الجزائريين من الضرائب والإيجارات المتأخرة وتقديم قروض لصغار الحرفيين والتجار، كما قدّمت مطالب سياسية كان على رأسها العفو الفوري على جميع المعتقلين السياسيين².

تبدو فكرة المطالبة باستقلال الجزائر غريبة عمّا نعرفه من مواقف الحزب الشيوعي الجزائري من المسألة الوطنية، خاصة وأنّ نظرية "موريس توريز - Maurice Thorez"³ "الجزائر أمة في طور التكوين"⁴ كانت لا تزال ماثلة للعيان، لكنّ الشيوعيين الجزائريين يرون أنّ لهذا الخط الجديد مبرراته وإذا لم تكن مسألة الاستقلال قد طُرحت من قبل فذلك يعود إلى أنّ الجمهورية الفرنسية كانت لا تزال تستطيع تقديم المزيد للجزائريين، لكنّ اليوم فرنسا تحت الاحتلال وحكومة فيشي في خدمة ألمانيا النازية وهذا هو السبب في أنّها تطرح اليوم مسألة استقلال الجزائر داخل جبهة وطنية شعبية موحدة في جمهورية جزائرية حرة ومستقلة متحدة مع فرنسا، كما أنّ الشيوعيين ناهضوا الدعاية الديغولية، التي ركّزت على ضرورة مواصلة الفرنسيين الحرب ضدّ ألمانيا، معتبرين الصراع بين إنجلترا والمحور صراعًا بين إمبرياليتين⁵.

تمكّن الشيوعيون في هذا الاطار من عقد المؤتمر الرابع للحزب بالجزائر العاصمة في جويلية 1941 وتكوّنت لجنة مركزية من 31 عضوًا، وأمام محاولة تجديد الحزب الشيوعي لنشاطه في إطار البيرية فقد ألقت الشرطة الاستعمارية على خمسة وعشرين شيوعيًا في نوفمبر 1941، كان من بينهم خمسة عشر إسبانيًا، تم تحويلهم إلى المحكمة العسكرية بوهان بتهمة إعادة تكوين حزب منحل خلال الفترة الممتدة بين 26-27 نوفمبر 1941 وأدانت 18 فردًا بالسجن ما بين 06 إلى 05 سنوات بالإضافة إلى غرامات مالية تراوحت بين 100

1 La lutte sociale, Op.cit, 22/01/1942.

2 Charles Robert Agéron, Le Parti Coministe Algérien de 1939 a 1943, op.cit, pp 39.50.

3 موريس توريز - Maurice Thorez: 1900 / 1964 ولد في فرنسا وهو ينحدر من عائلة فقيرة، ترك المدرسة وهو في الثانية عشرة من عمره، واشتغل كعامل في مناجم فحم، انضم إلى الحزب الاشتراكي عام 1919، وانضم إلى الحزب الشيوعي في عام 1920، وسجن عدة مرات بسبب التحريض في عام 1923، أصبح سكرتيرًا للحزب وترقى بسرعة حتى أصبح أمينًا عاما للحزب عام 1930، انتخب في مجلس النواب وأعيد انتخابه عام 1936 ساعد توريز في تشكيل الجبهة الشعبية، وهي تحالف بين الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين، برز توريز كزعيم للحزب الشيوعي الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية وكان له دور كبير في حركة المقاومة المناهضة للنازية أثناء احتلال فرنسا، في نوفمبر 1944، عاد إلى فرنسا من الاتحاد السوفيتي، وفي عام 1945 استعاد جنسيته التي سحبت مع بداية الحرب العالمية الثانية.

4 يبدو لأول وهلة أن الهدف الأول من هذه النظرية هو ربط مصير الجزائر بمصير الجمهورية الفرنسية التي يمكن على حد تعبير موريس توريز أن تساعد و أن تسهل تكوين الأمة الجزائرية ودعمتها الأقلية القومية الفرنسية، و التخلص من مهمة التعريب و ما يفرضه من مهمات تتطلبها مرحلة النضال الوطني و منها تمتع الشعب الجزائري بشخصيته و بحقه في تقرير مصيره بنفسه من جهة و إطمئنان الأقلية القومية الفرنسية على مستقبل إمتيازاتها من جهة أخرى. انظر: محمود الأطرش: بحث إنتقادي لنظرية " الجزائر أمة في طور التكوين "، على النت:

<https://collectifnovembrepourlesocialisme.family.blog/2020/05/17>.

5 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 108.

و 5000 فرنك¹، كما تمت محاكمة 61 شيوعياً أما المحكمة العسكرية بالجزائر التي جرت في الفترة بين 09 فيفري و 20 مارس 1942، فكان نصفهم تقريباً من الإسبان².

4. المغرب الأقصى في عهد حكومة فيشي:

حرص بيتان Pétain - في تعامله مع الحكومة النازية للحفاظ على المتروبول الذي يعد أعظم موارد فرنسا، خاصةً مستعمراتها في شمال إفريقيا التي ساهمت بفضل صادراتها على إطعام المنطقة الفرنسية غير المحتلة مدة ثلاثة أشهر، حاولت فيشي إعادة توجيه القاعدة الصناعية من فرنسا إلى مستعمراتها في شمال إفريقيا ليس من أجل تحسين وضع تلك المستعمرات بل من أجل إبقاء قاعدتها الصناعية بعيدة عن أيدي الألمان، نذكر على سبيل المثال صناعة الصابون وتكرير السكر والمنسوجات ومصانع الكحول، كانت شمال إفريقيا منطقة مثالية لإبقاء المصالح الفرنسية بعيدة عن أيدي الألمان وذلك لقرتها من فرنسا³.

اتخذ نوجيس-Noguès المقيم العام بالمغرب موقفاً مسانداً للهدنة ومدعماً للماريشال بيتان الذي اعتبر أنه استجاب للشريعة الفرنسية والتي كان يمثلها من وجهة نظره أقدم عسكري في الجيش الفرنسي والمتمثل في الماريشال بيتان-Pétain، ليشكل بذلك منعطفاً حاسماً ليس لفرنسا فحسب بل حتى بالنسبة للمغرب الذي دخل في مرحلة بما يسمى "الهدنة الفيشية- L'ordre Vichyssois"⁴، وبالرغم من الموقف السلبي الذي اتخذته نوجيس في نظر الفرنسيين إلا أن مبادرته هذه في إتباع الشريعة قد جنبت المغرب وصول الحرب إلى أراضيها إلى غاية الإنزال في نوفمبر 1942، عكس ما حدث في الجزائر إثر قصف ميناء المرسى الكبير أو المعارك التي دارت داخل أراضي ليبيا، وقد استغل نوجيس هذا الهدوء في تنصيب نظام فيشي جديد لكن بأساليب قمعية أكبر⁵، وكان بالنسبة إليه بقاء المغرب تحت نظام الحماية وبقاؤه على رأس الحماية بالمغرب هو مسألة حياة أو موت، لأنه ضمان لبقاء الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، لذلك تعامل نوجيس بحذر شديد مع باريس الفيشية التي رفضت زيارتها عدّة مرّات عندما طلب منه ذلك خوفاً من عدم العودة إلى المغرب نهائياً مثلما حدث لسلفه مارسيل بيروتون⁶.

رفض نوجيس تسريح الجنود تطبيقاً لشروط الهدنة واعتبر «بقاء الجيش ضماناً للحصول على سلم مشرف والحيلولة دون الوقوع كعبيد بأيدي الألمان»، وعندما أصرت على ذلك لجان مراقبة الهدنة الألمانية الإيطالية أحدث نوجيس ما يعرف بخطّة "الإخفاء العسكري"، حيث أخفى العديد من من فرق الجيش في مناطق جبلية وعرة لا يمكن للجان المراقبة الوصول إليها، وقام بإعطاء وحدات أخرى تسميات تمويهية مثل المحلات الشريفة وهو إحياء لمصطلح قديم كان يُطلق على الجيوش المغربية قبل عهد الحماية، وبالاعتماد على

1 C.I.E.(Oran), décembre 1941.

2 Charles Robert Agéron, Le Parti Coministe Algérien de 1939 à 1943, op.cit, pp 39.50.

3 Robert Arcand, Pétain et de Gaulle dans la presse québécoise entre juin 1940 et novembre 1942, Revue d'histoire de l'Amérique française, Volume 44, numéro 3, hiver 1991, p 366-367.

4. Georges Oved, La gauche française et le nationalisme marocain, T2, éd, L harmattin, Paris, 1984, p125

5 Daniel Rivet, Histoire Du Maroc, Fayard, Paris, 2014, p324.

6 أستدعي بيروتون إلى باريس في سبتمبر 1936 أين تم إخباره بأنه قد عين سفيراً بالأرجنتين. أنظر:

Marcel Peyrouton, Du service public à la prison commune, Souvenirs. Tunis – Rabat – Buenos Aires - Vichy – Alger, Fresnes, Librairie Plon, paris, 1950, p p.56.60.

هذه الخطة أمكن للسلطات الفرنسية أن تتحايل على لجان الهدنة الألمانية وتضللها موهمة إياها أن تلك الوحدات تابعة للجيش المغربي، كما قامت بتحويل وحدات أخرى إلى عمال مدنيين¹.

كان على حكومة فيشي التعامل بذكاء وحذرٍ شديدين مع مسألة الأطماع الإسبانية في المغرب والتي تحولت إلى مطالب بعد انهيار فرنسا، ورغم المحاولات البريطانية لإبقاء إسبانيا محايدة خلال الحرب إلا أن الإسبان كانوا غير مستعدين للتخلي عن أطماعهم القديمة في المغرب².

حدث آخر يؤكد مدى صدق ووفاء السلطان محمد الخامس لفرنسا كما سبق وأن ذكرنا، ففي أشد الظروف المساوية لفرنسا والتي عرفت تذمر أشد المتفائلين في فرنسا، صرح السلطان للسيد موريز نائب المقيم العام بما يلي: «لو كانت فرنسا بلداً صغيراً يتكوّن من خمس أو ست مدن، ولو كان تاريخ الشعب الفرنسي لا يتجاوز الخمسين سنة، لكانت تخوفاتنا على مصير بلدكم مبررة، لكن بما أن بلدكم الذي أعرفه جيداً هو فرنسا الكبرى والغنية، وبما أن تاريخ شعبها تاريخ يفرض على الفرد الاحترام والتقدير، فإن التشكيك في مصيرها والتخوف عليه يعتبر بمثابة جريمة نكراء، فكل الشعوب تمرّ عبر تاريخها بنكبات قاسية، لكن حيويتها وقيمتها تتجلبان في ردود فعلها وتعاملها مع الحن، إننا أصدقاء فرنسا كنّا أصدقاءها في أيام قوتها ونحن ما نزال أصدقاءها وهي تواجه محنتها ومصيبتها، فالمعاربة لا يخونون عهود الصداقة فلتكن فرنسا مطمئنة من جهة المغرب»³.

موقف السلطان المؤيد والصريح هذا والذي يمثل موقف المغرب الرسمي هل كان مؤيداً لفرنسا الحرة التي ما زالت تدافع عن حريتها وشرفها في ذلك الوقت أم كان تاييداً لفرنسا فيشي التي فضّلت الاستسلام للنازية وتوقيع الهدنة مع هتلر فيما بعد والتي أصبح نوجيس ممثلاً لها في المغرب؟.

أفرزت الحرب وهدنة 1940 إكراهات كبيرة، فكان على الجنرال نويس أن يواجه صعوبات جمة ومتعددة، إذ كان لابد له من تأمين العيش رغم الحصار المفروض، ومساعدة فرنسا قدر الإمكان وهي التي كانت تعاني من مصادرة ألمانيا لخيراتها، وإعادة تشكيل القوات المسلحة رغم حضور لجان العدو المكلفة بمراقبة تطبيق الهدنة⁴.

أعلن المقيم العام بالمغرب نوجس - Noguès - الولاء لحكومة الاحتلال في باريس، وأصبحت الصحافة مضطرة للاختيار بين اتباع المقيم العام أو خطر الإبادة، فحتى الحياد لم يكن مسموحاً به إلا نادراً وهكذا أصبحت الإمبراطورية الإعلامية الفرنسية في خدمة حكومة فيشي Vichy تمجدها وتصف الجنرال ديغول بالتذل الخائن، وقد هاجمت الجرائد الفرنسية ديغول وأتباعه رغم أنها كانت لا تعلن عن أي انتماء سياسي، مما تسبّب لها في ضياع شعبيتها وسط قرائها، بسبب الحماسة في الدفاع عن حكومة فيشي الموالية للنازية⁵.

ترايدت الصحف اليمينية في المغرب بين سنتي 1940 و1942، أما صحف المعارضة فقد لجأت للسرّية نذكر منها El-watan و Libération التي طالبت لأول مرة بالاستقلال وذلك قبل توقيع وثيقة 11 جانفي، أما بالنسبة لصحف الوطنيين

1 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة جهاد، المصدر السابق، ص 37-41.

2 Gennifer R.Roberts, **French vs France:Vichy Government Attempts to Save the Empire**, Western Oregon University, Student Theses, Papers and Projects (History), 2015, pp14-15.

3 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1941-1945، ج2، المرجع السابق، ص 111.

4 جورج سيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال (1912-1956)، المرجع السابق، ص 96-97.

5 Jamaâ Baida, **La presse marocaine d'expression française des origines à 1956**, Thèse de doctorat, Histoire du monde contemporain Bordeaux 3, 1995, p255.

المغاربة فقد مُنعت منذ سنة 1937 ولم يسمح إلا لجريدة عبد اللطيف الصبيحي La voix nationale بالصُّدور المنتظم، لأنه كان موالياً للإدارة الاستعمارية كما كان يحترم الخطوط الحمراء التي وضعتها الإقامة العامة¹.

خططت ألمانيا لجعل المغرب العربي جسراً بين أوروبا والمستعمرات الألمانية في إفريقيا الوسطى، وقد ظهرت الأطماع بعد توقيع الهدنة الألمانية الفرنسية واحتمال قيام تعاون عسكري بين البلدين خلال عام 1940 و 1941، كما ظهرت هذه الأطماع في المطالب الألمانية المقدمة إلى فرنسا في 05 جويلية 1940 التي تشمل الحصول على مطارات في المغرب²، كما اشترطت إسبانيا على ألمانيا في مفاوضاتها الأولى لدخول الحرب توحيد المغرب تحت حمايتها وتوسيع المنطقة الصحراوية التابعة لها حتى عرض 20 درجة، كما طالبت ألمانيا باستغلال الثروات الاقتصادية للمغرب أثناء المفاوضات التي أسفرت عن توقيع بروتوكول باريس في 8 ماي 1941، وطالبت أيضاً بالتنازل عن القواعد العسكرية المغربية، إلا أن ألمانيا عملت على كسب ثقة المغاربة وزعزعة ثقتهم في فرنسا وعرقلت تجنيدهم في الجيوش الفرنسية خاصة بعد انهزام هذه الأخيرة عام 1940³.

أبلغت وزارة الخارجية الألمانية في شهر أوت عام 1941 قنصلها العام في تطوان بأن السياسة الألمانية نحو المغرب تحكمها اعتبارات عديدة أهمها: متطلبات سير الحرب وعلاقات ألمانيا مع فرنسا وإسبانيا وعدم شمول التصريح الألماني الإيطالي الصادر في 23 أكتوبر 1940 بالمغرب⁴. لم يتغير موقف الإقامة العامة في داخل المغرب بعد احتلال الألمان عاصمة فرنسا واستيلاء المارشال بيتان على الحكم، وكل ما هناك أن لجنة الهدنة زارت البلاد فلم تجد في الأوساط الوطنية أدنى صدى لدعايتها، وظهرت شخصية الملك في الدفاع عن المغاربة على وفق ما سبق أن بيناه، لكن فكرة الاستعداد للقيام بحركة جديدة أخذت تعمل عملها في أوساط الوطنيين الذين كانوا ينتظرون الفرصة لإعلان صوتهما عالياً⁵.

1.4. الاحتلال الإسباني لمدينة طنجة:

يعد تاريخ 18 ديسمبر 1923 تاريخاً مهماً بالنسبة لمدينة طنجة حيث خضعت المدينة لنظام دولي⁶ ذي خصوصية متميزة عن النظام الذي تخضع له بقية المنطقتين المغربيتين، ويتجلى ذلك في القوانين والتشريعات والأجهزة التي أُقيمت بالمدينة بالموازاة مع إقرار

1 Jamaâ Baida, **La presse marocaine d'expression française des origines à 1956**, Op cit. p256.

2 **La signature de l'armistice entre la France et l'Allemagne le 22 juin 1940 à Rethondes**, Sur Internet: <https://enseignants.lumni.fr/fiche-media/00000003440/la-signature-de-l-armistice-entre-la-france-et-l-allemande-le-22-juin-1940-a-rethondes-muet.html>.

3 Marc Olivier Baruch, **Vichy et les préfets Le corps préfectoral français pendant la Deuxième Guerre mondiale**, La Documentation française, paris, 2021, p 206.

4 سراب جبار خورشيد، **العلاقات الألمانية المغربية (1912-1956)**، مجلة المستنصرية للدراسات العربية و الدولية، العدد: 59، لجامعة المستنصرية، العراق، ص 67. 80.

5 جورج سيلمان، **المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)**، المرجع السابق، ص 97.

6 ترجع جذور الاهتمام الدولي بطنجة إلى نهاية القرن 18، ففي سنة 1794 تم إنشاء مدرسة البعثة الكاثوليكية الإسبانية، وفي نفس السنة انتقل القنصل الفرنسي من الرباط للاستقرار في طنجة، ثم توالى بعد ذلك الأحداث حيث تعرضت المدينة لقصف فرنسي سنة 1844 بحجة الدعم المغربي للأمير عبد القادر الجزائري في مقاومته للاحتلال الفرنسي، وفي سنة 1864 تأسست مدرسة الرابطة الإسرائيلية العالمية، إلا أن الوضع الحالي لطنجة سيبدأ مع سنة 1904 على إثر الاتفاق السري بين إسبانيا وفرنسا حول طنجة، وفي سنة 1912 تم توقيع معاهدة الحماية التي قسمت المغرب إلى منطقة نفوذ فرنسية وأخرى إسبانية أما طنجة فعاشت وضعية خاصة، وأمام رفض فرنسا لمسألة تدويل طنجة والتي كانت تعبر فيها عن موقف المعارضة المغربية لهذه المسألة، سيتم التوقيع على معاهدة التدويل في 18 ديسمبر 1923 بعد سلسلة من المسامحات بين القوى الإمبريالية، بين فرنسا وبريطانيا لتصبح طنجة منطقة دولية. أنظر:

Jean-Pierre, **Tanger son statut sa zone (1923-1956)**, In: Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, N°31-32, 1996.

Henry Marchat, **La France et l'Espagne au Maroc pendant la période du Protectorat (1912-1956)**, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°10, 1971. pp. 81-109.

النظام الدولي بها، هذا النظام الذي دام لغاية سنة 1956 تاريخ إلغاء النظام الدولي بها نهائياً، ولم تستثن من الخضوع لهذا النظام سوى خلال فترة الاحتلال الإسباني للمدينة من 14 جوان 1940 إلى 11 أكتوبر 1945، هذا الاحتلال الذي أفرز الكثير من المتغيرات على الصعيد الداخلي للمدينة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً¹.

أول ماخطر ببال فرنسا بعد سبعة أشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية هو أن تتنازل لإسبانيا عن المنطقة الثالثة في المغرب وهي منطقة "طنجة" والتي بالرغم من أنها كانت تحت الحكم الدولي إلا أن فرنسا كانت تتحكم في إدارة المنطقة منذ وضع قانون 1923، وحظي موصفها (بيير ليفور- Pierre Le Fur) بالرضا والإعجاب من طرف الطنجاويين وحتى الإسبان، إلا أن ولاءه كان فرنسياً². سنة 1940 احتلت إسبانيا منطقة طنجة الدولية وقام الحزب الفاشي الإسباني بمظاهرات في جميع أنحاء إسبانيا للمطالبة بالاستيلاء عسكرياً على منطقة الحماية الفرنسية³، ومثل دخول الكولونيل أنطونيو يوستي سكورا- Antonio Yuste Segura على رأس 4000 جندي من القوات الخليفة التابعة للمغرب الإسباني نصراً لإسبانيا التي استطاعت أن تحقق أمنيةً قديمةً لطالما راودتها وعبرت عنها مراراً⁵، فقد صرح سفير إسبانيا في العاصمة البريطانية لندن في 16 فيفري 1920 عن ذلك صراحةً قائلاً: «إن طنجة تنتمي جغرافياً وسيكولوجياً ومن ثم منطقياً إلى المنطقة الإسبانية، إنها إسبانية كأي منطقة أخرى في بلادنا»⁶، جسدت إسبانيا رغبتها الجارحة في احتلال طنجة ووجد فرانكو فرصة ذهبية لتحقيق رغبة قديمة بالرغم من أن القوانين الدولية لا تسمح بذلك، وبالرغم من رفض المندوب السلطاني لذلك، لكن فرانكو برّر الاحتلال في مذكرة أرسلت إلى ممثلي مختلف القوى المتواجدة في طنجة «بأن الاحتلال هو مجرد عملية وقائية قامت بها إسبانيا تحسباً لعدم وقوع صراع في المنطقة بين القوى الدولية المتصارعة خاصة بعد دخول إيطاليا الحرب، وبأن الاحتلال لن يكون بصفة دائمة والهدف منه فقط هو الحفاظ على الأمن»⁷، قامت السلطات الإسبانية بعد يومين من اكتساحها للمدينة بإصدار ظهير موقع من المندوب السامي الإسباني كارلوس أسينسيو- Carlos Asencio ومصدق عليه من الخليفة الحسن بن المهدي بتعيين العربي بن محمد التمسamani⁸ باشا على مدينة طنجة⁹.

1 Jean-Pierre, **Tanger son statut sa zone (1923-1956)**, Op cit, p 53.

2 جورج سبيلمان، **المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)**، المرجع السابق، ص 97.

3 علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، المرجع السابق، ص 231-232.

4 أنطونيو يوست سيجورا- Antonio Yuste Segura (1889-1971): التحق بأكاديمية طليطلة، وأصبح ضابط مشاة عام 1908، ثم شغل منصب قائد للمشاة، ثم أصبح فيما بعد جنرالاً في نظام فرانكو، ارتبط اسمه باحتلال طنجة عام 1940. أنظر:

Josep Clara, **Antonio Yuste Segura: el general de la Jonquera**, Annals de l'Institut d'Estudis Empordanesos (AIEE), Figueres, vol. 53 (2022), p. 185-192.

5 لطالما إحتجت إسبانيا على الظلم والاذلال الذي لحقها من طرف فرنسا وبريطانيا بعد أن أصبحت طنجة خارج ممتلكاتها إثر معاهدة 1923، وشكلت (مسألة طنجة) الموضوع الرئيسي في السياسة الخارجية الإسبانية منذ بداية القرن العشرين.

6 زينب حمودة، **طنجة تحت الاحتلال الإسباني (1940-1945)**، مجلة أسطور، العدد 04، جويلية 2016، ص 112.

7 Susana Sueiro Seoane, **España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial, la consumación de un viejo anhelo**, Espacio, Tiempo y Forma, Serie V: 7 (1994), pp. 155.156.

8 العربي بن محمد التمسamani الطنجي (1882-1969) ولد في مدينة طنجة، وتوفي فيها، تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم في كتاب الحي، ثم درس علوم الشريعة والأدب على علماء وشيوخ طنجة في عصره، ومنهم العربي المدور، ومحمد العماري، ودرس على شيوخ فاس الذين كانوا يعملون بالقضاء في طنجة، ومنهم محمد زويتن، وأبو شعيب الدكالي، والطبيب بن كيران، وعبد السلام الهوارين عمل في مدينته طنجة، فتولى خطة العدالة (الشهادة العدلية)، وعمل قاضياً شرعياً (1933-1943)، ثم باشا المدينة (1943-1945)، إلى جانب عمله بممارسة الخطابة والتدريس. أنظر: محمد بن الفاطمي السلمي، **إسعاد الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992.

9 Antonio Carrión Manzanares, **Ocupación militar de Tánger por España Secretos del Archivo Intermedio Militar de Ceuta**, elfaro ceuta, España, 2020.p35.

تم احتلال المدينة بطريقة هادئة وسلمية دون وقوع حوادث تُذكر، وسارع هتلر لتهنئة فرانكو على هذا الإنجاز وأرسل موسوليني رسالة تهنئة وُصفت بالفاترة، ولم تظهر فرنسا التي كانت تعاني من أعظم كارثة في تاريخها آنذاك ولا بريطانيا التي كانت مشغولة بالانسحاب من دونكيرك أي ردّة فعل¹.

أعطت السلطات الإسبانية لهذا الحدث زخماً إعلامياً كبيراً تجلّى في اعتباره بمنزلة فتح للمدينة، وضمان أساسي لحياها في الصّراع الدولي خلال هذه الفترة عن طريق توظيف الصّحف والمجلات الإسبانية لتحقيق هذا الغرض الدعائي، مثل جريدة إسبانيا-Espana التي واكبت الحدث على صفحاتها الأولى لحظة وقوعه، ومجلة **موندو-Mundo** التي خصّصت بتاريخ 23 جوان 1940 مواضيع متعلقة بهذا الحدث المهم معتبرة «أنّ إسبانيا تعهّدت بتدخلها العسكري بضمان حياد المدينة ريثما ينتهي الصّراع الدائر في أوروبا»²، إلّا أنّ هذه الوعود سرعان ما تبخّرت على أرض الواقع بعد إقدام قوات الاحتلال على تعطيل سير المؤسسات الدولية بالمدينة وإدارة المدينة على النموذج الإسباني³.

في 3 نوفمبر 1940 وبدون التشاور المسبق مع أحد من الموقعين على النظام الأساسي الدولي قامت إسبانيا بطرد المسؤولين الأجانب من مناصبهم، وعلى سبيل المثال تمّ طرد ممثل السلطان في المدينة وهو الذي يمثل الركيزة الأساسية للنفوذ الفرنسي في طنجة تحت تهديد السّلاح، وتمّ تعيين الجنرال أنطونيو يوستي قائد القوات الإسبانية والياً على طنجة، ثمّ تمّ إصدار عدّة قوانين جعلت بيئة الحياة في المدينة ماثلةً لأيّ مدينة إسبانية، وخلال وقتٍ قصير اكتسبت طنجة مظهرًا ماثلاً لمدن مغربية أخرى تابعة للحماية الإسبانية على غرار تطوان والعرائش⁴. قرّرت السلطات الإسبانية في 16 مارس 1941 إلغاء المندوبية السلطانية في مدينة طنجة، وكان القرار خطوةً من إسبانيا لوضع المدينة بشكلٍ تام تحت سيطرتها، وبالموازاة مع هذه الخطوة أبلغ القنصل العام الفرنسي بالمدينة أنّ الأمر قد حدّد لمغادرة المندوب على الساعة السادسة مساءً، وجرى تحويل مقر المندوبية السلطانية كمقر للنفصلية الألمانية بالمدينة في 17 مارس 1941 ورفع العلم الألماني فوق المندوبية السابقة، ورأى الألمان في ذلك استعادة لحقهم بالطرق القانونية الذي سلب منهم سنة 1914 عند إعلان الحرب العالمية الأولى⁵.

خلف الاحتلال الإسباني لمدينة طنجة ردود فعل مختلفة، بحيث استقبل سكان المدينة الإسبان بشكلٍ إيجابي بل عبّروا عن سعادتهم بهذه المناسبة، وهذا ما تؤكّده تقارير فرنسية مثل تقرير لويس كوس Louis Gousse الذي عاصر هذه الأحداث⁶، أمّا بالنسبة

1 Susana Sueiro Seoane, **La ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica**, Revista Universitaria de Historia Militar (RUHM), Vol. 4/8/ 2015, p.58.

2 Susana Sueiro Seoane, **España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial, la consuma-ción d'un viejo anhelo**, Op cit, p104.

3 في 04 نوفمبر 1940 عطلت إسبانيا المجلس التشريعي ولجنة المراقبة ومكتب الإعلام المختلط، وقررت أن تحكم منطقة طنجة بمراسيم خليفية رداً على الإتهامات التي وجهت لها برغبتها في

Susana Sueiro Seoane, **España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial, la** ضم منطقة طنجة لإسبانيا. انظر:

,consuma-ción d'un viejo anhelo

4 Susana Sueiro Seoane, **La ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica**, Op cit, p59.

5 واكب المناسبة أجواء احتفالية كبيرة حضرها شخصيات أهمها: الدكتور القنصل هيربرت نورينغ-Hurbert Noerhing؛ الدكتور هولفمان-Hokfman؛ الجنرال

أسينسيو-Asencio؛ الجنرال بونت-Ponte؛ الكولونيل أنطونيو يوستي-Antonio Yuste أنظر: Susana Sueiro Seoane, **España en Tánger**

,durante la Segunda Guerra Mundial, la consuma-ción d'un viejo anhelo

6 وصف لويس قوس الحدث بقوله: "إن دخول الإسبان لمدينة طنجة قد قوبل بحماسة كبيرة من طرف ساكنة المدينة الذين رأوا أن الإسبان يمثلون نظاماً جديداً قد يحمل في طياته العديد من المزايا الإيجابية، وقد إلتقيت رجلاً مسناً كان يشارك في المظاهرات للتعبير عن فرحته، وقد خاطبني قائلاً بأنه سيصنع الليلة طبق الكسكسي لأن الإسبان هنا وسنكون

لسكان مدينة الرباط فقد أكد قائد أمن المنطقة هياسينث - Hyacinthe أنّ أحداث طنجة ولدت لدى الساكنة المسلمة في المنطقة السلطانية شعورًا تبلور في اتجاهين متعاكسين، ففي صفوف النخبة المثقفة نجد عدم الرضا عن هذا الحدث واعتباره ضربًا للسيادة السلطانية في المدينة، وتضاعف هذا الشعور بالقلق حول مصير المنطقة، أما الموقف الثاني فعبرت عنه فئة التجار الذين اعتبروا أنّ هذه المرحلة لا بدّ منها من أجل تطوّر التأثير الإسباني الألماني في المغرب، واعتبار ذلك ضروريًا لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، لكنّ الطرفين اعتبروا قرار طرد المندوب بالإهانة للتفوذ الفرنسي¹.

اعتبر سكان مدينة مراكش طرد الإسبان المندوب السلطاني محمد التازي من طنجة إلى الرباط بالإهانة التي لا يمكن التساهل معها أو تجاوزها، أمّا بالنسبة للسلطان محمد بن يوسف فقد تقدّم باحتجاج رسمي للمقيم العام الفرنسي بالرباط وطلب منه إبلاغ الحكومة الإسبانية بموقفه الراض لاحتلال المدينة وجاء في نصّ الاحتجاج مايلي: «سعادة المقيم العام لدولة فرنسا، فبمناسبة دخول إيطاليا في الحرب أبلغت دولة إسبانيا بطريقة سرية بأنها تريد بصفتها دولة غير محاربة أن تتخذ بعض الاحتياطات في منطقة طنجة للمحافظة على النظام والأمن فيها، وفعلا اتخذت تلك الاحتياطات من غير أيّ اعتراض غير أن الحكومة الإسبانية ظهر لها أن تزيد في تلك الاحتياطات لدرجة جعلتها تعطل سير النظام العام² المعمول به سابقًا والموثق بمواثيق دولية ومقرّر بظهير شريف، ولم يقف بما الأمر عند هذا الحد بل أمرت المندوب السلطاني بإخلاء مقره بدعوى أنها قرّرت حذفها من منطقة طنجة التي صمّمت على إدخالها في منطقة نفوذها من أياالتنا الشريفة، إنّ الواجبات الملقاة على عاتقنا وتعهّدنا بتسيير شؤون رعيّتنا والدفاع عن حقوقها تدفعنا لتقديم هذا الاحتجاج القوي على هذه الإجراءات الصّادرة من جهة إسبانيا لوحدها من دون موافقتنا وبمخالفة قواعد حقوق الدّول ومحافظين على كلّ ما لعرشنا السلطاني من الحقوق والإميازات المتعلقة بالنظام الأساسي لطنجة، ولذلك أرجو من حكومة دولة فرنسا أن تبلغ نص هذا الاحتجاج باسمنا للحكومة الإسبانية»³.

لعلّ إقدام السلطان على هذه الخطوة يأتي بعد إدراكه أنّ سلسلة التجاوزات التي أقدمت عليها السلطات الإسبانية بالمدينة تذهب في اتجاه حذف النظام الدولي الذي كانت تخضع له فيما سبق، والتي تعهّدت إسبانيا سابقًا بالمحافظة عليه، وإشراك فرنسا بالأمر باعتبارها الناطق الرسمي باسم المغرب خارجيًا، ولها امتيازات في مدينة طنجة مقارنةً مع دول أوروبية أخرى.

فيما يخص الموقف الفرنسي فقد أبدى رفضه للاحتياح الإسباني للمدينة حتى قبل أن يقع، وحاولت الحصول على الدّعم البريطاني لأجل الوقوف في أطماع إسبانيا، فبتاريخ 14 أبريل 1939 بعث وزير الخارجية الفرنسي جورج بونني - Georges Bonnet برقيةً مستعجلة للسفير الفرنسي بلندن أخبره فيها بما يلي: «لقد أخبرنا القنصل الفرنسي في برشلونة أنّ الإسبان يحضرون للهجوم

سعداء أكثر". أنظر: Susana Sueiro Seoane, *España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial, la consumación de un viejo anhelo*

1 Susana Sueiro Seoane, *España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial, la consumación de un viejo anhelo*, p158.

2 على سبيل المثال منع التجار من استخدام لغة غير الإسبانية على لافتات محلاتهم، كما فرض الإسبان على كل من الأوروبيين والمغاربة في طنجة نفس نظام التقنين الذي كان معمولاً به في إسبانيا، وهو ما أدى إلى ارتفاع سعر المنتجات في الأسواق وانتشار السوق السوداء.

3 زينب حمودة، *طنجة تحت الاحتلال الإسباني (1940-1945)*، ص 114. للإطلاع على نص احتجاج السلطان محمد الخامس كاملاً أنظر:

أبو بكر القادري، *ملكوّاتي في الحركة الوطنية المغربية (1930-1940)*، ج2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص136.

على طنجة، وقد يبدو أنّ هذا التهديد يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار نظراً للمعلومات التي وصلتنا من المقيم العام الفرنسي بالرباط... ويجب أن تُعلموا الحكومة البريطانية لكي تأخذ هذه المسألة في اعتباراتها».

لم تتجاوب بريطانيا في ذلك الوقت مع المخاوف الفرنسية لأنها كانت مشغولة بالانسحاب من ورطة دونكيرك¹ من جهة، ولأنها كانت تولي أهمية بالغة في ذلك الوقت لعدم دخول إسبانيا الحرب إلى جانب ألمانيا.

بالرغم من الأهمية الاستراتيجية التي كانت تمثلها طنجة بالنسبة لبريطانيا²، لكن ذلك لم يمنع فرنسا من اتخاذ الحذر والتأكيد في كلّ مناسبة على ضرورة تحييد إسبانيا من الصراع الدولي لأنها تهدّد مصالح الحلفاء في الحفاظ على حياد مدينة طنجة، كما صرّح وزير الخارجية الفرنسي عند اندلاع الحرب العالمية الثانية قائلاً: «لن نبقي مكتوفي الأيدي ونحن نرى طنجة تفقد حيادها على يد دولة أخرى»، إلا أنّ الظرفية التي اجتازتها فرنسا خلال تلك الفترة والتي تعدّ أعظم كارثة في تاريخها، لم تسمح لها بالقيام بأية ردة فعل ضدّ إسبانيا وحثمت عليها اتخاذ موقف تشاركي مع إسبانيا من أجل ضمان حياد فرانكو³.

رفض نوكيس المقيم العام الفرنسي بالمغرب كان بشدّة منح الإسبان أيّ امتياز في المنطقة وصرّح بأن: «كلّ تغيير في طنجة قد يترتب عليه صعوبات غير مرتقبة»، كما رفض أيّ تنازل لإسبانيا في المغرب وعبر عن ذلك لحكومته بالقول: «إنّ أيّ تنازل عن الأراضي لإسبانيا دون قتال سيكون عاراً على فرنسا»، كذلك كان موقف المغاربة ضدّ الحكم الإسباني، حيث رأوا أنّ الحماية الفرنسية حتى في ضلّ حكم فيشي هي أفضل من الحكم الإسباني⁴.

تجلّت ردود فعل الحركة الوطنية المغربية تجاه الخطوة التي أقدمت عليها السلطات الإسبانية بالمدينة في مواقفها المؤيدة للاحتلال الإسباني للمدينة وعبرّت عن ذلك في صفحات الجرائد المغربية كجريدة (الحرية) لسان حال حزب الإصلاح الوطني، التي نشرت في 15 جوان 1940 مقالاً تعبّر فيه عن موقفها من الاحتلال الإسباني للمدينة جاء فيه: «نحن متفقون مع شرط أن تبرز إسبانيا عن حسن نواياها كما تدّعي»، لكن سرعان ما تحوّل هذا الترحيب لمخاوف وشكوك برزت لدى هؤلاء بتصميم إسبانيا على ضمّ المدينة للتراب الإسباني، وما زكّي هذه الشكوك نشر جريدة (إسبانيا) بتاريخ 19 جويلية 1940 مقالاً بعنوان "طنجة بلدة إسبانية"، مما خلف ردود أفعال رافضة لهذا التصوّر الإسباني، وقد نشرت جريدة (الحرية) في هذا الصدد مقالاً بتاريخ 24 جويلية للتهامي الوزاني تحت عنوان: "طنجة ليست إسبانية ولا فرنسية وإنما مغربية لحماً ودمّاً وجبالاً ووهداً وطابعاً وروحاً"، وأعقب عبد الله كنون في اليوم التالي على صفحات الجريدة نفسها مقالاً بعنوان: "طنجة مغربية وستبقى مغربية إلى الأبد"، وتسبّب هذا المقال في تعطيل جريدة الحرية لثمانية أيام من طرف نائب الشؤون الوطنية ماريانو ألونسو-Mariano Alonso بتاريخ 27 جويلية 1940⁵.

1 إنسحاب دونكيرك أو الانسحاب الكبير: وصف رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية ونستون تشرشل عملية إنقاذ القوات البريطانية المحاصرة في شمالي فرنسا بأنها كانت معجزة في خطابه الشهير "سقطات على الشواطئ" الذي ألقاه أمام مجلس العموم البريطاني في عام 1940، وأشاد تشرشل بعملية الإجلاء الاستثنائية لـ 338.226 من القوات البريطانية والفرنسية من ساحل وميناء دانكيرك، وكان يعتقد أن الألمان سيصلون إلى الشاطئ في غضون يومين، الأمر الذي يعني أن غمة إمكانية لسحب 45 ألف عنصر فقط من القوات الموجودة هناك بأمان، ولكن قادت شجاعة قوات الحلفاء وإرتباك الألمان أدى إلى عملية إجلاء ناجحة لأكثر عدد من القوات البريطانية والفرنسية، ودار الكثير من الجدل بين المؤرخين العسكريين حول الأسباب الغامضة التي منعت المستشار الألماني أدولف هتلر من شن هجوم كاسح على فلول القوات المنسحبة، وهو الموقف الذي وصف بأحد الأخطاء الألمانية الكبرى على الجبهة، وإحدى نقاط التحول في الحرب العالمية. أنظر:

David Divine, *Les 9 jours de Dunkerque*, Calmann- Lévy, Paris, 1964.

2 Susana Sueiro Seoane, *La ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica*, Op cit, p58.

3 Ibid, p59.

4 جورج سبيلمان، *المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)*، المرجع السابق، ص97.

5 التهامي الوزاني، *تاريخ المغرب*، مطبعة الريف، تطوان 1940، ص83.

يمكن أن نفسّر ترحيب الأحزاب المغربية للاحتلال الإسباني لمدينة طنجة على أنّه نابع من تفضيلهم لضم المدينة للمنطقة الخليفية التابعة للحماية الإسبانية بدل بقائها خاضعة للنظام الدولي، باعتبار أنّ دخولها تحت إشراف الخليفة السلطاني من شأنه أن يساهم في استعادة ساكنة طنجة المسلمة لحقوقها التي حُرمت منها على عهد النظام الدولي الذي لم يساهم سوى في تفجير الساكنة المحلية على حساب مصالح الأجانب بالمدينة، وقد عبّر هؤلاء على إثر هذا الموقف عن ترحيبهم بتعيين العربي بن محمد التمساني باشا لطنجة على أعمدة الصُحف¹، كجريدة الحرية التي نشرت بتاريخ 24 مارس 1941 مقالاً جاء فيه: «لقد كان لهذا العهد الجديد وقع في النفوس ما لله به عليم، عهدٌ طالما تمّنيناه ودعونا له سرّاً وجهراً، عهدٌ تنضم فيه طنجة للمنطقة الخليفية، عهد يحق لطنجة أن تتخذه عيداً يوم تُحرّر فيه طنجة من رقة الظلم والاستبداد وذلك بفضل مولانا الخليفة المحبوب»، كما حاولت الأحزاب الوطنية على استغلال الظروف الجديدة التي تمرّ بها المدينة، وقطف ثمار الدّعم والترحيب الذي عبّرت عنه بوضوح للسلطات الإسبانية، بتنشيط العمل السياسي عبر عقد التجمّعات السياسية العلنية بالمدينة، فلقد عقد محمد المكي الناصري زعيم حزب الوحدة المغربية الذي عقد تجمّعاً بالجامع الأكبر بتاريخ 21 أوت 1941، وعلى الرّغم من أنّ المناسبة كانت دينية إلّا أنّ المكي الناصري استغلّها لإلقاء خطاب سياسي ضدّ السياسة الفرنسية في المغرب².

بالنسبة للألمان فإنه يمكن اعتبارهم المستفيد الأكبر من هذا الاحتلال الإسباني للمدينة فهو بالنسبة إليهم إعادة اعتبار للهبة الألمانية التي سلبت خلال الحرب العالمية الأولى، لذلك سارع هتلر لتهنئة فرانكو على هذا الإنجاز ومن جهته أخذ فرانكو يستجيب لرغبة الألمان فسمح لهم بالتدريب في المنطقة الخليفية واحتلال بعض الموانئ المغربية، ولم يتخلّف حليف هتلر الدوتشي موسوليني في تقديم التهنئة رغم وصفها من بعض المحللين "بالفاترة"³.

رغم تدرّج السلطات الإسبانية في اتخاذها لإجراءات الوصول إلى إدماج مدينة طنجة بشكل تام في المنطقة الخليفية فإنّ المدينة عرفت بالمقابل تدهوراً في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية منذ اقتحامها من طرف القوّات الإسبانية، وفي مقدمة هذه المشاكل أزمة التموين بالمواد الأساسية، وقد أجمعت الكتابات الوطنية والأجنبية على الانعكاسات السلبية للاحتلال الإسباني للمدينة على السّكان، ومثل هذا الاتجاه كلّ من علال الفاسي وروبير آرون-Robert Aron في كتاباتهم، حيث اتفقوا على أنّ موقف المغاربة كان ضدّ الحكم الإسباني ورأوا أنّ الحماية الفرنسية حتى في ظل حكم فيشي هي أفضل من الحكم الإسباني⁴.

أظهر الإسبان بعد احتلالهم لمدينة طنجة تقارباً واضحاً مع الألمان رغم إعلانهم الحياد، حيث أعادت إسبانيا إلى ألمانيا المقر السابق للمفوضية الألمانية وهو مبنى فاخر يقع وسط المدينة كان مقرّاً لإقامة ممثل السّلطان، وأصبحت القنصلية الألمانية في طنجة مركزاً رئيساً للدعاية والتجنّس للرايخ الثالث في الخارج وقاعدة أساسية للنشاط المناهض للحلفاء في شمال إفريقيا⁵، فلقد حاول العملاء الألمان الحصول على الإمدادات لقوات المحور وتركيب أجهزة تجنّس كالرادارات وإنشاء محطات راديو ومحطات استماع للكشف عن أنشطة

1 محمد بن الفاطمي السلمي، إسهام الإخوان الراغبين بتراجيم ثلّة من علماء المغرب المعاصرين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992، ص 123.

2 زينب حمودة، طنجة تحت الاحتلال الإسباني (1940-1945)، ص 114.

3 Susana Sueiro Seoane, **La ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica**, Op cit, p56.

4 أنظر: علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ص 131-132. وكذلك: Robert Aron, **The Vichy Regime 1940-1944**, p158.

5 صرح صامويل هور السفير البريطاني في مدريد في هذا الصدد بقوله: "كان عدد كبير من أعضاء السلك الدبلوماسي الألماني متورطاً في مهام التجسس، وكان جميع نواب القناصل في طنجة أو في الحماية الإسبانية عملاء وجواسيس استطاعوا توظيف جواسيس وعملاء مسلمين لخدمتهم". أنظر:

L'action allemande au Maroc Espagnol, **The National Archives**, FO/371/24447.

الحلفاء وعلى وجه الخصوص تحركات سفن الحلفاء التي تعبر مضيق جبل طارق، وقاموا بنقل المعلومات دون أي عوائق تذكر، مقابل الاحتجاجات المتكررة من البريطانيين لدى السلطات الإسبانية¹.

واجهت اسبانيا مشاكل عديدة لتسيير شؤون المدينة بسبب التدهور الكبير للوضع الاقتصادي و الحرب الأهلية والنقص الحاد في المنتوجات الأساسية ما اضطرّ الإسبان إلى الاعتماد بشكل رئيسي على الحلفاء وهو ما استغلته بريطانيا للضغط عليهم لبقائهم على الحياد، وبذلت بريطانيا في البداية مجهودًا كبيرًا لتأمين احتياجات مدينة طنجة من المواد الأساسية لكن بعد سنة 1942 ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أكبر من بريطانيا خاصةً في تزويد المنطقة بالخرققات والمواد النفطية المختلفة، ما ساعد في زيادة ضغط الحلفاء على إسبانيا والإبقاء على مصالحهم في المنطقة وخاصةً مدينة طنجة².

على الرغم من محاولة الكتابات الإسبانية التقليل من خطورتها والترويج على أنها تمكّنت من تحسين الأوضاع بالمدينة، وأنّ احتلالها يهدف أولاً وأخيراً للحفاظ على حيادية المدينة، معتمدةً في ذلك الصحف والمجلات والكتب لتلميع صورة الإسبان حتى بعد الانسحاب من المدينة، إلّا أنّ ذلك لم يشكّل فارقاً بالنسبة إلى قوى الحلفاء التي عبّرت عن رغبتها في عودة المدينة لخضوعها للنظام الدولي، وهو ما يعني ضمناً اضطراب إسبانيا للتراجع عن هذا الاحتلال الذي دام خمس سنوات³.

5. تونس خلال الهدنة الفرنسية الألمانية:

ساد ارتياح عام كافة طبقات الشعب التونسي إثر انهزام الجيوش الفرنسية في جوان 1940 وإمضاء الهدنة مع ألمانيا وقيام حكومة يمينية عُرفت بحكومة فيشي، وهو شعور تلقائي وعفوي نتيجة السياسة الاستعمارية القمعية التي عانى منها الشعب التونسي طيلة فترة الحماية، لقد أزعجت الهدنة الموقعة بين فيشي فرنسا وألمانيا خطر التدخل العسكري من قبل قوات المحور على تونس، وواصلت فرنسا بقيادة بيتان ممارسة تطبيق قوانين الحماية كما في السابق⁴، كما استغلّت الحركة الوطنية التونسية وعلى رأسها أعضاء الحزب الدستوري الجديد الوضع للرفع من شدة الاحتجاجات والصدّامات وأعمال التخريب محلياً، حيث شهدت منطقة قصر هلال الساحلية ومنطقة دقاس في الجنوب أعمال تخريب ومظاهرات متواصلة، الأمر الذي أكّده مدير مصالح الأمن في تقريره الذي رفعه إلى الكاتب العام في 18 ماي 1941 تحت عنوان (مظاهرات الشوارع - مظاهرة للحزب الدستوري التونسي الجديد) أعلمه فيها عن تلك المظاهرات التي وقعت في 13 ماي 1941 وأُتهم فيها خمسة تونسيين أحدهم من منستير والبقية من قابس، وحمل التقرير أسماءهم وكيفية تحضيرهم للمظاهرة، كما حمل التقرير أسماء 13 شخصاً ممن أُلقي عليهم القبض في أعمال تخريب متفرقة⁵.

إثر اعتقال الحبيب ثامر تشكّل الديوان السياسي السّابع للحزب الدستوري الجديد بقيادة الرشيد إدريس يوسف بن عاشور وصلاح الدين بوشوشة لتسيير أمور الحزب، وقد وُزّع الديوان عدّة منشورات أهمها منشور 12 ماي 1941 في ذكرى الاحتلال الفرنسي

1 عبد المجيد بنجلون، الحركة الوطنية المغربية في المغرب الحليفي (1930-1956)، الدار البيضاء، 1983، ص102.

2 Susana Sueiro Seoane, La ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica, Op cit, p60.

3 زينب حمودة، طنجة تحت الإحتلال الإسباني (1940-1945)، المرجع السابق، ص122.

4 Ahmed Kassab-Ahmed Ounaies, Histoire Generale De La Tunisie (1881- 1956) L'époque Contemporaine, tome 3, Sud Idition, tunis 2010, p 417.

5 الحركة الوطنية التونسية، وثائق8، الدستور الجديد في مواجهة الحقبة الثانية 1938-1943 خمس سنوات من المقاومة، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، 1983، ص167، 169.

لتونس، شرح المنشور مدى ضعف فرنسا خلال هذه الفترة وضرورة إخلاء وجودها بالبلاد التونسية¹، كما قام الديوان بتشكيل منظمة سرية تدعى **اليد السوداء** تمثل الجناح العسكري للحزب الدستوري الجديد من أجل ضمان استمرار المقاومة، لكن رد السلطات الاستعمارية جاء سريعاً باعتقال جميع قادة الديوان في شهر جوان 1941 وتمت محاكمتهم في شهر أوت، واتهمت كل من يوسف بن عاشور والرشيدي إدريس بتهمة الاستحواذ على مسدس غير مرخص وآلة راقنة دون إعلام السلطة والاعتداء على سلطة فرنسا².

يبدو أن أعضاء الحزب الدستوري التونسي الجديد قد قرأوا جيداً الواقع ووقفوا على أن فرنسا فيشي عاجزة على القيام بتعهداتها نحو تونس، لذلك أجرى الدستور الجديد العديد من الاتصالات خاصة مع القنصل الأمريكي، كما تحرّكوا من أجل المطالبة ببطلان الحماية وتقدم وفد من الحزب برئاسة الحبيب ثامر بتقديم عريضة للباي يوم 20 جوان 1941 يطالب فيها بإخلاء الحماية وإطلاق سراح المعتقلين المتواجدين بفرنسا، لكن السلطة الفرنسية اعتقلت الوفد قبل أن يحظى بمقابلة الباي وزجت بهم في السجن ولم يطلق سراحهم إلا بعد بضعة أسابيع³، وفي نفس الإطار يروي الصادق بسباس أحداث مظاهرة 7 أفريل 1942 التي جرت بمناسبة إحياء ذكرى أحداث 9 أفريل 1938 حيث تم الاتفاق مع عناصر دستورية على تنظيم المظاهرة والاتفاق على أن يتحمل المسؤولية خمسة أشخاص فقط في حال كانت هناك متابعات قضائية وكان الصادق أول المترشحين الخمسة وبالفعل بعد انتهاء المظاهرة التي وصفها بالناجحة تم إلقاء القبض على الخمسة وصدر الحكم في 30 ماي 1942 بالحكم عليهم بثلاث سنوات سجنًا⁴.

يصف محمود المطاري الوضع في تونس خلال حكم فيشي وتعيين بيار استيفا - Pierre Esteva⁵ كحاكم عام على تونس بقوله: «لم تعد آنذاك شخصية المقيم العام ذات أهمية كبيرة في نظرنا معشر التونسيين، حيث تلاشى عنا التفكير في إجراء إصلاحات سياسية أو غيرها، لذلك وجد المقيم الجديد البلاد هادئة تمام الهدوء بل مخدرة، وكان العاهل الهرم أحمد باي البالغ من العمر 80 سنة يعيش في غير مبالاة، تحف به حاشية ضيقة من أناس تافهين لا يدركون أهمية الحوادث التي يتخطب فيها العالم»، في حين يرى صورة الأحزاب السياسية في خضم ذلك كالاتي: الحزب الدستوري القديم كان على عادته لا يبدي أي حراك وأعضاء المجلس الكبير يرتعشون خوفاً من الأدميرال إستيفا، أما الحزب الدستوري الجديد فكان يثبت من حين لآخر وجوده بالقيام بعمليات عادة ما تؤدي إلى اعتقالات جديدة⁶.

يمكن القول أن الحياة السياسية العامة في تونس قد توقفت منذ إصدار مرسوم الباي في خريف 1940 حين قرّر تعليق عمل المجلس الأعلى وعمل الأحزاب السياسية والنقابات في تونس، على الصعيد الاقتصادي شهدت التجارة في تلك الفترة نشاطاً واسعاً إلا

1 نذكر بعض مما جاء في منشور 12 ماي 1941 ماي: "بعد هزيمتها النهائية، لم تعد فرنسا قادرة على تبرير وجودها في تونس، على الرغم من أنها لا تزال تدعي حماية هذه الأرض، لقد فقد هذا الادعاء كل مبرر الآن فرنسا غير قادرة على الدفاع عن نفسها، فكيف تستطيع الدفاع عن الآخرين؟ [...] مات الحامي غرقاً في مياه دونكيرك...". أنظر:

Romain-H. Rainero dans La commission italienne d'armistice avec la France - Les rapports entre la France de Vichy et l'Italie de Mussolini (10 juin 1940-8 sept. 1943), Document 20, Paris, 1995.

2 علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945، دار نعي، صفاقس، ط 1، 2007، ص 498.

3 الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، د م، د س، ص 100.

4 شهادة الصادق بسباس، بتاريخ 1992/07/14، رقم المسجلة 77.

5 بيار استيفا - Pierre Esteva: 1880 / 1951: المقيم العام بتونس (1940-1943)، كان وزيراً للدخالية في حكومة فيشي (1943)، حكم عليه بالسجن المؤبد من قبل محكمة العدل العليا للجمهورية في 15 مايو 1945، وتم العفو عنه في 11 أغسطس 1950، وصفه الدكتور المطاري عضو الحكومة التونسية عام 1943 بقوله: "لحية بيضاء مشرقة، وجهة بارزة وعينان صغيرتان غائرتان، ومشية بطيئة ومتمايلة... روح ثقيلة مثل المشية... يرى أن قيادة سفينة في الحرب هو أفضل شيء يمكن تعلمه لقيادة دولة... وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه الرجل المناسب لهذا المنصب...". أنظر: محمود المطاري، ملكرات مناصل، دار الشروق، القاهرة، 2005.

6 محمود المطاري، ملكرات مناصل، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص 154-156.

أنَّ الأوضاع كانت متردّيةً بسبب ارتفاع الأسعار بشكلٍ كبير لاسيما أسعار المواد الأساسية، وهذا ما أشار إليه التقرير المرفوع من قائد منطقة الكاف إلى مدير الإدارة العامة جاء فيه: «إنَّ الحركة التجارية تشهد صعودًا لكن أسعار المواد المعيشية مرتفعة جدًا، ويعيش العمال ظروفًا صعبة ولا يصلون حتى إلى تحقيق الحاجيات الأساسية لعائلاتهم»، ولم يختلف مراقب قابس في تقريره حين أشار إلى تراجع قيمة المبادلات التجارية بأسواق دائرة قابس بقيمة 859.000 فرنك في شهر ديسمبر 1942، وتعمقت الأزمة الاقتصادية خلال فترة حكم فيشي في تونس، فقد تقهقر الحجم الإجمالي للتجارة الخارجية الذي كان يبلغ 4.000.000 طن قبل الحرب إلى 1.850.000 طن بين سنتي 1940-1942¹، وشهدت المبادلات التجارية بين المحمية التونسية والعاصمة باريس، فقد تقلصت بشكلٍ كبير بعد توقيع الهدنة، الأمر الذي جعل المقيم العام استيفًا يحاول إيجاد حلول اقتصادية بعيدًا عن الاعتماد على باريس، عسكريًا تم تأسيس الفيلق التونسي بقيادة الجنرال جوبو وقسم الفيلق على خمس مناطق إقليمية هي: بنزرت وتونس والكاف وسوسة وصفافس².

حاولت سلطة فيشي في تونس استقطاب فئة الشَّباب، فأُنشأت في صيف عام 1940 "مشاريع الشَّباب - Les chantiers de la jeunesse"³ محل الخدمة العسكرية المحصورة بموجب اتفاقية الهدنة⁴، وتم إنشاء مجموعتين في تونس: الأولى للأوروبيين في منطقة طبرقة، والثانية لاستقبال الشَّباب المسلم في منطقة سبيطلة التي تأسست في 15 ماي 1941، كان عمل هذه المعسكرات يقوم على تقديم دورات لهؤلاء الشَّباب لمدة ثلاثة أشهر، على يد مدرّبين فرنسيين أغلبهم أساتذة في التاريخ على غرار أستاذ التاريخ بمدرسة كارنو الثانوية تشارلز إيمانويل دوفورك - Charles-Emmanuel Dufourcq⁵، حيث يوضع الشَّباب التونسي خلال تلك الفترة في "أجواء فرنسية خالصة"، بهدف الاستفادة منهم لخدمة مصالح فرنسا، انضمَّ إلى هذه المعسكرات أكثر من 300 شاب تونسي ينتمون إلى قبائل الفراشيش والمجر وحمامة وأولاد عيار في صيف 1941، لقد أعدَّ القائمون على هذه المعسكرات برنامجًا تكوينيًا مكثفًا، كما ساهم هؤلاء الشَّباب في استغلال مساحة تقدر بـ 1300 هكتار بمنطقة القلعة، لإنتاج مختلف أنواع المحاصيل الزراعية والعمل في شق الطرق والمسارات حول سبيطلة⁶.

1 محمد يحي أحمد- حمادي سلمان حمادي، القطاع التجاري في تونس خلال سنوات الحرب العالمية الثانية 1939-1945، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 29، العدد 11، جامعة تكريت العراق، 2022، ص 200.

2 Christine Levisse Touze, L'Afrique du Nord - Recours ou secours ? Septembre 1939 - juin 1943, thèse d'État, janvier 1991, p. 300.

3 مشاريع الشباب - Chantiers de la Jeunesse (CJF) والتي تسمى غالبا معسكرات الشباب، هي مؤسسة شبه عسكرية فرنسية نشطت من عام 1940 إلى عام 1944. وهي مكان للتدريب والإشراف على الشباب الفرنسي سواء في فرنسا أو في المتروبول، وهي تقوم على نشر قيم الثورة الوطنية التي دعت إليها حكومة بيتان بين الشباب. أنظر:

Maité Lascaud, Frédéric Dutheil, Pratiques physiques et sportives, "formation virile et morale" dans les Chantiers de la jeunesse, 1940-1944, STAPS, Revue Internationale des sciences du sport et de l'éducation physique, Volume 23, no 58, printemps 2002, pp. 35-48

4 Christophe Pécout, Pour une autre histoire des Chantiers de la Jeunesse (1940-1944), Vingtième Siècle, Revue D'histoire, N°116, Octobre- Decembre 2012, p. 97-107.

5 إيمانويل دوفورك Charles-Emmanuel Dufourcq: ولد في الجزائر العاصمة (الجزائر) في أكتوبر 1914، وأكمل تعليمه الثانوي في ثانوية بوجو في الجزائر العاصمة، حيث أصبح أستاذا للتاريخ في الطور المتوسط في سانت سير وفي سنة 1962، غادر الجزائر العاصمة وعين أستاذا في كلية الآداب نانتر بباريس، نشر كتابه " La Vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous la domination arabe"، عام 1978، والذي حصل على جائزة بروكيت-جونين للأدب من الأكاديمية الفرنسية عام 1980. ويعطي هذا الكتاب رؤية حقيقية لما كان عليه وجود المسلمين في أوروبا، وبالتحديد في إسبانيا وصقلية. أنظر:

Henri Bresc, Charles-Emmanuel Dufourcq et le Maghreb Médiéval, un itinéraire, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 1983, pp. 175-179.

6 Patrick Cabanel- Jacques Alexandropoulos, La Tunisie mosaïque, Presses universitaires du Midi, Toulouse, 2000, p239.

بالنسبة لقادة الحزب الدستوري القديم لم يكن موقفهم واضحاً بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا حيث انقسموا إلى فريقين، الأول أبدى إعجابه بقوة الألمان ورحبوا بالمارشال بيتان وعلقوا عليه آمالاً كبيرة، منهم الأمين العام للحزب صالح فرحات¹ وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب مثل الشاذلي الخلافي، والمنصف المستيري ومحي الدين القليلي، وهناك من انحاز لرأي الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وإن كان موقفه غير واضح تماماً، فقد صرّح إثر سقوط فرنسا تحت ضربات الألمان قائلاً: «إنّ الإسلام يحب القوة والعدل، وقد أظهر تفضيله للمحور»، لكننا نجده يعبر عن موقف مغاير عندما يستقبل محمد الحبيب شلي حيث أخبره حينها: «الآن آن الأوان لأن نفكر بعقلنا لا بعواطفنا... لقد انهزمت فرنسا وأصابته ضربة قاصمة وهذا لصالحنا... إنّ انتصار ألمانيا حليفة إيطاليا التي لم تخفي مطامعها الاستعمارية في تونس، معناه أنّ تونس ستكون من نصيب إيطاليا عند تصفية تركة فرنسا الاستعمارية... ولذا ينبغي أن نفكر مجد في مستقبلنا بعيداً عن العاطفة والانفعال، ويظهر لي أنّ انتصار إنكلترا في هذه الحرب وإن كان بعيد الاحتمال الآن، هو أجدى من انتصار ألمانيا وهذا على كلّ حال أهون الشرّين»²، بل هناك من ذهب أبعد من ذلك حين أشار الكراي القسنطيني إلى أن الثعالبي كان على اتصال مع الإنجليز³ في محاولة منه لدفعها في اتجاه التصدي للقمع الاستعماري الفرنسي المسلط على التونسيين⁴. توفي الباي أحمد⁵ في 18 جوان 1942 المغضوب عليه من قبل الشعب التونسي ليعتلي المنصف باي مقاليد العرش الحسني في تونس يوم 19 جوان 1942 وكان عمره آنذاك 62 سنة، الأخير الذي قام بعد أقل من شهر بإعفاء وطرّد العديد من موظفي البلاط، كما حاول استغلال الوضع للرد على السياسة الاستعمارية الفرنسية وذلك بتشجيع نشاط الحركة الوطنية، كما أسّس مجلساً خاصاً برئاسة شقيقه حسن باي لمساعدته على تدبير شؤون الدولة، كان من بين أعضائه وطنيون تونسيون من بينهم محمود المطاري ومحمد بدره والصادق الزملي ومحمد علي العنابي⁶.

1.5. اعتلاء المنصف باي عرش تونس:

بادر المنصف باي فور اعتلائه العرش بتوجيه رسالة للمارشال بيتان للمطالبة بإدخال إصلاحات سياسية جوهرية على نظام الحكم في تونس طبقاً لروح معاهدة الحماية بتاريخ 2 أوت 1942 والتي قدّمها وزيره الأول محمد شنيق تتضمن قائمة بـ 16 مطلباً أهمها:

- تكوين مجلس استشاري للتشريع يمثل جميع الطبقات الاجتماعية التونسية؛
- المساواة في المعاملة بين الموظفين التونسيين والفرنسيين على جميع الأصعدة خاصّة الأجور ؛

1 صالح فرحات: من رواد الحركة الوطنية التونسية، بدأ نضاله السياسي في صفوف حركة الشباب التونسي، ثم كان من مؤسسي الحزب الحرّ الدستوري التونسي سنة 1920، انتخب سنة 1921 عضواً باللجنة التنفيذية للحزب الحرّ الدستوري التونسي وبلجنته التشريعية. واختير أميناً عاماً مساعداً للحزب سنة 1923، وآلت إليه رئاسة الحزب إلى حين رجوع الزعيم عبد العزيز الثعالبي سنة 1937، سمي وزيرا للعدل سنة 1943 غداة الحرب العالمية الثانية بتركية من الملك المنصف باي.

2 محمد الحبيب شلي، موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور و الخلفاء ثلاثة رسائل من الشيخ أمين الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 133.

3 كانت إدارة الحماية تشك بوجود إنصالات بين الشيخ الثعالبي والاستخبارات لأتجليزية لذلك أمر المقيم العام العام الجنرال ماست نفسه بمراقبة منزل الشيخ الثعالبي سرا ومعرفة جميع الزائرين للشيخ قصد البحث عن أي دليل يمكن أن يفيد بوجود إنصالات . أنظر: A.D.N. Boite 1866, versement protectorat Tunisie, lettre de résident général, Tunisie, le 19/05/1944

4 الكراي القسنطيني، الأوضاع السياسية غداة دخول الخلفاء إلى تونس، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24، نوفمبر 1981، ص 258.

5 تولى أحمد باي حكم تونس من 1929 إلى 1942 وتميز عهده بفترات متتابعة من القمع الاستعماري منها: إحياء ذكرى خمسينية الحماية، المؤتمر الافخارستي، أزمة التجنيس، نفي الزعماء الوطنيين، القمع الوحشي 09 أفريل 1939، كل تلك الاحداث لم تلق أي اعتبار لدى أحمد باي . أنظر: سعيد المستيري: المنصف باي الحكم والمنفي، ترجمة: هشام القروي، دار الأقواس للنشر، 1991، ص 24.

6 سعيد المستيري، المنصف باي الحكم والمنفي. دار الاقواس للنشر، تونس، 1991، ص 18.

- إطلاق سراح المساجين السياسيين؛
 - إلغاء الأمر 1898 والذي يخول للمعمرين الاستحواذ على أراضي الأوقاف.
- اقتربت مطالب الباي المنصف كثيراً من مطالب الأحزاب الوطنية التونسية لكن لم تلق تلك المطالب بالإصلاح أهمية تذكر عند حكومة فيشي، خاصةً بعد توتر العلاقة بين المنصف باي والمقيم استيفا¹.
- دارت العلاقات الفرنسية الإيطالية في تونس خلال فترة الهدنة الفيشية بشكل رئيسي حول ثلاثة مسائل، المسألة الأولى تتعلق بمصير الجالية الإيطالية التي تسعى السلطات الفاشية إلى مساعدتها والدفاع عنها ضد التمييز والاضطهاد الذي قد تتعرض له من قبل الفرنسيين، رغم أنّ الأمر في حقيقته يتعلق بتخوُّف الإيطاليين من تقليص سلطات الحماية لمصالحهم الاقتصادية في تونس، أمّا المسألة الثانية فتتعلق بتخوُّف سلطات الحماية من تسخير إيطاليا لإمكانات الحماية في خدمة المجهود الحربي الإيطالي في ليبيا، أمّا المسألة الأخيرة فهي تخصّ الوضع المستقبلي لتونس بعد معاهدة السلام النهائية².
- سعى إستيفا في مساعيه لمواجهة الأهداف الإيطالية جاهداً لإظهار أنّ الدولة الحامية تعتمد سياسة طويلة المدى في تونس هدفها الإبقاء على الوضع كما كان عليه قبل اندلاع الحرب، ومن ثمّ تمّ تخصيص ميزانية كبيرة لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس، مثلاً تم وضع خطة للتنمية الريفية لمنطقة القصرين تسمح باستغلال 4038 هكتاراً من الأراضي الزراعية، إضافةً إلى إجراءات إدارية في نفس الاتجاه، ففي جوان 1941 تم إنشاء محكمة الاستئناف في تونس، وهو مطلبٌ لطالما نادى به مناضلو الحركة الوطنية في تونس ولسنوات طويلة، وفي إطار تدعيم سياسة إستيفا للحفاظ على تونس إلى الأبد وبأيّ ثمن، أمر الأخير بنشر كتيبات دعائية بين السكّان تحمل في مضمونها جوانب من المجهود الكبير الذي تبذله سلطات فيشي الفرنسية في مختلف الجوانب بالبلاد التونسية³.
- إثر نزول جيوش المحور في تونس يوم 1942/11/09 تحوّلت البلاد التونسية مسرحاً للعمليات الحربية بين الحلفاء والمحور، وكما سبق وأن ذكرنا فقد أعلن المنصف باي تطبيق مبدأ الحياد بالنسبة لبلده تونس منذ الوهلة الأولى، وامتنع عن الموافقة على التدابير المالية للمحور، والتي اقترحها عليه المقيم العام "إستيفا-Estiva" تنفيذاً لأوامر حكومة فيشي، حيث كان هم المنصف باي الدفاع عن شعبه وسيادته المفقودة، كما حاول استرجاع هيبة العائلة الحسينية التي فقدت ثقافتها الشعبية في البلاد التونسية بسبب مساهماتها لمطالب الحماية الفرنسية، وفي هذا الإطار تدخل المنصف لدى السلطة الفرنسية للإفراج عن المساجين السياسيين يوم 1942/12/01 وفي الفاتح جانفي 1943 شكّل وزارة تونسية جديدة برئاسة محمد شنيق، وبمشاركة بعض الوطنيين التونسيين دون استشارة المقيم العام، وبفضل هذه الإجراءات استأنف الحزب الدستوري الجديد نشاطه بقيادة الحبيب ثامر، فأعاد تنظيم هيكله وأصدر جريدة يومية ناطقة باسمه "إفريقيا الفتاة" وإنشاء جمعيات الإسعاف ولجان الهلال الأحمر التونسي لمساعدة المتضررين من الحرب⁴.
- يمكن تسجيل محاولة محمد شنيق وبعض السياسيين التونسيين في هذه الفترة ربط اتصالات مع الأمريكيين من خلال القنصل الأمريكي بتونس على أساس الوصول لحل حول مستقبل البلاد، لكنّ الحضور العسكري للمحور وخاصةً القوات الألمانية، والتعاطف

1 يرجع احمد القصاب سبب توتر العلاقة بين المنصف باي والمقيم استيفا الى تاريخ 12 أكتوبر 1942 عندما قدم استيفا الى قصر البارود لتقديم التهانّي للمنصف باي بمناسبة عيد الفطر، فأعرب له المنصف استغرابه لعدم وجود أي تونسي من بين رؤساء الادارات المرافقين للمقيم العام، فرد عليه استيفا قائلاً: "بأن الفرنسيين هم وحدهم القادرين على الاضطلاع بمناصب القيادة"، الامر الذي أغضب المنصف باي. أنظر: احمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 572.

2 Christine Levisse Touze, *L'Afrique du Nord - Recours ou secours ? Septembre 1939 - juin 1943*, Op cit, p. 309.

3 Patrick Cabanel- Jacques Alexandropoulos, *La Tunisie mosaïque*, Op cit, p241.

4 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، مرجع سابق، ص 325.326.

الكبير الذي أبداه الشعب التونسي إضافة إلى الترحاب الحار الذي لقيته هذه القوات من طرف أعضاء الحزب الدستوري هذا من جهة، وتعليمات بورقيبة من منفاه بفرنسا التي كانت توصي بالتأييد المطلق وغير المشروط للحلفاء¹ من جهة أخرى، جعلت المنصف باي يتخذ موقفاً محايداً لإبقاء تونس بعيدة عن الصراع².

عانى الحزب الشيوعي التونسي من مصاعب كثيرة، فبالإضافة إلى العزلة التي كان يعاني منها إثر موقفه من أحداث 09 أبريل 1938، فقد دخل في مواجهة مع الأحزاب الفرنسية الموجودة في تونس وتعرض لتعسف السلطة الاستعمارية نتيجة لتبنيه للتغيير الذي طرأ على السياسة السوفياتية بداية من 23 أوت 1939 عندما وقع ستالين معاهدة عدم الاعتداء مع ألمانيا³، ما دفع السلطات الفرنسية إلى حل الحزب الشيوعي الفرنسي في 26 سبتمبر 1939.

أصدر الباي في 06 أكتوبر 1939 مرسوماً يمنع أي نشاط للحزب الشيوعي، لكن تغير الوضع بعد هزيمة فرنسا ووصول حكومة فيشي إلى الحكم، حيث أعاد الشيوعيون في تونس هيكلة الحزب في جويلية 1940، ومحاوله تقديم خطة سياسية تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، فقام الحزب بفتح حوارٍ سرّي في شكل ندوات خلال شهري أبريل وجوان 1941 انتهى إلى إصدار ما يسمى أطروحات جوان، وهي نص حدّد طبيعة الحزب الشيوعي التونسي باعتباره حزباً يناضل من أجل تحرير تونس وهو ما يعد تطوراً إيجابياً وسابقة في تاريخ الحزب الشيوعي التونسي خاصة إذا علمنا أنّ برامج الحزب كانت تعدّ في لجنة المستعمرات التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي.

سرعان ما حدث تحول آخر داخل الحزب في 22 جوان 1941 إثر الهجوم الألماني على أراضي الاتحاد السوفياتي لينهي الحزب كل نقاش حول طبيعة الحرب، وينهي خلافاته مع القوى المعادية للفاشية ويحدّد النضال ضدّ النازية ودعم الاتحاد السوفياتي والحلفاء كهدف أساسي، وسيركز الشيوعيون في تونس على مقاومة هتلر واعتبروا المقيم إستيفاً عوائقاً له، لذلك سيدخلون في مواجهة مباشرة مع السلطة الفرنسية بتونس بوصف حكومة فيشي بالحكومة العميلة للنازية⁴، كما شكّل الحزب بسرعة خلايا سرية لإنجاز مهام دعائية لصالح الحلفاء والاتحاد السوفياتي وتحريضاً ضدّ النازية وحكومة فيشي إلا أنّ هذا المجهود كان ضعيفاً وعاجزاً عن الإقناع⁵.

1 كان بورقيبة في تلك الفترة قابعا في سجن saint Nicolas قرب مرسيليا وقد أستطاع أن يبعث برسالة عبر زوجته ماتيلد إلى الحبيب ثامر يحذره فيها من التعاطف مع المحور، لأنه كان واثقا من إنتصار الحلفاء في نهاية الحرب وبأنه يخاف على الشعب التونسي من ردة فعل فرنسا. أنظر: احمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

2 حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تحقيق حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2010، ص 158.

3 الحبيب القزدغلي، تطور سياسة الحزب الشيوعي خلال الحرب العالمية الثانية سبتمبر 1939-ماي 1943، أعمال الندوة الوطنية الرابعة في تاريخ الحركة الوطنية: تونس بين 1939 و1945، أيام 6 و7 جوان 1987 سيدي بوزيد، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1989، ص 185.

4 الحبيب القزدغلي، تطور سياسة الحزب الشيوعي خلال الحرب العالمية الثانية سبتمبر 1939-ماي 1943، أعمال الندوة الوطنية الرابعة في تاريخ الحركة الوطنية: تونس بين 1939 و1945، أيام 6 و7 جوان 1987 سيدي بوزيد، مرجع سابق، ص 177.

5 الحبيب القزدغلي، تطور الحركة الشيوعية بتونس 1919-1943، تق: علي المحجوبي، منشورات كلية الآداب، منوبة تونس، 1992، ص 311.

2.5. يهود تونس تحت حكم فيشي:

مباشرةً بعد توليها الحكم في فرنسا باشرت حكومة فيشي في إصدار مجموعة من القرارات والمراسيم، خاصةً تلك التي جاءت في حق اليهود للحد من امتيازاتهم وسلطتهم وفرض قيود عديدة عليهم¹، ومن منطلق الولاء لبيتان وحكومة فيشي كان من المفترض على المقيم العام إستيفا تطبيق القوانين التمييزية ضد اليهود بصرامة، لكن منذ بداية ولايته كمقيم عام في تونس وكما يتضح من رسائله إلى وزارة الخارجية في فيشي تمسك الأدميرال بالدفاع عن اليهود متذرعاً بمبدأ أساسي وهو النظام الأساسي الخاص باليهود في تونس والذي حدده مرسوم الباي الصادر في 30 نوفمبر 1940 أي بعد أقل من شهرين على صدور قانون العاصمة باريس المتعلق بوضع اليهود الصادر في 03 أكتوبر 1940، فبالنسبة لليهود غير التونسيين يتم تطبيق القانون الفرنسي كما هو أمّا بالنسبة لليهود التونسيين فيتم معاملتهم كرجال تونسنيين ولا تشملهم القوانين الصادرة في فرنسا، لكن المرسوم ينص على استبعاد اليهود من الخدمة العامة ويمنعهم من الاشتراك في مجالس النقابات المهنية أو من إنشاء الصحف أو امتلاك دور للسنا وفي فرنسا، صدر قانون جديد بتاريخ 2 جوان 1941 يوسع تعريف اليهودي ويعزز الاستبعاد المهني من خلال توسيعه ليشمل المهن الحرة².

اعتمد مرسوم الباي الصادر في 26 جوان 1941 التعريف الجديد وأمر بإحصاء اليهود في تونس³ لكنه لم يتضمن أي حظر مهني جديد، لكن قبل ذلك كان قد تم حظر جميع المنظمات الشبانية اليهودية في 5 جوان 1941 وتم فرض شرط العدد في التعليم الابتدائي، حيث تم تحديد نسبة عدد الطلاب اليهود بـ 20% من إجمالي عدد الطلاب، ومنع مرسوم 9 أكتوبر 1941 مهنة محامي الدفاع عن اليهود، في حين أن نص 16 أكتوبر 1941 حدد عدد المحامين اليهود، كما منع أن تزيد نسبة الأطباء اليهود على 5% من مجموع الأطباء في البلاد⁴.

لطالما تعدّر استيفا لدى حكومة فيشي بأن يهود تونس يعيشون ظروفًا خاصةً بالتالي فهو مضطر للتكيف مع تلك الظروف، وأوضح في رسالة إلى وزارة الخارجية في فيشي أنه: «من المستحيل تطبيق كل القوانين التي أقرتها حكومة فيشي الخاصة باليهود في تونس، لأن معظم النشاط الاقتصادي في تونس تسيطر عليه فئة اليهود لاسيما التجارة الخارجية والمهن الحرة وقطاع العدالة والطب»، وفي نفس السياق بعث استيفا برفقة سرية إلى دورساي كواي - d'Orsay Quai في 24 سبتمبر 1941 مبدًا معارضته وبشدة إرسال كزافييه فالانت، مفوض الشؤون اليهودية إلى تونس بهدف «تسريع تطبيق قانون اليهود»، بقوله: «لا داعي لذلك... أعتقد أنني وحدي المسؤول عن حل هذه المشكلة التي أعرفها من جميع جوانبها، لقد وضعت الحكومة ثقفتها في شخصي لتوجيه

1 خلال فترة الاحتلال الألماني لفرنسا سن نظام فيشي عدة قوانين بشأن وضع اليهود، مما جعلهم فئة منفصلة عن باقي السكان. وينص الفصل 9 من قانون اليهود الصادر في أكتوبر 1940 والمادة 11 من نظام جوان 1941 على أن هذا القانون ينطبق على الجزائر والمستعمرات وبلدان الحماية وأراضي الانتداب، بعد تحرير فرنسا أعلن إلغاء هذه القوانين بموجب المرسوم الصادر في 9 أوت 1944 والمتعلق بإعادة تأسيس الشرعية الجمهورية. أنظر:

Laurent Joly, L'administration de l'État français et le statut des Juifs du 2 juin 1941, Archives Juives 2008/1 Vol.41.

2 Dina Farella, La Condition des Juifs du protectorat français de Tunisie sous le gouvernement de Vichy de juin 1940 à novembre 1942, mémoire de maîtrise, université de Nice, 1971, p56.

3 افترت نتائج إحصاء اليهود في تونس والتي قام بها ساييل Jacques Sabille على النتائج التالية: 68.268 يهودي تونسي (من رعايا الباي)، و 16496 يهودي يحمل الجنسية الفرنسية، و 4.906 يهودي يعيشون في تونس من دول مختلفة بينهم 3208 من إيطاليا، و 668 من بريطانيا. أنظر:

Jacques Sabille, Les Juifs de Tunisie sous Vichy et l'Occupation, p. 16.

4 Jacques Sabille, Les Juifs de Tunisie sous Vichy et l'Occupation, éditions du Centre, Paris, 1954, p 24.

السياسة العامة بالشكل الصحيح في هذا البلد وهذا ما أقوم به لحد الآن، هذا هو فهمي للأمور ولا أريد أن ألقى تقييماً خاطئاً ولا اقتراحات متسرعة من رجل لا يملك لا الخبرة ولا المعرفة الكافية للمسألة اليهودية في هذا البلد»¹.

6. دعاية المحور في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية:

نشطت الدعاية الموجهة لشعوب شمال إفريقيا في ألمانيا وذلك بالعمل على تأسيس جمعيات إسلامية ومعهد خاص باللغة العربية، كما اهتمت جامعات برلين وهامبورغ وميونخ بتدريس اللغة العربية، وتأسست برلين لجنة الدفاع عن المغرب العربي، واحتضنت الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية كل هذه الجمعيات إضافة إلى إصدار العديد من المؤلفات باللغة العربية قاربت 60 مؤلفاً²، وفي العاصمة النمساوية فيينا أسس شكيب أرسلان والبارون النمساوي المسلم عمر ردولف (فون ارينفلس - Von Ehrefles) الرابطة الثقافية الإسلامية سنة 1933 وضمت العديد من الشخصيات ومن جنسيات مختلفة ولها عدة فروع³.

في المغرب سمح نظام فرانكو لحليفه النازي القيام بحملة دعائية واسعة في شمال المغرب بهدف قلب موازين القوى في شمال إفريقيا لصالح المحور في مواجهة القوى التقليدية في المنطقة، ولقد أذاع راديو برلين في 1936 نبأ انتصار فرانكو في حربه ضد الجمهورية وأعلن أن ألمانيا قد استرجعت نفوذها في المغرب الذي فقدته مع مطلع القرن، وأن المصالح الألمانية في المغرب ستزيد بشكل أكبر وعلى جميع الأصعدة⁴.

بالرغم من كثافة الأنشطة الدعائية النازية والفاشية في المغرب الأقصى إلا أنه لم يظهر أي تأثير على الوطنيين في المغرب السلطاني فهم لم ينقادوا لهذه الدعاية ولم يتجاوبوا معها، ولم يظهر أثر ذلك في أدبياتهم سواء أثناء عمل كتلة العمل المغربي أو في نطاق عمل الأحزاب بعد تأسيس كل من الحزب الوطني والحركة القومية، ويمكن إرجاع ذلك إلى الآمال التي أحبتها الجبهة الشعبية بعد توليها السلطة في باريس في ماي 1936، إضافة إلى أن الذاكرة المغربية كانت لا تزال تحتفظ بموقف ألمانيا من الازمة المغربية سنة 1905 و 1911 وكيف استغلت ألمانيا المغرب للظهور كقوة أورو متوسطية للحصول على مستعمرات في إفريقيا ويتذكرون جيداً خطاب غيوم الثاني بمدينة طنجة سنة 1905 المؤيد لاستقلال المغرب لكن في الأخير انتهت المسألة المغربية بتأكيد الحماية المزدوجة عليها وتراجعت ألمانيا أمام التسوية التي سمحت لها بالحصول على مستعمرة الكونغو⁵.

1 Claire Drevon, **Les Juifs de Tunisie sous le régime de Vichy et sous l'occupation allemande, octobre 1940-mai 1943**, *Revue d'Histoire de la Shoah* 2016/2 N° 205, p274.

2 Bernard Vernier, **La Politique islamique de L'Allemagne centre d'étude de politique étrangère section d'information**, p n5, paris, 1962, p.48-49.

3 Bessis Juliette, **Chakib Arslan et le Fascisme in Maghreb Questions d'histoire**, paris, L'harmattan, 2003, p25.

4 في المجال الاقتصادي سمح نظام فرانكو لألمانيا باستغلال النحاس الذي كانت في حاجة إليه لإستكمال قوتها العسكرية، كما كانت مدينة طنجة منذ بداية حركة فرانكو وبحكم نظامها الدولي مجالا حيويًا للجواسيس الألمان .

5 Abdelhadi Boutaleb, **Memories, Testimonies and Faces**, vol. 2, Rabat, 1993, p. 41.

1.6. أدوات ووسائل دعاية المحور:

1.1.6. الراديو:

أدرك جوزيف غوبلز Joseph Goebbels¹ أهمية الراديو فلقد صرّح قائلاً: «سيكون الراديو للقرن العشرين كما كانت عليه الصحافة في القرن التاسع عشر»²، ومن خلال هذه الوسيلة يمكن أن تصل الإيديولوجية والدعاية النازية عملياً إلى العام والخاص في ألمانيا ثم إلى باقي العالم، ولتحقيق هذه الغاية تم إنتاج جهاز راديو أطلق عليه "مذياع الشعب" -Volkesempfänger- وتم بيعه بثمن زهيد³، أمّا من أجل الدعاية النازية في شمال إفريقيا فقد اعتمدت ألمانيا بشكل أساسي على البث الإذاعي، حيث كانت مستعدة منذ 1934 عندما قام الرايخ الثالث ببناء محطات إرسال على الموجات القصيرة فقط دون غيرها خاصة في ألمانيا وذلك من أجل التقاط بث الإذاعة النازية الألمانية دون غيرها من المحطات الأوروبية خاصة التي بي سي البريطانية.

واجهت الدعاية النازية الموجهة إلى شمال إفريقيا عبر الراديو مشكلتين أساسيتين، الأولى هي نسبة الأمية المرتفعة في المنطقة حيث لم يكن باستطاعة السكان استيعاب اللغة الألمانية ولا الفرنسية ولا حتى اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، أما المشكلة الثانية فهي الظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها سكان شمال إفريقيا بصفة عامة، فقد كان عدد الأسر التي تمتلك جهاز راديو في البيت قليل جداً⁴ والتي تلتقط الدعاية النازية أقل بكثير، بالرغم من ذلك استطاعت هذه الفئة القليلة أن تساهم وبفعالية كبيرة في نشر الدعاية النازية، ويرجع ذلك إلى الدور الذي لعبته المقاهي والحمامات في المدن، والأسواق الأسبوعية في القرى والأرياف، أين يجتمع تجار المواشي والحبوب والحرفيين المتنقلين المعالجين بالأعشاب والمداحين الذين شكّلوا الوسيلة الأكثر سرعة في نشر الدعاية النازية حتى أطلق عليهم الأوروبيون اسم "الهاتف العربي"، وكانت الدعاية التي يلتقطها سكان العاصمة الجزائر صباحاً قد تصل مساءً إلى تلمسان⁵.

اعتباراً من 25 أبريل 1939 تم استخدام أجهزة إرسال راديو برلين المرسل الرئيسي للدعاية الألمانية إلى شمال إفريقيا والشرق الأوسط والذي يقع في بلدة Zeesen⁶، والذي أصبح منذ عام 1939 ييتم يومياً باللغة العربية الفصحى⁷، وسرعان ما أضاف برامج أخرى باللهجة المغربية والجزائرية كما دخلت الخدمة محطات بث جديدة هي (شتوتغارت، ميونيخ، ساربروكن، فرانكفورت) بثت هذه المحطات نشرات إخبارية موجهة إلى شمال إفريقيا والشرق الأوسط باللغتين العربية والفرنسية.

1 جوزيف غوبلز - Joseph Goebbels: (1897 - 1945) وزير الدعاية والأنباء خلال الحكم النازي، كان بارعا في الكتابة والتنظيم وبالغ الولاء والوفاء لهتلر، كما كان شديد التطرف في الإيمان بتفوق العنصر الآري الجرمانى، انتحر هو وزوجته وأولاده في برلين في 01 ماي 1945. ينظر:

David Irving: Goebbels, **Mastermind of the third Reich**, Parforce Ltd, London, 1996 .

2 Irving Goeblez, Mastermind of the Third Reich, Parforce Ltd.London,1996, p48.

3 نيرمين سعد الدين إبراهيم، صعود النازية ألمانيا بين الحربين العالميتين (سياسيا-اجتماعيا -اقتصاديا)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008، ص121.

4 تم إحصاء 4660 جهاز راديو في المغرب سنة 1930 و 9833 جهاز راديو بالجزائر سنة 1941 نصفها بالعاصمة الجزائر، أما في تونس فقد قدرت بعض المصادر في أن عدد أجهزة الراديو في كل من المنستير والمهدية وقصر هلال بـ 200 جهاز راديو حسب إحصاء مارس 1940. أنظر: Charles Robert Agéron, **Genèse de l'Algérie** Algérienne, édition Bouchene, Paris, 2005.

5 Charles Robert Agéron, **Genèse de l'Algérie** Algérienne, édition Bouchene, Paris, 2005, p 287.

6 زيسن - Zeesen: بلدة صغيرة تقع جنوب برلين كانت تظم أقوى أجهزة الإرسال القصيرة في العالم، وأصبحت خلال فترة الحرب العالمية الثانية مركزا للدعاية النازية الألمانية.

7 خالد عبد المنعم العاني، الرحالة يونس بحري في سجن أبو غريب مع رجال العهد الملكي في العراق بعد مجزرة قصر الرحاب 1958، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2005، ص39.

برز العراقي **يونس بحري**¹ كمتحدث بإذاعة برلين والذي تميز بإتقانه اللغة العربية الفصحى، التي كانت مفهومة بشكل جيد لدى سكان الشرق الأوسط على عكس سكان شمال إفريقيا، بالرغم من ذلك فلقد كانت برامج إذاعة برلين هي الأكثر استماعاً وكانت تبث برامجها مساءً². ولإعطاء نظرة موجزة على محتوى برامج راديو برلين الموجهة إلى سكان شمال إفريقيا بين سنتي 1941 و 1942 بالعربية على الموجتين القصيرتين 24، 73 و 16، 29 مترًا فقد شملت البرنامج التالي:

- الساعة: 50:21 القرآن الكريم؛
- الساعة: 22:00 نشرة الأخبار؛
- الساعة: 15:22 لوائح الأسرى؛
- الساعة: 30:22 موسيقى أو حديث ديني؛
- الساعة: 50:22 نهاية البرنامج.

يتضح لنا أنّ برنامج راديو برلين قد ركّز على كلمتين هما "الحرب و الدين"، وسعت الدعاية النازية إلى إقناع مستمعيها في شمال إفريقيا أنّ الحرب كارثة عظيمة على كلّ من اختار الجبهة المضادة لألمانيا صديقة الإسلام والمسلمين³. إثر هزيمة فرنسا أمام ألمانيا حاولت الأخيرة تكثيف دعايتها مع واقع الحرب فسارعت إلى طمأنة مسلمي شمال إفريقيا المتخوفين من احتلال ألماني أو إيطالي لكنها واصلت مهاجمة الاستعمار الفرنسي في المنطقة، كان ذلك عبر جهاز الإرسال على الموجة القصيرة الذي يبث من محطة Allouis Paris Mondial التي سيطر عليها الألمان في 20 جويلية 1940⁴، والتي بثت في البداية باللغة الفرنسية ثم باللهجات العربية في شهر سبتمبر ثم بالأمازيغية.

زاد تأثير الدعاية النازية بالمنطقة بعد تعيين صحفيين من شمال إفريقيا كمذيعين بمحطات إذاعية ألمانية وفي مقدمتهم الجزائري راجف بلقاسم⁵ الذي كان يلقي تدخلاته بالأمازيغية عبر محطة Paris Mondial والمغربي تقي الدين الهلالي، الذي كان لاحقاً في ألمانيا، وقد انتقل إلى شمال المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية لإقناع المغاربة بضرورة الوقوف إلى جانب ألمانيا، إضافةً إلى عبد الخالق

1 **يونس بحري**: ولد في الموصل في عام 1900 وينتمي إلى قبيلة الجبور العربية المعروفة. وفي بداية شبابه تقدم للمشاركة في مسابقة للسباحة لعبور بحر المانش وحمل علم العراق، ففاز بالمركز الأول فأطلق عليه منذ ذلك الحين يونس البحري، أتقن 17 لغة من بينها اللغات التركية والفارسية والهندية والألمانية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية والإيطالية والهولندية إلى جانب اللغة العربية، أسس العديد من الإذاعات منها إذاعات بغداد وليبيا والخرطوم والمغرب وتونس ورام الله وكوناكري، كما أقنع هتلر بتأسيس إذاعة عربية لمنافسة ال بي بي سي وكانت هذه الإذاعة هي (حي العرب، هنا برلين)، صادق الأمراء والملوك وعينه سلطان المغرب إماما لجامع باريس وصلى وراءه باي تونس وشاه إيران. وكان يحمل 15 جنسية منها الجنسيات السورية والعراقية والإنجليزية واللبنانية والأردنية والمغربية والتونسية والليبية، أصدر 16 كتابا من أشهرها (حي العرب، هنا برلين)، قربه هتلر ومنحه رتبة مارشال، توفي يونس بحري في بغداد في عام 1979. أنظر: يونس بحري، **هنا برلين حي العرب**، دار النشر الجامعيين، بيروت، دت.

2 Agéron, C. **Genèse de L'algérie Algérienne**, op cit, p315.

3 عبد الرحمن بن بوزيان، **واقع الدعاية الألمانية النازية في المغرب الأقصى (1933-1945)**. مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 03، 2017، ص ص 78-123.

4 Blanchard Paskal, **Races et Propagande Colonial sous le Régime de Vichy1940-1944**, Rivista Africa, VOL 04,1994, pp. 561-563.

5 **راجف بلقاسم**: ولد في 19 سبتمبر 1909 بدوار أومالو بتيزي وزو في أواخر سنة 1930، انخرط بحزب نجم شمال إفريقيا ثم عين سنة 1933 بالمكتب السياسي للحزب، كان من مؤسسي حزب الشعب الجزائري تعاون مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية بالعمل كمقدم إذاعي براديو باريس موندريال. أنظر: عبد الحميد زوزو، **الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 1939)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 65.

الطريس الذي عمل كصحفي في إذاعات ألمانية، والتونسي عبد الرحمان بلحاج أحمد الملقب ياسين من تونس، وكان الدكتور يواكيم شبيغل - Dr. Joachim Spiegel مسؤولاً عن الشؤون المغاربية¹.

تكثفت الدعاية الإذاعية النازية مع بداية الإنزال الأنجلو أمريكي في 08 نوفمبر 1942 على السواحل الجزائرية المغربية، وطالبت القيادة الألمانية جهاز الأمن (Sicherheitsdienst Ausland) المسؤول عن الدول الأجنبية بإطلاق بث جديد باللغة العربية والأمازيغية لتحريض الجزائريين على المقاومة ضد القوات الأمريكية وأوصت الإذاعة النازية التي نددت بالخونة بأن: «يضل سكان شمال إفريقيا مخلصين لقائدهم الشرعي المارشال بيتان وعدم تسليم أسلحتهم، وبدأ البث الإذاعي اعتباراً من جانفي 1943، لكن تأثير هذه الدعاية ظل محدوداً وبدون أي تأثير»².

2.1.6. الدعاية النازية المكتوبة:

أصدر مكتب المغرب العربي ببرلين جريدة **المغرب العربي** والتي كانت تحرر باللغتين العربية والألمانية وترأسها التونسي يوسف الرويسي، وأصدرت الصحيفة عددين فقط، العدد الأول في فيفري 1945 والعدد الثاني في مارس 1945 أي قبيل استسلام ألمانيا بحوالي ستة أسابيع فقط³، وبالرغم من أن هذه الصحيفة لم تكن أداة إعلامية نازية بكل ما تحمل الكلمة من معنى إلا أن مجرد صدورها في برلين وبموافقة النظام النازي جعل منها بالتأكيد وسيلة لخدمة الدعاية النازية.

جاء في تقرير للشرطة الفرنسية أن جريدتي (**Pariser Zeitung** و **Signal**) كانتا موضع تقدير كبير من قبل السياسيين الجزائريين، واتهمت الشرطة الفرنسية صراحةً التنظيم السياسي لقوى المحور وعلى رأسه ألمانيا النازية⁴، وفي نفس السياق لم يخف محافظ مدينة قسنطينة في تقرير له سنة 1942 قلقه من حالة الرأي العام السيئة للغاية بشأن استمرار نجاح دعاية المجلتين بالأخص مجلة **Signal** المكتوبة باللغة الفرنسية والتي سمح الألمان بدخولها إلى الجزائر خلال فترة حكم فيشي، كما تم توزيع مجلة العالم الجديد والتي بدأ صدورها سنة 1941 باللغتين العربية والفرنسية ولقيت انتشاراً واسعاً بين الجزائريين⁵.

بداية من شهر جانفي 1943 شرعت اللجنة الإسلامية لشمال إفريقيا إصدار نشرة شهرية باللغة الفرنسية باسم **"الرشيد-El Rachid"** والتي أصبحت نصف شهرية بداية من 05 ماي 1943 ثم أسبوعية في جانفي 1944 وكانت توزع 30 ألف نسخة، وأشرف على رئاسة تحريرها الجزائري محمد المعدي وحاولت الرشيد الدعوة إلى وحدة صف الشمال إفريقيايين والوقوف إلى جانب ألمانيا وتأييدها وجاء في افتتاحيتها:

L'Afrique aux Maghrébins C'est l'indépendance totale dans la nouvelle Europe.

1 Bundesarchiv, **Maghrebinischen, vorbindungstelle im Fankhaus**, Berlin, den 21.11.1940, Ns 19/2540F1.

2 بن يوسف بن خدة، **جذور أول نوفمبر 1954**، المرجع السابق، ص 115.

3 يوسف الرويسي، **نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق**، المجلة التاريخية المغربية، 1978، ص 207-222.

4 - Lahoueld Badra, **Germanys Psychological War Against France 1939-1945**, Revue Française Dhistoire Doutr Mere, 1995, pp. 66-82.

5 Agéron, C. **Genèse de L'algerie Algérienne**, op.cit, p67.

كان بإمكان الجزائريين المسلمين الإطلاع على صحيفة (العالم العربي - Le Monde Arabe) وهي مراجعة مكتوبة باللغة العربية كانت توزع من لشبونة بواسطة Kurt Hans¹، أمّا في الغرب الجزائري فقد ظهرت بمعسكر صحيفتان تحملان الدعاية الألمانية هما "الجماعة" وهي صحيفة مناهضة لبريطانيا وجريدة "يعقوب" الموجهة ضدّ السوفييات ظهرت نهاية 1941.

بعد اعتلاء فيشي الحكم في فرنسا (1940 - 1944) انتشرت الدعاية الألمانية في الجزائر بين أوساط الأوربيين الذين أبدوا تعاطفهم مع حكومة فيشي فظهرت صحف ذات توجه جديد ما بين سنتي (1940 - 1942) أشادت بالنظام النازي الذي يقوده هتلر وهاجمت الديموقراطيات الغربية وروسيا الشيوعية ومن بين أهم تلك الصحف نجد: (La Dépêche algérienne dernière nouvelle , La voix des colons) وكانت هذه الصحف وغيرها تنشر الدعاية الألمانية وتدعم سياسة المارشال بيتان وشعارات حكومة فيشي وتنتقد اليساريين والإنجليز².

بالمغرب كانت مجلة **Lecco d'Italie** الأسبوعية التي أشرفت عليها الغرفة التجارية الإيطالية بالدار البيضاء، لسان حال الجالية الإيطالية بالمغرب والفضاء الذي استغلته الحركة الفاشية للدعاية للدوتشي موسوليني وإطلاع القراء على خطب وأعمال المسؤولين الإيطاليين ونشر مقالات تمجدّ قوة الاقتصاد الإيطالي وتبرز مزايا الفاشية وتنتقد فرنسا التي غرقت في نظر الفاشيين في بحر من المشاكل الاقتصادية والسياسية³.

3.1.6. الدعاية على الأسرى:

بعد الاجتياح الألماني لفرنسا 14 جوان 1940 وتوقيع الهدنة الفرنسية الألمانية 22 جوان 1940، أسرت ألمانيا ما بين 90 ألف إلى 100 ألف جندي غير أوروبي من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية أطلقت عليهم تسمية "السجناء الاستعماريين"، وكان من بين هؤلاء حوالي 65 ألف من مسلمي شمال إفريقيا، حيث شكّلوا الغالبية العظمى من السجناء، سرعان ما تعرّض هؤلاء الأسرى لدعاية نازية مكثفة⁴.

وجّهت حكومة الرايخ أوامر بمنح امتيازات للأسرى من شمال إفريقيا وهو ما أشار إليه الكولونيل يوهانس هوتشميث - Johannes Hochsmith الذي كان يشغل منصب قائد منطقة أورليان في مذكراته، حيث أشار إلى المعاملة التفضيلية لسجناء شمال إفريقيا داخل معسكرات الأسرى في منطقته وذلك بهدف كسب تأييدهم وأملًا في استعماهم في نشر الدعاية النازية داخل بلدانهم بعد إطلاق سراحهم، من أجل ذلك قدّموا لهم ملابس نظيفة لارتداؤها وأطعموهم جيدًا وقاموا بتعيين بعضهم في مناصب مهمة وذات ثقة مثل شرطة المخيمات، ووزّعوا كتبًا تحمل الدعاية النازية على الطبقة المثقفة منهم وتم فيما بعد إدخال بعضهم إلى الجزائر، فعلى سبيل المثال لقد تم العثور عند جداوي بن محمد سجين حرب من مدينة تلمسان كان جنديًا في فرقة الصبايحية على كتيب بعنوان "العالم الجديد" كان محتواه يحمل دعاية للنظام النازي، كما قدمت مريم فيلاي وهي أسيرة سابقة من شارل فيل معسكر حاليًا للسلطات الفرنسية صحفًا منشورة باللغة العربية في ألمانيا منها صحيفة الجماعة وصحيفة يعقوب وكلاهما يحمل دعاية ألمانية نازية.

1 - Lahoueld Badra, **Germanys Psychological War Against France 1939-1945**, op.cit, p67.

2 محمد بومديني، الدعاية الألمانية في الجزائر وتأثيرها على فكرة العمل المسلح إبان الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945، مجلة دراسات تاريخية، 2018، ص 58 - 89.

3 إحسان عبد الحميد، المغاربة والدعاية الأجنبية أثناء الحرب العالمية الثانية، مجلة أمل، المجلد 9، العدد 25، 2002، ص 209.

4 Scheck Raffael, **Nazi Propaganda Toward French Muslim Prisoners of War**, Holocaust and Genocide Studies, Waterville 2012, p744.

خلال الاجتياح الألماني لفرنسا تم اختيار عددٍ من السُجناء الشماليين وتم نقلهم إلى ألمانيا حيث تلقوا تدريباً سياسياً معمقاً لنشر الدعاية النازية في بلدانهم لقد تدرب العديد من سجناء شمال إفريقيا على استخدام جهاز الإرسال اللاسلكي في سجن لا بوير السري في ديجون طمعاً في أن يثور هؤلاء ضد فرنسا بعد عودتهم إلى بلدانهم وحصلوا على مبالغ مالية وأجهزة إرسال لاسلكية، كما قامت معسكرات أخرى بفتح أقسام دعائية تستهدف السُجناء من شمال إفريقيا، ووفقاً لشهادة يوسف بن فنيقي وهو جندي جزائري كان معتقلاً في (Mohlberg Stakag IV-B) بساكسونيا، بأن الألمان قد عاملوا سجناء شمال إفريقيا بشكل جيد وقدموا لهم الألبسة والطعام حتى أنهم أكلوا مع الحراس في بعض الأحيان، كما عين بعضهم للعمل في المطبخ مما سهّل لهم المشاركة في تجارة المواد الغذائية المربحة داخله، وكان بإمكانهم الحصول على الصحف¹.

أشارت تقارير في حكومة فيشي أنّ ضباط ألمان وعلى رأسهم الكابتن لوفل-Capitaine Lovell العامل بقسم الدعاية بفرع بوردو قد سهّل لطلاب شمال إفريقيا والمعروفين بانتمائهم لأحزاب تحمل أفكاراً قومية ومعادية لفرنسا الوصول إلى السُجناء داخل المعسكرات وقدموا لهم مساعدات وخدمات طبية وكتبوا لهم الرسائل حتى أنهم قاموا بتحرير صحيفة خاصة بالسُجناء في معسكر (سان ميدار-Saint Médard) حملت اسم صوت السجين-La Voix du Prisonnier لكن ذلك كان ظاهرياً فقط حسب تقرير سلطات فيشي التي أشارت أنّ الهدف الرئيسي كان نشر الدعاية الألمانية والأفكار القومية المعادية لفرنسا.

إضافةً إلى محاولة الدعاية الألمانية نشر دعاية تفيد أنّ سلطات حكومة فيشي لا تريد إطلاق سراحهم خاصةً سجناء شمال إفريقيا لأنها كانت تخشى أن يشكّل هؤلاء وقوداً للثورة ضدها في حال عودتهم إلى بلدانهم، وفي هذا الشأن قام الحاكم العام للجزائر بتاريخ 30 مارس 1942 بتوجيه مراسلة إلى حكام العمالات الثلاث ينبههم فيها على الوضع السائد ويأمرهم بضرورة تقصي أخبار أسرى الحرب العائدين للجزائر، بما فيهم أولئك الذين كانوا في مراكز تجمع الفارين أو المجندين، باعتبار أنّ العديد منهم يحمل أفكاراً دعائية ألمانية هدفها إثارة مسلمي شمال إفريقيا ضد فرنسا².

أمر الفيرماخت في 12 ماي 1941 بالتسامح مع العادات الدينية للسُجناء المسلمين بما في ذلك تعليمات حول دفن السُجناء المسلمين، وأوصت التعليمات بأن يكون للمسلمين المتوفين صفيحة خشبية يكون عليها رمز الهلال بدلاً من الصليب على قبورهم، وفي نفس السياق جاءت أوامر تدعو باحترام المتطلبات الغذائية الإسلامية بحيث يتم استبدال لحم الخنزير بلحم البقر أو الضأن، وفي معسكر بالقرب من برلين تم بناء مسجد على الطراز المغربي كما تم إنشاء مساجد صغيرة وغرف للصلاة في معسكرات أخرى، وتم توظيف أئمة من السُجناء أنفسهم، ليتمكنوا من أداء شعائهم الدينية، كل ذلك كان الهدف منه أن ينقل هؤلاء السُجناء صورة إيجابية عن ألمانيا عند عودتهم لبلدانهم³.

وضع هتلر قيود النقاء العرقي جانباً⁴، وسمح بتشكيل وحدة التدريب الألمانية العربية (Deutsch-Arabishe Lehrabteilung)، والتي كان الهدف من إنشائها تعزيز الدعاية النازية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وفي سنة 1943 أصبحت

1 Scheck Raffael, Nazi Propaganda Toward French Muslim Prisoners of War, op.cit, p 454.

2 محمد بومديني، الدعاية الألمانية في الجزائر وتأثيرها على فكرة العمل المسلح إبان الحرب العالمية الثانية 1939-1945، مرجع سابق، ص 68.

3 David Motadel, Islam and Nazi Germany's War, Library of Congress, United States: 2014, p52.

4 يمكن الاطلاع على وجهة نظر هتلر تجاه الأعراق والشعوب في كتابه (Mein Kampf- كفاحي)، خاصة في الفصل الحادي عشر «الأهم والأعراق»، احتوى النص الدعائي الأساسي لأعضاء منظمة شباب هتلر على فصل يتحدث عن «عرق الشعب الألماني»، وقد استشهد كثيراً بأعمال هانس إف. كي. غونتر. يبدو على النص تناول الأعراق الأوروبية بالترتيب

الوحدة جزءًا من قوات أفريقيا كوربس-Einheit des Afrika-Korps وشاركت في الانسحاب نحو تونس¹. في ديسمبر 1941 أطلقت ألمانيا سراح عشرة آلاف سجين من شمال إفريقيا دفعةً واحدة، كان الإجراء بمثابة عملية دعائية ألمانية هائلة حاولت من خلالها استقطاب عواطف مسلمي شمال إفريقيا، وهو ما نجحت فيه بالفعل حسب عملاء المخابرات الفرنسية الذين سجلوا نشاطا غير مسبوق للدعاية الألمانية في المنطقة خلال الأشهر القليلة التي سبقت هذا الإجراء، وشكّل ذلك مصدر إزعاج كبير لفرنسا رغم أنّها لم تفصح عن ذلك علانية².

2.6. محتوى الدعاية النازية في شمال إفريقيا:

نشرت الدعاية الألمانية في أوساط سكّان شمال إفريقيا بأنّ استفتاء عاما سيجري في نهاية الحرب سيحظى فيه سكان المنطقة بحرية تقرير المصير، كما نشرت الدعاية أنّ الألمان الذين كانوا يريدون فرض هذا الاستفتاء في مفاوضاتهم مع الفرنسيين سينظمونه بأنفسهم بعد نهاية الحرب، وعزّز البث الإذاعي باللغة العربية الدعاية الألمانية عبر إذاعة باريس موندريال، وإذاعة شتوتغارت وبرلين زيسن، وخاطب المتحدث في المحطة الأخيرة يونس بحري الجزائريين بصوت مرتفع وثقة كبيرة: «أيها الجزائريون إنّ تحريركم قريبٌ لقد أعطى المستشار هتلر كلمته إلى شكيب أرسلان، لقد صبرت طيلة قرن انتظر فقط بضعة أشهرٍ أخرى....فرنسا اليوم ضعيفةٌ ولا يمكنها أن تفعل أي شيءٍ ضدك»³.

كرّرت إذاعة باريس موندريال في ماي 1941 ذلك: «فرنسا اليوم ليست أكثر من جثة»، كما دعت المنشورات الألمانية والتي كتب بعضها باللغة العربية الجزائريين إلى التّهوض ضدّ الاستعمار الفرنسي: «على أبناء يوغرطة القيام، فالمستقبل ملكٌ لمن يكافح، لقد حان الوقت للمطالبة بحقك في الوجود»، وجاء في منشورٍ آخر: «السماء لن تساعدك إلا إذا انتفضت وساعدت نفسك، هذه المرة إذا قمت لن تفشل لأنّ ألمانيا المدافعة عن الإسلام خلفك»، كما ذكرت الإذاعة الألمانية أيضًا أنّ الجنود الجزائريين الأسرى في ألمانيا أو فرنسا في وضعٍ متميزٍ وسيعودون قريبًا إلى بلادهم⁴.

واصل راديو برلين نشر دعايته طيلة فترة الحرب وذلك عبر بث مختلف البرامج التي تصبّ في مصلحة تدعيم ركائز النازية وتثبيت سيطرتها خاصّةً بمنطقة شمال إفريقيا، وذلك ما تبين في عديد التقارير والمراسلات والنشريات الفرنسية الصادرة عن مختلف هيكل الإدارة الاستعمارية طيلة سنوات الأربعينيات والتي من بينها:

- النشرة الصادرة بتاريخ 02 جانفي 1940 والتي توضّح فحوى روبرتاج دعائي عبر راديو برلين يتكلم فيه الصحفي عن وضعية بعض أسرى الحرب المغاربة على الجبهة الغربية، وما وجده هؤلاء من اهتمامٍ ورعايةٍ من طرف الألمان؛

التنازلي في التسلسل الهرمي النازي، فرقة الشمال (بالإضافة إلى السلالة الغاليكية الفرعية) يأتي أولاً، وعرق الغرب (شعوب البحر المتوسط) ثانياً، والعرق الديناوي ثالثاً، وعرق الشرق (جبال الألب) رابعاً، وأخيراً عرق شرق البلطيق في المرتبة الأخيرة.

1 Richard Scully, **British Images of Germany (Admiration, Antagonism, Ambivalence, 1860- 1914)**, Palgrave Macmillan, New York:2012, p186.

2 Scheck Raffael, **Nazi Propaganda Toward French Muslim Prisoners of War**, op.cit, p 457.

3 Agéron, C, **Histoire de L'algérie Contemporaine de L'insurrection au Déclenchement de la Guerre de Libération 1871- 1954**, op cit, p64.

4 Ibid, p 64.

- النشرة الصادرة بتاريخ 08 سبتمبر 1940 حول حصّة أذيعت باللغة العربية بإذاعة برلين أيضاً بثت نداءً موجّهاً لمسلمي شمال إفريقيا انتقد سلوكيات الأنجليز تجاه مسلمي شمال إفريقيا، وختم النداء بالتأكيد على أنّ الأنجلو ساكسون هم في خدمة أنفسهم ومصالحهم لا غير¹.

نلاحظ من خلال هذه التقارير مدى اطلاع السلطات الفرنسية بالنشاط الدعائي لإذاعة برلين خاصةً بعد سقوط باريس سنة 1940، وذلك ما يتضح من خلال التقارير اليومية التي كانت تعدّ وترفع إلى السلطة الفرنسية حاملةً معها تفاصيل العمليات الدعائية بكلّ أشكالها، وبغضّ النظر عن العمل الاستخباراتي الذي قامت به السلطات الفرنسية في الجزائر بهدف مراقبة أشكال الدعاية الألمانية ومحتواها، ومدى إنتشارها في أوساط الشمال إفريقيين بمراكز تجمع المساجين الفارين، أو التنصّت على ما يذاع عبر مختلف المحطات الألمانية وفي مقدمتها راديو برلين.

وسعت فرنسا نطاق استعلاماتها وشدّدت مراقبتها لدخول وخروج الأوروبيين إلى الجزائر والمغرب، وكذلك تحركات العائدين من ألمانيا سواءً الأسرى أو المجنّدين في جبهات القتال، وذلك ما توضّحه بعض الأوامر بالبحث والمتابعة أو التقارير الاستعلاماتية والتي من بينها:

- مراسلة الحاكم العام للجزائر إلى حاكم عمالة وهران بتاريخ 14 مارس 1941، وتخصّ أمر بمتابعة تحركات السيد عسكري طيب المتهم بامتهان الجوسسة لفائدة الألمان بمقاطعة وهران؛

- مراسلة الحاكم العام للجزائر إلى حاكم عمالة وهران بتاريخ 10 أوت 1942 في أمر يخصّ تربّص شباني للفرنسيين بمراكز للشباب بألمانيا حيث أشارت المراسلة إلى ضرورة متابعة وأخذ الحذر من هذه الفئة المغادرة للجزائر باتجاه ألمانيا².

كما كان للدعاية النازية تواجدًا واضحًا داخل الأرياف الجزائرية، حيث اعتمد النازيون في دعايتهم على إقناع سكّان القرى والمدن بوجوب التّصال ضدّ الكولون الذين اغتصبوا أراضيهم الفلاحية وأراضي آبائهم وأجدادهم، ووعدوهم «بأنه متى غادر الكولون البلاد فإنّ أراضيهم سوف تعود إليهم وستقسم بينهم بالعدل»³.

احتوى البث الإذاعي الألماني في الغالب خطابات معادية للإنجليز والفرنسيين، وأثار حالة الاضطهاد التي يعيشها السّكان المسلمين في وطنهم، وعلى ضرورة رفضهم المشاركة في حرب لا تعنيهم «نسألك كيف يمكن للمسلمين أن يساعدوا فرنسا التي لا تمنحهم أيّ حقوق وتعتبرهم أقلّ شأنًا»، وتضيف «ما الذي يبرّر الولاء المفترض للمسلمين؟ إنّ السّكان الأصليين في الجزائر محاصرين من قبل الإدارة الاستعمارية التي تفرض عليهم ضرائب كبيرة، بينما تعاني الأغلبية من سوء التغذية منذ أكثر من قرن، وأغلب أطفالهم محرومين من التعليم وإذا تكلم البعض عن هذا الاضطهاد الفرنسي، فإنّ مصيره السّجن أو الإعدام».

لطالما حثت الدعاية النازية سكّان شمال إفريقيا إلى عدم التعاون مع الفرنسيين: «إنّ سكّان شمال إفريقيا يعرفون جيدًا أن المساعدة التي سيقدمونها لفرنسا تعني زيادة القمع ضدهم، ويعني أيضًا أنّ الهيمنة الفرنسية بدلاً من أن تضعف سوف تشتد... لا

1 محمد بومدين، الدعاية الألمانية في الجزائر وتأثيرها على فكرة العمل المسلح إبان الحرب العالمية الثانية 1939-1945، المرجع السابق، ص 66.

2 بومدين، نفسه، ص 66.

3 بن داهة عدة، الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962). الجزائر، المؤلفات للنشر والتوزيع، 2013، ص 196.

تدافع عن أولئك الذين يضطهدونك، الذين يغرقونك في البؤس ويحرمونك من أبسط حقوقك»¹، وتضيف الدعاية النازية في نفس السياق: «إن فرنسا تستغلكم كوقود للمدافع.... فرنسا تدفع بأبنائكم في الصفوف الأولى بينما يلعب الفرنسيون والإنجليز كرة القدم، أنتم الذين يتم إرسالكم إلى خط ماجينو لتواجهوا طلقات المدافع، بينما يظل الفرنسيون في الخلف يغنون ويتناولون الكحول ويوجهون طلقات بنادقهم في الهواء»².

ربطت إذاعة برلين في 26 جوان 1942 الحرب الألمانية بتحرير العرب من الاستعمار، وأشارت إلى كراهية العرب للإمبريالية ورأت أن الحل يكمن في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، وجاء ذلك على لسان الصحفي التونسي يونس بحري مخاطبًا الشمال إفريقيين: «بلادنا تعاني من الاستعمار.... ما يجب أن نفعله هو بدء ثورة ضد هذا الاستعمار، ثورة يتحرر من خلالها كل العرب كأمة واحدة»، وفي إشارته للدعم الألماني أوضح أن الحرب جعلت الاستقلال ممكنًا يقول: «هذا هو الوقت المناسب الذي يجب أن نحدد فيه سياستنا فيما يتعلق بالحرب وبموقفنا العام تجاه الأحداث الحالية والمستقبلية»، وفي أواخر سنة 1941 وطوال سنة 1942 تناولت الدعاية النازية الانتصارات الألمانية على الحلفاء، واعتبرتها مقدمةً لتحرير شمال إفريقيا وامتدحت الجنرال رومل، ووصفته بالمنقّض الذي بعثه الله لتخليص الضعفاء والمضطهدين³.

لم تستثن الدعاية النازية الأوربيين في شمال إفريقيا وكرّرت المقولة الشهيرة «إن إنجلترا ستقاتل حتى آخر جندي فرنسي» ووصفت فرنسا بأنها ليست سوى بيدق على رقعة الشطرنج البريطانية، طبعًا كان هدفها إثارة الفتنة بين البريطانيين والفرنسيين من جهة وإبراز مدى الضعف الذي أصبحت عليه فرنسا⁴.

تعرّض العمّال المغاربة في فرنسا لمحاولة استقطاب بواسطة الدعاية النازية خاصةً المقيمين في المنطقة الحرة، عندما عرضت عليهم أجورًا عالية ومعاملة تفضيلية، وتوفير وجبات غذائية جيّدة وعلاوات عائلية تساوي تلك التي يحصل عليها العمال الفرنسيين كما قامت مكاتب العمل الألمانية بمنحهم رحلات مدفوعة الأجر إلى أوطانهم كلّ ستة أشهر الأمر الذي أدّى إلى التحاق أكثر من ستة آلاف عامل جزائري طوعًا سنة 1942 بالمنطقة المحتلة وخاصةً مواقع البناء التابعة لشركة Todt الألمانية وتخلّوا عن عقودهم مع الشركات الفرنسية⁵.

ركّز الألمان في دعايتهم على الجانب العقائدي، فانتهقدوا السياسة الدينية التي طبقتها فرنسا في الجزائر، واتهموا الفرنسيين بالتضييق على ممارسة الشعائر الدينية للمسلمين، خاصةً فيما يخص عدم السماح لهم بأداء مناسك الحج وذلك بهدف عدم اتصالهم مع غيرهم، وحثت الدعاية النازية الجزائريين لإعلان الجهاد ضد فرنسا واستغلّوا لأجل ذلك كتاب القرآن وما يحمله من الآيات التي تحث على الجهاد ضد الكفار بالمقابل قدّموا أنفسهم على أنهم حماة الإسلام والمسلمين، الأمر الذي أدّى إلى تشجيع أئمة المساجد ومعلمي القرآن في الكتاتيب ليلعبوا دورًا في تهيئة الجو النفسي في أوساط الجزائريين ليمرّدوا ضد الاستعمار الفرنسي⁶، كما لجأت الاستخبارات

1 Agéron, C. *Genèse de L'algérie Algérienne*, op. cit, p 298.

2 Thomas Kehoe, *Living Propaganda and Self Serving Recruitment: The nazi Rationale for The German-Arab, War in History*, Training Unit 2017, p528.

3 Thomas Kehoe, Ibid, p529.

4 Scheck Raffael, *Nazi Propaganda Toward French Muslim Prisoners of War*, op.cit, p 458.

5 Agéron, C. *Genèse de L'algérie Algérienne*, op. cit, p 300.

6 بن داهة عدة، الإستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830 - 1962)، المرجع السابق، ص 197.

الألمانية إلى أسلوب المناشير ففي شهر أكتوبر 1939 وزّعت منشورًا بمدينة الرباط المغربية حرصت فيه على نفي تهمة الوثنية على أدولف هتلر الذي كان حسب نفس المنشور يمرّ بمرحلة انتقالية قد تقوده إلى الإسلام¹.

استغلّ الألمان مسألة اليهود في شمال إفريقيا لنشر دعايتهم، هؤلاء الذين استفادوا من الجنسية الفرنسية بموجب قانون كريميو-Cremieux والذي تم توقيف العمل به بين سنتي 1940 و 1943 خلال حكم فيشي، وأشارت الدعاية النازية إلى ممارسات التجار اليهود خاصةً الجزائريين الذين زادوا معاناة السكان الاقتصادية أثناء الحرب، وركزت الدعاية النازية على مسألة التعبئة أثناء الحرب عندما أجبر أبناء الجزائريين على الدفاع عن فرنسا بكلّ الوسائل، بينما تم استثناء أبناء اليهود، ونشرت الدعاية النازية أنّ لليهود أطماع في الجزائر والمغرب وكيف أنهم يسعون بمساعدة البريطانيين والأمريكيين لجعل المنطقة فلسطين ثانية: «اليهود الجشعون لن يكتفوا بالاستيلاء على أرض فلسطين بل أطماعهم أبعد من ذلك»، وطرحت إحدى التّشرات الدعائية النازية التي تلت عملية الإنزال الأنجلو أمريكي في المنطقة تساؤلًا على الجزائريين والمغاربة «هل تظن أن من بين أهداف الإنزال الأنجلو أمريكي مساعدة اليهود على إنشاء دولة يهودية في المنطقة»، وأجابت نفس الدعاية "بنعم" مدعّمةً إجابتها بتصريح للزعيم اليهودي حاييم وايزمان-Haim Weizman² عندما صرّح قائلاً: «أنّ المغرب والجزائر هما جسرا العبور بين نيويورك والقدس»، وحرصت الدعاية النازية دائماً إلى تذكير الجزائريين بدور اليهود في احتلال الفرنسيين لأرضهم، وأضافت أنّ الحقيقة التي يؤمن بها الألمان أنّ الجزائريين سيدافعون عن أرضهم مثلما يدافع الفلسطينيون ضدّ اليهود وحلفائهم³.

نلاحظ أنّ الدعاية النازية التي استهدفت شمال إفريقيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية في محاولة لكسب ثقتهم وولائهم معتمدةً على وسائل متنوّعة حاولت من خلال خطابها الرئيسي إظهار ألمانيا كدولة مناهضة للإمبريالية وسعت لخلق توافق بين تعاليم الإسلام والأيديولوجية النازية كما أظهرت تعاطفًا كبيرًا مع مسلمي شمال إفريقيا وبحضارتهم العظيمة وصوّرت الحرب الألمانية على أنّها حرب مقدّسة هدفها تحرير الشعوب المستعمرة لكن كلّ ذلك لم يكن كافياً لكسب السّكان وإثارتهم ضدّ الإدارة الفرنسية لأنّ النازية والاستعمار كانتا في نظرهم وجهان لعملة واحدة، وأنّ الدعاية الألمانية لم يكن هدفها تخليصهم من الاستعمار والإمبريالية بقدر توظيفهم لخدمة المجهود الحربي الألماني واستغلال عواطفهم لخدمة أهدافها الإستراتيجية، كما أدركوا أنّهم الطرف الخاسر سواءً انحازوا إلى الألمان أو بقوا تحت سلطة الإدارة الفرنسية وباستثناء عددٍ قليلٍ من ردود الفعل المعزولة فلم يكن هناك تأثيرٌ واضحٌ للدعاية النازية على شمال إفريقيا خلال فترة الحرب.

1 Bulletin de renseignements (Région de Rabat), n°76, Rabat 4 octobre 1939, Bibliothèque général, Rabat.

2 حاييم وايزمان-Haim Weizman: ولد يوم 27 نوفمبر 1874 في بلدة "موتول" بولاية "بنسك" في روسيا البيضاء وكان والده من وجهاء موتول المتدينين، وكان يعمل تاجراً للأخشاب، كان وايزمان متخصصاً في الكيمياء آمن وايزمان بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود يحفظ لهم هويتهم وكيانهم من الذوبان في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، وقد وهب علمه وجهده وماله لتحقيق هذا الأمر، وكان يسعى دائماً إلى التقريب بين فئات اليهود لخدمة الهدف الأعلى وهو إقامة الدولة، وكان من منهج وايزمان في العمل السياسي استعمال كافة الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف، فاستعمل الدبلوماسية والعلاقات الشخصية ووسائل الإعلام والمال والتنظيم الدقيق للجماعات والمنظمات الصهيونية ثم الوسائل العسكرية لتحقيق ما يحلم به اليهود، وبالفعل نجح في ذلك عام 1948. أنظر:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/4/29/%D8%AD%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%B2%D9%85%D8%A7%D9%86>

3 Kallis Aristotle, (2021, mai 09), **Nazi Propaganda in the Second World War**, Retrieved from Other Palgrave: <http://emprints.lancs.ac.uk/id/emprint/129>.

الفصل الثالث:

الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية

(عملية الشُّعْلة – نوفمبر 1942)

1. ظروف الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا:

جاءت عملية (الشعلة - Torch) كحل وسط بين أهداف الحلفاء السياسية والعسكرية المتضاربة، على الرغم من التعهد بسياسة "أوروبا أولاً" إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي قد وصلوا إلى طريق مسدود بشأن السؤال التالي: "متى وأين سنواجه ألمانيا؟"، سؤال كاد يعصف بتحالف هش هشاشة الوضع العسكري للحلفاء سنة 1942¹، خلال سنتي 1941 و 1942 حاول البريطانيون التشبث بشريان حياتهم عبر المتوسط بكل قوة من جبل طارق إلى مالطا ومصر، لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل نظراً لسيطرة الإيطاليين والألمان على طول الشاطئ الشمالي للمتوسط، من جبل طارق إلى بحر إيجه كانت كل المنطقة تحت سيطرة المحور أو متعاطفة معه كما تم تعزيز الوجود الإيطالي على الشاطئ الجنوبي للمتوسط في ليبيا خصوصاً بعد التعزيزات التي تلقاها الإيطاليون من ألمانيا، دون أن ننسى سيطرة حكومة فيشي الموالية للألمان في شمال إفريقيا الفرنسي.

خلال عام 1941 وجدت السفن البريطانية صعوبة بالغة في المرور عبر المتوسط، حيث أصبح نقل قافلة تجارية من جبل طارق إلى الإسكندرية أمراً شبه مستحيل، ووفقاً لذلك اضطرت بريطانيا إلى الاعتماد على الطريق الأطول عبر إفريقيا لإيصال الإمدادات لقواتها في مصر التي عانت من هزيمة كبرى في طبرق حين استسلم 33000 جندي لنصف هذا العدد من قوات رومل، وعلى الجبهة الشرقية كان الجيش الأحمر تحت الضغط عندما تقدمت الجيوش الألمانية نحو ستالينغراد والقوقاز ما دفع بستانين لطلب مساعدة الحلفاء بفتح جبهة ثانية لتخفيف الضغط النازي على قواته في أقرب وقت².

ذهب ستالين إلى حد السخرية من تشرشل في مؤتمر موسكو أوت 1942 ووصفه بالجبان³، لقد زادت شكوك موسكو تجاه الغرب خلال تلك الفترة وأصبحت علاقتها ببريطانيا غير ودية بل وصلت إلى مرحلة حرجة بحلول عام 1943، حيث كان هناك خوف روسي من رغبة الغرب في التمدد ومحاولة إطالة الحرب على الجبهة الشرقية لاستنزاف القوة الألمانية والروسية معاً، وأكثر ما كان يخشاه الروس هو رفع حجم المساعدات الأمريكية لمستوى عالٍ حيث يسمح لروسيا بالصمود أمام الألمان لكن دون أن يمكنهم من الانتصار عليها وهزيمة قوات هتلر، لذلك واصلت موسكو الإصرار على زيادة إمدادات الإقراض والتأجير الأمريكية⁴، وطالبت بالحل ففتح جبهة ثانية في أوروبا ضد الألمان في أسرع وقت⁵.

1 Alexandra Lohse - Jon Middaugh, **Opération Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, Naval Institute Press, Washington, 2015, p2.

2 Alexandra Lohse- Jon Middaugh, **Opération Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, op cit, p3.

3 Brian Lane herder, **Opération Torch 1942 the Invasion of French north Africa**, Osprey Publishing, New York, 2017, p9.

4 قانون الإعارة والتأجير الأمريكي: برنامج مساعدات عسكرية أمريكي قدمت من خلاله الولايات المتحدة السلع والخدمات لحلفائها في القتال ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية، وسمح القانون للولايات المتحدة بتقديم المساعدات العسكرية لحلفائها الأجانب خلال الحرب العالمية الثانية مع بقائها محايدة رسمياً في الحرب، ويمكن القانون بريطانيا من مواصلة القتال ضد ألمانيا في الحرب العالمية الثانية بمفردها تقريباً، حتى دخلت الولايات المتحدة الحرب في أواخر عام 1941، ورغم أنه واجه آنذاك معارضة في الكونغرس، حظي قانون الإعارة والتأجير بعنوان فرعي "قانون لتعزيز الدفاع عن الولايات المتحدة" بالموافقة في مارس 1941، ووقع عليه روزفيلت ليصبح قانوناً، وأرسلت المساعدات إلى بريطانيا. أنظر:

Gérard Bossuat, **Les aides américaines économiques et militaires à la France, 1938-1960**, Institut de la gestion publique et du développement économique, Comité pour l'histoire économique et financière de la France, Vincennes, 2001.

5 Carroll Quigley, **Tragedy and Hope A History of World in Our Time**, Vo l 1-8, The Macmillan Company, New York, 1966, p 663.

عارضت بريطانيا فتح أي جبهة أوروبية ضد هتلر قبل نهاية 1942، بدلاً من ذلك كان لديها أمل في إمكانية إخضاع الألمان لشروط من خلال تكثيف الهجمات الجوية والحصار الاقتصادي، لكن ذلك يتطلب وقتاً طويلاً، كما واجه أنتوني إيدن - Anthony Eden¹ مطالب سوفياتية لترسيم حدود أوروبا الشرقية بعد الحرب، وبالرغم من أنّ هذه المطالب السوفياتية كانت تتعارض بشكل واضح مع أهداف ميثاق الأطلسي إلا أنّ تشرشل كان مستعداً للقبول بها على أساس الضرورة، لكن الاعتراضات الأمريكية على أيّ تسوية للمسائل الإقليمية أثناء فترة الحرب أجبرته على الرفض، وبسبب الضغط الأمريكي تجنّب إيدن أي التزامات إقليمية مع السوفييات وأقنع ستالين بقبول معاهدة تحالف مع بريطانيا والمؤرخة في 26 ماي 1942 مدتها عشرين عاماً².

منذ بداية الحرب كان القادة العسكريين في الولايات المتحدة الأمريكية على قناعة بأنه لا يمكن هزيمة هتلر إلا من خلال اجتياح واسع النطاق لأوروبا الغربية، الأمر الذي دعا إلى تنقل الجنرال مارشال وهاري هوبكنز إلى لندن في أبريل 1942 حاملين خطة عسكرية لغزو أوروبا الغربية تقتضي الاعتماد على ثلاثين فرقة أمريكية وثمانية عشر فرقة بريطانية تنطلق من بريطانيا مباشرة إلى ألمانيا، ويبدو أن روزفلت قد كان متأثراً بالسياسة الداخلية، فبالرغم من الانتصار الساحق للأمريكيين في "ميدواي-Midway"³ وتأمين الساحل الغربي وإضعاف الخطر الياباني إلا أنّ الرأي العام الأمريكي كان لا يزال غاضباً من كارثة بيرل هاربور⁴.

حقد الأمريكيين الأكبر كان على اليابان وليس على ألمانيا، إضافةً إلى تأييد معظم المخططين الأمريكيين لعملية غزو أوروبا عبر القناة البريطانية وعلى رأسهم وزير الحرب هنري لويس ستيمسون وقائد أركان الجيش الجنرال جورج كاتليت ورفضهم القاطع لعملية غزو شمال إفريقيا والتي اعتبروها تحويلاً غير مسؤول للقوات والموارد بعيداً على مسرح الحرب، وهو ما جعل روزفلت مصمماً على القيام بعملية كبرى ضد ألمانيا قبل نهاية 1942، أي قبل أن يجبره الرأي العام الأمريكي على توجيه الجهد الرئيسي ضد اليابان⁵، كما شكّلت زيارة مولوتوف إلى واشنطن بهدف دفع الأمريكيين لفتح جبهة ثانية قبل نهاية 1942 عاملاً أساسياً في محاولة الأمريكيين لتقوية العلاقات

1 أنطوني إيدن - Anthony Eden : (1897 - 1977) سياسي بريطاني محافظ خدم ثلاث فترات كوزير للخارجية ثم أصبح رئيس وزراء المملكة المتحدة من عام 1955 إلى 1957. بصفته عضواً برلمانياً شاباً عن حزب المحافظين، ترقى بسرعة في المناصب ليصبح وزيراً للخارجية في سن 38 قبل أن يستقيل احتجاجاً على سياسة التسوية التي انتهجها نيفيل تشامبرلين تجاه موسوليني، شغل نفس المنصب مرة أخرى معظم فترة الحرب العالمية الثانية ومرة ثالثة في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، كما شغل إيدن منصب نائب ونستون تشرشل لما يقرب من 15 عاماً، ثم خلفه كزعيم لحزب المحافظين ورئيس الوزراء في أبريل 1955 وفاز في الانتخابات العامة بعد شهر، عد شهرين من صدور الأوامر بإنهاء عملية السويس، استقال إيدن من منصبه كرئيس للوزراء بسبب اعتلال صحته وبسبب وجود شبهة على نطاق واسع بأن إيدن ضلل مجلس العموم بشأن مدى تواطؤ فرنسا مع إسرائيل. أنظر:

Earl of Avon, **The reckoning: the memoirs of Anthony Eden**, Houghton Mifflin Co, Boston, 1965

2 في الشمال أراد القادة البلاشفة إعترافاً بريطانياً صريحاً بأن لاتفيا وإستونيا وليتوانيا هي جزء من الاتحاد السوفياتي، كما يجب الإبقاء على الحدود مع فنلندا كما كانت عليه بعد حرب الشتاء (1939-1940)، أما في الوسط فقد طالب السوفييات بحدود على طول خط كرزون (الحدود اللغوية)، كما أراد ستالين أن توافق بريطانيا على الحدود السوفياتية الرومانية التي تسمح لروسيا بالحصول على بيسارابيا وبوكوفينا.

3 وصفت الرواية الرسمية للبحرية الأمريكية **معركة ميدواي** (03-06 جوان 1942) بأنها انتصار للذكاء، بدءاً من التمكن من فك الشفرة اليابانية، والتأكد من نية اليابانيين بمهاجمة ميدواي، فقد مثلت تلك المعركة نقطة تحول في الصراع العسكري الأمريكي - الياباني، ومثلت معركة ميدواي انتصاراً عظيماً للحلفاء، لأن اليابانيين اضطروا للتراجع عن خططهم في التوسع في المحيط الهادي وتحولوا للدفاع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

4 **هجوم بيرل هاربور**: هي غارة نفذتها البحرية الإمبراطورية اليابانية بصورة مباغتة في 7 ديسمبر 1941 على الأسطول الأمريكي للمحيط الهادي في قاعدته البحرية في ميناء بيرل هاربور بجزر هاواي، غير الحدث مجرى التاريخ وأرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية، وأسفر عن مقتل 2403 من الجنود الأمريكيين و 68 من المدنيين واغراق أو إتلاف 19 سفينة وبارجة حربية و تدمير 188 طائرة. أنظر:

John c. Davenport, **The attack on Pearl Harbor the United States enters World War II**, Chelsea House, New York, 2009.

5 Brian lane herder, **Opération Torch 1942 the Invasion of French north Africa**, op, cit. p9.

مع السوفيات ومحاولة إرضائهم جاء ذلك إثر إصدار البيت الأبيض لبيان في جوان 1942 جاء فيه: «لقد تمّ التوصل إلى تفاهم كامل مع السوفيات فيما يتعلق بالمهام العاجلة والتي تتمثل في فتح جبهة ثانية في أوروبا خلال عام 1942»¹. قابل تردّد البريطانيين² إصراراً كبيراً من قبل ستالين لفتح جبهة ثانية قبل نهاية 1942، الأمر الذي جعل البريطانيين يتفقون مع روزفلت على حل وسط وهو فتح جبهة ثانية لكن في شمال إفريقيا بدل أوروبا³.

طوال عام 1942 لم يكن تركيز الألمان على منطقة شمال إفريقيا بقدر ما كان على الحملة ضدّ الاتحاد السوفياتي، وبالرغم من الانتصارات التي حققها رومل وإنقاذه لقوات موسوليني من الكارثة⁴ خلال حرب الصحراء إلا أنّ هتلر اعتبر هذا النجاح عرضاً جانبياً، ولم يمنحه الموارد اللازمة للقضاء بشكل نهائي على الجيش الثامن البريطاني بقيادة (برنارد مونتغومري- Bernard Law Montgomery)⁵، بالرغم من ذلك بقي الجزء الأكبر من شمال إفريقيا تحت سيطرة فيشي بقيادة فيليب بيتان، وعلى الرغم من حيادها ظاهرياً إلا أنّ تعاونها كان وثيقاً مع ألمانيا النازية، وكانت تملك قوة عسكرية قدرت بحوالي 120 ألف جندي موزعة كالاتي 50 ألف جندي بالمغرب الأقصى و50 ألف جندي بالجزائر و20 ألف جندي بتونس، تتشكّل أساساً من وحدات مشاة محلية بقيادة ضباط فرنسيين، ووحدات الفيلق الأجنبي ووحدة الزواف لكن تسليحها كان ضعيفاً نتيجة بنود معاهدة الاستسلام جوان 1940⁶.

خلال 8 نوفمبر 1942 لم يكن يمتلك المحور أيّ وحدات قتالية في شمال إفريقيا، لكن كان بإمكان الوحدات الجوية والبحرية للمحور التدخل من القواعد الإيطالية القريبة، أو من جزيرتي صقلية وسردينيا وكان المحور قد عزّز تواجدته في المنطقة حين أرسلت إيطاليا أواخر أكتوبر 574 طائرة إلى المنطقة بينما أرسلت ألمانيا 298 طائرة من طراز (Luftwaffe- لوفتوافا) من طراز Bf 109 f و Fw 190s والتي لم تكن قد تفوقت عليها أيّ طائرة بعد، إضافة إلى قاذفات القنابل من طراز Ju 87 و Ju 88 التي كانت فعّالة للغاية ضدّ السفن والأهداف البرية، وقوات بحرية إيطالية شملت ستة بوارج (البحرية الملكية- Regia Marina's)، و9 طرادات و28 مدمرة إضافة إلى 35 غواصة والعديد من الزوارق السريعة⁷.

بدأت التقارير الأولى لعملية الإنزال تتوارد لقوات المحور مبكراً فلقد تسلّم مقر قيادة هتلر في 02 نوفمبر تقريراً مفاده أنّ اسطولاً بحرياً ضخماً شوهد وهو يتجمّع في جبل طارق، لم يستطع أحدٌ في القيادة العليا أن يتكهّن بشيء عنه ومال هتلر إلى الظن بأنها لاتعدو أن تكون قافلة متجهة إلى مالطا بحراسة شديدة، وقبل ورود النبأ بأسبوع اجتمع رؤساء أركان القيادة العليا لتبادل الرأي

1 Carrol.Quiglez, **Tragedy and Hope A History of World in Our Time**, op, cit. pp.623-624.

2 أبرز البريطانيون مخاوفهم من عملية "المطرفة الثقيلة" التي اقترحها الأمريكيون، وأرجعوا ذلك إلى عدم جاهزية الجيش البريطاني حيث كانت العملية تحتاج حسب خبراء عسكريين إلى 8000 مركبة هبوط بحري بينما لم تتوفر لديهم سوى 4000 آلاف فقط، وكان معظمها صغيراً وغير قادرة للإبحار إلى القناة، كما شدد تشرشل على أن الغزو المبكر سيكون كارثياً، مشيراً إلى أن "الحروب لا تكسب بالعمليات الفاشلة". أنظر: Carrol.Quiglez, **Ibid**. pp.623-624

3 Carrol.Quiglez, **Ibid**. p. 624.

4 في 13 سبتمبر 1940 شن الجيش الإيطالي العاشر بقيادة المارشال رودلفو غراتسياني هجوماً إنطلاقاً من قواعده في ليبيا على القوات البريطانية غرب مصر، لكنه فشل بعد قيادة الجنرال البريطاني أرشيبالد وينغال هجوماً مضاداً في 9 ديسمبر 1940 إنتهى بهزيمة كادت أن تؤدي إلى سحق القوات الإيطالية لولا تدخل الفيلق الألماني بقيادة رومل الذي إستطاع إنقاذ القوات الإيطالية. أنظر: Carrol.Quiglez, **Ibid**. p 624

5 برنارد مونتغومري: (1887-1976) ضابط بالجيش البريطاني، قاد قوات الحلفاء إلى النصر في معركة العلمين جويلية 1942، وهي نقطة تحول لحريات الحرب أثناء الحرب العالمية الثانية في معركة شمال إفريقيا، إنتهت بطرد قوات المحور من شمال إفريقيا، كان مسؤولاً على القوات البرية للحلفاء في الحملة ضد إيطاليا وخلال معركة نورماندي.

6 Alexandra Lohse, **Jon Middaugh, Opération Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, op.cit, p4.

7 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, traduit de: René jouan, éditions Payot, paris, 1961, p204.

حول محتوى عدّة تقارير تنبئ عن إنزال أنجلو أمريكي وشيك في غرب إفريقيا، والظاهر أنّ مصدر المعلومات كان روما لأنّ (تشيانو- Ciano) كان قد كتب قبلها بأسبوع في حديث جرى له مع رئيس الاستخبارات العسكرية السّرية أنّ الأنجلو ساكسون يتهيّؤون لإنزال قوة في شمال إفريقيا، هذه الأنباء قضت مضاجع تشيانو، وقد صحّت تكهناته كما أثبتت الأحداث أنّ هذا الإنزال سيؤدّي لا محالة إلى هجوم مباشر من الحلفاء على إيطاليا¹.

لم يأخذ هتلر هذه المعلومات الأولية مأخذ الجد لأنّ انشغاله كان منصباً حول معركته مع السوفيّات، وكيفية القضاء على مقاومتهم الشّرسة، وفي اجتماع للقيادة العليا في 15 أكتوبر اقترح (ألفريد يودل - Alfred Jodl)² السّماح لحكومة فيشي الفرنسية بإرسال تعزيزات لشمال إفريقيا حتى يتمكّن الفرنسيون من صدّ أيّ إنزال أنجلو أمريكي، إلّا أنّ محاضر القيادة العليا تشير أنّ هتلر رفض الاقتراح لأنّه يضايق الإيطاليين الذين كانوا يرفضون أيّ مبادرة من شأنها تعزيز القوة الفرنسية في المنطقة، كما وردت تقارير من وكلاء ألمان في الجزء الإسباني من جبل طارق حول مشاهدتهم أسطولاً ضخماً يتجمّع في المنطقة³.

أبلغت القيادة العليا الألمانية القائد هتلر في 05 نوفمبر 1942 أنّ قوة بريطانية بحرية منفردة قد انطلقت من جبل طارق متجهة شرقاً ولكن لم يفكر هتلر جدّياً بالأمر إلّا في صبيحة السّابع من تشرين الثاني أي قبل بدء الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا باثنتي عشرة ساعة، وأفادت التقارير الواردة إلى مقرّه في شرق بروسيا قبل الظهر أنّ أسطولاً يضم قوة بحرية بريطانية وسفنًا حربية من الأطنطي قد اجتمعت كلّها في جبل طارق واتجهت إلى البحر الأبيض المتوسط.

جرت مناقشة طويلة بين ضبّاط الأركان والقائد هتلر، حول اتجاه هذا الأسطول الكبير والأهداف التي أراد تحقيقها، وقال هتلر أنه يميل الآن إلى الظن أنّ الحلفاء يريدون إنزالاً كبيراً بأربع فرق أو خمس في طرابلس أو بنغازي ليطبّقوا على جيش رومل، وصرّح كرانكه - Krancke ضابط البحرية في القيادة العليا أنّه لا يمكن أن تزيد قوة العدو عن فرقتين كأقصى تقدير وحتى لو كان الأمر كذلك فينبغي اتخاذ إجراء ما.

أمر هتلر بإرسال نجات فورية لسلاح الطيران الألماني في البحر المتوسط فقبل له أنّ هذا محال في الوقت الحاضر، وبحسب ما جاء في يوميات القيادة العليا فكلّ ما فعله هتلر في هذا اليوم أنّه أبلغ روند شدت cheart - Rund القائد العام في الغرب ليكون مستعدّاً لتنفيذ العملية انطون - Anton وهو الاسم الرّمزي لعملية احتلال بقية فرنسا، ثم ركب القطار بعد تناوله الغداء مسافراً إلى ميونيخ في نوفمبر لإلقاء خطابه السنوي على رفاق حزبه القدماء المجتمعين للاحتفال بذكرى فشل انقلاب مشرب البيرة - Beer Hall⁴، تغلّبت الشّخصية السّياسية فيه على الشّخصية العسكرية - كما ذكر هالدر رئيس هيئة الأركان - في أخرج لحظات الحرب،

1 Michael D. Hull, **L'Opération Torch l'invasion de l'Afrique du Nord 8 novembre 1942**, Direction de la mémoire, du patrimoine et des archives, paris, p25.

2 ألفريد يودل - Alfred Jodl (10 مايو 1890 - 16 أكتوبر 1946) ولد يودل في بافاريا، كان معجبا بنابليون بونابارت، ساعد أدولف هتلر في وصوله إلى الحكم في ألمانيا، فشل كمستشار عسكري شخصي لهتلر في محاولة إثنائه عن طموحاته التوسعية، وقّع على استسلام ألمانيا غير المشروط في ريمس في 7 مايو 1945م، وكان وقتها رئيساً لهيئة عمليات القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية، حوكم في محكمة نورنبرغ وأدين باتهامه بارتكاب جرائم حرب ثمّ أعدم، أعلنت براءته غيابياً سنة 1953 بعد إعدامه.

3 Alexandra Lohse, **Jon Middaugh, Opération Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, op.cit, p12.

4 من 8 نوفمبر إلى 9 نوفمبر 1923، نظم أدولف هتلر وأتباعه انقلاب حانة البيرة - Beer Hall في ميونيخ، وهو استيلاء فاشل على الحكومة في بافاريا، وهي ولاية في جنوب ألمانيا. منذ عام 1921، قاد هتلر الحزب النازي، وهو مجموعة سياسية وليدة روجت للفخر الألماني ومعاداة السامية ولم يكن سعيداً بشروط معاهدة فرساي، التسوية السلمية التي أنهت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وتطلبت الكثير من التعويضات من ألمانيا، في أعقاب الانقلاب أدين هتلر بالخيانة وحكم عليه بالسجن خمس سنوات، أمضى أقل من عام خلف القضبان، كتب خلالها سيرته الذاتية السياسية "كفاحي". أدى الانقلاب ومحاكمة هتلر اللاحقة إلى تحوله إلى شخصية وطنية. أنظر:

وترك مقر القيادة العليا في شرق بروسيا بعهدة مقدّم يدعى (فرايهر ترويش فون بوتلار براندنفيلز Freiherh Treusch Von Buttler-Brandenfels) ورحل معه الجنرالان كايتل ويودل أقدم ضابطين في القيادة للمشاركة في احتفالات مشرب البيرة¹.

1.1. التحضير لعملية الشعلة:

خلال الفترة بين (1941-1943) واجه الحلفاء مشكلتين رئيسيتين هما:

- **الأولى:** تحديد أولوية الحرب الأوروبية، هل يجب أن تبقى موجهة ضد ألمانيا، أم يتم تغيير وجهتها نحو المحيط الهادئ ضد اليابان؟؛

- **الثانية:** اختيار الطريقة المناسبة للقضاء على القوة الألمانية (هل يكون ذلك بشكل غير مباشر أي عن طريق القصف الجوي والحصار الاقتصادي، أو عن طريق عملية عسكرية مباشرة عبر القناة من إنجلترا مباشرة إلى أوروبا الغربية أو عبر البحر المتوسط إلى جنوب أوروبا²).

بدأ جهز مشترك في خريف 1942 لتنسيق عملية الحلفاء تورش - torch، نزول البريطانيين والأمريكيين في شمال إفريقيا لكن لم يكن هناك أي طريقة لإخفاء الاستعدادات الكبيرة لقوات البحرية في جبل طارق، ولم يكن متوقعاً أن يخفق الألمان في تحري القوافل الكبيرة التي تبحر من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية خاصةً عند وجودها في البحر الأبيض المتوسط³.

اعتمدت بريطانيا أسلوب الخداع فاستغلّت الخطة البريطانية مخاوف الألمان إلى أبعد حد وعلى نطاقٍ استراتيجي واسع، كانت هناك جهودٌ لتحويل الانتباه عن البحر الأبيض المتوسط تحويلاً كاملاً بالاعتماد على الخطة المسماة (سولو وان-Solo One) التي بدأت في نهاية جويلية 1942⁴، هدّدت بغزو النرويج وطابق ذلك اعتقاد هتلر تماماً الذي كان يرى أنّ النرويج كانت تمثل مصير هذه الحرب، وبالفعل بدأت عملية خداع بريطانية مدروسة في أوائل عام 1941 للإبقاء على أصبع هتلر يشير إلى النرويج، وبدأت التقارير بواسطة عملاء لإعلانات صحفية بريطانية تبحث عن صيادي سمك يعرفون السّاحل النرويجي، وعن تدريبات خاصة للجنود في أسكتلندا الذين نقل عنهم أنّ ملك النرويج قد قام بتفتيشهم، وكانت الخطة الثانية (التدمير - overthrow) قد بدأت في الوقت نفسه وحدّدت الهدف السّاحل الشمالي الفرنسي⁵.

أثبتت خطة التغطية في جبل طارق (كينيكوت - kennecott) أنها الأكثر تأثيراً وفعاليةً، لأنها كانت الأقرب للحقيقة واحتفظت بقيمتها حتى بعد عبور القوافل لجبل طارق، كانت الخطة تشير إلى استعدادات البحرية البريطانية التحضير لتسيير قافلة تموين إلى مالطا، فقد صوّر الموقع العسكري هناك على أنّه في ضيقٍ شديدٍ ما أثمر التعاون بين مخابرات الإشارة وعملية التمويه بطريقة جيدة،

Harold J. Gordon Jr, **Hitler and The Beer Hall Putsch**, Central European History, Volume 6, Issue 4, December 1973, pp. 373 - 381

1 William shirer, **the rise and fall of the third reikh**, rosetta books, new York, 2011, pp.323-324

2 Carroll Quigley, **Tragedy and Hope A History of World in Our Time**, op cit, p 662.

3 Alexandra Lohse, Jon Middaugh, **Opération Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, op.cit, p14.

4 https://www.google.com/search?q=solo+one+plan+1942&client=firefox-bd&sca_esv=8e99831eb58f4f25&sca_upv=1&ei=IJ7RZseWDYSakdUPhM3c2A0&oq=Solo+One+Plan&

5 Robert Girod, **Operation Flagpole Preparation for Operation Torch**, Journal of U.S. Intelligence Studies Volume 26, Number 3, Summer- Fall 2021, pp.68-69.

في أواخر شهر أوت وبداية سبتمبر أظهرت الرسائل الألمانية المعارضة قلقًا حول النشاط العسكري البريطاني المكثف في جبل طارق، وأظهرت شكوكًا حول قافلة مالطا المخطط لها لكنها تكهنت هجومًا على مرسيليا أو حتى هجومًا محتملاً للحلفاء على مالطا، لذلك قام البريطانيون بإعداد المسرح وعرض الإشارات في جبل طارق فقط¹.

تحقق التحرك الهائل للحلفاء إلى شمال إفريقيا بفعل عوامل عديدة مهدت لعملية الشعلة، مستغلين انشغال زعماء المحور بجبهات سياسية وعسكرية نذكر منها:

- انشغال الألمان بالجبهة الشرقية في حربهم ضد السوفييات وتركيز جل اهتمامهم على معركة ستالينغراد بعدما وصلوا إلى منطقة القوقاز والقوقاز²؛

- اشتداد المعارك في مصر بفعل الهجوم الذي قادته القوات البريطانية بقيادة الجنرال "برنار مونتغمري- Bernard Montgomery"³ على الجيوش الألمانية بقيادة رومل في معركة العلمين الشهيرة، وتراجع الجيوش الألمانية نحو ليبيا بعد هزيمتها في مصر⁴.

بالرغم من إدراك كلٍّ منهما إلى الحاجة الماسة للقيام بفتح جبهة ثانية ضد هتلر، إلا أنَّ الأمريكيين كانوا يفضلون غزوًا لأوروبا بينما دعم البريطانيون مشروع الإنزال في شمال إفريقيا للقضاء على جسر الإمدادات الألمانية في إفريقيا من جهة، ومن جهةٍ أخرى تقصير طريق الاتصالات بين إنجلترا والهند فضلًا عن تضيق حلبة الصراع على المحور، أمَّا بالنسبة للأمريكيين وعلى رأسهم قائد الأركان الجنرال جورج مارشال فقد كان أقل ميلًا لقبول منطق البريطانيين حول عملية الإنزال في شمال إفريقيا، حيث رأى أنَّ العملية «لن تقود إلى إخراج دبابية أو جندي واحدٍ من الجبهة الروسية»، ولا يمكن للحرب أن تحقق نتيجةً إيجابيةً إلا إذا هزم هتلر في أوروبا الغربية، أنشأ هذا الخلاف مأزقًا استراتيجيًا بخصوص الخطوة القادمة للحلفاء⁵. يمكن تتبع عملية الإنزال في شمال إفريقيا من خلال اللقاءات التي جمعت كل من روزفلت وتشرشل بالعاصمة واشنطن خلال الفترة الممتدة بين 22 ديسمبر 1941 و14 جانفي 1942، والتي عُرفت باسم مؤتمر واشنطن الأول وأطلق عليه أيضًا تسمية آر كاديا-Arcadia⁶.

1 Stephen budiansky, **battle of wits: the complete story of codebreaking in world war 2**, the free press, new work 2000, pp 466 - 467.

2 في 22 جويلية 1941 شنت ألمانيا النازية "عملية بارباروسا"؛ إذ كانت ستالينغراد مدينة صناعية واقعة على نهر القوقاز، لا تنتج فقط الإمدادات العسكرية بل كانت تمثل محورًا استراتيجيًا رئيسيًا في غزو روسيا، ومن شأن السيطرة عليها أن تؤمن الجناح الأيسر للجيش الألماني فيما يتقدم إلى منطقة القوقاز الغنية بالنفط، وكان الهدف هو قطع القود عن جيش ستالين، وكانت تلك معركة حاسمة غيرت مجرى الحرب لصالح الحلفاء، مع أن السوفييت استعادوا ستالينغراد، كان هذا أول فشل علني يقر به هتلر. وقد قتل أكثر من مليون و100 ألف من القوات السوفييتية وقرابة 40 ألف مدني خلال المعركة. أنظر:

Jean Lopez, Lasha Otkhmezuri, **Barbarossa - 1941 - La guerre absolue**, Passés composés / Humensis, 2019.

3 ولد برنار لاو فيكونت- Bernard Law Vicomte الملقب بـ "مونتغمري العلمين- Motgomery" بلندن سنة 1887، مارشال بريطاني استطاع هزيمة رومل في معركة العلمين سنة 1942، بعدها أسندت له مهمة قيادة جيوش الحلفاء في بلجيكا كما شارك في حملة "النورماندي" وعملية إحتلال ألمانيا، شغل منصب مساعد قائد أعلى لقوات الأطلسي في أوروبا بين 1951 إلى 1958 توفي سنة 1976. أنظر:

Dictionnaire Encyclopédique Le Petit Larousse Illustre 1984, Kibrairie Ka Rousse, Paris 1980, p1534

4 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, traduit de: René jouan, éditions Payot, paris, 1961, p204.

5 Vincent P. O'Hara, **Torch: North Africa and the Allied Path to Victory**, MD: Naval Institute Press, Annapolis 2015, p629.

6 كان لإطلاق تسمية آر كاديا- Arcadia على المؤتمر رمزية خاصة ولها معنى مزدوج: الأول هو تشبيه اتحاد دول الحلفاء القوي ضد المحور باتحاد المدن وسط بيلوبونيز في اليونان القديمة، والمعنى الثاني فيه إشارة للمنطقة الريفية الهادئة والتي يعيش سكانها بسعادة وسلام وهو حلم ما بعد الحرب.

بالنسبة لتشرشل كان هدف المؤتمر مراجعة خطة الحرب بأكملها في ظل التطورات الحاصلة والواقع الجديد على الأرض، ورافق تشرشل وفد يتكون من رؤساء الأركان والضباط البريطانيين على غرار أميرال الأسطول البحري دودلي باوند، وقائد القوات الجوية المارشال تشارلز بورتال، بينما رأى أيزنهاور أنّ الغرض من المؤتمر هو الوصول إلى غايتين رئيسيتين:

- **الأولى:** تأمين الاتصال بين القيادتين الإنكليزية والأمريكية لتنسيق التعاون بينهما؛
 - **الثانية:** كان الهدف تثبيت ما سبق أن تقرّر بتحديد الجبهة التي يجب أن تعطى لها الأولوية لضرب المحور¹.
- اقتنع أيزنهاور أنّ الحرب الدفاعية فقط لن تحقق أهدافها وبأنه لم يبق مجالاً للاختيار أمام بلاده التي اضطرت لمجاراة حليفاتها روسيا وبريطانيا، لأنها إذا ما ركزت جهودها ضدّ اليابان فقط فإنّ ألمانيا قد تتمكن من سحقها، فتضطر لمواجهة ألمانيا وحيدة لذلك فضّلت الولايات المتحدة أن تركز قوتها في أوروبا².
- وفقاً لما سبق اتفق الطرفان على إمكانية تنفيذ عملية إنزال في شمال إفريقيا بقيادة أمريكية، كما ناقش الطرفان مسألة تحديد السّلطة الفرنسية الفعلية التي لها القدرة على توحيد القوات الفرنسية في شمال إفريقيا وقيادتها ضدّ الألمان³، وبعد خمسة أسابيع وبتاريخ 17 جانفي 1942 عاد تشرشل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث انعقدت القمة الأنجلو أمريكية الثانية بين رئيس الوزراء البريطاني تشرشل والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بهيد بارك في نيويورك لينظم اليهما القادة العسكريين فيما بعد⁴، بينما اجتمع المستشارون العسكريون بواشنطن العاصمة .

خلال الاجتماع واصل الأمريكيون الضّغط من أجل عملية عسكرية لغزو أوروبا بينما وقف البريطانيون بقوة ضدّ هذا الطرح ما عطلّ توصّل الطرفين إلى اتفاقٍ كامل، و دفع الرئيس الأمريكي روزفلت لإرسال الجنرال مارشال ورئيس العمليات البحرية الإدميرال إرنست كينغ-Ernest Joseph King⁵، وهاري هوبكنز-Harry Hopkins أحد أقرب مستشاري الرئيس روزفلت كمبعوثين إلى لندن في 18 جويلية 1942⁶.

واجه الديمقراطي روزفلت انتقاداتٍ لاذعة في الداخل من طرف الجمهوريين بسبب فشله في فتح جبهة ثانية خلال الحرب وتزامن ذلك مع اقتراب انتخابات التجديد التّصفي للكونغرس، بينما تواصل رفض البريطانيين بشدة لفكرة فتح جبهة أوروبية، ما دفع بروزفلت بإعطاء أوامر للوفد المفاوض في بريطانيا على قبول فكرة تأجيل عملية المطرقة الثقيلة (فتح جبهة أوروبية، والقبول بفكرة النظر في خمس عمليات بديلة لها على أن تتم قبل نهاية 1942 وتمثلت هذه العمليات في:

- Super-Gymnaste: عملية غزو مشترك لشمال إفريقيا الفرنسية؛
- Gymnaste: خطة أمريكية كانت قيد الدّراسة لعدّة أشهر تهدف إلى غزو أمريكي للمغرب الأقصى والهبوط في الدار البيضاء؛

1 <https://www.nationalww2museum.org/war/articles/first-washington-conference-arcadia> .

2 بسام العسلي، مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية (إيزنهاور)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1989، ص47.

3 New-york times, 9desember, 1941, pp14-18.

4 كان هدف تشرشل الأساسي من حضور مؤتمر أركاديا هو الحفاظ على الأولوية البريطانية في الحرب خلال تلك الفترة وهي "القضاء على ألمانيا أولاً" وهو ما حصل عليه في آخر الأمر. أنظر: Winston S. Churchill; **The Grand Alliance**, Houghton Mifflin.

5 إرنست كينغ-Ernest Joseph King : (1878-1956) كان القائد الأعلى لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس العمليات البحرية خلال الحرب العالمية الثانية، أدار العمليات البحرية الأمريكية والتخطيط و الإدارة وكان عضوا في هيئة الأركان المشتركة، كان ثاني أكبر ضابط في البحرية الأمريكية .

6 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, op.cit, p414.

• Jupiter: غزو مشترك لشمال النرويج؛

• تعزيز أمريكي لمصر بهدف دعم الجيش البريطاني الثامن ضد قوات رومل؛

• تعزيز أمريكي لإيران¹.

أثناء مناقشة هذه الاحتمالات ظهر للأمريكيين أنّ حلفاءهم الإنكليز غير متحمسين لمخططاتهم، وأصرّ القادة الإنكليز على صعوبة تنفيذ هجوم على ألمانيا عبر القنال الإنكليزي²، وأخيراً حسم الجنرال مارشال الموقف عندما أعلن بوضوح في مؤتمر عقده في لندن: بأنه «مهما كان القرار المتخذ، فلا بدّ من أخذ وعد واضح وصريح من البريطانيين، بأن يجعلوا هدفهم الأول هو تسهيل عملية الهجوم المباشر من جزرهم على فرنسا -عبر القناة- لأنّ ذلك فيه توفير للوقت وفعالية أكبر لسحق الألمان»³.

أخيراً تمّ اختيار فكرة الإنزال المشترك في شمال إفريقيا على أن يتم تأجيل فتح جبهة أوربية إلى عام 1943، والالتزام بتنفيذ عملية شمال إفريقيا قبل نهاية 1942، كما اتفق الطرفان على تغيير اسم العملية من (خيميناز-Gymnaste) إلى (الشعلة-torch)، وتعيين قائد أمريكي للعملية يكون مسؤولاً عن جميع عمليات التدريب في المقر الرئيسي للعملية بلندن والتخطيط لعملية الإنزال، كما اتفق الطرفان على اعتبار القارة الأوروبية هي المسرح الأساسي للعمليات الحربية، وتقرر أن تأخذ الحملة مظهرًا أمريكيًا كاملاً، على أمل أن تكون منزلة الأمريكيين لدى الجيش الفرنسي في شمال إفريقيا محترمة، ما قد يدعو أن تكون المقاومة شكلية فقط، لاسيما أن مركز بريطانيا كان في الحضيض لدى الفرنسيين بسبب القصف البريطاني للأسطول الفرنسي في ميناء وهران⁴، والقضاء على الفرنسيين المواليين لبيتان في سوريا ولبنان⁵.

كان ذلك انتصاراً بالنسبة لتشرشل بعدما حاول روزفلت إقناع الحلفاء بالخطر الباباني المتصاعد من جهة الشرق، كما ركز تشرشل كل جهوده لإقناع روزفلت بأنّ عملية شمال إفريقيا سقضي على الألمان⁶، وبعد عودة الوفد الأمريكي المفاوض من بريطانيا أعرب كلٌّ من الجنرال مارشال والأدميرال إرنست كينغ عن تحفظات بشأن تأثير اتفاق لندن على خطط فتح جبهة في أوروبا الغربية في عام 1943، عكس روزفلت الذي دافع على الاتفاق بكلّ قوة وذكر الطرفان بأنه القائد الأعلى للقوات المسلحة وقد اتخذ القرار بأنّ عملية الشعلة سوف تنفذ قبل نهاية عام 1942 بحسب الاتفاق⁷.

1 Brian lane herder, **Opération Torch 1942 the Invasion of French north Africa**, op, cit, p9.

2 القنال الانجليزي **English Channel** يسميها الفرنسيون بحر "المانش" (La Manche)، هو جزء من المحيط الأطلسي الذي يفصل بريطانيا العظمى عن فرنسا ويربط بحر الشمال بالمحيط الأطلسي. يبلغ عرضه حوالي 563 كيلومتر، أما طوله فيبلغ 240 كيلومتر في أقصى طول له، و 34 كيلومتر في أقصر طول بين مضيق دوفر وحت نيز جريس. خلال فترة الهيمنة الرومانية القديمة كان يعرف القنال باسم بريتانيكوس وحتى حوالي 1549 م كان يعرف باسم البحرية البريطانية. أنظر:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/5/22>.

3 Robert Girod, **Operation Flagpole Preparation for Operation Torch**, Op cit, p 70.

4 الهجوم على مرسى الكبير (معركة مرس الكبير) في 03 جويلية 1940، كان هجوماً بحرياً بريطانيا على الاسطول البحري الفرنسي في القاعدة البحرية في المرسى الكبير، بالقرب من وهران كان الهجوم هو الجزء الرئيسي من عملية المنجنيق، وهي خطة بريطانية لتحديد أو تدمير السفن الفرنسية لمنعها من الوقوع في أيدي الألمان بعد هزيمة الحلفاء في معركة فرنسا، وأسفر القصف البريطاني للقاعدة عن مقتل 1297 جندياً فرنسياً وإغراق سفينة حربية وإلحاق أضرار بخمس سفن أخرى، وخسارة بريطانية لخمس طائرات وقتل اثنان من طاقمها. أنظر:

<https://warhistory.org/@msw/article/the-bombardment-of-mers-el-kebir-3-july-1940-part-ii>

5 بسام العسلي، مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية (إيزنهاور)، المرجع السابق، ص 67.

6 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, op, cit, p414.

7 Brian lane herder, **Opération Torch 1942 the Invasion of French north Africa**, Op cit, p

عين إيزنهاور كقائد لعملية الشعلة في 26 جويلية 1942 وتم هذا الاختيار لعدة اعتبارات، فهو الذي تدرّج من رتبة مقدم وقائد لكتيبة مشاة في 1940 إلى جنرال من فئة ثلاث نجوم في عامين فقط، كان إيزنهاور يتمتع بثقة كبيرة في النفس ومهارة سياسية أهله لأن يتغلّب على المشاكل التي قد تحدث في قيادته لجيشين وشعبين سيكونان في تواصل يومي خلال عملية الإنزال، وعلى الرغم من أنّ تاريخ العملية كان لم يحدّد بدقة بعد في تلك الفترة إلّا أنّه كان أمام إيزنهاور بضعة أشهر فقط على الأكثر للتعرف على القادة العاملين معه، وتوحيد قيادة الأركان، وتنظيم القوات وتجميع أساطيل الغزو ووضع اللّمسات الأخيرة على الخطط¹.

أدرك الرئيس فرانكلين روزفيلت الحاجة إلى تنسيق المعلومات الاستخباراتية لنجاح العملية، فقام بتعيين وليام وايلدبيل دونوفان خريج كلية الحقوق والحائز على وسام الشرف خلال الحرب العالمية الأولى لرأس مكتب منسق المعلومات الاستخباراتية في جويلية 1941، وفي جوان 1942 أُعيد تسمية المكتب ليصبح مكتب الخدمات الاستراتيجية هذا بالرغم من المعارضة الشديدة لمكتب التحقيقات الفدرالي لكنّ الرئيس روزفيلت كان مصراً على فكرته².

مكتب تنسيق المعلومات الاستخباراتية لم يكن الوحيد في شبكة الاستخبارات الأمريكية حيث تم تعيين ضباط عسكريين للإعداد السري لهذه الحملة، تم نقل بعضهم إلى فيشي بفرنسا للبقاء بالقرب من حكومة بيتان وكان من ضمن هؤلاء الضباط كبار أعضاء السفارة الأمريكية في فيشي مثل القائم بالأعمال روبرت مورفي، والملحق البحري القائد روسكوي هيلينكوتر³. عملت شبكة التجسس الأمريكية في شمال إفريقيا تحت تنظيم أُطلق عليه اسم "نواب القناصل"، وتشكّل هذا التنظيم من إثني عشر ضابطاً كانوا يعملون في البداية تحت إشراف وزارة الخارجية قبل أن يصبحوا تحت إشراف مكتب الخدمات الاستراتيجية، هذا التنظيم الذي ساهم وبشكل أساسي في عقد اتفاقية مورفي-ويغان الاقتصادية في مارس 1941 والتي سمحت باستيراد بعض السلع الأمريكية إلى شمال إفريقيا وهو ما سمح لضباط تنظيم "نواب القناصل" بجمع معلومات استخباراتية مهمّة وفي جميع المجالات التي تخص شمال إفريقيا والتي ساهمت في نجاح عملية الإنزال فيما بعد⁴.

قدم كبير المخططين البحريين البريطانيين الأدميرال بيرترام رامزي - Bertram Ramsay في 31 جويلية مشروع مخطط الإنزال الذي يستغرق ثمانية أيام، وتواصلت المشاورات بين الأمريكيين والبريطانيين حول مواقع الإنزال طيلة شهر كامل، وانقسم المخططون مجدداً حول مركز ثقل عملية الإنزال، حيث أراد البريطانيون الإنزال في الجزائر بينما تندفع القوات الأمريكية بسرعة إلى تونس لقطع الإمدادات الألمانية على قوات الفيلق الإفريقي - Afrika Korps⁵ وفكّ الحصار المفروض على الجيش الثامن البريطاني في مصر، بينما فضّل الأمريكيون إنزال الجزء الأكبر من قواتهم على ساحل المحيط الأطلسي وفي المغرب خوفاً من ردّة فعل فرانكو على عملية الإنزال وتحالفه مع الألمان ومساعدتهم في الاستيلاء على جبل طارق وقطع خط الإمدادات البحرية للحلفاء عبر جبل طارق.

1 Elizabeth R. Snook, **Dwight Eisenhower**, A Selected Bibliography of Periodical and Dissertation Literature, bilene, KS: Dwight D. Eisenhower Library, National Archives and Records Service, 1981, p 36.

2 Robert Girod, **Operation Flagpole Preparation for Operation Torch**, Op cit, p 67.

3 Walker- David A, **Journal of Contemporary History**, Vol. 22, No. 4, October, 1987, pp. 667-679.

4 Robert Girod, **Operation Flagpole Preparation for Operation Torch**, Op cit, p 68.

5 الفيلق الإفريقي - Afrika Korps : هو فيلق ألماني أوجد بصورة خاصة لدعم القوات الإيطالية في شمال أفريقيا، بدأت مشاركته في العمليات العسكرية في شمال أفريقيا في 12 فبراير 1941 ولعب دوراً كبيراً في معارك شمال أفريقيا وانتهى كقوة مقاتلة في 13 مايو 1943 بعد استسلام قوات المحور للجيش البريطاني والأمريكية في تونس. أنظر:

Robert Citino, **Drive to Nowhere: The Myth of the Afrika Korps, 1941-43**, MHQ magazine, Summer 2012.

اقترح البريطانيون إنزالاً بالجزائر في كلٍّ من وهران والعاصمة وفيليب فيل (سكيكدة) وبون (عنابة) لكنَّ بعض الخبراء العسكريين البريطانيين عارضوا هذا الاقتراح وعلى رأسهم الجنرال آلان بروك-Alan Brock الذي أكَّد على خطورة الإنزال في مدينتي سكيكدة وعنابة لأنه يحتاج إلى دعمٍ جويٍّ كبيرٍ للمنطقة وهو ما لم يكن من الممكن توفيره، في الأخير وبعد عدَّة مشاورات اتفق كلٌّ من تشرشل وروزفلت على أن تكون كلٌّ من الدَّار البيضاء ووهران والجزائر العاصمة هي محطات عملية الشعلة¹.

تضمَّنت الخطة النهائية الاعتماد على ثلاث قوى رئيسية في عملية الإنزال، تنطلق القوة الأولى والثانية والمتمثلة في (فرقة العمل الشرقيّة Eastern Task Force) و (فرقة العمل الوسطى-Center Task Force) من بريطانيا باتجاه الجزائر العاصمة ووهران، بينما تنطلق القوة الثالثة والمتمثلة في (فرقة العمل الغربية-Western Task Force)² من الولايات المتحدة الأمريكية باتجاه الدار البيضاء بالمغرب³.

2.1. صعوبات الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا:

كان على قادة الحلفاء الأخذ في الاعتبار المخاطر الواضحة عند مرور قوافلهم عبر المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط خلال عملية الشعلة، ففي ذلك التاريخ بالذات لم يكن من السَّهل أبداً إبحار أكثر من 800 سفينةٍ من الموانئ الأمريكية والبريطانية وعلى متنها عددٌ كبيرٌ من الجنود والعتاد، ومرورها عبر المياه التي تنتشر فيها الغوّاصات الألمانية والممرات البحرية التي يسيطر عليها المحور، وتأكيد لحجم تلك الخطورة كتب المؤرخ هينسلي-FH Hinsley⁴: «مثل تعهد الحلفاء القيام بعملية الشعلة في ذلك التاريخ سابقة لم تحدث من قبل، ولم يشهد تاريخ الحرب قبل عملية الشعلة إرسال مثل هذا الأسطول الضخم عبر آلاف الأميال في المحيط».

أكَّد ونستون تشرشل مدى صعوبة تنفيذ عملية الشعلة بقوله: «كان على أكثر القوافل التي أبحرت من الموانئ البريطانية أن تمر بخليج بسكاي.... وأن تقطع كل طرق الغواصات وهي تفتقر إلى قوات الحراسة، وكان علينا أن نخفي حشود بواخرنا الضخمة التي بدأت تحتشد منذ أوائل شهر أكتوبر في كلايد وغيرها من الموانئ الغربية»⁵، أمّا آيزنهاور فقد توقع مدى ما قد يجابهه من عقبات خلال عملية الإنزال، خاصَّةً إثارة روح الهزيمة في أوساط الجند وقادتهم على السَّواء وهو ما أدَّى به إلى مواجهة هذه الظاهرة بقوله: «ليس لدعاة الهزيمة ولا المتشائمين مكان في هذه القيادة، وعلى كلِّ فرد أن يعود لوطنه إذا لم يكن قادراً على الصُّمود في مواجهة العقبات التي ستقابلنا، والمتاعب التي نتوقعها»⁶.

مثلت قوات المحور البحرية والجوية التهديد الأساسي لقوات التحالف الأمريكي والبريطاني، إضافةً إلى عدم استبعاد ردة فعل معادية من طرف قوات فيشي الفرنسية في المنطقة خاصَّةً في المغرب الأقصى مثلما أكَّد ذلك ميرفي في تقريره إلى آيزنهاور أن أكبر مقاومة

1 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, op, cit, p 414.

2 شكلت فرقة العمل الأمريكية 34 أكبر قوة حربي أرسلتها الولايات المتحدة الأمريكية للحرب خارج أراضيها خلال تاريخها إلى اليوم.

3 Winston S. Churchill, **The Second World War (The Hinge Of Fate)**, op, cit, p294.

4 السير فرانسيس هاري هينسلي - Francis Harry Hensley (26 نوفمبر 1918 - 16 فبراير 1998) مؤرخاً إنجليزياً ومحلل تشفير، عمل في بلتشلي بارك خلال الحرب العالمية الثانية وكتب على نطاق واسع عن تاريخ العلاقات الدولية والاستخبارات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، كان يعرف باسم هاري هينسلي.

5 Winston S. Churchill, **The Second World War (The Hinge Of Fate)**, op, cit, p296.

6 2 Commanders Order Capitulation, **New York Times**, November 12, 1942, p. 6.

ستواجه الأمريكيين هي مقاومة الجنرال شارل نوجيس-Charles Noguès في المغرب¹، دون أن ننسى خطر القوات الإيطالية في المتوسط على الرغم من ضعفها، فضلاً عن طائرات الدوريات والهجوم الألمانية بعيدة المدى المتواجدة بسردينيا وصقلية والتي يمكنها استخدام قواعد البحر الأبيض المتوسط الفرنسية، والعديد من غواصات (U) التي تعمل في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، إضافة إلى تشكيلات رومل المدرعة في تونس كما شكّل الخطر الإسباني تهديداً مباشراً في حال تحالف فرانكو مع المحور، الأمر الذي أكد عليه الأمريكيون دائماً².

شكّلت الأحوال الجوية هاجساً أمام نجاح عملية الإنزال، لذلك اعتمدت استخبارات الحلفاء رصد المعلومات الخاصة بالطقس القادمة من شمال إفريقيا بدقة بداية من جويلية 1942، وأعرب آيزنهاور في كثير من الأحيان تخوفه من تأثير حالة الطقس على نجاح عملية الإنزال خاصة أنه سيكون في فصل الشتاء وصرح قائلاً: «لا أخشى شيئاً أكثر من سوء الأحوال الجوية»³.

خلافًا لعمليات الإنزال التي سيقومون بها في المستقبل كان الحلفاء عام 1942 في موقفٍ ضعيفٍ سواءً في البحر أو الجو، كما افترق الجيش الأمريكي إلى التدريب الكافي للقيام بمثل هذه العمليات خاصة أنه كان يقع على عاتقه القيام بالهجوم الأولي، وزاد من صعوبة نجاح عملية الشعلة أن هدف الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا كان محاولةً لكسب ولاء قادة فرنسا الفيشية في المنطقة لتكون متعاونةً مع الحلفاء بدل احتلالها أو هزيمتها عسكرياً في محاولةٍ لعدم خلق عداء في المستقبل بين الفرنسيين والأنجلو أمريكيين، وهو ما عقّد خطة الحلفاء لإنزال قواتها في شمال إفريقيا، إذ كانت فرنسا محتلةً جزئياً من قبل النازيين وجزء آخر تحت حكم فيشي بيتان الموالي للألمان، الأمر الذي خلق حالةً من الغموض في شمال إفريقيا، فقد كان بعض الضباط الفرنسيين في المنطقة مواليين لبيتان وضباط آخرون مواليين لحركة الجنرال ديغول في إنجلترا، وتامر آخرون لدعم الجنرال هنري جيرو بينما فضّل آخرون الانتظار لمعرفة كيف ستسير الأمور⁴.

واجه آيزنهاور في محاولته للتوفيق بين وجهات النظر الأمريكية والبريطانية حول عملية الشعلة تحديات لوجستية وسياسية وعسكرية معقدة، كان أهمها معرفة القدرات الحقيقية للقوة الأنجلو أمريكية، لاسيما قدرتها فيما يخص الشحن البحري وقدرة الدعم، إذ لم تتوفر لدى آيزنهاور أرقامٌ حقيقية لسفن الإنزال ولا لحجم الدعم الجوي الذي يمكن توفيره، الأمر الذي دفعه إلى صدام مع قادة البحرية في عديد المرات متهمًا إياهم على حد قوله: «بعدم الالتزام والتخاذل ونقص الحزم اللازم».

تكلم آيزنهاور عن حالة عدم اليقين التي أرهقت أعصابه خلال عملية التخطيط، والإجهد الكبير الذي أصاب جنود البحرية الأمريكية جزاءً نقص التعزيزات التي لم تتوافق وحجم العملية، فإمكانات الأسطول الأطلسي والتي تحتوي قطعاً بحرية قديمة وغير متجانسة وهذا راجعٌ إلى عملية تحويل سفن النقل والشحن المدنية إلى قطع بحرية قتالية⁵.

مسألة أخرى شكّلت عائقاً بالنسبة للقوات الأمريكية وهي عدم التنسيق، حيث نادراً ما عملت قوات البحرية الأمريكية وقوات الجيش البري الأمريكي معاً في عملية مشتركة، الأمر الذي استدعى تدريباً مكثفاً وعقد ملتقيات كثيرة بين القادة، بالرغم من ذلك اصطدم قادة الطرفين في عديد المرات، على سبيل المثال فضّل قادة البحرية تزويد القوات الهجومية بحد أدنى من المعدات لتأمين هبوط ناجح عكس قادة الجيش الذين فضّلوا إنزال الجنود مع أكبر قدرٍ من المعدات، كما شكّلت عملية الاتصالات بين الطرفين معضلة

1 بسام العسلي، مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية (إيزنهاور)، المرجع السابق، ص. 71.

2 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, op, cit, p 414.

3 Patch John- Fortuitous Endeavor, **Intelligence and Deception in Operation Torch**, Naval War College Review, Vol 61, No 4, 2008, p5.

4 Robert Girod, **Operation Flagpole Preparation for Operation Torch**, Op Cit, p 69.

5 Patch John- Fortuitous Endeavor, **Intelligence and Déception in Opération Torch**, Op cit, p 6.

أخرى أدت إلى إنشاء مدرسة إشارة برمائية للتوفيق بين الإشارات البحرية والبرية، إضافة إلى عدم اكتمال قسم الاستخبارات العسكرية الخاص بعملية الإنزال والذي شكّل عقبة أخرى أمام الأمريكيين¹.

2. العلاقات الفرنسية الأمريكية عشية عملية الشعلة:

بعد الاجتياح الألماني لفرنسا حاولت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنع فرنسا الفيشية من التوصل إلى تسوية سلمية نهائية مع النازيين، وكتب القائم بالأعمال الأمريكي في فيشي روبرت مورفي - Robert Murphy² أنه في أعقاب الهدنة كانت المهمة الرئيسية لموظفي سفارتنا هي إقناع رجال الدولة الفرنسيين بأن ألمانيا لم تنتصر في الحرب بعد، وأن فرنسا ستستفيد من رفضها تقديم أي تنازلات لألمانيا، وتم تفويض سفارتنا لتقديم الدعم الأمريكي إلى القادة الفرنسيين بكل الوسائل المسموح بها بموجب قانون الحياد، طالما أن الحكومة الفرنسية لن توقع عقد تسوية مع ألمانيا، لكن فرنسا بيتان اختارت توقيع الهدنة والاستسلام³.

تذكر وثائق الخارجية الأمريكية أن السيد روبرت مورفي - Robert Murphy قد اتصل بالجنرال جيرو قائد القوات الفرنسية في الجزائر المؤيدة للحلفاء، قبل عملية الإنزال بستة أيام فقط وحدد له أهداف السياسة الأمريكية في شمال إفريقيا والتي تمثلت فيما يلي:

- استعادة استقلال فرنسا ومكانتها أوربيا وفي ما وراء البحار؛

- إعادة السيادة الفرنسية في جميع المناطق التي سبق وأن رُفِرَ فوقها العلم الفرنسي قبل 1939؛

- في حالة القيام بعمليات عسكرية في فرنسا أو المستعمرات، فإن السلطات الأمريكية لن تتدخل بأي طريقة في هذه القضايا لأنها تعتبرها من الشؤون الداخلية وتخصّ السيادة الفرنسية⁴.

طرح الموقف الأمريكي من مجموعة الخمسة عدّة تساؤلات، فرغم التعاطف الذي أبداه مورفي تجاه المجموعة إلا أن عدم ثقة الأمريكيين بهم كان واضحا، وقد يعود ذلك لأن الأمريكيين يدركون جيدا أنهم يتعاملون مع مجموعة لا تتمتع بأي صفة رسمية، بل أكثر من ذلك فهم يمثلون جبهة متمردة على دولتهم وحكومتهم، كما أنهم معرضين للخطر في أي وقت، ويذكر كينيث بندار - Kenneth Pendar نائب القنصل مورفي أن تعاون الأمريكيين مع مجموعة المقاومين الخمسة والتي كانت تتكون من مجموعات يسارية صغيرة وعدة قليل من الجنود الوطنيين وأقلية من اليهود والمثقفين كان ببساطة لعدم وجود ما هو أفضل، ولأن معظم الطبقة السياسية والبرجوازية من المستوطنين كانت موالية لفيشي، لقد كنا نعلم أنه لا يوجد من بين هؤلاء المقاومين شخصيات يمكن أن تحمل مشروعًا سياسيًا وبأن

1 Alexandra Lohse. Jon Middaugh, **Operation Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, op.cit, p16.

2 مما ذكره إيزنهور عن روبرت مورفي قوله: "كان المستر مورفي قد أقام طويلا في شمال إفريقيا، وهو يعمل مبشرا بروتستانتيا قبل أن يستدعيه الرئيس روزفلت ويجعله موضع ثقته، ويخبره عن النوايا الحربية التي اعتمدها الحلفاء في تلك المنطقة، وكلفه بجمع المعلومات في المنطقة والتواصل مع الأشخاص الذين يضمرون العداء والحقد للمحور، خاصة منهم الذين لا يزالون في مراكزهم الإدارية أو العسكرية، وقد نجح مورفي في مهمته نجاحا باهرا، بفضل إتقانه اللغة الفرنسية جيدا وعمله في التبشير الذي ضمن له الغطاء اللازم للجول بحرية والاتصال مع من شاء دون أي شبهة". ينظر:

Rey. Goldzeiguer Annie, **Aux Origines de la guerre d'algérie (1940-1945) de Mers el Kébir aux Massacres du Nord Constantinois**, Casbah éditions, Alger, 2002, p113.

3 John. Casey Doss, **Denying a Golden Opportunity for Some Germany Lawrence of Arabia u.s.a Civil affairs in French north Africa (1940-1943)**, military academy a thesis submitted to the faculty of Colombian college Washington university, in portiaful filament of the requirements of master of arts, 2009, p241.

4 G. Bernard Noble- E. R. Perkins, **Foreign Relations of the United States: Diplomatic Papers**, United States Government Printing Office, Washington, 1960, p456.

تعاونهم معنا كان خدمةً لأسبابٍ خاصةً¹، لذلك لم يتم إطلاع الجانب الفرنسي على أيّ معلوماتٍ دقيقة حول عملية الإنزال خاصةً تاريخ بداية العملية، بل اكتفى الأمريكيون بتقديم تواريخ مبهمه مثل 20 أو 25 من شهر نوفمبر²، ولم يتم إطلاع مجموعة الخمسة على تاريخ العملية سوى ليلة الإنزال، ما جعلهم يمتنعون من التصرف الأمريكي واعتبروا أنّ ذلك دليلٌ على عدم الثقة وأنّ الوقت لا يكفي لتعطيل مقاومة قوات فيشي³،

يذكر الأستاذ أروين وال - Irwin M. Wall⁴ في مؤلفه الذي حمل عنوان (التأثير الأمريكي على السياسة الفرنسية - L'influence Américaine sur la Politique Française 1945/1954) أنّه من بين شروط استسلام قوات فيشي في شمال إفريقيا بعد الإنزال التي وضعها دارلان مع الأمريكيين الشرط المتعلق بالإبقاء على نظام فيشي في الجزائر تحت قيادته وهي الفترة التي إصطلح على تسميتها "حكومة فيشي تحت الحماية الأمريكية"، وحتى بعد اغتيال دارلان⁵ فإنّ الإدارة الأمريكية لم تتغيّر من سياستها تجاه نظام فيشي وتركت عناصره وتشريعاته تستمر في الجزائر تحت قيادة جيرو، كما أنّ علاقة روزفلت الجيدة مع نظام فيشي قد طرحت عدّة تساؤلات بالرّغم من معارضة الرّأي العام الأمريكي لهذا التوجّه واحتجاج ديغول ولجنة فرنسا الحرة بسبب هذه العلاقة المشبوهة⁶، لكنّ الأستاذ وليام لنجر - William Langer المتخصّص في التاريخ الأوروبي بجامعة هارفرد Harvard أصدر كتاباً سنة 1947 بعنوان (اللعبة الأمريكية مع فيشي - Le Jeu Américain a Vichy) هذا الكتاب جاء ليدافع ويبرر السياسة الأمريكية مع حكومة فيشي، ويمكن القول أنه جاء استجابة لطلب الحكومة الأمريكية حيث قلل من أهمية العلاقات الأمريكية بحكومة فيشي موضّحاً أنّ هذه العلاقات كان الهدف منها الحفاظ على الأمن القومي ولخصها في ثلاث نقاط أساسية هي:

- حماية الأسطول الفرنسي المتواجد بالجزائر حتى لا يقع في أيدي الألمان؛
- مواجهة الدّعاية الألمانية التي أصبحت تهدّد الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، وتحضير المنطقة لإلحاقها بصفوف الحلفاء في مواجهة النازية؛
- استثمار العلاقة مع فيشي للحصول على المعلومات الاستخباراتية الكافية وتم تكليف روبر ميرفي للقيام بالمهمة.

1 Pierre Darmon, **L'Algérie de Pétain -Les Populations Algériennes ont la Parole (Septembre 1939-Novembre 1942)**, Perrin 2014, p 325.

2 قام القنصل العام الأمريكي روبرت مورفي بالإبلاغ عن التاريخ السري لعملية الإنزال في 04 نوفمبر 1942 حيث قدم ورقة صغيرة لزوجة الجنرال ماست عند زيارتها له كتب عليها تاريخ الإنزال (08 نوفمبر 1942) بدورها أوصلت الرسالة إلى الجنرال ماست، الذي قام في 7 نوفمبر 1942 بإصدار أمر سري باسم قيادة المقاومة الفرنسية بالجزائر إلى جميع الوحدات والأقسام العسكرية بالجزائر شرح فيها دواعي الإنزال الأمريكي بالجزائر مؤكداً على ضرورة التعاون مع الحلفاء للقضاء على التواجد الألماني -الإيطالي. أنظر: Irwin.M. Wal, **L'influence Américaine sur la Politique Française (1945-1954)**.

3 Dahms (Helmut Gunter), **La second guerre mondiale**, op cit, p544.

4 إروين وال - Irwin M. Wall من مواليد 21 أبريل 1940 هو مؤرخ أمريكي، و أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا، ألف ثلاثة كتب عن تاريخ فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، من بينها كتاب: **the United States and the Algerian War**.

5 في 24 ديسمبر عام 1942 قام الشاب فرناند بونيه دولاشابال - Fernand Bonnier أحد أنصار فرنسا الحرة في الجزائر بقتل الأدميرال جان دارلان، وأصدرت السلطات الفرنسية في الجزائر في نفس اليوم بيان جاء فيه: "تم اليوم بعد الساعة الثالثة ضحراً اغتيال الأدميرال دارلان المندوب السامي لإفريقيا الفرنسية أمام مقر المفوضية العليا، وتوفي الأدميرال وهو في طريقه إلى المستشفى، وألقي القبض على الجاني في نفس مكان الحادث، وبالرغم من حالة الإستياء والإستنكار إلا أن الهدوء والنظام التام يسود مدينة الجزائر...". أنظر:

حنا يوسف، اغتيال دارلان واعتقال قاتله في قصر المفوضية العليا بالجزائر (ديسمبر 1942)، نشر على النت في: 23 مارس 2021
<https://www.nli.org.il/en/newspapers/?a=is&oid=falastin19421226-01&type=staticp>

6 Irwin.M. Wal, **L'influence Américaine sur la Politique Française (1945-1954)**, Ed: Bolland, 1989, p38

- بينما يرى الأستاذ أروين وال أنّ هذه الأسباب ليست وحدها التي دعمت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيشي حيث يضيف لها عوامل أخرى نلخصها فيما يلي:
- عدم رضا الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومات الفرنسية السابقة (الجمهورية الثالثة) حيث كانت تريد أمركة النظام السياسي الفرنسي، وهذا حسبه واضح من خلال رسالة روزفلت إلى الجمهورية الثالثة، وكانت ترى في المارشال بيتان الرجل المناسب لهذه المهمة؛
 - الخلافات الكبيرة التي كانت بين زعيم المقاومة الفرنسية الجنرال ديغول والرئيس الأمريكي روزفلت؛
 - استثمار العلاقات مع حكومة فيشي للحصول على امتيازات اقتصادية في المنطقة¹.

أما فيما يخص أنصار لجنة فرنسا الحرة وزعيمها ديغول فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية كانت لها سياسة غير متوازنة معها، حيث يرى جاك سوستال أنّ الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترفت بسلطة بيتان وأقامت معه علاقات دبلوماسية، ووصدت الباب أمام ديغول ورفضت تقديم الدعم له، وأنكرت عليه محاولة السيطرة على السنغال بعد معركة داکار (سبتمبر 1940)²، والأهم من ذلك حسب سوستال دائماً أنّ الولايات المتحدة الأمريكية سعت إلى السيطرة على الجزائر البيتان منذ سنة 1942³، وما يذكره ديغول على العلاقة التي جمعت حركته بالولايات المتحدة الأمريكية أنها امتازت بالبرودة وعدم الاكتراث من الجانب الأمريكي الذي فضّل إقامة علاقة مع فيشي، رغم اللقاء الذي جمع بينهما في جوان 1941 حين أرسل ديغول مفوّضاً خاصاً باسمه هو (رينيه بليفن - René Plevan)⁴ الذي كان على دراية جيدة بالولايات المتحدة الأمريكية واستقبل من طرف وزارة الخارجية الأمريكية وحاول فيه كل طرف جسّ نبض الطرف الآخر.

أرادت الولايات المتحدة الأمريكية معرفة مدى قابلية ديغول في أن يكون لها موضع قدم في شمال إفريقيا، الأمر الذي رفضه ديغول جملةً وتفصيلاً ووصف الجانب الفرنسي اللقاء بالفاشل بعد محاولة الولايات المتحدة الأمريكية فرض شروط تعجيزية عليهم، كما أدى قرار إبعاد ديغول وأنصاره عن عملية التحضير للانزال في شمال إفريقيا إلى توتر العلاقات بين الطرفين واعتبره الديغوليون عملاً ضدهم⁵، و تطرّق تشرشل في مذكراته إلى هذه المسألة بقوله: «لقد كان ما يضمّره الرئيس روزفلت للجنرال ديغول من حزازات وما

1 Irwin.M. Wal, L'influence Américaine sur la Politique Française (1945- 1954), op, cit, p 38.

2 معركة داکار - Battle of Dakar المعروفة أيضاً باسم «عملية الخطر»، هي محاولة عسكرية فاشلة جرت في سبتمبر 1940 من قبل الحلفاء للسيطرة على ميناء داکار الإستراتيجي في غرب أفريقيا الفرنسية (السنغال حالياً)، كانت بريطانيا وحليفتها فرنسا الحرة بقيادة ديغول في المنفى تعتقد أن نجاح العملية يمكن أن يطيح بإدارة فرنسا الفيشية الموالية لقوى المحور في المنطقة، وأن يحل محلها الفرنسيون المواليون لبريطانيا تحت قيادة الجنرال الفرنسي شارل ديغول، كما أراد تشرشل أن يتجنب بأي ثمن أن تقع البحرية الفرنسية في أيدي المحور، كما أنه يريد الحصول على كميات كبيرة من الذهب كان قد أرسلها بنك فرنسا إلى داکار.

3 Jaques Soustelle, Envers et Contre Tout, de Londres à Alger Souvenirs et Documents sur la France Libre 1940-1942, T1, Ed: Robert Laffont, Paris, 1947, p76.

4 رينيه بليفن - René Plevan (15 أبريل 1901/13 جانفي 1993): رجل دولة فرنسي انضم إلى لجنة فرنسا الحرة سنة 1940، كلف بمهام الأمين العام وأرسله ديغول إلى إفريقيا الاستوائية لحشد الدعم، كان من أهم رجال ديغول المؤثوق بهم وعين نائباً لرئيس اللجنة الوطنية الفرنسية سنة 1942 كما شغل منصب وزير المالية والاقتصاد الفرنسي بعد نهاية الحرب.

5 شارل ديغول، مذكرات الحرب (الفيشي)، المصدر السابق، ص254.

يقوم به من اتصالات مع حكومة فيشي، وذكرياتنا عن تسرب أنباء مهاجمة الأسطول في دكار، حافزا لنا على اتخاذ قرار عدم الإدلاء عن عملية الشعلة للفرنسيين، ولم يخطر ببالي مناقشة هذا القرار»¹.

ردّد روزفلت دائماً أنّ ديغول دكتاتورٌ مصابٌ بجنون العظمة ويتمثل نفسه بجان دارك - Jeanne d'Arc، وفي كتابه القيم حول شارل ديغول وصف الكاتب (جان لاكتور - Jean Lacouture)² التقلبات التي رافقت مراحل التعاون بين ديغول والحكومة الأمريكية طوال الحرب مشيراً إلى أنّ عداء وكرهية روزفلت ومستشاريه الأساسيين للجنرال ديغول له جذوره من خلال رفض ديغول التعاون مع إدارة واشنطن بشأن قضية كاليديونيا الجديدة التي وضعتها الولايات المتحدة تحت سيطرتها العسكرية بهدف استخدامها لضرب اليابان، وإعلانه لموقفه الصريح ضدّ الأهداف الإمبريالية الأمريكية³.

لم تمنع طبيعة العلاقة غير المتوازنة بين الطرفين ديغول من محاولة ربط الاتصال بالإدارة الأمريكية من خلال توقيع العديد من الصّفقات التجارية لتزويد المقاومة الفرنسية بالأسلحة وإمدادات الحرب المختلفة، إضافةً إلى تشكيل بليفن لجان مؤيدة لفرنسا الحرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، كما أقام ديغول علاقات منتظمة بين حكومته وسفير الولايات المتحدة الأمريكية في لندن لكن ذلك لم يمهّد مخاوف روزفلت تجاه ديغول حيث كان يرى أنّ ديغول يمثل السّياسي غير المنضبط⁴.

يبدو من جهة أخرى أنّ الأمريكيين كانت لهم تطّعات في المستعمرات الفرنسية خاصّةً تلك الواقعة في المحيطين الهادي والأطلسي، وهو ما أثار حفيظة ديغول الذي بعث في سبتمبر 1941 بقواته إلى جزر سان بيير وميكلون - Saint-Pierre et Miquelon⁵ من أجل السّيطرة على تلك الجزر، أدّت هذه الخطوة العسكرية القريبة من الأراضي الأمريكية إلى تفاقم حدة الصّراع بين الطرفين⁶.

رغم أنّ ديغول أدرك أنّه وحركته غير معنيين بالمشاركة في عملية الإنزال، ونظرًا لإدراكه بضرورة التواجد في هذا اليوم ومن أجل أن يبرهن للحلفاء على قوة وفاعلية أنصاره خاصّةً في الجزائر ومن ثمة إبراز أهميته⁷، توجه ديغول يوم 07 نوفمبر 1942 بخطابٍ لمناصريه وقواته في شمال إفريقيا يحثهم فيه على تقديم المساعدة لقوات الحلفاء قائلاً: «أعينوا حلفاءنا، التحقوا بهم دون تحفظ، لا تهمكم الأسماء ولا الكلمات لنمضي، ها هي اللحظة الكبرى... لنعد عن طريقكم للميدان عبر المتوسط إلى الضفة الأخرى، سنبرح الحرب بفضل فرنسا»⁸، وكان الخطاب قد لقي استجابةً واسعةً من طرف الديغوليين⁹، ويبدو أنّ خطاب ديغول جاء ردًا على رسالة كان قد

1 Winston S. Churchill, **The Second World War (The Hinge Of Fate), Vol 4**, Houghton Mifflin Company, New York, 1950, p391.

2 جان لاكتور - Jean Lacouture (9 يونيو 1921 - 16 يوليو 2015) صحافي ومؤرخ وكاتب، عرف أساساً بكتابة السير مثل سيرة حياة هو شي منه، وجمال عبد الناصر، وليون بلوم، وشارل ديغول...، وكان لاكتور عاشقاً للموسيقى حيث عمل رئيساً لرابطة عشاق المؤلف الموسيقي جورج بيزيه.

3 Pierre Darmon, **L'Algérie de Pétain - Les Populations Algériennes ont la Parole (Septembre 1939-Novembre 1942)**, Op cit, p 325.

4 Raoul Aglion, **Degaulle et Roosevelt**, ed: la Bruyère, Paris, 1997, p29-30.

5 سان بيير وميكلون - Saint-Pierre et Miquelon: هي منطقة من مقاطعات وأقاليم ما وراء البحار الفرنسية، تتكون من مجموعة صغيرة من الجزر تقع بالقرب من الساحل الشرقي لكندا، جنوبي نيوفاوندلاند في المحيط الأطلسي الشمالي، وهي الجزء الوحيد الباقي من مستعمرات فرنسا في أمريكا الشمالية الذي مازال تحت السيادة الفرنسية.

6 Raoul Aglion, **Degaulle et Roosevelt**, op.cit, p.47-49.

7 Pierre Ordioni, **Tout Commence à Alger (1940-1944)**, ed: Stock, paris, 1972.p 448.

8 شارل ديغول، **مذكرات الحرب (الوحدة)**، مصدر سابق، ص64.

9 ساهمت الكثير من الشخصيات والأسماء التي تنتمي إلى التيار الديغولي في الجزائر خاصة بشكل مباشر في عملية الإنزال وحتى قبل عملية الإنزال أي أثناء التحضير للإنزال، ومن بين أهم تلك الشخصيات نجد: المحافض "اندري أشباري" الذي كان يخفي ولاءه لديغول وكذلك "لويس جوكس" و"رينيه معطي" و"عائلة أبو الخير".

وجّهها الرئيس الأمريكي (آيزنهاور-Eisenhower) في وقت سابق إلى سكان شمال إفريقيا، والتي طلب فيها تعاون سكان شمال إفريقيا مع القوات الأمريكية وعدم مقاومتها¹، وفيما يبدو أنّ ديغول قد استغلّ مسألة إبعاده هو وأنصاره من عملية الإنزال من طرف الحلفاء لصالحه فجعلت عددًا من القادة العسكريين والسياسيين يختارون الانضواء تحت راية لجنة فرنسا الحرة ليبرز ديغول كقائد قوي وفعلي للمقاومة ولا يمكن تجاوزه².

3. دور المقاومة السّرية الفرنسية في عملية الإنزال الشعلة:

لعب أعضاء المقاومة المتمردون على حكم فيشي في شمال إفريقيا دورًا مهمًا في التحضير لإنجاح عملية الشعلة، لاسيما الدور الكبير ليهود شمال إفريقيا، حتى أنّ بعض المؤرخين اعتبر هذه المقاومة (مقاومة يهودية) بالمعنى الكامل للمصطلح³.

منذ نهاية عام 1940 وبداية عام 1941 بدأت تظهر مجموعات مناهضة لألمانيا وحكومة فيشي في شمال إفريقيا، مثل المجموعة التي أطلق عليها اسم (Geo-Gras) والتي أسّسها (أندري تيميم - André Temim) بطل الملاكمة الفرنسي في فئة الوزن المتوسط وأستاذ التربية البدنية، والتي اتخذت من قاعة الألعاب الرياضية بالجزائر العاصمة مقرًا لها، وقاد المجموعة كلّ من (أندريه تيميم - André Témime) و(إميل عطلان - Emile Atlan) و(شارل بوشارة - Charles Bouchara)، وتم تقسيم أعضاء النادي إلى مجموعتين حسب شهادة القيادي في المجموعة (جوزي أبولكير - José Aboulker) ⁴:

- المجموعة الأولى: قلة صغيرة من رجال اليمين الفرنسي المتطرف الذين فاقت وطنيتهم كرههم للجمهورية، لم يكن أعضاؤها على دراية بنشاط النادي السّري؛

- المجموعة الثانية: مجموعة من الشّباب المتحمس المستعدين للقتال وأغلبهم من يهود شمال إفريقيا، تم اختيار أعضائها بعناية فائقة وكانوا على علم بنشاط النادي السّري.

تشكّلت المنظمة السّرية على النموذج العسكري وقادها ضباط يهود سابقين في صفوف الجيش الفرنسي ووصل عدد أعضائها حوالي 250 عضوًا، تدرب أغلبهم على العمل العسكري وقاموا بتوزيع منشورات تحمل دعايةً مضادّةً للدعاية الفيشية والنازية، إضافةً إلى تعطيل تصدير البضائع الجزائرية إلى فرنسا، واستمر هذا النشاط إلى غاية جويلية 1942 حين وصل العقيد (ألفريد بيلافورت - Alfred Pillafort)⁵، عضو المقاومة الفرنسية إلى الجزائر وفور وصوله اتصل بالدكتور أبولكير الذي كان يعرفه سابقًا وكلفه بإنشاء

1 من بين ماجاء في خطاب آيزنهاور: "إننا سنترك بلادكم عندما يذهب عنها خطر العدوان الألماني - الإيطالي، وإن سيادة فرنسا على المناطق الفرنسية ستظل بدون تغيير"، للإطلاع على خطاب الرئيس آيزنهاور كاملا أنظر: Times, 9 November 1942, p 3 أو الملحق رقم: 17.

2 Jaques Soustelle, *Envers et Contre Tout, de Londres à Alger Souvenirs et Documents sur la France Libre 1940-1942*, Op, cit, p 468.

3 Gitta Amipaz-Silber, *La Résistance juive en Algérie (1940-1942)*, paris, Rubin Mass, 1986, Notamment, p.68.

4 جوزي أبولكير - José Aboulker: (05 مارس 1920/17 نوفمبر 2009) من أصول يهودية ولد بالجزائر العاصمة، حصل على بكالوريا في الآداب والفلسفة، ثم شهادة الطب في جراحة المخ والأعصاب، ثم استدعاؤه للخدمة العسكرية في فوج الزواف التاسع بشرشال وتم تسريحه في فيفري 1941، إنخرط في صفوف المقاومة ضد حكومة فيشي وشارك في ترحيل متطوعين من جبل طارق إلى شمال إفريقيا، كما ساعد في تنظيم المقاومة ضد قوات فيشي والاستيلاء على مدينة الجزائر العاصمة خلال الحملة الانجلو أمريكية على شمال إفريقيا 1942. أنظر: <https://museedelaresistanceenligne.org/media2969-Jos-Aboulker>

5 ألفريد بيلافورت - Alfred Belafort (1905-14 نوفمبر 1942) جندي فرنسي شارك في تنظيم المقاومة في شمال إفريقيا وشكل عدة مجموعات، في ليلة إنزال الحلفاء على سواحل شمال إفريقيا إستولى بيلافورت وأنصاره على المراكز المهمة في مدينة الجزائر، وأقام حاجزا لتعطيل حركة قوات فيشي في العاصمة، توفي على إثر تلقيه رصاصة بشارع أودان ودفن بمقبرة سانت دوجين بالجزائر العاصمة.

مجموعة من المقاومين المتطوعين، فاتصل أبولكير بجماعة (Géo-Gras) وبعد إجراء مفاوضات وافق قادة مجموعة (Géo-Gras) على إنشاء وحدة خاصة داخل المجموعة تحت قيادة بيلافورت ووفقاً للاتفاق ستحتفظ المجموعة باستقلالها.

أشرف أبولكير على مجموعة المقاومين في مدينة الجزائر فقام بتجنيد الكثير من هؤلاء الشباب منذ 1941 وكان دوره الرئيسي حسب شهادته دائماً إبقاء الناس ينتظرون وإقناعهم بأنّ شمال إفريقيا يجب أن تعود للحرب يوماً ما، كان الأمر في البداية غاية في الصعوبة لكن بدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب وتقديم الدعم اللازم بدأ الوضع يتحسن أكثر¹.

بداية 1942 تم تنظيم فرع المقاومة في وهران بقيادة الأخوين (روجر كاركاسون-Roger Carcassonne) و(بيار كاركاسون-Carcassonne Pierre) وكان أفراد عائلة كاركاسون مثقفين ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الثرية في وهران، أقام الشقيقان علاقات مع الضابط (داستير دو لافيغري-D'astier de la Vigerie) وهو فرنسي مناهض لألمانيا، وعضو بارز في المنظمة الفاشية البترية (La Cagoule)²، وتم تقسيم العمل بينهم، حيث تولّى الأخوان كاركاسون مسؤولية تجنيد اليهود، بينما تولّى داستير ورفاقه الفرنسيين مثل الأب كورديه والنقيب جوبليت الاتصال مع ضباط الجيش الفرنسي في مدينة وهران الذين لديهم استعداد للتعاون ضدّ فيشي، وهكذا تشكلت مجموعتان للمقاومة الفرنسية ضدّ حكومة فيشي في مدينتي الجزائر ووهران.

اجتمع قادة المجموعتين في جويلية 1942 مع ضباط فرنسيين متعاونين مع المقاومة، وتقرّر خلال هذا الاجتماع توحيد الجهود واختيار أساليب العمل وتسهيل عملية إنزال الحلفاء وتعيين أبولكير مسؤولاً عن المقاومين في مدينة الجزائر العاصمة³.

بعد وصول الطرفين الأمريكي والبريطاني إلى اتفاق تام حول عملية الشعلة، أصبحت مسألة استمالة الضباط الفرنسيين المتواجدين بالجزائر والمغرب تشكّل أكبر عائق بالنسبة لنجاح العملية، خاصة أنّ الحلفاء أرادوا تفادي الأحداث الدامية التي وقعت في مدغشقر وسوريا، وأرادوا أن تتم عملية الإنزال في شمال إفريقيا بأقلّ الخسائر الممكنة وأن لا تتحوّل عملية الشعلة إلى مواجهة عسكرية دامية⁴.

وضع الأمريكيون خطوط تواصل مع مجموعة من الفرنسيين، والذين لم يكن لهم أيّ تفويض لا من بيتان ولا من ديغول، وتكوّنت المجموعة من خمسة شخصيات وأطلق عليها مجموعة الخمسة⁵ وتتكوّن من الشخصيات التالية: رجل الأعمال (جو لوميتير ديبروي-J. lemaigre-Dubreul) بالإضافة إلى (جون ريقولت-Jean Rigault)، و (الكولونيل (جوس-Jousse) والكولونيل (فان هوك، Van Hecke) الذي عمل على جمع المعلومات وتجنيد المتعاونين، بالإضافة إلى (هنري داسي دولا فيقري-Henri D'astier de la Vigerie) الذي عرف بتديته حيث كان مسيحي كاثوليكي وعرف على أنّه صاحب المهمات الحساسة والحاسمة

1 José Aboulker, **Témoignage (Alger 8 Novembre 1942)**, Le Monde juif, N°152, VOL3, 1994, p149.

2 هي منظمة سرية سياسية وعسكرية بمينة مطرقة نشطت في فرنسا في ثلاثينيات القرن الماضي، أطلق على المجموعة اسم المنظمة السرية للعمل الثوري الوطني (OSRN) من قبل مؤسسها ثم اختصر الاسم ليصبح (OSAR) وأطلق عليها اختصار (CSAR) بعد خطأ من أحد المخبرين، وعرفت أكثر باسم "La Cagoule" وهو اسم مستعار إختاره مورييس بوجو للتعبير عن إزدراءه لهذه المنظمة.

3 Haim Saadoun, **La Résistance du 8 Novembre 1942 en Algérie**, Revue d'histoire de la Shoah, N° 205, VOL2, 2016, pp. 388-389.

4 Raoul Aglion, **Degaulle et Rosevelt**, op.cit, p 52.

5 عملت هذه الشخصيات الخمسة على التحضير لعملية الإنزال وفق مراحل تدريجية واعتمدت على الاستعلامات وتوفير المعلومات الخاصة بالمنشآت العسكرية والمدنية، وكذلك تجنيد أكبر عدد من السكان المحليين والأوروبيين، والاستعداد لخوض الحرب خلال عملية الإنزال، كانت مجموعة الخمسة شخصيات مغمورة ولم يكن لها شعبية ولا دراية بأمر السياسة الدولية وأمر الحرب والقضايا العسكرية ينظر:

Aron Robert Aron, **Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines**, Librairie arthème, 1954.

وقد تمكن من تأسيس سرية من المقاتلين في منطقة وهران¹. في نفس السياق استعانت القوات الأمريكية بعميلين وهما الإنجليزي كارل فيكتور كلوبيت-Carl Victor Klopit والفرنسي رينيه مالفيرجن-Renee Malvergne، حيث كان لدى كلوبيت معرفة عميقة بالموانئ والشواطئ والدفاعات الساحلية على طول الساحل المغربي بأكمله نظرًا لمعيشته في مدينة الدار البيضاء لأكثر من 12 عامًا وكونه على اتصالات وثيقة بعمليات الإنقاذ هناك، بينما كان مالفيرجن على دراية بكل منعطف وحانة في محيط نهر سبيو، وعرف كل السفن التي كانت تعمل في التجارة الساحلية هناك، وقدّم معلومات مهمة بشأن المشاعر السياسية المؤيدة للنازية والتي كانت أقوى في منطقة بورت ليوتي من أي جزء آخر المغرب².

هذه العناصر كان لها دور كبير في نجاح عملية الإنزال وذلك باستقطاب الكثير من الشخصيات المؤثرة إلى جانب الحلفاء، والتي سيكون لها دور كبير في عملية الإنزال. أمثال الجنرال (بثوارد-Bethouard) قائد قوات الدار البيضاء، والعقيد (لوربار-Lorber) قائد فيلق بونة (عنابة)، والجنرال (ماس-Charle mast)³، وحتى يتم التحضير الجيد لعملية الإنزال قرر الأعضاء الخمسة العمل بالتدريج وخططوا لثلاثة مراحل متتالية وتم إعطاء قادة المقاومة الموجودين في الجزائر العاصمة 6 نوفمبر 1942 تعليمات حول خطة المقاومة وفق المخطط التالي:

- **العملية الأولى (ثانوية):** تعتمد على الاستعلامات، حيث تتم خلالها دراسة مفصلة ودقيقة للهياكل العسكرية والإدارية الحساسة في مدينة الجزائر للسيطرة عليها يوم الإنزال، وأسندت العملية للكولونال (جوس-Jausse) و(هنري داسي دي لافيغري-Henri d'astier de la Vigerie) و (جوزي أبولكير-Josée Aboulker)، ومن أهم تلك الهياكل العسكرية والإدارية تم تحديد:

- L'état-major du general Juin- L'hotel Saint Georges- L'état-major de la division d'alger- le centre téléphonique Belcourt- la poste sontrale- la Commisariat central- la préfecture d'alger et les Quartiers- le consilat d'Allemagne- centre de transmission d'air.

- **العملية الثانية (الأساسية):** عملية عسكرية تعتمد على تجنيد أكبر عدد من المتعاونين في شمال إفريقيا وتنقسم إلى قسمين:

- السيطرة على القيادة في سيدي فرج لحماية الواجهة البحرية المفتوحة من الشمال والجنوب؛
- السيطرة على القيادة على مستوى القاعدة الجوية بالبلدية لتأمين المطارات (بوفاريك والدار البيضاء).

- **العملية الثالثة (باقي العمليات العسكرية):** وهي المرحلة الأهم وتتمثل في الدعم العسكري للقوات المتحالفة وتنسيق العمليات العسكرية معها للسيطرة على موانئ مدينة الجزائر والقيام بعملية تصفية الضباط السامين واستبدالهم بالمسلحين المدنيين⁴.

خلال الساعات المبكرة من صباح الثامن من نوفمبر عام 1942 وبينما كانت القوات الأميركية والبريطانية تنتظر بقلق على متن السفن المنتشرة عبر ساحل شمال إفريقيا، انتشر 377 شابًا يقودهم طالب كلية الطب جوزيه أبولكير، في أنحاء العاصمة الجزائرية لتنفيذ مهمة جريئة تهدف إلى المساهمة في تحديد مصير عملية الشعلة، أجرى أبولكير وغيره من قادة المقاومة اتصالات سرية مع الأميركيين

1 Robert Aron, Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines, Librairie arthème Fayard, paris, 1954, p540-541.

2 Lucian K. Truscott Jr, Command Missions: A Personal Story, E. P. Dutton AND Company, INC, New York, 1954, p151.

3 Robert Aron, Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines, Op cit, p542.

4 Charles Mast, Histoire d'une Rébellion (Alger 8Novembre1942), op cit, pp 208-209.

الذين وعدوا بإمدادهم ببنادق آلية وقنابل يدوية وأسلحة أخرى، ورغم أنّ هذه الوعود لم تتحقق إلا أنّ الأمر لم يثني من همّتهم، كان سلاحهم فقط السكاكين والمسدّسات والبنادق القديمة التي ترجع إلى القرن التاسع عشر، كانوا يخططون للاستيلاء على المدينة واعتقال جنرالات فرنسا الفيشية المحليين والأدميرالات والولاة في منازلهم وقطع الاتصال بالعالم الخارجي، وشل حركة آلاف الجنود الفرنسيين في ثكناتهم¹.

من المثير للدهشة أنّ هؤلاء المتطوعين المنتمين إلى العامة نجحوا بفضل الجرأة والمكر والشجاعة بالسيطرة على المدينة، وبحلول الساعة الثانية صباح يوم الغزو كانت العاصمة الجزائرية في قبضتهم، وفي خطوة لا تقل دهشة استطاع المتطوعون الإبقاء على العاصمة في قبضتهم لمدة خمس ساعات حاسمة إضافية، مما جعل مهمة دخول قوات الحلفاء إلى الجزائر العاصمة أسير بكثير مما حدث في مناطق الإنزال في الدار البيضاء ووهران².

لم يكن أبولكير الشخص اليهودي الوحيد داخل المنظمة السرية، بل كان هناك 315 شاباً من أصل 377 من أصول يهودية، وكان دافعهم الكبير للمشاركة في القتال حرمانهم من حقوقهم كفرنسيين في ظل فرنسا الفيشية، التي أنهت العمل بقانون كريمو، وبالتالي كانت تلك في صميمها حركة مقاومة يهودية، كذلك على عكس حركات المقاومة اليهودية أثناء الحرب، كانت حركتهم مرتبطة في الأصل بمصير جهود أميركا في الحرب، فقد أنقذت المخاطر التي خاضها هؤلاء اليهود حياة جنود وبحارة أميركيين وربما المئات منهم، وبفضل جهدهم الهائل لم تواجه قوات الحلفاء مقاومة كبيرة في مدينة الجزائر، على النقيض الصّارخ من الدفاع القوي الذي بذلته فيشي في مناطق أخرى على طول جبهة شمال إفريقيا³.

يطرح عمل المقاومة الفرنسية في شمال إفريقيا أثناء حكم فيشي العديد من الأسئلة التي لم تجد إجابة واضحة إلى اليوم نذكر منها على سبيل المثال: ما دوافع قيام هذه المقاومة السرية في شمال إفريقيا؟ ولماذا تم اختبار هذا التوقيت بالضبط؟ هل يمكن أنّ أجهز الاستخبارات الفرنسية في فيشي لم تكن على علم بنشاط المقاومة في شمال إفريقيا؟ إلى أيّ مدى ساهمت هذه المقاومة في إنجاح عملية الإنزال في شمال إفريقيا؟ وكيف تميّزت العلاقة بين أعضاء المقاومة السرية وأعضاء لجنة فرنسا الحرة في شمال إفريقيا؟.

1.3. عملية سارية العلم-Operation Flagpole:

أرسلت وزارة الحرب الأمريكية في 16 أكتوبر 1942 برفقة إلى لندن طالبت فيها القنصل الأمريكي روبرت مورفي عقد مؤتمر سري في الجزائر وأطلق على العملية (سارية العلم-Operation Flagpole) وتمثلت العملية في ترتيب اجتماع رفيع المستوى وشديد السرية جمع بين الجنرال الأمريكي وممثل الحلفاء مارك كلارك- Mark Wayne Clark⁴، والجنرال شارل ماست -Charles Mast⁵، بدأ الاجتماع بعد وصول غواصة البحرية الملكية البريطانية (HMS Seraph) إلى شواطئ شرشال بالجزائر العاصمة ليلة 21 أكتوبر،

1 José Aboulker, *Témoignage (Alger 8 Novembre 1942)*, Op cit, p 151.

2 Robert Aron, *Histoire de Vichy (1940-1944) les grandes études contemporaines*, p 544.

3 Robert Satloff, *Operation Torch and the Birth of American Middle East Policy, 75 Years On*, (14/juin/2022) , <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/operation-torch-and-birth-american-middle-east-policy-75-years>

4 مارك واين كلارك- Mark Wayne Clark (1896-1984): جنرال أمريكي قاد فيلق الجيش الثاني في عام 1942، تفاوض على الاتفاقية الفرنسية الأمريكية في 22 نوفمبر 1942 (اتفاقية كلارك- دارلان)، قاد الجيش الأمريكي الخامس في تونس (1943)، ثم قاد الإنزال الأمريكي في إيطاليا ودخل روما (يونيو 1944)، تولى قيادة القوات البرية الأمريكية عام 1947، ثم خلف ريدجواي عام 1952-1953 كقائد أعلى لقوات الأمم المتحدة في كوريا والقوات الأمريكية في الشرق الأقصى.

5 تشارلز ماست - Charles Mast: (7 جانفي 1889 - 30 سبتمبر 1977)، عسكري فرنسي شارك في عملية المشعل 1942 شغل منصب المقيم العام لفرنسا في تونس 1943 - 1947.

وعلى متنها وفد أمريكي رفيع المستوى بقيادة الجنرال مارك كلارك-Mark Clark نائب قائد عملية الشعلة ومبعوث الرئيس إيزنهاور ورئيس البعثة، والجنرال لمنيتز-Général Lemnitzer والعقيد جولييس هولمس-Julius Holmes وقائد الغواصة جيروولد رايت-Jéraud Wright والكولونيل هامبلن-Le colonel Hamblen وضابطين من البحرية وآخر من سلاح الجو قاموا بتأمين العملية، ولتمكين المجموعة من الوصول إلى الشاطئ والعودة للغواصة بأمان تم توفير زوارق صغيرة كانت قد أخفيت على الشاطئ.

وصل الوفد في الساعة الرابعة صباحاً يوم 21 أكتوبر لكنهم قضوا اليوم داخل الغواصة حتى منتصف الليل أين وصلت الزوارق التي قادتهم للشاطئ حيث كان مورفي بانتظارهم، وعند وصولهم قادهم مورفي إلى فيلا لأحد أصدقائه يدعى هنري تيسير-Henri Tessier والمطلة مباشرة على الشاطئ أين التحق بالاجتماع القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية في الجزائر الجنرال شارل ماست-Charles Mast رئيس الوفد، والعقيد جوس-Josse، الطيار قائد السرب دارتواز-Dartois، والقيب في البحرية الفرنسية بارجو-Barjot وأحد المدنيين ريقولت-Rigault. جرى الاجتماع وفقاً لما تم التخطيط له، وعمل مجموعة من المدنيين في المدينة على تأمين الاجتماع على غرار ريقولت-Rigault، وكلف كل من فون هيك-Van Heck وواتسون-Watson بعملية نقل الضباط لمكان الاجتماع بواسطة سيارات مدنية أما بخصوص جدول الأعمال فقد ورد في تقرير رفع للجنرال جيرو بتاريخ 22 أكتوبر 1942 حرر من طرف ريقولت بتوجيه من الجنرال ماست، أن الطرف الفرنسي أراد الإجابة على أربعة أسئلة رئيسية خلال الاجتماع هي:

- ما نوايا شركائنا؟
- ما أسباب قراراتكم الأخيرة؟
- ما الوسائل التي يمكن توفيرها من طرفكم؟
- من سيتولى القيادة؟¹

حرص الجنرال ماست خلال الاجتماع على التعاون مع الأمريكيين خلال عملية الإنزال لكنه أصر على معرفة حجم القوة الأمريكية التي ستنزل بشمال إفريقيا، لأنه كان يدرك حجم العواقب التي يمكن أن تلحق بالمعاونين مع الحلفاء في حال فشل عملية الإنزال، ولإقناع الجنرال ماست من أجل التعاون مع الأمريكيين اضطر كلارك للمبالغة بحجم القوة الأمريكية التي يفترض نزولها في شمال إفريقيا عندما أخبر ماست أنه بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تسخر نصف مليون جندي لإنجاح عملية الإنزال، إضافة إلى 2000 طائرة مقاتلة وقوة بحرية كبيرة، رغم أن كلارك كان على علم بأنه لا يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن ترسل أكثر من 120000 جندي في عملية الإنزال وكتب لاحقاً في مذكراته أنه كان قد «كذب على ماست»².

اشتراط ماست مقابل التعاون مع الحلفاء إعطاء مهمة قيادة عملية الإنزال للجنرال هنري جيرو-Henri Giraud³ رغم أن هذا الأخير كان ضد فكرة تدخل الأمريكيين في شمال إفريقيا مادام أن الألمان لم يستقروا بها، كما اعتبر أن دور الأمريكيين يجب أن يقتصر على مساعدة الجيش الفرنسي وإعادة تسليحه فقط، وبأن تحرير فرنسا يجب أن يبدأ من فرنسا (المتروبول) وبقواتها الخاصة، إلا أنه قبل فكرة الانضمام لقوات فرنسا الحرة بعد اتصالات أجراها معه أنصار ديغول، ومقابل ذلك اشتراط منصب القائد العام للقوات

1 Charles Mast, Histoire d'une Rébellion (Alger: 8Novembre1942), Ed: Plon, Paris, 1969, pp 127-128.

2 General Mark W. Clark, Calculated Risk, Enigma Books, 2007, p 196.

3 **هنري جيرو-Henri Giraud** ولد بباريس سنة 1879، وأصبح قائدا للجيش السابع الفرنسي سنة 1940، تمكن من الهروب من السجن بعدما أسر على يد الألمان سنة 1942، بعد نزول قوات الحلفاء في شمال إفريقيا أصبح يتقاسم رئاسة لجنة فرنسا للتحرير الوطني CFLN مع الجنرال ديغول، توفي سنة 1949. أنظر: <https://www.charles-de-gaulle.org/lhomme/biographies/henri-giraud>

المقاتلة في شمال إفريقيا للالتحاق بصفوف المتمردين ما دفع إيزنهاور - Eisenhower لعقد لقاء معه وإقناعه بقبول مهمة قيادة القوات الفرنسية فقط التي وُضعت تحت القيادة العامة الأمريكية بقيادة إيزنهاور¹، في الأخير نجح كلارك في إقناع ماست بالتعاون وتعهّد أنّ قوات فيشي الفرنسية تحت قيادته ستتعاون ولن تقاتل الأمريكيين، وغادر ماست المكان بعد تناول وجبة الغداء بينما بقي مساعدوه لإتمام تفاصيل الاتفاقية².

كاد الاجتماع أن يفشل بعد تدخل الشرطة الفرنسية التي تلقت بلاغاً بوجود حركة مشبوهة في المكان، لكنّ المستشار الأمريكي مورفي أخبر ضباط التحقيق بأنهم كانوا يقيمون حفلاً فقط بعدما اختبأ باقي المجتمعين في قبو داخل المنزل، غادرت عناصر الشرطة بعد حوالي نصف ساعة، ليغادر الوفد المكان بسرعة رجوعاً إلى الغواصة³، لكنّ الوفد عاد وبجعبته معلومات في غاية الأهمية منها ما ذكره مورفي حول احتلال الأمريكيين مكانة مرموقة لدى الفرنسيين في شمال إفريقيا عكس ما كان عليه البريطانيون، لذلك أمر رئيس الوزراء البريطاني تشرشل بإعطاء العملية طابعاً أمريكياً وقرّر أن ترتدي الوحدات البريطانية الزي والشارات الأمريكية⁴.

بعد عودة الوفد أطلع كلارك آيزنهاور على نجاح المهمة فمنحه وسام الخدمة المتميزة، ودعي هو وإيك إلى قصر بانغهام لمقابلة الملك جورج السادس، وفي 11 نوفمبر تمت ترقية كلارك إلى رتبة ملازم أول.

4. سير عملية الإنزال الشعلة في شمال إفريقيا:

منتصف اليوم السابع من نوفمبر فكّكت الوحدة (GC&CS) رسالة إنغيما بحرية ألمانية⁵، حملت تقييماً استخبارياً يعتبر أنّ الهدف المحتمل لهجوم قوافل الحلفاء إما أن يكون مالطا أو شرق المتوسط في منطقة بنغازي أو طرابلس، كما أشارت إلى إمكانية احتمال هجوم على سردينيا أو صقلية، وحقق النزول في المغرب والجزائر في اليوم الثاني مفاجأة استراتيجية كاملة⁶. ولأنّ التقاليد العسكرية تفرض على قادة البحرية إلقاء خطاب لرفع معنويات الجنود، فقد قام الأدميرال الأمريكي روبرت جيفن - Robert Giffen من فرقة العمل الغربية بتوجيه خطاب حماسي جاء فيه: «لقد حان الوقت لنثبت أننا جديرون بالثقة التي أولتها لنا أمتنا، قد تجربنا الظروف لإطلاق النار على الفرنسيين، لكن لنكن على قناعة راسخة أننا لن نهاجم حلفائنا ولا الشعب الفرنسي، بل إننا نقاتل من فضّلوا عبودية هتلر على الحرية، لنقاتل بقوة وعزم فهناك مجد يكفينا جميعاً...».

1 بديدة لهر، الحركة الديغولية في الجزائر 1940-1945 من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص156.

2 General Mark W. Clark, **Calculated Risk**, op cit, p 198.

3 Lambert M Surhone, Mariam T Tennoe, Susan F Henssonow, **Operation Flagpole (World War II)**, Betascript Publishing, 2011, pp,16,17.

4 بسام العسلي، مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية (إيزنهاور)، المرجع السابق، ص71.

5 آلة التشفير النازية Enigma: وهي آلة تشفير ميكانيكية كهربائية تم إنتاج عدة طرازات منها لكل من القوات الجوية و البرية و البحرية و ظهرت تعديلات منفصلة لكل فرع من أفرع الجيش النازي و لكن أهمها كان الطراز M3 الذي كان مستخدماً في البحرية الألمانية وتتكون الآلة من:

1- لوحة المفاتيح: تستخدم لكتابة الرسائل المراد تشفيرها- 2- لوحة التوصيل: تستخدم لتبديل حرف بآخر و بالعكس مثلاً عند توصيل حرف Z مع X سيتم استبدال حرف Z بحرف X في كل مرة يتم الضغط على Z، و يتم استبدال X بZ- 3- العجلات الدوارة: و هي 3 عجلات تدور لتغيير الحرف الذي يصل إليها- 4- العاكس- 5- الأضواء: تظهر الحرف الناتج بعد عملية التشفير. أنظر: <https://arabic.rt.com/technology/984336-%D9%83%D8%B4%D9%81-%D8%A3%D8%B3>

6 Stephen budiansky, **battle of wits: the complete story of codebreaking in world war2**, op cit, p58.

لخداع استخبارات المحور تحركت فرق العمل الشرقية والوسطى بشكل كما لو كانت متجهة كعادتها إلى مالطا، ثم مع حلول الليل عدلت مسارها نحو هدفها الحقيقي في خطوة أطلق عليها اسم "مسار ترنج رجل الثلج"، ورغم عملية الاعتراض التي قامت بها قوات المحور إلا أنها لم تحقق نتائج كبيرة سوى إصابة الناقلة (USS) توماس ستون¹.

انطلقت ثلاث فرق مباشرة من التراب الأمريكي بقيادة الجنرال (جورج س باتون-George.S.Paton) باتجاه السواحل المغربية الدار البيضاء، وفي نفس الوقت حاولت فرقة الجنرال الأمريكي (لويد.ر.فريدنغال-Lloyd.R.fredenhall) السيطرة على ميناء وهران، بينما حط الجنرال البريطاني (كينيث أندرسون-Kenneth Anderson) بالقرب من الجزائر على رأس قوات مختلطة أنجلو أمريكية، وكان أيزنهاور القائد الأعلى لهذه القوات في جبل طارق، أما الأميرال السير (أندرو.ب.كوينغهام-Andrew.B.Cunningham) فأشرف على عملية النقل البحري للقوات حيث قاد حوالي 110 عملية نقل، كما وضعت عبر كل نقاط الإنزال قوة بحرية ترافق السير الحسن لعملية الإنزال، بالإضافة إلى عملية التمويه التي قام بها أسطول الحلفاء المتكون من ناقلات الطائرات والبواخر الحربية².

مساء السابع من نوفمبر ظهرت بوادر ثورة مناهضة لفيشي في كامل أنحاء شمال إفريقيا، عبر أجهزة الراديو أطلقت إذاعة BBC بثها باللغة الفرنسية من البارجة العسكرية (تكساس - Texas) معلنة وصول الحلفاء، وألقى أيزنهاور صباح الثامن نوفمبر خطاباً باللغة الفرنسية عبر جهاز الراديو جاء فيه: «من أجل إحباط غزو ألمانيا وإيطاليا لإفريقيا والذي سيشكل تهديداً مباشراً لأمريكا عبر الأطلسي إن نجح، ستنزل اليوم قوة أمريكية قوية ومجهزة تجهيزاً حريماً حديثاً تحت القيادة الأمريكية على سواحل المتوسط... وستتم دعم هذا الإنزال من قبل القوات البحرية والجوية البريطانية، وستتزامن مع الحملة البريطانية في مصر، كما أنه يوفر مساعدة فعالة لحلفائنا الروس على الجبهة الأخرى... لقد وصل الأمريكيون لتحرير بلادكم، أيها السادة ثقوا بكلماتنا وساعدونا حيث كنتم... إلى الرجال الذين يكرهون الاستبداد انضموا إلى المحررين الذين هم على وشك الهبوط على شواطئكم، تحيا فرنسا...»³.

1.4. ردود الفعل الأولية للمحور على عملية الإنزال في شمال إفريقيا:

اعتبرت سلطات فيشي عملية الإنزال في شمال إفريقيا صفةً قاسية لسيادة فرنسا التي تعرضت وللمرة الثانية لزلزال عنيف بعد كارثة استسلام جوان 1940 وسقوط باريس، كما احتج الماريشال بيتان من باريس على عملية الإنزال قائلاً: «إن عملية الإنزال تعدّ عملاً قاسياً ضد فرنسا باسم بلاد تربطه بها ذكريات وتجمعه بها الكثير من الروابط، إنه اعتداء على شرف فرنسا، ووجب الدفاع عنه»⁴.

عامل أساسي كان له تأثير كبير بالنسبة لمسألة مقاومة قوات فيشي لعملية الشعلة وهو تشتت السلطة الفرنسية في شمال إفريقيا، ولفهم أسباب هذا التشتت يجب علينا العودة إلى أكتوبر 1940، عندما تم تعيين الجنرال ويغان- Weygand كمندوب عام

1 الناقلة توماس تون (USS): قامت بنائها شركة نيوبورت لبناء السفن وسلمت بتاريخ 1 ماي 1941 كسفينة نقل للركاب، في 14 سبتمبر إشتتها القوات البحرية الأمريكية وتم تحويلها إلى ناقلة للقوات البحرية، شاركت بنقل قوات الهجوم الشرقية نحو الجزائر العاصمة خلال عملية الشعلة حيث عبرت مضيق جبل طارق في ليلة 6 نوفمبر وأبحرت يوم السابع نوفمبر باتجاه الجزائر أين تعرضت لقصف جوي أصيبت خلاله بأضرار أدت إلى وقوع أضرار بها قبل وصولها بمسافة 150 ميل عن العاصمة الجزائر. أنظر:

[https://stringfixer.com/ar/USS_Thomas_Stone_\(AP-59\)](https://stringfixer.com/ar/USS_Thomas_Stone_(AP-59))

2 Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, op cit, p204.

3 Brian lane herder, **operation torch 1942 the invasion of French north Africa**, op cit, p32.

4 - Christine Levisse Touzé, **L'afrique du Nord dans La Guerre 1939- 1945**, op cit, p233.

للحكومة الفرنسية في شمال إفريقيا، أين تتمتع بسلطة واسعة، حيث كان المحافظون والجنرالات والمقيمون العامون وقادة الأجهزة الثلاث تحت سلطته، كان يمثل الدولة الفرنسية فوق أراضي المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وفي حال تعطل الاتصالات مع الحكومة الفرنسية في المنطقة الحرة، أو تعذر على رئيس الدولة التصرف في موضوع ما فإنه يصبح بموجب القانون ممثلاً للدولة وحكومتها له حرية التصرف. كانت سياسة ويغان واضحة حيث كان يقول دائماً أنه "ضد المغامرة السخيفة" والتي يُقصد بها استمرار المقاومة ضد ألمانيا، لأنها سوف تقودنا إلى خسارة أكبر وهي مستعمراتنا في إفريقيا، لكننا يجب أن نستعد للانتقام عندما يحين الوقت¹. استدعي ويغان في 18 نوفمبر 1941 وتم إعفاؤه من مهامه وفصله عن الخدمة بإيعاز من هتلر، وتم إلغاء منصب المندوب العام، ما جعل الحكام والمقيمين وقادة الجيش يقدمون تقاريرهم مباشرة إلى وزرائهم في فيشي دون وسيط من سلطة محلية مركزية، وهو ما كان يمثل خطراً في حال حدوث أزمة بحيث لا يمكن قانونياً لأي سلطة أن تحل محل سلطة فيشي، وهو ما حدث عندما خلف ويغان الجنرال جوان، حيث عيّن فقط كقائد أعلى للقوات في شمال إفريقيا، وكان يتعين عليه تقاسم سلطته مع المقيمين العامين على غرار الجنرال نوجيس في المغرب والأدميرال إستيفا في تونس، الأمر الذي خلق اضطراباً داخل هرم القيادة في شمال إفريقيا خلال عملية الشعلة²، سارع دارلان لعقد اتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد ظهور بوادر الهزيمة، وقد بينت الاتفاقية بوضوح أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة³.

2.4. عملية الإنزال الشعلة في وهران: (فرقة العمل الوسطى - Task Force Center):

قبل ثلاثة أيام من عملية الشعلة أصدر الجنرال إيزنهاور وثيقة تحمل خطة عمل الفرقة المركزية للهجوم البحري على ميناء وهران، وتم التوقيع على الوثيقة من قبل ضابط عمليات إيزنهاور العميد ليمنيتزر - Lyman Lemnitzer⁴، وافق نيابةً عن القائد رئيس أركان العميد والتر بيدل سميث - Walter Bedell Smith⁵، و أعلن على أنّ هدفه الرئيسي هو السيطرة على الميناء بأقصى سرعة ممكنة بهدف منع قوات فيشي من تخريب أرصفة الميناء ومنشآت الشحن وكذلك السفن الراسية بالميناء، وكلف بقيادة عملية الإنزال في وهران الجنرال الأمريكي لويد فريندال - Lloyd Fredendall، وتم الاعتماد على خطة من ثلاث مراحل تتم فيها عملية الإنزال عبر ثلاث نقاط تم تعيينها هي: (X و Y و Z)⁶.

تشمل المرحلة الأولى إرسال وحدة البحرية المشتركة وكتيبة الحراس الأولى الأمريكية لميناء آرزيو الواقع على بعد 40 كلم شرق مدينة وهران بهدف الاستيلاء على جميع الأرصفة والسفن الراسية بها، بعد ذلك تحبب فرقة المشاة الأولى الأمريكية معززة بلواء من الفرقة

1 Thibault Decomble, **Le général Maxime Weygand face à la guerre (mai 1940 – septembre 1940)**, Master 2 d'histoire contemporaine, Université Paris I Panthéon-Sorbonne, 2018, p33.

2 General Gazin, **Le Debarquement Des Allies En Afrique Du Nord**, Revue Des Deux Mondes, Octobre 1979, pp.82-84.

3 Charles Mast, **Histoire d'une Rébellion (Alger 8Novembre1942)**, op cit, pp 208-209.

4 ليمنان ليمنيتزر - Lyman Lemnitzer: (1988/1899)، جنرال أمريكي شارك في الاجتماع السري بشرشال (أكتوبر 1942)، بعد أن خدم في صقلية وإيطاليا، تفاوض على استسلام القوات الألمانية في إيطاليا والنمسا (1945)، من عام 1963 إلى عام 1969 كان القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا.

5 فراندال - Lloyd Fredendal: (1963-1883) اشرف على إنزال فرقة العمل المركزية خلال عملية الشعلة 1942، واشتهر بكونه قاد الفيلق الثاني الأمريكي في بداية الحملة على تونس، في مارس 1943 تم إستبداله بجورج باتون بعد هزائم الحلفاء أمام قوات رومل في معركة سيدي بوزيد والقصرين.

6 Groupe "Mémoire et Citoyenneté", **"OPÉRATION TORCH" Les débarquements allies en Afrique du Nord 8 novembre 1942**, SECRÉTARIAT GÉNÉRAL POUR L'ADMINISTRATION DIRECTION DE LA MÉMOIRE, DU PATRIMOINE ET DES ARCHIVES, n° 29, p.9.10.

المدركة الأولى الأمريكية بنفس الميناء آرزيو وكذلك شاطئ الأندلسيات الواقع 40 كلم غرب مدينة وهران، أما المرحلة الثانية فقد شملت تأمين عملية استسلام حامية المدينة ويقودها الأميرال (بينيت-Paul Bennett) وفرق الاستطلاع، أما المرحلة النهائية فتشمل إرسال فريق عمليات بحري مشترك يتولى مهمة السيطرة على ميناء مرسى الكبير الاستراتيجي الواقع على بعد 9 كلم غرب وهران، كان الميناء محميًا بحاجز أمواج اصطناعي بطول 2743 متر تقريبًا بشكلٍ مائلٍ على طوله من الغرب إلى الشمال الشرقي، أما في الحافة الشرقية للميناء فهناك حاجز أمواج أصغر بطول 146 متر تقريبًا، وحددت حواجز الأمواج عرض الميناء بـ 731 متر تقريبًا عند أوسع نقطة لها، ويتشكل الميناء من أربعة أرضية كبيرة تفصل بين الأحواض الداخلية كل حوض أضيق من سابقه، حيث وصل عرض الحوض الأخير إلى 69 متر وهو ما يشكل خطرًا كبيرًا على عملية الإنزال في حال نجحت القوات الفرنسية في إغراق السفن الراسية بالميناء، الأمر الذي سيجعل عملية إرساء سفن أخرى أمرًا شبه مستحيل، لذلك ضمت قوة بينيت خبراء للإنقاذ البحري ومئات من مهندسي الجيش المدربين لإعادة الميناء للخدمة في أقرب وقت ممكن في حالة تعرضه للتخريب من طرف قوات فيشي الفرنسية¹.

وصلت قوات العقيد مارشال في 06 نوفمبر التي أبحرت على متن السفينة (لينستر-Leinster) من (هارت لاند-Hartland) في 24 أكتوبر 1942 إلى ميناء جبل طارق، حيث قامت قاطرات النقل البحري بنقل الجنود والمعدات إلى السفينة والني-Walney. سارت عملية النقل بسلاسة تامة وأمضت قوات العقيد مارشال يوم 7 نوفمبر في الاستعداد لعملية الإنزال، بعد الغداء تم استدعاء جميع الضباط إلى اجتماع تم فيه التدقيق في الخرائط والصور الجوية لكي يعرف كل جندي دوره عند الوصول إلى ميناء وهران عند التقاء قوات مارشال البحرية مع باقي القوات التي أبحرت مباشرة من إنجلترا أعادت السفن تشكيلها إلى تسع مجموعات هجومية وكان الهدف أربع مواقع إنزال منفصلة، انضمت السفينتين (Hartland وWalney) إلى الفرقة 5 وأخذت مسارها إلى شاطئ "Z" ميناء آرزيو بوهران².

فجر 8 نوفمبر كانت السفينتان (Hartland وWalney) تستعدان لدخول ميناء وهران وتم اتخاذ الترتيبات النهائية لإطلاق زوارق الكاياك-Kayaks لإنزال الجنود، بدأت عملية الإنزال في ميناء آرزيو على الساعة 01:16 دقيقة صباحًا، وقدر عدد القوات الجاهزة للإنزال 39000 من الجنود المشاة والمظليين والمدفعية تحت قيادة الجنرال راندال، وتم توزيع الإنزال على ثلاث نقاط رئيسية إثنان غرب وهران وواحد شرق وهران إضافة إلى إنزال جوي إنجليزي كما يلي:

- خليج آرزيو الواقع على بعد 40 كلم شرق وهران؛
- خليج الأندلسيات الواقع على بعد 40 كلم غرب وهران؛
- شاطئ بوزجار الواقع على بعد 50 كلم غرب وهران؛
- سبخة وهران حيث تم إنزال جوي إنجليزي للسيطرة على مطاري (طافراوي والسانية)³.

1 <https://www.humanite.fr/-/2e-guerre-mondiale/operation-torch-un-tournant-de-la-seconde-guerre-mondiale>.

2 General Gazin, **Le Debarquement des Allies en Afrique du Nord**, La Nouvelle Revue des Deux Mondes, Octobre 1979, pp 79.87.

3 Brian Lane herder, **operation torch1942 the invation of French north Africa**, Osprey Publishing, New York, 2017, p35.

1.2.4. شرق وهران:

هبطت القوات الأمريكية بالشواطئ الشرقي واستولت بسرعة على المدافع البحرية المتمركزة به، وجرت محاولة لإنزال المشاة الأمريكيين بالميناء مباشرةً من أجل منع تدمير المرافق الحساسة، لكن عند اقتراب مراكب الإنزال من الميناء بدأت القوات الفرنسية بإطلاق النار باتجاهها ما أدى إلى إغراق مركبتين حربيين أمريكيين كما وقعت في منطقة سان كلو (قديل حالياً) وأركول (بير الجير حالياً) مشادات عرقلت سير القوات الأمريكية المكونة من 12 ألف جندي، وكذلك في منطقة سان لوسيان (زهانة حالياً)، أحرقت مدرعة فرنسية تابعة لقوات فيشي قادمة من سيدي بلعباس تقدم القوات الأمريكية، وبالمقطع تعرّضت قوات التحالف للقنص من طرف فرقة قادمة من تيارت، لكنّ القوات الأمريكية سيطرت على الوضع واستسلمت قوات فيشي المقاومة في شرق وهران.

2.2.4. غرب وهران:

تأخّر الإنزال غرب وهران بسبب فرقة عسكرية فرنسية للمشاة الأهلية مدعّمة بالمدفعية في منطقة بوسفر ومسرعين والتي أعاققت عمليات الإنزال وأدت إلى إحداث أضرار بالقوات الأمريكية، لكنّ القوات الأمريكية التي نزلت بالأندلسيات والمتجهة إلى عين الترك فوق شاطئ Santon استطاعت استدراك الوضع والقضاء على الفرقة المقاومة¹.

جرى إنزال جوي لقوات بريطانية بالقرب من سبخة وهران²، بهدف السيطرة على مطار طفراوي والسّانية والتحقّت قوات نزلت بخليج بوزجار تحت قيادة (ويني-Winni) إلى مطار السّانية، وقوات أخرى نزلت في خليج آرزو تحت قيادة (والتر-Walter) إلى مطار طافراوي، كما عرفت المناطق الغربية عملية قصف من طرف قوات التحالف أدّت إلى نزوح السّكان إلى المناطق الداخلية مثل عين تموشنت والمحمدية وغلزيان وسيدي بلعباس³.

عكس عملية الإنزال بمدينة الجزائر فقد كانت عملية الإنزال بمدينة وهران غاية في الصّعوبة نظراً للعمل الذي قامت به مجموعة المعارضين لقوات الحلفاء وعلى رأسهم (روجي كاركاسون-Roger Carcassonne)، والأب (تييري-Père Thery)، والعقيد (توسطان-Tostan) والأميرال (ريولت-Riolt) الذين عارضوا الإنزال بشدّة مما أسفر عن مقاومة شديدة خلّفت أكثر من 750 قتيل من بين قوات فيشي⁴، لكن بفضل خطة الحلفاء العسكرية المحكمة ونظراً لعدم توازن القوى، والعمل الكبير الذي قامت به مجموعة المقاومين المتعاونين مع قوات الحلفاء تمت السيطرة على ضواحي مدينة وهران تمهيداً لاحتلالها، وفعلاً دخلت قوات الحلفاء المدينة في 10 نوفمبر عند منتصف النهار، وفي حدود الساعة الواحدة والتّصف أعلن وقف القتال، وأسفرت العملية على خسائر مادية وبشرية شملت المدنيّين من أوروبيين ومسلمين⁵.

1 دوايت أيزنهاور، حرب صليبية في أوروبا (غزو الحلفاء لأوروبا في الحرب العالمية الثانية)، تر: إبراهيم عيود، ج5، ط2، دار اليقظة العربية للترجمة والنشر، دمشق، 1960، ص56.

2 سبخة وهران أكبر سبخة في الغرب الجزائري، تتكون من طبقة رقيقة من المياه الملحية وهي خالية من أي غطاء نباتي، في محيطها المباشر تنتشر نباتات تتكيف مع المناخ الجاف والأراضي المالحة، فنجد مثلاً السويداء ميريتما، الأسل الكامبرويس والقليل من الطفراء النامية على أطراف السبخة.

3 Brian Lane herder, operation torch 1942 the invation of French north Africa, Op cit, p 36.

4 Jean Quellin, La Seconde Guerre Mondiale (1939-1945), Ed: Tallandier, paris, 2017, p561-562.

5 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص123.

3.4. عملية الإنزال الشعلة بمدينة الجزائر: فرقة العمل الشرقية (Eastern Task Force).

التقى بمدينة الجزائر في 02 نوفمبر 1942 القنصل العام الأمريكي (مورفي - Muirphy) مع الجنرال (جوان - Juin)¹ وركز له القنصل عرض الحكومة الأمريكية واستعدادها للتدخل عسكرياً في شمال إفريقيا بناءً على دعوة من فرنسا، لكنه لم يخبره بعملية الإنزال في شمال إفريقيا، ويبدو أن مورفي كان يريد أن يتعرف على موقف جوان، لكن هذا الأخير رفض دعم الأمريكيين ورد قائلاً بأنه: «سيدافع عن الإمبراطورية ضد كل من سيهاجمها سواءً الأنجلوساكسون أو المحور»، كما رفض الحياد عن أوامر القيادة في فيشي خاصةً وأمر القائد العام للقوات المسلحة الأدميرال دارلان، ولتبرير موقفه هذا أوضح جوان فيما بعد أنه لم يكن يوماً في صف المحور والدليل على ذلك حسب تصريحه رفضه تولي منصب وزير الحرب الذي عُرض عليه، لرغبته البقاء في شمال إفريقيا بعيداً عن حكومة فيشي وإيماناً منه بأن معركة التحرير ستستأنف يوماً ما من شمال إفريقيا، وبمجرد توليه قيادة القوات المسلحة الفرنسية في شمال إفريقيا أبلغ القيادات بأن جميع التعليمات التي أعلنها ويغان بخصوص شمال إفريقيا لا تزال قيد التنفيذ²، كما أشار جوان أنه أثناء توليه القيادة في شمال إفريقيا سعى بكل قوته إلى بناء جيش فرنسي قوي في المنطقة يكون بعيداً عن كل الصراعات السياسية خوفاً من حدوث انقسامات داخله قد تؤدي إلى تدخل المحور، لذلك كان حريصاً على إظهار طابع الانضباط والتماسك داخل هذا الجيش أملاً في أن يكون جيش "الانتقام" كما أطلق عليه ويغان سابقاً³.

عقد اجتماع في 06 نوفمبر 1942 لقادة المقاومين تم فيه الاطلاع على خطة العمل عند بداية الإنزال، وتم تعيين متطوعين ومتعاونين لتشكيل الفيلق (SOL) الذي كُلف بحفظ النظام العام في مدينة الجزائر بعد نهاية عملية الإنزال ووزعت عليهم شارات تحمل شعار (VP) كما أعطيت تعليمات بأولوية تحييد جيش فيشي إلى صالح الحلفاء دون إطلاق النار إذا أمكن ذلك.

ابتداءً من الساعة العاشرة والنصف مساءً من ليلة 7 نوفمبر عُقد اجتماع آخر برئاسة أبولكير - José Aboulker في مرآب الأخوين لافايسي - Lavaysse، حيث ارتدوا زي ضباط احتياطيين وتم تحميل بنادق (Lebel) التي كان قد وفرها العقيد جوس من مخازن السلاح السرية داخل الحافلات، وكانت الأوامر تقضي بعدم استخدامها إلا في حالة الضرورة القصوى، كما قدم لهم أبولكير - José Aboulker أوراقي مزورة سمحت لهم بالاستيلاء على مباني حكومية، وانتشر أعضاء المقاومة البالغ عددهم 377 عضواً على متن 16 حافلة عبر أحياء الجزائر العاصمة، وبين الساعة الثانية عشر والنصف والواحدة والنصف فجرًا قاموا بإخلاء نقاط الحراسة واحتلال المقرات الحساسة مثل مقر شركة الاتصالات الهاتفية المدنية والعسكرية، ومحاصرة منازل قادة الجيش على غرار مقر الحاكم العام في الجزائر

1 في 20 نوفمبر 1941 أصبح الجنرال (جوان - Juin) القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية في شمال إفريقيا خلفاً لويغان - Weygand له سلطة على القوات البرية والجوية، بعد أن شغل أيضاً منصب حاكم عام للجزائر في حكومة فيشي. أنظر: <https://www.universalis.fr/encyclopedie/alphonse-juin/>

• 2 كان ويغان Weygand قد أعاد تنظيم جيش شمال إفريقيا والذي أطلق عليه في مذكراته بجيش "الانتقام"، كان ذلك بعد حصوله على مساعدات عسكرية من قوى المحور، وكتب في مذكراته أنه أعطى تعليمات سرية بضرورة دفع عملية تصنيع معدات عسكرية وإطلاق برنامج تدريبات عسكرية وإقامة قواعد عمليات، كما أنشأ مستودعات سرية لتخزين الأسلحة، كل ذلك إستعداداً لبناء قوة قادرة على مقاومة المحور في يوم ما، وكان لهذه التحضيرات العسكرية الفضل في دحر قوات المحور من تونس بعد عملية الشعلة، إضافة إلى مساهمته في وضع حد للنهب الاقتصادي الألماني لشمال إفريقيا من طرف لجان الهدنة. أنظر: Max Schiavon, **Weygand: L'INTRANSIGENT**, TALLANDIER. 2018.

الجنرال هيد كارتير-Headquarters، وقامت مجموعة باعتقال قائد الجيش في الجزائر الجنرال لويس ماري كولتز- Luis-Marie koeltz والسيطرة على مقر إذاعة الجزائر، بينما استولت فرقة أبولكير على مركز الشرطة الرئيسي.

في حدود الساعة الثالثة صباحاً أيقظت طلقة مدفع في ميناء الجزائر العاصمة القوة البحرية التابعة للأميرالية التي بدأت في إطلاق نيران المدافع والرشاشات على مدمرتين للحلفاء حاولتا شق الطريق إلى الميناء بالقوة، ليستيقظ كبار موظفي الخدمة المدنية وكبار الضباط الذين قطعوا هواتفهم فانتقلوا بسرعة إلى مركز الشرطة أين وجدوا في استقبالهم فرقة أبو الكير ليتم اعتقالهم هناك، وبحلول الساعة الثالثة والنصف فجراً أصبحت العاصمة السياسية والعسكرية لفرنسا الفيشية في شمال إفريقيا بيد المقاومين دون عناء كبير¹.

بدأ يتغير عندما وصل مورفي إلى فيلا الزيتون- Villa des Oliviers²، مقر إقامة الجنرال جوان ليخبره بعملية إنزال القوات الأمريكية التي استجابت لطلب الجنرال جيرو³، ومحاولاً إقناعه بالانضمام إلى الحلفاء ومساعدتهم في عملية الإنزال الأمر الذي رفضه الأخير متحججاً بعدم الامتثال لأية أوامر خارج سلطة قائد القوات المسلحة دارلان، الذي كان في زيارة لابنه المريض بالجزائر العاصمة، وبمجرد إبلاغه بخبر عملية الإنزال سارع إلى Villa des Oliviers أين عبر لمورفي عن سخطه الكبير على عملية الإنزال، خاصةً أنها كانت مصحوبة بغرامة داخلي سعى إلى شلّ عمل قوات فيشي وذلك بإعطاء أوامر كاذبة لوححدات القتال وقطع الاتصالات الهاتفية، واعتقال معظم قادة السلطات السياسية والعسكرية أو حبسهم في منازلهم، ومحاصرة واحتلال المراكز الحساسة من بينها Villa des Oliviers مقر إقامة الجنرال جوان والتي كلف القائد بيلافورت من جانب المقاومين بالسيطرة عليها وتحييد القائد جوان حتى وصول الأمريكيين⁴، لكن سرعان ما تدخلت فرقة من البوليس الفرنسي التي قامت بتفريق المقاومين واحتجاز كلٍّ من القنصل الأمريكي مورفي ونائبه (كينيث بندار -Keneth Pendar)⁵.

أمام تلك الظروف المشحونة سمح الجنرال دارلان لنائب القنصل الأمريكي بندار بالتوجه إلى مقر القيادة للبحرية في الجزائر ليسلم لقائدها رسالة تطلعه عن عملية الإنزال الأنجلو أمريكية على سواحل مدينتي الجزائر ووهران، ومع طلوع فجر يوم 8 نوفمبر خرج كل من دارلان وجوان متجهين نحو مقر قيادة الأركان في الجزائر وبقي مورفي قيد الحبس، وعلى الساعة السابعة والنصف صباحاً أرسل دارلان برقية للمارشال بيتان جاء فيها: «الحالة على السابعة والنصف كالتالي: تمت عمليات إنزال مكثفة لقوات أمريكية وبريطانية على عدة نقاط من سواحل مدينة الجزائر ومحيطها، لقد تم التصدي لهذه الهجمات عند نقطة الميناء، غير أننا لم نتمكن من ذلك

1 José Aboulker, **Témoignage (Alger, 8 Novembre 1942)**, op cit. p152.

2 تقع فيلا الزيتون **Villa des Oliviers** بمنطقة الايبار بأعالي الجزائر العاصمة على حافة منحدر يطل على واحد من أجمل الخلجان الصغيرة في العالم، يعود تاريخ بناء الفيلا للعهد التركي، أصبحت ملكية المنزل للأميرة مير عام 1835 ثم القنصل شولتز عام 1838 وأطلق عليه تسمية لكالوراما- **La Calorama** (المنظر الجميل)، خلال الحرب العالمية الثانية كان مقراً للجنرال ويغاند خريف 1940 ثم الجنرال جوان، ثم الجنرال ديغول في أوت 1943 إلى غاية أوت 1944، خلال عملية الإنزال كلف القائد بيلافورت من جانب المقاومين السيطرة على الفيلا مقر إقامة الجنرال جوان إلى غاية وصول الأمريكيين. أنظر: Andrée Dore-Audibert, **Propos irrévérencieux d'une épouse**, d'ambassadeur, 2002.

3 حسب رأي القائد جوان فإن جيرو كان معروفا وله سمعة محترمة داخل الجيش لكنه لم يكن يمثل سلطة شرعية تحول له طلب تدخل الأمريكيين.

4 Ch-Robert Agéron, A. Juin, **Un Mémoire Inédit du Général D armée Juin Sur Les Evénements du 8 AU 13 Novembre 1942 A Alger**, op cit, pp.97-100.

5 Charles Mast. Lidell Hart Basil, **Le Point de Vue Français**, Historia, n°4, Paris, 1968, p1213.

في نقاطٍ أخرى لأنّ العملية تمت بطريقةٍ خاطفة، الوضع يتأزم ولن نستطيع الصمود طويلاً، والتقارير تشير إلى عمليات أخرى متزامنة في أماكن عدّة»¹.

بخصوص العمليات العسكرية لفرقة العمل الشرقيّة فلقد بدأت القوات البحرية المتحالفة والتي تشكّلت معظم وحداتها من القوات البريطانية² عملية الإنزال على الساعة الثانية صباحاً يوم 08 نوفمبر وأعطيّت لكلّ منطقة إنزال اسمها السريّ مثل: منطقة النزول (أ) أطلق عليها اسم (Apples) قسّمت لمنطقتين لرسو سفن الإنزال، المنطقة الخضراء-the green Zone والمنطقة البيضاء-white area عبر النقاط التالية:

- الإنزال غرب الجزائر العاصمة: بين كاستيل (Casteel) ورأس أكراتا شمال سيدي فرج؛

- الإنزال شرق الجزائر العاصمة: بين منطقة (جون بارت -Jean Bart) إلى غاية وادي الرغاية.

تم اختيار مناطق إنزال ثانوية نزلت بها أعدادٌ محدودةٌ من القوات في شاطئ عين طاية، وبعد عملية الإنزال على ساحل مدينة الجزائر شرعت القوات الأمريكية والبريطانية في عملية السيطرة على المناطق العسكرية الحسّاسة كالمطارات في كلّ من البليدة والدار البيضاء وثكنات الجيش في كلّ من: بير خادم، الأبيار، بوزريعة، روية، أولاد فايت، بير مراد رايس، وقد وجدت الطريق مفتوحاً أمامها نتيجةً للعمل الكبير الذي قامت به مجموعة المقاومين العسكريين والمدنيين المناهضين لحكومة فيشي³.

بالرغم من إصابة الناقلة (USS) توماس ستون كما سبق وأن ذكرنا إلّا أنّ قائد الكتيبة الرائد والتر أوكس-Walter Oakes قرّر قطع مسافة 150 ميل المتبقية إلى مدينة الجزائر رفقة 700 من جنوده في زوارق الإنزال، لكنّهم واجهوا عدّة صعوبات، منها ارتفاع الأمواج وتعطل بعض محركات زوارق الإنزال ما حال دون وصول جنود أوكس في الوقت المحدّد إلى الشاطئ⁴.

من جهةٍ أخرى تمكّن العقيد (باريل-Baril) من تعطيل سرية المدفعية على سواحل سيدي فرج، كما تمكّنت مجموعة المقاومة الفرنسية من محاصرة الفيلق xix لقوات فيشي مدة 15 ساعة، وبعد إطلاق سراح جوان ودارلان قام هذا الأخير بالاستنجاد بالطيران الألماني للقضاء على قوات الحلفاء قبل نزولهم بالجزائر إلّا أنّ ذلك جاء متأخراً، حيث كان الحلفاء قد سيطروا على المدينة ونشروا طوقاً عليها مما دفع بقوات فيشي للاستسلام في حدود الساعة الخامسة مساءً⁵.

1 Winston Churchill, **Mémoires sur la deuxième guerre mondiale**, T4, V2, Le tournant du destin, L'afrique sauvée, 4juillet 1942-5juin 1943. Plon édition, Paris,1951, p563.

2 ضمت وحدة العمل الشرقية 23000 جندي من وحدات الكومنولث البريطانية من أصل 33000 شاركوا في عملية الانزال، أما القوات الأمريكية فلقد تشكلت من الفوج التاسع والثلاثين من فرقة المشاة التاسعة (RCT)، إلى جانب الكتيبة 168 والكتيبة الثالثة من فوج المشاة 135 وكلاهما ينتميان إلى فرقة المشاة 34، كانت كل قوات وحدة العمل الشرقية تحت القيادة الأمريكية. انظر: Ch-Robert Agéron, A. Juin, **Un Mémoire Inédit du Général D armée Juin Sur Les**

Événements du 8 AU 13 Novembre 1942 A Alger

3 Charles Mast, **Histoire d'une Rébellion (Alger: 8Novembre1942)**, op cit, p175.

4 رغم فشل كتيبة القائد أوكس في الوصول إلى شواطئ مدينة الجزائر في الوقت المناسب حيث تأخر وصولها إلى غاية تاريخ 11 نوفمبر إلّا أن محاولة أوكس لقيت النباء من طرف الأميرال (كيننغهام-Cunningham) كما شاركت الكتيبة في باقي العمليات فيما بعد.

5 Charles Mast, **Histoire d'une Rébellion (Alger: 8Novembre1942)**, op cit, p175.

4.4. عملية الإنزال الشعلة في المغرب الأقصى: (فرقة العمل الغربية - Western Task Force)

عوامل متعدّدة دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تنفيذ إنزالها بالمغرب الأقصى، بعد دخولها الحرب رسميًا سنة 1941 وانضمامها إلى دول الحلفاء ضدّ دول المحور، ولعلّ أهمها إقدام إسبانيا بقيادة فرانكو-Francisco Franco¹ المتعاطف مع دول المحور باحتلال مدينة طنجة المغربية التي كانت خاضعة للنظام الدولي وذلك بتاريخ 14 جوان 1940، هذا الاحتلال أربك الولايات المتحدة الأمريكية ورأت فيه خطرًا عليها، وما زاد من تحوّفها ما كان يروّج حول إمكانية تسرّب الألمان عبر إسبانيا إلى جبل طارق ومن ثمة تهديد مصالحها بالمنطقة، كما أنّ المقيم العام في المغرب نوجيس كان موالياً لنظام فيشي، ذلك فضلاً على موقعها الاستراتيجي المطل على واجهتين بحريتين متوسطية وأطلسية². انطلقت العملية العسكرية الأمريكية من السواحل الشرّقية على دفعتين عسكريتين، الأولى خرجت يوم 23 أكتوبر 1942 وكانت وجهتها سواحل آسفي والقنيطرة، والدفعة الثانية خرجت بعد 24 ساعة من خروج الدفعة الأولى باتجاه الدار البيضاء والمحمدية وقد التحقت بحما خمس حاملات للطائرات، ووضعت فرقة العمل الغربية خطة إنزال على ثلاث نقاط رئيسية في المغرب الأقصى هي:

- أسفي الواقعة على بعد 140 ميلاً جنوب الدار البيضاء والتي هاجمتها فرقة (الصخرة السوداء-Black Rock)؛
- مدينة بور ليوطي (القنيطرة) للسيطرة على الميناء وكذلك مطار المهديّة والتي هاجمتها فرقة (عمود المرمى-Goal post)؛
- مدينة الدار البيضاء التي شكّلت مركز عملية الإنزال في المغرب من طرف فرقة (أغصان الأشجار-Brushwood)³.

1.4.4. الإنزال على سواحل آسفي:

بدأت مجموعة الهجوم الجنوبية عملية الإنزال في آسفي ليلة الأحد 8 نوفمبر 1942 بقيادة الأدميرال ليال دافيدسون-Layal A. Davidson وكانت تتكوّن من عدة سفن حربية وسفن شحن من بينها سفن فيلادلفيا، وبرنادو، وكول، ونيويورك، والغواصة "بارب" وحاملة طائرات بإسم "سانتي" وعلى متنها 30 طائرة مقاتلة و108 دبابة وكان مجموع مانتقله هذه السفن الأمريكية 6500 جندي إضافة 327 ضابطاً، كانت آسفي مدينة صغيرة وبها ميناءٌ مثلثٌ من المياه المحمية بحاجز من الشرّق، ومن الغرب به رصيفٌ طويل يمتد شمالاً لمسافة ميل تقريباً، أمّا في الشمال فيوجد رصيفٌ خاصٌ بتحميل الفوسفات، أمّا مدخل الميناء فكان عبارة عن فتحة يبلغ عرضها حوالي 152 متراً وعُرف الميناء بشكلٍ أساسي في تصدير الفوسفات، ولقد شكّلت السواحل الصّخرية لآسفي عائقاً حال دون إنزال القوات والعتاد الحربي، فلم يكن أمام القوات الأمريكية سوى الاعتماد على الميناء لتنظيم الإنزال، لذلك كان الهدف يوم 8 نوفمبر هو احتلال الميناء وإنزال الدبابات لتعزيز فرقة المشاة الثالثة في الدار البيضاء⁴، ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت القوات المتحالفة على خطة من أربع مراحل رئيسية هي:

- المرحلة الأولى: تتمثل في الاستيلاء على أرصفة الميناء ومنع أيّ عملية تخريب متوقّعة من طرف قوات فيشي؛
- المرحلة الثانية عملية: إنزال الفرقة المدرّعة وتجميع الدبابات على الشاطئ استعداداً لعملية القتال؛

1 فرانكو-Francisco Franco: الجنرال فرانكو قائد عسكري إسباني مناصر للملكية؛ حكم بلاده بقبضة من حديد في نهاية الحرب الأهلية الإسبانية التي دارت رحاها في ثلاثينيات القرن العشرين، أقام علاقات وثيقة بالفاشية والنازية خلال الحرب العالمية الثانية، وتعرض لعزلة دولية بعد الحرب خرج منها مستفيداً من مناخ الحرب الباردة، توفي عام 1975، أنظر:

Preston Paul, **Franco Caudillo de España**, Grijalbo Mondadori, Barcelona, 1998.

2 عبد السلام أنويكة، المغرب زمن الحرب العالمية الثانية بعيون الرئيس الأمريكي روزفلت، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة عشرة، العدد 52، جوان 2021، ص 181-191.

3 Christine Levisse Touzé, **L'afrique du Nord dans La Guerre 1939- 1945**, op cit, p393.

4 محمد النحيلي، الإنزال العسكري الأمريكي بالمغرب إبان الحرب العالمية الثانية: الظروف والخلفيات، الحوار المتمدّن، العدد: 5451، 2017، ص 62-81.

- المرحلة الثالثة: تأمين خط الاتصال للتقدم شمالاً.

- المرحلة الرابعة والأخيرة: هي تأمين الميناء وتوجيه جميع القوات خاصة الفرقة المدرعة بسرعة نحو الدار البيضاء.

مع بداية العملية تم نقل فرقة الجنود الخاصة والتي تم تدريبها بشكل جيد للقيام بعملية الإنزال الأولية عبر زوارق الإنزال لكنها وجدت مقاومة من طرف قوات فيشي المقاومة تحت إمرة القائد دوف-Deuve، وهاجمت القوات الأمريكية من داخل الميناء وخارجه ومن مرتفعات سيدي بوزيد، كان ميناء آسفي محصناً بفرقة مشاة واحدة وكتيبة مدرعة مزودة بخمسة عشر دبابة وبيطارتين ساحليتين الأولى مدعومة بأربعة مدافع عيار 130 ملم والثانية مدعومة بمدفعين عيار 75 ملم، لكن تلك المقاومة لم تصمد سوى ساعات قليلة لينتج السيطر عليه من طرف الأمريكيين، بفضل التعاون الفعال والتنسيق الجيد بين قوات البحرية وقوات الجيش الأمريكي والالتزام بتنفيذ الأوامر، وخلال 24 ساعة فقط إستسلمت جميع قوات فيشي الفرنسية للأمريكيين لتصبح آسفي تحت سيطرتهم¹.

2.4.4. الإنزال على سواحل الدار البيضاء:

يوم 8 نوفمبر 1942 اقتربت فرقة العمل الغربي من الدار البيضاء بتوجيه من اللواء جورج باتون والأدميرال هنري هيويت والتي كانت تتألف من الفرقة المدرعة الأمريكية الثانية بالإضافة إلى فرقة المشاة الثالثة والرابعة الأمريكية، كان عدد جنوده يقارب 35 ألف رجل، هبط الطيران الأمريكي إلى جنوب الدار البيضاء في آسفي، وشمالاً في القنيطرة والمهدية دون أن يقوم بقصف على المواقع الفرنسية ظناً منهم لعدم وجود مقاومة، لكن الواقع كان غير ذلك، فلقد واجه الأمريكيون مقاومة فرنسية كبيرة قام على إثرها القائد هيويت بتوجيه طائرات من طراز "uss" و "uss Ranger CV-4" و "Suwannee CVE-27" لضرب المطارات وأرسلها لمهاجمة أهداف في الميناء بينما كانت سفن الحلفاء الأخرى قد انتقلت إلى الشاطئ.

تكبدت القوات الأمريكية خسائر كبيرة بسبب عدم القيام بالهجوم المباغت ورغم ذلك تمكنت من السيطرة على آسفي في ظهر اليوم التالي من الإنزال بالإضافة إلى القنيطرة والمهدية اللتان استسلمتا في مساء اليوم ذاته لتجتمع القوات الأمريكية وتتوجه لحصار الدار البيضاء أين أدى القتال العنيف إلى قيام قوات هيويت بإغراق السفينة الحربية غير المكتملة "جين بارت" - "Jean Bart" بالإضافة إلى طراد خفيف وأربعة مدمرات وخمس غواصات حتى تمكنت القوات الأمريكية في العاشر من نوفمبر 1942 من السيطرة على الدار البيضاء².

3.4.4. الإنزال في بورت ليوتي (القنيطرة):

تولى الجنرال لوشرين تراسكات-Lothin Trascat ومعاونيه في لندن وضع الخطوط العريضة للهجوم على ميناء بورت ليوتي، وكان الاستيلاء على المحطة الجوية البحرية في بورت ليوتي هو المهمة الأساسية لفرقة المشاة والمدركات القتالية القادمة من مدينة فورت براغ-Fort Bragg بولاية كارولينا الشمالية، والتي تألفت في المقام الأول من فرقة المشاة التاسعة الأمريكية وفوج المشاة الستين.

1 Jacques Mordal, **LA Bataille Navale De Casablanca**, Centre National de Documentation, Royaume du Maroc, N°016896, <http://archives.cnd.hcp.ma/uploads/news/016896.pdf>.

2 Roger Gromand, **L e Débarquement Allié au Maroc Novembre 1942**, revue des deux mondes, N°11, 2016, p p, 53. 54.

تشكّلت قوة "جولبوست" - "golpost" المكلفة بشن الهجوم بداية من 22 أكتوبر عام 1942، على النحو الموضّح

بالجدول التالي¹:

المركبات	عدد الأفراد	الوحدة
118	1345	فرقة المشاة التاسعة، فوج المشاة الستين، الكتيبة الأولى
117	1268	فرقة المشاة التاسعة، فوج المشاة الستين، الكتيبة الثانية
118	1461	فرقة المشاة التاسعة، فوج المشاة الستين، الكتيبة الثالثة
224	1318	قوات مشاة أخرى
163	919	ريق الإنزال المدرع 66، الكتيبة الأولى، الفوج 66 مدرع
103	1936	سلاح الدّعم الجوي الثاني عشر
0	448	قوات المدفعية السّاحلية 662 و 697
0	5	سرية الهندسة الطبوغرافية رقم 66
1	3	كتيبة الإشارة المدرعة الأولى
10	68	سرية الإشارة التاسعة
4	26	سرية الإشارة رقم 122
1	6	سرية الإشارة رقم 163
4	35	سرية الإشارة رقم 239
0	36	الكتيبة الطبية السادسة والخمسين
5	30	مفرزة تشغيل محطة البث الثانية
0	16	مجموعة مكافحة التجسس
0	21	مجموعة استجواب الأسرى
0	4	موظفون عموميون مدنيون
10	46	قوات متمركزة
0	30	غوّاصات
0	40	خبراء تعطيل القواعد البحرية
0	18	أفراد البحرية
881	9079	المجموع

1 Howe George, Méditerranéen Theater of Opérations, US Gouvernement Printing Office, USA, 1957, p 42.

كانت منطقة بورت ليوتي الواقعة في منحني على نهر سيبو تحتوي على قاعدة بحرية بها مدارج خرسانية وحظائر تطل على المسطحات المنخفضة المجاورة للنهر، وتبعد حوالي خمسة أميال من شواطئ الإنزال وحوالي تسعة أميال فوق النهر الضحل ومع وجود الحد الأقصى للعمق حتى في حالات المد والجزر القصوى خلال شهر نوفمبر أدى إلى تقييد الوصول إلى السفن التي لم يكن يزيد ارتفاعها عن 06 أمتار¹. كان التخطيط المبكر قد وضع تصورًا لطائرات الدعم القادمة من جبل طارق، والتي ستهبط في الميدان بعد الاستيلاء على المدينة، ودعت الخطط لاحقًا إلى إطلاق الطائرات من حاملة الطائرات المساعدة يو إس إس شينانغو، عالج المخططون العسكريون مسألة إمداد الطائرات بالوقود والذخائر مباشرةً عن طريق قاعدة نهر سيبو المخصصة لرسو السفن في الميناء، استقر البحث عن سفينة مخصصة للمياه الضحلة في هندوراس كانت مسجلة باسم كونتيسة إس إس-The SS Contessa، وهي سفينة شحن وركاب تابعة لشركة ستاندر فروت أند ستيمشيب كانت قد أنشأت في عام 1930، وعملت بين موانئ البحر الكاريبي والولايات المتحدة الأمريكية².

وصلت سفينة الكونتيسة إس إس إلى ميناء مدينة نورفولك بينما كان الأسطول الأمريكي يستعد للإبحار إلى شمال إفريقيا، كانت السفينة في حالة سيئة بسبب وجود بعض المشكلات في محركها مما تطلب إصلاحًا فوريًا، وكان من المتوقع أن يستغرق إصلاح هذه الأعطال عدة أيام، ولكن بعد بذل جهد غير عادي تم إصلاح السفينة في وقت قياسي، وبالرغم من مغادرة معظم أفراد طاقم السفينة إذ كانوا متوقعين أن يستغرق إصلاح السفينة زمناً أطول، إلا أن السفينة عاودت الإبحار بعد ثلاثة أيام فقط وتمت الاستعانة بطاقم من المتطوعين من لواء بحري محلي، وانطلقت السفينة بالفعل في الساعات الأولى من يوم 27 أكتوبر بدون حراسة عبر المحيط الأطلسي للانضمام إلى الأسطول الأمريكي المهاجم، تمكنت الكونتيسة إس إس، المحملة بنحو 738 طنًا فقط من الوقود والذخيرة من اللحاق بالأسطول الأمريكي في 7 نوفمبر 1942³.

منتصف ليل يوم 8 نوفمبر 1942 اتخذت كل من البارجة تكساس والطراد الخفيف سافانا موضعهما في شمال وجنوب شواطئ الإنزال، وكانت سفن النقل قد فقدت تشكيلها ولم تستعده عند الاقتراب من الجزء الأخير من شواطئ المغرب، وهو ما صعب من عملية الإنزال وخلق نوعًا من الارتباك في صفوف القوات البحرية، في ظل تلك الظروف اضطرّ الجنرال تراسكات-Trascat إلى تأجيل الإنزال من الساعة 00:04 صباحًا إلى 04:30 صباحًا⁴.

كانت الدفاعات الفرنسية بمدينة المهديّة قليلة الحراسة ومع بداية عملية الإنزال قامت أطقم البحرية الفرنسية بتشغيل مدافع من العيار 130 ملم في مواقع محمية على طول سواحل قرية المهديّة وفي محيط قلعة قصبة المهديّة، ثم تم تركيب مدافع عيار 75 ملم على عربات مسطحة على خط السكة الحديد الذي يسير بجانب النهر عند قاعدة المنحدر الذي تقع عليه قلعة قصبة المهديّة، وعززت الدفاعات بفرقة ثانية من أربع بنادق عيار 75 ملم بعد أن اشتد الهجوم على طول الطريق الواصل بين مدينة المهديّة وحتى مدينة بورت

1 Howe George, Méditerranéen Theater of Operations, op cit, p147.

2 Tim Brady, Twelve Desperate Miles: The Epic World War II Voyage of the SS Contessa, Crown, First Ed, New York, 2012, p 245.

3 Ibid, p 245.

4 Morison Samuel Eliot, Operations in North African Waters, October 1942-June 1943, Castle Books, Chicago 1947, p103.

ليوني، كما وضعت مجموعة أخرى مكونة من أربعة بنادق عيار 155 ملم على التل الواقع غربي مدينة بورت ليوني وفي المنطقة الواقعة جنوب غرب المطار، وتولت فرقة من الدفاع الجوي مهمة الدفاع عن المطار باستخدام الأسلحة المضادة للطائرات¹.

مع شروق صباح يوم الثامن من نوفمبر من عام 1942 انتقل العقيد ديماس - كراو Dimas T. Crow ورائد بيربونت هاميلتون - Pierpont M. Hamilton بسيارة إلى ميناء ليوني لمحاولة إقناع القائد الفرنسي الكولونيل شارل بيتي - Charles Petit بالتعاون مع قوات الحلفاء وعدم القيام بأي عمل قد يعرقل عملية الإنزال، لكن المقاومة كانت قد سبقت وصولهم إلى الميناء، فقد أطلق حرس السواحل والسفن الحربية النيران على قوات الحلفاء، وقامت القوات الفرنسية بالقرب من قلعة قصبة المهدية بتوجيههم نحو ميناء مدينة بورت ليوني، لكنهم بمجرد وصولهم إلى المدينة تعرضوا إلى إطلاق نيران كثيفة من مكان قريب مما أسفر عن مقتل الكولونيل كرو، بينما تم نقل الرائد هاميلتون إلى مقر الكولونيل بيتي ولم يتلقَ بعد استقباله أي رد قاطع حول إنهاء المقاومة والتعاون مع الحلفاء².

كان أغلب الرأي داخل مقر القيادة الفرنسية في مدينة بورت ليوني يميل للتعاطف مع قضية الحلفاء وكرهية القتال الدائر في ذلك الوقت، وما كان ينقص فقط هو أمر من العقيد شارل بيتي لوقف القتال، وفي انتظار صدور الأمر واصل الفرنسيون في مدينة بورت ليوني قتال وحدات فوج المشاة الستين التي بدأت في إنزال القوات والإمدادات من سفنهم قبالة الساحل المغربي³. حقق الفوج المقاوم رقم 60 على مدار اليوم الأول هدفه المتمثل في تأمين الشاطئ، لكن مع بداية اليوم الثاني (9 نوفمبر) بدأت القوات الأمريكية في شن هجمات أخرى ضد قلعة قصبة المهدية، واستطاعت الاستيلاء على الأرض الواقعة حول القلعة وتأمينها إلا أن القلعة نفسها كانت لا تزال تحت سيطرة الفرنسيين، بينما استطاعت القوات الأمريكية بمساعدة الدعم الجوي في اليوم الثالث من المعركة والذي وافق 10 نوفمبر عام 1942، في اجتياح قلعة قصبة المهدية والاستيلاء عليها مما أدى بها إلى السيطرة بشكل نهائي على جميع الأهداف التي تم تحديدها خاصة الميناء والمطار المحلي، الأمر الذي أسفر في نهاية الأمر إلى عقد هدنة في 11 نوفمبر عام 1942⁴.

اعتبرت سلطات فيشي عملية الإنزال صفةً قاسيةً لسيادة فرنسا، وقد حاول الحاكم العام نوجيس الذي لقبه الأمريكيون بالسيد No-Yes أي "نعم - لا" وذلك لكثرة تردده في اتخاذ القرارات بهدف الحفاظ على المغرب بأي ثمن، وفي رده المباشر أعلن المقاومة للدفاع على شرف فرنسا ضد "الغزاة الجدد" وطلب من الفرنسيين المغاربة مساندته وعدم التفاعل مع التمرد والتزام الهدوء وعدم الانخداع بدعاية الحلفاء، وبالرغم من محاولات نوجيس لمواجهة الإنزال الأمريكي في المغرب إلا أنه لم يستطع مقاومة قوات الحلفاء، فقام بتغيير أقامته من الرباط إلى مكناس بعد أن تمرد عليه قائد مدينة الدار البيضاء الذي حاول القيام بإلقاء القبض عليه وتسليمه للقوات الأمريكية، ولم يستمر الوضع طويلاً حتى اتصل بقائد فرق الإنزال جورج باتون للتفاوض حول وقف العمليات العسكرية⁵.

وقد انتهى الأمر بعزل الجنرال نوجيس من منصبه كمقيم عام بالمغرب ثم فر بعد ذلك إلى البرتغال، لتنتهي بذلك مقاومة فرنسا لعملية الإنزال الأمريكية في المغرب، وبعد ذلك انتشرت عدّة وحدات من الجيش الأمريكي في أجزاء مختلفة من المغرب، حيث وصل تعداد الجيش الأمريكي في 27 نوفمبر 1942 حوالي 65000 جندي تركزت أساساً في الدار البيضاء ومراكش وأغادير⁶.

1 Eisenhower. John S.D, **Allies: Pearl Harbor To D-day**, Da Capo Press, New York, 1982, p26.

2 Joseph Mittleman, **Eight Stars to Victory**, F.J. Heer Printing Company, United States, 1948, p83.

3 Morison Samuel Eliot, Operations in North African Waters, October 1942-June 1943, Op cit, p 105.

4 Roger Gromand, **L e Débarquement Allié au Maroc Novembre 1942**, Op cit, p 56.

5 Lévisse-Touzé Christine, **Le général Giraud et l'Afrique du Nord (1942 — juin 1943)**, In: Revue Historique des Armées, n°191, 1993, Deuxième Guerre mondiale, pp. 13-22.

6 Jacques Mordal, **LA Bataille Navale De Casablanca**, Op cit. P13.

شكّل نجاح عملية الإنزال استفزازًا بشكلٍ غير مباشر لممثلي نظام فيشي بالمغرب، ما ولّد ردّة فعل عنيفة كما أسلفت الذكر تمثلت في استعمال القوة لمنع أمريكا من دخول المغرب، لكن ما زاد من قلق الجنرال نوجيس هو مساندة الملك محمد بن يوسف لمساعي روزفلت، الذي رفض أن ينقل عاصمة ملكه إلى فاس عندما طلب منه نوجيس ذلك، ولم يوافق كذلك على مقاومة الجيوش الأمريكية الراسية في الشواطئ المغربية، مؤكّدًا للمقيم العام الفرنسي أنّ المغرب غير معرّض للخطر ونزول الجيوش الأمريكية ليس نزول احتلال ولا حربًا ضدّه، بل إنّ هذا الإنزال يتماشى مع الخط الذي ارتضاه لنفسه، وبذلك جاء ردّ السلطان محمد بن يوسف على رسالة روزفلت بقوله: «عندما أكّدت لنا قواتكم أنهم جاؤوا إلى المغرب كمحرّرين لا كمستعمرين...رحّب جميع المغاربة بهم، كما يرحب بالأصدقاء.أضف إلى هذا أنّ المغرب ليست لديه أي خلافات مع الشعب الأمريكي، خصوصًا وأنّ أمريكا لم يسبق لها أن اعترفت بنظام الحماية المفروض على المغرب».

أعرب الرئيس الأمريكي عن ارتياحه الكبير لموقف السلطان محمد بن يوسف الإيجابي، وأكّد على أهمية قيام تعاون وثيق بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وأنه متهنّج لانضمام المغرب إلى صفّ الحلفاء، وختم الرئيس الأمريكي خطابه بأنّ مجيء قوات بلاده إلى المغرب، هدفها تطهير الشمال الإفريقي من النازية وإنقاذه من سيطرة المحور الذي يريد التحكم فيه سياسيًا واقتصاديًا.¹ بعد انهزام فرنسا وتراجع قوة بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، رأت الولايات المتحدة الأمريكية أنّ المغرب يعيش حالة فراغ ولا يمكن التفریط فيه، الأمر الذي جعلها تعمل على تعزيز تواجدتها في المنطقة، لأنها كانت تعتبر نفسها الوريث التاريخي للاستعمار التقليدي، وجاء اتفاق "ويغاند-مورفي" في مارس 1941 والذي نصّ على حضور الولايات المتحدة الأمريكية في شمال إفريقيا من خلال قنصلها بالمغرب للقيام بمراقبة توزيع المساعدات والمواد القادمة من أمريكا للمغرب والتأكّد من عدم تصديرها نحو فرنسا فيشي ومنها إلى ألمانيا، كوسيلة لبداية التغلغل الأمريكي في المغرب الأقصى.

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية منذ ساعات الإنزال الأولى إلى كسب ود وتأييد الشعب المغربي وإقناعه بحسن نواياها، ولتحقيق ذلك قامت بتوزيع منشائر باللغة العربية مما جاء فيها «الحمد لله وحده الرحمان الرحيم، أنتم يا أبناء المغرب فليبارككم الله، ها قد أتى هذا اليوم العظيم لنا ولكم جميعًا، نحن الأمريكيون من نحب الحرية مقاتلي الحرب المقدسة، جننا إلى هنا لكي نخوض الجهاد الأكبر من أجل الحرية لقد جننا لنحرّركم وعبرنا المحيط لنصل إليكم فلترحبوا جميعًا بإخوانكم والترحب نساؤكم برجالنا بالزغاريد، نحن لا نشبه أولئك المسيحيين الذين عهدتموهم والذين يدوسون عليكم بأقدامهم، اعتبروا جنودنا إخوة لكم إنهم مجاهدون أبرارًا مستعدون لإتمام واجبهم، ساعدونا لأننا قدمنا لمساعدتكم».²

كان لنصر الأمريكيين السّريع واستعراضهم لقوّتهم وحدائهم معداتهم وأسلحتهم وقعٌ على الشعب المغربي، واعتقد المغاربة أنّ نزول الأمريكيين بمثابة رحمة ربانية واعتبروهم مصدر خير وسلام، خاصّةً مع تدفق المساعدات الأمريكية على المغرب في حين كان يعاني نقص التغذية وقلة المواد الغذائية الأساسية، وانتشار المنتجات الأمريكية في الأسواق الشعبيّة المغربية مثل الملابس والمشروبات الغازية وأنواع من التبغ الأمريكي.³

1 محمد النحيلي، الإنزال العسكري الأمريكي بالمغرب إبان الحرب العالمية الثانية: الظروف والخلفيات، الحوار المتمدّن، العدد: 5451، 2017، ص، 62-81.

2 Roger Gromand, L e Débarquement Allié au Maroc Novembre 1942, Op cit, p 56.

3 <https://www.youtube.com/watch?v=80M4h070tIE> .

كانت عملية إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا نوفمبر 1942 خطوة حاسمة في الانتصار النهائي على المحور، كما كانت ذات مغزى فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والداخلية للمغرب، فلقد شكّلت تحولاً مباشراً نحو الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما استمر إلى اليوم، لقد أحيى وصول الأمريكيين آمال القوميين المغاربة، وشجّع السلطان على تحديّ الفرنسيين، وحفز الاتصالات العسكرية والدبلوماسية بين الطبقة السياسية المغربية والأمريكيين كما شكّل الإنزال تحسناً ملحوظاً في الوضع الاقتصادي للمغرب ما خفف من معاناة الشعب المغربي¹.

بقيت القضية المغربية شأناً فرنسياً خلال الحرب العالمية الثانية إلى غاية 08 نوفمبر 1942 حين أصبح المغرب بعد نزول الأمريكيين بسواحل شمال إفريقيا جزءاً من مظاهر السياسة الأمريكية بجميع أبعادها الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية والسياسية، وبهدف احتلال موقع لخلافة فرنسا في المغرب اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة شملت المغرب سلطانياً وشعباً وحركة وطنية، سواءً خلال فترة الحرب التي أطلقت عليها بسياسة الدفاع على الأمن القومي أو بعد فترة الحرب التي كانت ضمن سياسة ملء الفراغ التي طبقتها خلال فترة الحرب الباردة.

5. معركة تونس (13 نوفمبر 1942 - 13 ماي 1943)

خاض الحلفاء بقيادة أيزنهاور حملة جوية وبرية مريرة في تونس ضدّ القوات الألمانية والإيطالية لمدة تقارب الستة أشهر بين (13 نوفمبر 1942 و 13 ماي 1943)، عانى خلالها المدنيون التونسيون المحاصرون بين الجانبين من خسائر فادحة في الأرواح، كما تعرّضت جميع المدن والبلدات الرئيسية على طول الحزام الشمالي والجنوبي الممتد من غرب بنزرت إلى قصبة لدمار هائل وأضرار اقتصادية بالغة، لقد سوّت الدبابات ونيران المدافع المنازل وخرّبت المزارع وتم زرع الآلاف من الألغام، إضافةً إلى اقتراف الطرفين جرائم حرب لا حصر لها ضدّ السكان المدنيين².

1.5. حشد قوات المحور في تونس:

بعد نجاح عملية إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا بدأ المحور في تعزيز قواته بوتيرة محمومة في تونس بهدف الحفاظ عليها واستعداداً لمعركة قادمة ضدّ الحلفاء، ففي وقت مبكر من 10 نوفمبر بدأت عملية إرسال تعزيزات إلى تونس حيث أرسل دارلان 28 مقاتلة، وبعد يومين وإلى غاية نهاية نوفمبر 1942 امتدّ جسر جوي لنقل 15000 رجل و 581 طنّاً من الإمدادات، ووصلت إلى موانئ تونس العاصمة وبنزرت 176 دبابة و 131 قطعة مدفعية و 1152 مركبة و 13000 طن من الإمدادات المختلفة³.

بجول 31 ديسمبر 1942 وصل 65944 جندي من قوات المحور إلى تونس من بينهم 47121 جندي ألماني و 329 دبابة و 3190 مركبة، وجهزت هذه القوات بأحدث المعدّات العسكرية مثل مسدسات (75 PzKpfw IVs ملم) طويلة الماسورة، ومدافع (88 Flak ملم) متعدّدة المهام، والمدافع الرشاشة الجديدة (MG 42)، وتم استبدال قائد القوات الجنرال والتر نهرنج - Walter Nehring بالجنرال جيرجين فون أرنييم - Jurgen von Arnim الذي كان يتولّى قيادة الفيلق 39 في روسيا، كما عين الجنرال هينر

1 Jamaà baida, **the american landing in november 1942 : a turning point in morocco s contemporary history**, the journal of north African studies, 2014, vol.19, n.4, p 519.

2 Mark W. Willis, **Not liberation but destruction: war damage in Tunisia in the Second World War (1942-1943)**, The journal of North African Studies, Vol. 20, N°.2, p188.

3 Michael Patrick William Stone, **Tunisia 1942-1943**, The U.S. Army Center of Military History (CMH) Pub VOL 72, N° 12, p 6. www.britannica.com/event/World-War-II/Tunisia-November-1942-May-1943

زيفلر - Henner Ziegler نائباً له، أما فيما يخص القوات الإيطالية فقد مثل الفيلق (X) I Corpo e la Divisione di (Fanteria Superig)، واللواء (Brigata Speciale del generale Imperia 150) التشكيل الرئيس لقوات إيطاليا في تونس، وبلغ عدد القوات الإيطالية إجمالاً بحلول 31 ديسمبر 1942 (823.18) جندي¹، وعلى العموم فلقد قوّدت قوات الحلفاء التي نقلت من أوروبا إلى تونس بين منتصف شهر نوفمبر 1942 إلى غاية جانفي 1943 بـ 112 ألف جندي و101 ألف طن من العتاد والتجهيزات المتنوعة².

أراد المحور من خلال هذا الحشد الكبير للقوات أن يثبت أقدامه في تونس ويدافع عنها بكل قوة، ثم يقوم بتحويل عملية الدفاع إلى عملية هجوم كاسحة، كما حاول المحور أن يتخذ من صقلية - طرابلس - تونس مثلثاً لعملياته في المتوسط وأن تكون قاعدة تفصل المتوسط شرقه عن غربه وتمكّنه من كسب معركة المتوسط، ودفع خطر الإنزال عن ساحل أوروبا الجنوبي وحمائته من غارات الحلفاء الجوية، ويبدو أنّ ألمانيا قد كسبت الشّوط الأول من هذه المعركة بوصول عدد كبير من القوات العسكرية و المعدات إلى تونس وبنزرت كما استولت قوات المحور على المطارات وخطوط المواصلات وأعدوا تحصيناتهم بشكل جيد قبل أن تجتاز قوات الحلفاء الحدود التونسية³. قوّدت قوات الحلفاء الاعتماد على القصف الجوي المكثف ضدّ قوات المحور لاحتلال تونس لكنّها عانت من مشاكل كبيرة خلال الشهرين الأولين (نوفمبر وديسمبر 1942) أهمها العدد المحدود من الطائرات والافتقار إلى وجود مطارات قريبة من الأجواء التونسية، إضافةً إلى الجو السيء في هذا الوقت من العام، لكن بداية من سنة 1943 تغيّر الوضع حيث بدأت قوات الحلفاء في التغلب على تلك الصّعوبات وفرض سيطرتها على الأجواء، مما سمح لها بقصف أهداف رئيسية كان يسيطر عليها المحور مثل موانئ حلق الوادي وبنزرت وسوسة وصفافس ومطار العوينة وسيدي أحمد، كما استطاعت القوات الجوية للحلفاء بعد سيطرتها على السماء في تونس بتقديم مساعدة كبيرة للقوات البرية⁴.

2.5. إعداد الحلفاء للحملة على تونس:

قبل انتهاء عملية الإنزال في الجزائر والمغرب بدأت المفاوضات بين المسؤولين الأمريكيين والفرنسيين بشأن قتال الألمان والإيطاليين في تونس، ففي صباح يوم 10 نوفمبر 1942 التقى الفريق كلارك نائب آيزنهاور والادميرال فرانسوا دارلان قائد قوات فيشي في شمال إفريقيا، وكان الحلفاء في عجلة من أمرهم للحصول على مساعدة فرنسية لقتال قوات المحور في تونس قبل أن تتمكن هذه الأخيرة من تعزيز صفوف قواتها، وفي نفس الوقت الذي دارت فيه المفاوضات بين الأمريكيين والفرنسيين قام الفريق البريطاني كينيث أندرسون بتحريك قوة المهام الشرّقية من الجزائر باتجاه الحدود التونسية⁵. يومي 11 و 12 نوفمبر قامت الغوّصات الألمانية بإطلاق عدة صواريخ كادت أن تصيب حاملة الطائرات الأمريكية (الحارس)، كما سجّلت ضربات ضدّ ثلاث سفن نقل غرقت جميعها قبالة سواحل الدّار البيضاء، في حين ذكرت مصادر استخباراتية أن العديد من سفن النقل والطائرات كانت في طريقها لتعزيز قوات المحور في تونس،

1 محمد بوزينة، الحرب العالمية الثانية في تونس (8 نوفمبر 1942 - 13 ماي 1943)، ط1، منشورات محمد بوزينة، تونس، 1997، ص18.

2 Churchill Winston Léonad Spencer, **Mémoires sur la deuxième guerre mondiale, L'heure tragique, L'Angleterre seule (mai-décembre 1940)**, Plon éditions, T4, v2, paris, 1949, p 225.

3 السيد فرج، في شمال إفريقيا الحملة الإنجليزية الأمريكية والقتال الكبير في برقة وطرابلس وتونس (أكتوبر 1942-مايو 1943)، المرجع السابق، ص 70، 71.

4 W. Willis, **Not liberation but destruction: war damage in Tunisia in the Second World War (1942-1943)**, p190.

5 Captain Harry C. Butcher, **My Three Years with Eisenhower**, Simon and Schuster, New York, 1946, pp. 250.253

أما فيما يخص المفاوضات فلم يجد كلارك تجاوبًا من طرف الفرنسيين الذين يبدو أنهم لم يكونوا في عجلةٍ من أمرهم عكس البريطانيين والأمريكيين.

استطاع كلارك أخيرًا أن يحقق هدف الحلفاء في إقناع دارلان بضرورة التعاون، كان ذلك في 13 نوفمبر 1942، وتم الاتفاق على أن تتعاون القوات الفرنسية في شمال إفريقيا مع القوات الأمريكية والبريطانية في محاربة قوات المحور في تونس وسرعان ما أرسل إيزنهاور موافقته على الاتفاق، وبذلك أضاف قادة الحلفاء وحدات قتالية فرنسية جديدة إلى قواتهم، لكن سرعان ما ظهرت مشكلة داخل القوات الفرنسية عرقلت جهود الحلفاء في الحرب، ففي 22 نوفمبر صرّح ديغول باسم حركة فرنسا الحرة أنّه وأنصاره يعارضون اتفاق كلارك-دارلان الذي يعتبرونه خائنًا، بل حتى الرأي العام في كلّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لم يرحّب بهذا الاتفاق نظرًا لسمعة دارلان السيئة، لكن تم في الأخير احتواء المشكلة بعد تدخل كلّ من الرئيس روزفلت ورئيس الوزراء تشرشل الذين أكّدا على الحاجة لاتفاق ولو مؤقتًا مع دارلان¹. يومي 11 و 12 نوفمبر قامت الغوّاصات الألمانية بإطلاق عدّة صواريخ كادت أن تصيب حاملة الطائرات الأمريكية (الحارس)، سجّلت ضربات ضدّ ثلاث سفن نقل غرقت جميعها قبالة سواحل الدّار البيضاء، في حين ذكرت مصادر استخباراتية أن العديد من سفن النقل والطائرات كانت في طريقها لتعزيز قوات المحور في تونس، أما فيما يخص المفاوضات فلم يجد كلارك تجاوبًا من طرف الفرنسيين الذين يبدو أنهم لم يكونوا في عجلةٍ من أمرهم عكس البريطانيين والأمريكيين².

3.5. عمليات الحلفاء العسكرية في تونس:

لتحرير تونس من نفوذ المحور كان على الحلفاء أن يعتمدوا على عمليات قتالية تختلف على تلك التي نفذتها في عملية الشعلة في كلّ من الجزائر والمغرب، أين اعتمدت قوات الحلفاء على تنفيذ عمليات برمائية متزامنة في نقاط منفصلة، لكن بالنسبة لتونس مثلت القوة الجوية للمحور والتمركزة في صقلية خاصّةً عاملاً جعل من الهجوم البحري على تونس أمرًا شبه مستحيل بالنسبة للحلفاء، الأمر الذي جعل التقدم برًا من الجزائر الطريق الوحيد الذي يوفر قاعدة آمنة للدعم، ومثلت مدينتي بنزرت وتونس العاصمة الهدف الرئيسي للحلفاء³.

مثلت مهمة القتال في تونس تحدّي كبير بالنسبة للجيش الأمريكي لأنها أول مهمة له داخل القارة الأفريقية، واعتمدت خطة الحلفاء على احتلال ماطر والجديدة بهدف السيطرة على خطوط السكّة الحديدية وفتح طريق نحو الاستيلاء على بنزرت، بينما تقوم قوات بحرية وجوية بقطع خط إمدادات المحور من صقلية، ولتحقيق ذلك انطلقت كتيبة المشاة الثامنة والسبعون يقودها الجنرال البريطاني أندرسون للهجوم شرقًا على ثلاثة محاور بينما تحرّكت وحدة اللّواء فيفيان إيفليغ السادس والثلاثين نحو بنزرت شمالًا، ووحدة أخرى نحو تونس، بينما تحرّكت فرقة المشاة الحادية عشر جنوبًا وتم تعزيز تلك القوات بوحدات أمريكية⁴. في السابع عشر من نوفمبر وقع أول معركة بين قوات الحلفاء والمحور في تونس حين اشتبكت وحدة بريطانية بقيادة إيفليغ - Eveleigh مع فرقة مدرعة من المحور، دامت المعركة حوالي ثلاث ساعات خسرت فيها قوات الحلفاء عددًا كبيرًا من الجنود والعتاد لكنهم استطاعوا في الأخير الدّفع بقوات المحور إلى التراجع

1 Howe George, Méditerranéen Theater of Operations, Op cit, p352.

2 Dwight David Eisenhower, Crusade in Europe: A Personal Account of World War II, Johns Hopkins University Press, 1997, p143.

3 M. P. W. Stone, Tunisia 1942-1943, Op cit, p 6.

4 George Smith Patton, war as i knew it, Houghton Mifflin, 1947, p183.

نحو بنزرت، ووقعت عدّة مواجهات على مدار الأسبوع التالي في عدّة مواقع، حيث حاول كل طرف احتلال مواقع استراتيجية استعدادًا لمعركة فاصلة¹.

انطلقت قوات الحلفاء ليلة 24 نوفمبر جنوبًا نحو مجاز الباب ورغم تعرّضها لمقاومة عنيفة من طرف قوات المحور وخسارتها عددًا كبيرًا من الجنود، إلّا أنّها نجحت في الاستيلاء عليها خلال اليوم التالي، ثم تحركت قوات الحلفاء نحو بلدة طبرية خلال الساعات الأولى من يوم 27 نوفمبر واستولت عليها ليتراجع الألمان إلى الجديدة².

اندفعت أكثر من مائة دبابة بريطانية وأمريكية من قوة الحلفاء شرقًا في 25 نوفمبر وفي اليوم التالي اندلعت أول معركة دبابات بين المحور والحلفاء في تونس عند معبر شوقي شمال طبرية واستطاعت قوات الحلفاء الانتصار في المعركة بعد تنسيق جيد بين قوات المشاة والقوات المضادة للدبابات، أمّا على المحور الشمالي فقد بدأ هجوم اللواء 36 للمشاة بشكل سيء حينما واجهت مقاومة عنيفة من قوات المحور غرب بنزرت خسرت على إثرها حوالي أربعين جندي وتم أسر حوالي ثمانين آخرين ما أجبرها إلى التراجع، وواجهت الكتيبة الخامسة للمدفعية الميدانية الأمريكية التي وصلت من وهران كمينًا فقدت على إثره عددًا معتبرًا من الجنود، ولم تفلح عمليات الدعم في تغيير الواقع الميداني الذي تحول لصالح المحور، حيث استعادوا العديد من المناطق على غرار الجديدة وطبرية التي كانت بأيدي الحلفاء وأجبروهم على التراجع وتكوين خط دفاعي شرقي مجاز الباب، كما ساهم سوء الأحوال الجوية في عرقلة قوات الحلفاء بشكل كبير، في الأخير كلّف الهجوم المضاد الذي قامت به قوات المحور في تونس خلال شهر ديسمبر الحلفاء خسائر فادحة فقد فقدوا أكثر من 1000 أسير حرب وخسروا 73 دبابة و 432 مركبة و 70 قطعة مدفعية³.

وجّه آيزنهاور وهو في حالة من الاحباط والغضب الشديدين توبيخًا لقادته العسكريين وعلى رأسهم الجنرال مارشال، واصفًا هزائم قوات الحلفاء في تونس بأنّها وصمة عار ستبقى على جبين النظام العسكري الأمريكي لعقود طويلة، لقد أيقن الحلفاء وعلى رأسهم آيزنهاور ضرورة إيقاف الزحف نحو تونس، وتقبل الوضع القائم كما هو رغم صعوبته على الميدان على أمل الاستعداد لجولة ثانية، بأنّ الانتصار لن يتحقق إلّا بإجراء تغييرات جذرية في خطط قتال المحور، لا تعتمد فقط على تعويض الخسائر في الجنود والمعدات⁴.

لم تشكّل الخسائر العسكرية التي تعرّضت لها قوات التحالف في الحملة على تونس نهاية سنة 1942 الصّعوبات الوحيدة، فلقد برزت مشاكل سياسية جديدة في صفوف الفرنسيين، خاصّةً بعد عملية اغتيال القائد دارلان في 24 ديسمبر 1942 واتهام لجنة فرنسا الحرة باغتياله لتتجدّد إشكالية ثقة الحلفاء بلجنة فرنسا الحرة وقائدها ديغول من جديد⁵. مع نهاية شهر ديسمبر 1942 وخلال شهر جانفي 1943 تنافس الحلفاء والمحور في تونس على تحصين المواقع في وسط وشرق تونس، لكن المحور كان الطرف الأكثر فعالية وانتصرت قواته في أغلب المعارك الدائرة في كلّ من مكناسي والفايد وسيدي بوزيد وسيبيلة وظهر رومل كبطل لا يمكن هزيمته أبدًا، لكن رغم كلّ تلك الانتصارات التي حقّقها رومل على قوات الحلفاء غرب تونس إلّا أنّه اختار التراجع إلى الشرق خوفًا من هجوم الجيش البريطاني الثامن من ليبيا⁶.

1 Mackaye Milton William, **Combat Commander: Autobiography of a Soldier**, Prentice Hall, 1970, p 201.

2 M. P. W. Stone, **Tunisia 1942-1943**, Op cit, p 8.

3 Dwight David Eisenhower, **Crusade in Europe: A Personal Account of World War II**, p146.

4 Ibid, pp146-147.

5 Mark W. Willis, **Not liberation but destruction: war damage in Tunisia in the Second World War (1942-1943)**, Op cit, p193.

6 M. P. W. Stone, **Tunisia 1942-1943**, Op cit, p 9.

خلال شهر فيفري ومع بداية تحسّن الأحوال الجوية في تونس زادت قوات الحلفاء تعزيزاتها الدفاعية حيث وصلت فرقان بريطانيتان جديدتان، وتم تجهيز الفرقة المدرعة السادسة البريطانية بدبابات شيرمان الأمريكية وتعزّز الفيلق الفرنسي بأحدث الأسلحة الأمريكية، وعمّ الأمريكيون صفوفهم بفرقة المشاة الأولى والتاسعة والرابعة والثلاثين التي قدمت من الجزائر، وساهمت فرق الدعم من المهندسين في تطوير منشأة الإمداد والنقل بتوسيع الموانئ وتحسين خطوط السكة الحديدية والطرق، أمّا بالنسبة للدعم الجوي فقد تحسّن كثيراً بدخول القوات الجوية المتوسطة العمل بقيادة المارشال البريطاني السير آرثر تيدر - Arthur Tedder والتي تتشكّل من القوات الجوية الأمريكية التاسعة والثانية عشر وأربع قيادات رئيسية للقوات الجوية الملكية البريطانية، ما جعلها تقلب تفوق المحور على الجو لصالحها. بعد فشل الحلفاء في تحقيق التصرّ على قوات المحور في تونس أواخر 1942 وبداية 1943 دعا الجنرال آيزنهاور إلى وقف العمليات الهجومية، والاكتفاء بتعزيز القوات في انتظار طقس أفضل ومع بداية 22 فيفري 1943 بدأت موازين القوى تتغير عندما أوقفت القوات البريطانية والأمريكية حركة قوات المحور المندفعة نحو تبسة، وأدرك روميل أنّ قواته لا يمكنها الصمود طويلاً نظراً لضربات القوات المتحالفة الشديدة ونقص الإمدادات لقواته، وتهديد قوات مونتغمري من الجنوب الشرقي كلّ تلك العوامل أدّت إلى إعطاء رومل أوامر لقواته بالانسحاب الفوري في 22 فيفري، وبحلول اليوم التالي كانت كل قوات البانزر الألمانية والقوات الإيطالية قد غادرت ممر القصرين¹. الانتصارات التي حققها قواته في سيدي بوزيد والقصرين قام آيزنهاور بتغيير في هيكل قيادته، بتعيين الجنرال البريطاني "هارولد آر إل جي ألكسندر - Harold R.L.G Alexander"²، والذي نجح في القضاء على التحصينات التي أقامها المحور وراء "خط مارث - Marth Line"³ وكانت بداية المعركة يوم 16/3/1943 عندما قام الجيش الثامن البريطاني بهجوم على خط مارث وذلك على محورين، الأول على المنطقة الساحلية بين بلدة مارث والبحر، أمّا الثاني فيتمثل في عملية التطويق عبر الظهر التونسي، اشتدت ضراوة المعركة يومي 20-21 مارس 1943، عندما حاول الجيش الثامن البريطاني عبور وادي زقراو المحصن لكنه واجه مقاومة كبيرة من طرف قوات المحور بقيادة الجنرال ميسي.

جرت عدّة محاولات من طرف قوات المحور في المنطقة بغية إفشال خطة الهجوم البريطانية وذلك بعد أن تنبّه رومل لتحركات قوات الحلفاء، ولكن القوات البريطانية نجحت في عملية التطويق التي قامت بها عبر ممر الحامة طباقاً، وتمكن الجيش الثامن البريطاني من تجاوز خط مارث مما أجبر قوات المحور على إخلاء مواقعها الدفاعية، والتراجع باتجاه الشمال وبذلك انتهت المعركة يوم 28 مارس 1943 حيث بدأ الجيش الألماني في الانهيار وتم حصر جيوش المحور (الألمان والإيطاليين) بمنطقة الوطن القبلي التونسي حيث نفذت ذخائرها ومؤنّها، وتوجّه بعضٌ منها نحو الساحل بالقرب من بنزرت، وعندما استحال على المنهزمين الإبحار إلى إيطاليا استسلمت قوات

1 Diamond Jon, **First Blood In North Africa (Operation Torch and the U.S campaign in Africa in WWII)**, Stack pole Books, United States, 2017, p.26-27.

2 هارولد ألكسندر - Harold R.L.G Alexander (1891-1969): قائد بريطاني عمل خلال معركة فرنسا قائدا لأحدى الفرق البريطانية ثم انتقل إلى بورما، عين سنة 1942 قائدا للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، ثم مساعدًا لمونتغمري قائد الجيش الثامن البريطاني في صد هجوم القائد الألماني رومل، تولى سنة 1943 قيادة الجيش الثامن عشر التي تشمل كل قوات الحلفاء في تونس حتى نهاية الحملة بانتصار الحلفاء في شمال إفريقيا، عين حاكماً عاماً لدولة كندا باعتبارها إحدى دول الكومنولث من 1946 إلى 1952.

3 خط مارث - Marth Line: يوجد خط مارث الدفاعي بالجنوب التونسي بمنطقة مارث التابعة لولاية قابس، يرجع بناء هذا الخط الدفاعي إلى الفترة 1936-1940 من قبل الجيوش الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية، وذلك لصد أي هجوم محتمل على الأراضي التونسية من طرف القوات الإيطالية إنطلاقاً من الأراضي الليبية، يمتد هذا الخط الذي سمي بخط ماجينو الصحراوي على طول 45 كلم يربط بين البحر ومرتفعات جبال مطماطة ويعتمد أساساً على وادي زقراو، ويحتوي على 40 حصناً للمشاة و 8 حصون كبيرة للمدفعات و 15 مركزاً للقيادة و 28 نقطة مساندة بنيت كلّها بالإسمنت المسلح، وعززت مواقع المدفعية المضادة للدبابات والطائرات المجهزة والتي أنشأت في عمق خلف مانع قوي من الألغام المضادة للدبابات والأفراد مسيجة بالأسلاك الشائكة.

المحور في تونس في 12 ماي والتي تشكّل ما مجموعه 28000 جندي إيطالي و 10000 جندي ألماني مع الجنرال فون أرنييم بعد ثلاث سنوات من القتال لتنتهي بذلك الحرب في منطقة شمال إفريقيا. بانتصار ساحق للحلفاء على قوات المحور¹.

عملية الشعلة عملية حملت من اسمها ما يكفي ليشعّ نيران نصر كبير فقد كانت أول عملية هجومية تشنها أمريكا في ساحة الحرب الأفريقية، حيث شملت من التعقيدات ما يكفي لتأليف كتب حولها وحول التداعيات الكبيرة التي تلتها لأنها كانت السبب الرئيسي لإنشاء وجهة نظر جذرية جديدة لأصول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا².

لم تولد عملية الشعلة من استراتيجية مدروسة بل كانت مغامرة كبرى، بعد شدة هجوم هتلر على جبهة الاتحاد السوفياتي فكان لابدّ من ردعه، لذلك قرّر الرئيس روزفلت الوقوف إلى جانب حليفه البريطاني متبنيًا فكرة تشرشل، رغم ضغط جنرالاته الذين كانوا يطالبون بضرورة غزو فرنسا وتحريرها من الألمان وخوفه من غرامتهم عليه، لكن خطة تشرشل والتي تتمثل في الإحاطة بأوروبا أولاً ثم الهجوم صوب العاصمة برلين مباشرةً، من خلال غزو شمال إفريقيا التي كانت تحت سيطرة فيشي حليف الألمان الفرنسي، وقد كانت هذه الخطوة ورقة لعب مقلوبة، إذ لم يكن بالإمكان توقّع نتيجتها في صالح التحالف الأنجلو أمريكي أو الألمانو فيشي، رغم أنّ عملية الشعلة كانت ذات أهمية كبيرة خلال عملية الحرب العالمية الثانية إلا أنّ المؤرخين دفنوها وزوروا قصتها ذلك أن الحلفاء لم يريدوا إظهار فرنسا كدولة عدوة لهم بعد أن كانت دولة حليفة لذلك غالبًا ما يتم تجاهل هذه المعركة وتجاوزها، كلفت عملية الشعلة قوات التحالف ثمنًا باهضًا حيث زاد عدد القتلى عن 70 ألف قتيل منهم 2715 جندي أمريكي³.

كانت عملية الغزو البرمائي الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا (الشعلة) عملاً جريئًا وطموحًا من قبل الحلفاء خاصّة الأمريكيين، مهّد لعمليات بحرية مشتركة كبرى تم تنفيذها لاحقًا خلال الحرب العالمية الثانية، لقد حققت البحرية الأمريكية إنجازًا رائدًا خلال العملية حين نجحت في نقل عدد كبير من القوات والعتاد لمسافة آلاف الأميال عبر المحيط الأطلسي، ما جعلها تبرز كقوة عسكرية وسياسية على الساحة الدولية وكمركز لصنع القرار العالمي، كما ساهم نجاح عملية الشعلة في تسهيل عمليات الإنزال البحرية على السّاحل الأوروبي طوال الفترة المتبقية من الحرب⁴.

1 Giovanni Messe, **La Mia Armata in Tunisia (Come finì la guerra in Africa)**, Revue d'histoire de la Deuxième Guerre mondiale, 13 Année, No. 50, La Hollande pendant la guerre (Avril 1963), pp. 98-102.

2 Howe George, **Méditerranéen Theater of Operations**, Op cit, p355.

3 Diamond Jon, **First Blood In North Africa (Operation Torch and the U.S campaign in Africa in WWII)**, p28.

4 Alexandra Lohse. Jon Middaugh, **Operation Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, Naval Institute Press Washington, 2015, p2.

الفصل الرابع:

أثر الحرب العالمية الثانية على

الحركة الوطنية في شمال

إفريقيا

(1943-1954)

1. أثر الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في الجزائر

1.1. بيان فيفري 1943:

1.1.1. ظروف صياغة البيان:

بعد نزول الحلفاء في الجزائر في 08 نوفمبر 1942 وبمبادرة من فرحات عباس وجه المنتخبون رسالة إلى الحلفاء طالبوا فيها بتطبيق قانون جديد على الجزائر مستوحى من ميثاق الأطلسي الذي نصّ على حق الشعوب في تقرير مصيرها، إذ عبّر يوسف بن خدة عن الأجواء السياسية التي كانت سائدة في الجزائر بقوله: «إنّ هناك فراغاً سياسياً عشية نزول الحلفاء في الجزائر، فالسلطات الرسمية خاضعة لمراقبة أتباع الماريشال بيتان، وكان أتباع الجنرال ديغول يحاولون تنظيم أنفسهم».

حسب يوسف بن خدة فإنّ الأمين دباغين كان قد أبلغه أنّ البوادر الأولى للبيان الجزائري الذي كتبه فرحات عباس في 10 فيفري 1943 كانت فكرته وظهرت بوادرها بمدينة سطيف، حيث كان يقيم أغلب السياسيين الجزائريين من أمثال عباس فرحات والهادي مصطفى والدكتور بن جلول، وأحمد مايزة وأحمد فرنسيس والأمين دباغين¹، لكن كان على السياسيين الجزائريين أولاً توحيد وجهات النظر والمواقف بينهم خاصة فيما يتعلق بمواقفهم المتباينة من طرقي الصّراع (الحلفاء والمخوّر)².

أمام تعنت الاحتلال وعدم ترجيب قوات الحلفاء بمطالب عباس الإدماجية³، أجرى فرحات عباس اتصالات أخرى مع الحاكم الجديد مارسيل باروتون-Marcel Peyrouton⁴ الذي كان مقتنعا بإضفاء الطابع الليبرالي على النظام الاستعماري، وطلب من فرحات عباس إعداد برنامج مشروع إصلاحات⁵، ومباشرة دعا عباس إلى عقد اجتماع بمكتب المحامي بومنجل بالعاصمة حضره الدكتور محمد الصالح بن جلول وأحمد بومنجل وعبد النور تامزالي وأحمد غرسي وعبد القادر قاضي ومحمد الأمين دباغين وحسين عسلة والعربي التبسي ومحمد خير الدين وتوفيق المدني شيوخ جمعية العلماء، والدكتور سعدان ومحمد الهادي حماد رئيس جمعية الطلبة المسلمين، إضافة إلى مستشارين عامين ومندوبين ماليين⁶، ويذكر أحمد توفيق المدني أنه تم إخبار ممثل الولايات المتحدة مورفي-Murphy بالاجتماع تفادياً لما قد تُقدم عليه السلطات الفرنسية، وتم خلال الاجتماع وبعد مشاورات بين الأطراف التوصل إلى اتفاق يقضي بضرورة إصدار

1 Ben youssef Ben khedda, **Les origine du 1er novembre 1954**, édition Dahleb, Alger 1989, p.14.

2 كان بن جلول يؤيد حكومة فيشي و الألمان بينما أبدى عباس فرحات ميولا للحلفاء حيث كان متأكدا من نصرهم على المحور، في حين كان أغلب السياسيين الجزائريين يفكرون حسب المثل القائل "عدو عدوي هو صديقي".

3 كان فرحات عباس قد قدم مذكرة مطالب للحلفاء بتاريخ 22 ديسمبر 1942 وقعتها ممثلو الولايات الثلاث (قسنطينة-وهران-الجزائر)، طالب فيها بدستور جديد مقابل التضحية التي طلبها الحلفاء، لكنها رفضت بحجة أن الأمر يخص الفرنسيين وحدهم وبأن دور الحلفاء هو التحرير من النازية كما قدم عباس رسالة للقائد جيو ممثل المقاومة الفرنسية في الجزائر لكن رده كان سلبيا بقوله: "أنا لست سياسيا بل رجل حرب". أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، ص 205-206.

كما يذكر محفوظ قداش أنه في شهر جانفي 1943 بعث فرحات عباس برسالة للفرنسيين يذكرهم فيها بضرورة إغناء النظام الكولونيالي وإنهاء الحضر القاتل المسلط على الجزائريين .

4 مارسيل بيروتون-Marcel Peyrouton: (02 جويلية 1887-6 نوفمبر 1983) رجل سياسة فرنسي عمل مقيما عاما بالمغرب بين أفريل وجويلية 1933 ثم شغل نفس المنصب بتونس حتى مارس 1936 ثم سمي حاكما عاما بالجزائر في 20 جانفي 1943 واستمر بمنصبه إلى غاية جوان من نفس السنة. أنظر:

<https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D9%>

5 Merad Ali, **Les Réformisme Musulman en Algérie de 1925-1940**, Paris, 1967, p.188.

6 Ferhat Abbas, **La nuit Coloniale**, Edition ANEP, Alger 2005, p p 133-134.

ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري¹، وتم تكليف عباس بتحريره، فعاد إلى مدينته سطيف أين قام في منزله بتحرير بيان الشعب الجزائري² والذي جاء تحت عنوان "الجزائر أمام الصراع الدولي بيان الشعب الجزائري"³.

2.1.1. محتوى البيان:

بالنسبة لمحتوى البيان الذي جاء في 30 صفحة تضمنت خمسة أقسام تحتوي في معظمها وصفًا لحالة الشعب الجزائري المتردية منذ وقوع الاحتلال عام 1830⁴، فقد كتب عباس فرحات قائلاً: «... لقد خصّ البيان بصفة موضوعية ونزيهة حصيلة 112 سنة من الاحتلال الفرنسي للبلاد واستقرأ التاريخ الاستعماري وعبر بصدق عن المطامح الوطنية لشعبنا، ووضّح بلا حقد ولا عنف المشكل الجزائري في إطاره الحقيقي»⁵، واحتوى القسم الأول على الوضع في الجزائر منذ نزول الحلفاء، وتناول القسم الثاني أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب، أما القسم الثالث فقد استعرض العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ 1830، وجاء في القسم الرابع فشل جميع الإصلاحات السابقة وأهمية نزول الحلفاء أما القسم الخامس والأخير فقد تضمن مطالب الجزائريين الأساسية⁶ والتي تشمل:

- أدانة الاحتلال وتصفيته بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق واستغلال شعب لشعب آخر، عن هذا الاستعمار ماهو إلا شكّل جماعي للعبودية الفردية في القديم والاستعباد في العصور الوسطى، ومن جهة أخرى فهو أساس رئيس للمنافسة بين القوى العظمى.
- تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة.
- منح الجزائر دستور خاص بها يضمن لها:
- أ- الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني.
- ب- إنهاء الملكيات الإقطاعية بتطبيق نظام إصلاح زراعي، وحق العيش برخاء للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية.
- ت- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية.
- ث- حرية الصحافة وقانون الجمعيات.
- ج- التعليم المجاني والإجباري لكل الأطفال ذكورا وإناثا.
- ح- حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق مبدأ فصل كل الديانات عن الدولة.
- خ- المشاركة الفورية والفعالية للمسلمين الجزائريين في حكومة بلدهم، مثلما فعلت الحكومة البريطانية مع مستعمراتها، وحكومة المارشال بيتان والألمان في تونس.
- د- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمساجين السياسيين المحكوم عليهم مهما كان انتماءهم السياسي⁷.

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص208.

2 يذكر "عمار نارون" أن أحمد فرنسيس قد شارك فرحات عباس في كتابة البيان، كما تم تقديم نسخة من البيان لمقر منتخبي ولاية الجزائر الذي يظهر على أنه لم يزد عليه أية إضافات، أنظر:

Amar Naroun, Ferhat Abbas ou Les Chemins de La Souveraineté, éd, Denoël, Paris, 1961. p163.

3 Ferhat Abbas, La nuit Coloniale, Op. cit, p134.

4 عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927-1962)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص 78.

5 عباس محمد الصغير، نفسه، ص88.

6 أنظر نص البيان في:

- Le Manifeste du Peuple Algérien (10 Février 1943), Documents inédits du Mouvement National: Texts Fondamentaux (1943-1945), n°12, novembre 1983, I.R. boîte N°13, A.W.C, pp 4-19.

7 شيوب محمد، قراءة في بيان 10 فيفري 1943 وتناججه على الأوضاع السياسية في الجزائر، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 7، العدد 1، الجزائر 2021، ص 978.

بعد الانتهاء من إعداد البيان تمت المصادقة عليه بالإجماع من طرف جميع نواب الشعب الجزائري "الحقيقيين" كما وصفهم عباس، ولعل ذلك لتمييزهم عن أولئك الذين لم يندمجوا في هذا الجهد الجماعي، وقد أمضى على البيان ممثلين عن حزب الشعب الجزائري وعن المنتخبين وأعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 10 فيفري 1943 وفي ذلك يقول أحمد توفيق المدني: «وأثناء الاجتماع الذي عُقد بمكتب عبد النور تامزالي... وبعد أن قرأ علينا بيان الشعب الجزائري، صادقنا عليه وأمضيناه»، ومن بين الشخصيات التي صادقت على البيان نذكر: السايح عبد القادر، الدكتور عبد النور تامزالي والمحامي بومنجل عن ولاية الجزائر وبابسة عبد الله وطالب عبد السلام وشتتوف عدة وبن شيخة يوسف عن القطاع الوهراني، أما عن ولاية قسنطينة فنجد الدكتور بن جلول، ومحمد الشريف سيسبان وفرحات عباس والدكتور سعدان¹، وقد لاحظ آجيرون في دراسته أنّ هناك عدة نسخ من البيان في أرشيف الحكومة العامة وتحتوي هذه النسخ اختلافين أساسيين هما:

- **الاختلاف في النص:** فالنسخة الموجهة للحلفاء ورد فيها تعبير الأمم المتحدة بينما النسخة الموجهة للسلطات الفرنسية ورد فيها تعبير الأمم المتحالفة، كما ورد في النسخة الأولى أنّ المشكل الجزائري ليس دينيًا وجنسيًا بالدرجة الأولى بل هو مشكل صراع طبقات، أمّا في النسخة الثانية فقد ورد أنّ المشكل الجزائري جنسي وديني بالدرجة الأولى.
- **الاختلاف في عدد الموقعين:** حيث لاحظ اختلافًا في عدد التوقيعات، فهناك نسخة تحمل 6 توقيعات وأخرى تحمل 9 توقيعات ونسخة ثالثة تحمل 37 توقيعًا².

اختلفت دراسات أخرى حول عدد الموقعين نذكر من بينها: دراسة كلود كولو- Claude Collot الذي يشير إلى 13 توقيع، ودراسة (جاك سيمون- Jacques Simon) الذي يشير إلى 56 توقيعًا، بينما أشار أبو القاسم سعد الله إلى 22 توقيع³، ويمكن أن نفسر هذا التباين من خلال العبارة التي وردت في نهاية القائمة التي أوردها فرحات عباس لاحقًا، في نشرة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي ورد في نهاية الصفحة التي تضمنت قائمة الموقعين على البيان مايلي: «أدرجنا فقط قائمة الأعضاء الذين أمضوا البيان قبل تسليمه في 31 مارس 1943 إلى والي عام الجزائر، وإلى الأمم المتحدة الممثلة بالجزائر في هذا التاريخ»⁴، هذا ما يبرز لنا بأنّ عملية جمع التوقيعات استمرت حتى بعد تسليم البيان للسلطات الفرنسية بهدف توسيع قاعدة تمثيلية.

تسلّم بيروتون أول نسخة رسمية من البيان بتاريخ 31 مارس 1943 قدّمه له وفد يتشكّل من المنتخبين المسلمين يقودهم فرحات عباس، كما سلمت نسخة أخرى منه إلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا، وأرسلت نسخة منه إلى الجنرال ديغول بلندن، وأخرى للحكومة المصرية بالقاهرة، ويذكر فرحات عباس أنّ بيروتون قد فوجئ بعدد الموقعين من المنتخبين والمندوبين المحسوبين على إدارة الاحتلال وعلّق على ذلك قائلاً: «كانت الجزائر في لحظة مكاشفة وحقيقة لكن المحتل كان آخر من يعلم»⁵، تظاهر بيروتون بقبوله من حيث المبدأ ووعد بأنه سيأخذ البيان بعين الاعتبار ورشّح إمكانية اعتماده كأساس دستور للجزائر، وأمر

1 عن الموقعين على البيان ينظر إلى:

Ferhat Abbas, *La nuit Coloniale*, p170.

2 أنظر: Agéron, in: R.H.M,N°4 juillet 1975, pp132-133.

3 بوعد الله عبد الحفيظ، *فرحات عباس بين الإدماج والوطنية (1919-1962)*، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005. 2006، ص 112.

4 Ferhat Abbas, *du Manifeste a La République Algérienne, brochure de l'UDMA*. Éd Libération, Algér, 1948, pp 42-43.

5 Ferhat Abbas, *La nuit Coloniale*, Op, cit, p.171

بإنشاء لجنة لدراسته سميت "لجنة دراسة القضايا الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين" بتاريخ 03 أبريل 1943¹، وقد اجتمعت هذه اللجنة من 14 إلى 17 أبريل 1943، وأوكل إليها تحديد المطالب الآتية والمستعجلة، والمطالب التي يمكن تأجيلها إلى ما بعد الحرب، لكنّ تناقض مواقف أعضائها أدّى إلى عدم التوصل لاتفاق حول كيفية تطبيق تلك الإصلاحات وتأجلت اجتماعاتها، ومن الواضح أنّه لم تكن هناك أية نية من بيروتون في القيام بإصلاحات فعلية لصالح الجزائريين، بل هي مجرد مناورة حاول من خلالها ربح الوقت وهو ما تحقق له بالفعل، خاصّةً وأنّ فرنسا لم تكن في وضع يسمح لها باستعراض قوتها في تلك المرحلة أو إبداء رفض صريح للبيان. عاد بيروتون في 22 ماي 1943 ودعا إلى إستئناف عمل المندوبيات المالية بعد أن انقطع نشاطها مدة 3 سنوات، وطلب إليها بيروتون وضع اقتراحات واقعية قابلة للتطبيق للإصلاحات الواردة في البيان لتحل محل اللجنة التي تم تأسيسها في 03 أبريل².

3.1.1. تحليل محتوى البيان:

ذكرت مصادر تاريخية حينها أنّ اختيار عبّاس لمصطلح **البيان** على الطريقة الماركسية كان مقصوداً، لأنه أكثر قوةً وهجومًا من مصطلح **الميثاق** وهي إشارة منه إلى تحول في أفكاره ومواقفه السياسية نحو الراديكالية، وهذا ما عبّر عنه بو منجل بقوله: «إنّ البيان كان عبارة عن نضال سياسي سيحدث القطيعة مع الاندماج الذي تبنته النخب في السابق»³.

رد فرحات عبّاس عن بعض الأطراف وخاصّةً منهم الشيوعيين⁴ التي اتهمته بأنه استمد كتابة هذا البيان من ممثل الولايات المتحدة الأمريكية "مورفي" ومدير شؤون المسلمين بالحكومة العامة السيد "بيرك" بقوله: «يقولون بأنّ السيد بيرك مدير شؤون المسلمين والسيد روبر مورفي ممثل الولايات المتحدة، قد ساعداني في كتابة البيان، فلا شيء من ذلك صحيح، هاتان الشخصيتان لم تعلما بقضية البيان إلا بعد تقديمه رسميًا للسلطات وهذا البيان جاء كاستمرار للتقرير الذي قدمته للماريشال بيتان في 10 أبريل 1941»⁵، وهو الأمر الذي اتفق عليه كلّ من شارل روبر أجيريون وأبو القاسم سعد الله في أنّ عبّاس فرحات هو من قام بإعداد البيان⁶. تعدّدت الآراء والتحليل حول محتوى البيان ومقاصده وإذا تأملنا في الافتتاحية فسنجدها تبرّر تحمّل الجزائريين لمسؤولياتهم وذلك بهدف الدفاع عن حقوقهم الأساسية، في ظل التشرذم الحاصل بين مختلف توجّهات الحركة الوطنية، خاصّةً وأنّ كل فريق في الجزائر أصبح منشغلاً ومهتمّاً بخدمة مصالحه الخاصّة، كما أرجع البيان إخفاق سياسة المطالبة بالاندماج يعود إلى تعنت المعمرين ورفضهم لجميع مشاريع الإصلاح مفضلين تطبيق نظام عنصري يقوم على التهميش والإخضاع، وعليه صرّح البيان علانيةً رفضه لسياسة الإدماج والمطالبة بالجنسية الجزائرية والمواطنة⁷، وبذلك وضع البيان حدًا لأسطورة المهمة الحضارية للاستعمار الفرنسي في الجزائر، فلا علاقة للاستعمار

1 تشكلت هذه اللجنة من مندوبين متعاونين مع سلطات الاحتلال منهم ثمانية باش أغوات من جماعة بني وي وي، وكان الهدف إجهاض الإصلاحات التي جاءت في البيان، وهو الأمر الذي جعل فرحات عبّاس يحتج عليه مبرراً بقوله بأن هذه اللجنة لا تضم أعضاء من حزب الشعب.

2 عز الدين معزة، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)**، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2009 - 2010، ص 113.

3 Benjamin Stora, Zakya Daoud, **Ferhat Abbas L'autre Algérie**, op, cit, p118.

4 إضافة إلى الشيوعيين ورد تشكيك آخر من طرف يوسف بن خدة في **Les origine du 1er novembre 1954** فقد ذكر شهادة لمن دباغين يؤكد فيها على أنه من قام بكتابة البيان ثم سلمه لفرحات عباس.

5 Ferhat Abbas, **La nuit Coloniale**, Op, cit, p.174.

Agéron, in, R.H.M, N°4, juillet 1975, op-cit, p 133.

6 أنظر:

أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945**، ج 3، المرجع السابق، ص 204.

7 جاء في البيان ما يلي: " لقد فات الأوان الذي كان فيه المسلم الجزائري يطلب فيه أن يكون فيه شيئا آخر غير جزائري مسلم، وبعد إلغاء مرسوم كريميو خاصة فإن الجنسية والمواطنة الجزائريين قد أصبحتا ملاذه الأفضل باعتبارهما تتضمنان الحل الأكثر وضوحا ومنطقية لمسألة تطوره وتحوره".

بالروح الإنسانية والعدالة والحضارة بل هو ظاهرة إمبريالية وشكل من إشكال العبودية لأنه يركّز على وجود مجتمعين أحدهما يخضع الآخر لسلطته وسيطرته¹.

اعترف البيان بثورة أتاتورك وقال عنه أنها أثرت على النخبة الجزائرية فجعلتها تتطلع لبناء جزائر جديدة قائمة على الأساليب والمناهج الغربية، ويوضح البيان أنّ الشعب الجزائري مستعد لتقديم أكبر التضحيات إلى جانب الحلفاء، وأنه سيقدم كل ما يستطيع في سبيل تحقيق تحرره السياسي، وأنّ الحل الوحيد يكمن في الاعتراف بوجود كيان جزائري يضمن له الأمن والاحترام، أما عن الجانب الاقتصادي فقد أوضح البيان عجز الاحتلال عن تحقيق توازن اقتصادي واجتماعي بين المستوطنين وأغلبية السكان الأصليين، وأكد البيان أنه لا يمكن أن يكون توزيع عادل للثروة على الجزائريين دون وجود حكومة نابعة من الشعب الجزائري نفسه، ووصف البيان الجزائريين المسلمين على أنهم محرومين ومستعبدين لدرجة إحساسهم بأنهم أجنب وهم في وطنهم، لأنّ الخدمات العامة كالإدارة والجيش والتجارة والبنوك والصحافة كلها في أيدي الأقلية الأوروبية².

يبدو أنّ قبول حزب الشعب الجزائري للبيان جاء إثر دعوته لتأسيس حكومة جزائرية ورفضه الاستعمار ومطالبته بإدائته وإلغائه، أما عن أسباب قبول العلماء للبيان فيعود إلى تراجع جماعة النخبة عن مطالب التجنيس وقطيعتهم مع المستعمر³.

4.1.1. ملحق البيان:

من خلال موقف الحلفاء السّلبي من البيان واعتبارهم أنّ القضية الجزائرية شأنٌ داخلي فرنسي، وانطلاقاً من رد الحاكم العام بيروتون كما تم ذكره سابقاً، وبعد خروج مصالي الحاج من سجن لامبيز في 26 أبريل 1943، وتحويله إلى الإقامة الجبرية بقصر البخاري⁴، رأى فرحات عباس أنه من الأحسن زيادة توسيع مشاوراته لإثراء نصّ البيان وليستجيب لطموحات أكبر شريحة من الجزائريين، على هذا الأساس نظّم عباس لقاءً مع مصالي الحاج في 16 أبريل 1943 حضره إضافةً إلى مصالي وعبّاس كلٌّ من ملين دباغين والبشير الإبراهيمي وموريس لابور⁵، وعقدت لقاءات أخرى اقترح فيها مصالي الحاج إضافات جديدة نذكر منها: «في نهاية الحرب تقام في الجزائر دولة مستقلة، لها دستورٌ خاص بها تعدّه جمعية جزائرية تأسيسية منتخبة من طرف جميع السكان»، كما اقترح مصالي تغيير مصطلح "الجنسية" إلى "أمة ذات سيادة" وأيضاً تغيير مصطلح "دستور" إلى "جمعية تأسيسية"⁶، وبذلك نقلت هذه الإضافات بيان فيفري إلى صيغة أكثر ثورية حيث طرح المسألة الأساسية وهي الاعتراف بالدولة الجزائرية والمواطنة الجزائرية وبالفعل تم الموافقة على تلك المقترحات والمصادقة عليها من طرف فرحات عباس و21 مندوباً مالياً في 26 ماي 1943، وتم تسليم نسخة منه في 30 ماي إلى الحكومة العامة ونسخة أخرى إلى الجنرال ديغول وتضمّن ملحق البيان قسمين⁷:

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 209.

2 أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص 271.

3 عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، المرجع السابق، ص 113.

4 في طريقه إلى الإقامة الجبرية بقصر البخاري نزل مصالي الحاج ضيفاً على فرحات عباس ببيتة بسطيف وقضى ليلة عنده، ويقول فرحات عباس عن ذلك اللقاء: "تحدثنا وكونا علاقة جيدة، بالرغم من الهجمات التي استهدفني من قبل أتباعه، الذين نسبوا إلى أكاذيب عديدة، كنت أحترمه دائماً لأن هدفه كان نبيلاً". أنظر:

Benjamin Stora, Zakya Daoud, Ferhat Abbas L'autre Algérie, op, cit, p p 122-123.

5 Ibid, p p, 122- 123.

6, Ibid, p p, 122- 123.

7 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 202.

القسم الأول: احتوى على إصلاحات يمكن تأخيرها إلى فترة مابعد الحرب العالمية وتضمنت أن يكون للجزائر بع نهاية الحرب دستور خاص بها يتولى وضعه مجلس تأسيسى منتخب.

القسم الثاني: تطرّق إلى قائمة إصلاحات عاجلة وجب تنفيذها منها:

- المشاركة الفورية والفعالة لممثلي المسلمين في الحكومة وإدارة الجزائر، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية تتكون من وزراء بعدد متساو بين الفرنسيين والجزائريين المسلمين، بينما يمثل رئاسة الحكومة الحاكم العام الذي سيحمل لقب سفير أو محافظ السامي الفرنسي في الجزائر، ويكون التمثيل النيابي في المجالس متساوياً بين الجزائريين المسلمين والفرنسيين، كما يجب السماح للجزائريين تقلد جميع المناصب الإدارية على أساس المساواة مع الفرنسيين، وضرورة إلغاء جميع القوانين الاستثنائية وتطبيق القانون العام على الجزائر¹.
 - المساواة أمام ضريبة الدم: يكون ذلك بإلغاء نظام التجنيد والخدمة العسكرية المعمول به تحت اسم "أهلي"، وتوحيد نظام التجنيد والمكافآت في الخدمة العسكرية ورفع العلم الجزائري في الفرق العسكرية الجزائرية التي تحارب إلى جانب الحلفاء².
 - الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية: إقامة وزارة عمل تشرف على تطبيق القوانين الاجتماعية لصالح العمال، وكذا إنشاء مصلحة للفلاحة الجزائرية وتدعيم الفلاحين³.
- كما طالب أيضاً بإلغاء مايسمى بـ"التعليم الأهلي" ورفع القيود على تعليم اللغة العربية مع حرية الدين الإسلامي، ومطالب تتعلق بتوفير السكن وحرية الصحافة باللغتين.

يرى أبو القاسم سعد الله أنّ الملحق فيه تراجع عما جاء في البيان لاسيما القسم الثاني منه، مع ذلك فقد تضمن كلاهما أرضية جديدة للحركة الوطنية، فالحديث عن الدولة الجزائرية ذات السيادة والأمة الجزائرية واللغة العربية وفصل الدين عن الدولة والحكم على تجاوز الزمن للمطالب السابقة، والحديث عن توزيع الأراضي التي يحتكرها المستوطنون، كل ذلك يعدّ إشارات جديدة في تطوّر النخبة، حيث عبر عبّاس ليس عن مواقف جماعة النخبة فقط بل تكلم أيضاً باسم حزب الشعب والعلماء⁴.

بعد يومين من استلام الحاكم العام بيروتون ملحق البيان، قدم استقالته من منصبه يوم 1 جوان 1943⁵ ليعوضه في منصبه الجنرال كاترو-Catroux الخبير بشؤون الجزائر والمولود بمدينة سعيّدة وله إطلاع واسع على أحوال العرب والمسلمين، وتقلد مناصب في سوريا والمغرب، ليبدأ حكم لجنة فرنسا الحرة بالجزائر بقيادة الجنرال ديغول والجنرال كاترو، هذا الأخير الذي لم يعترف بما جاء في البيان أو ملحقه حيث كان من أنصار بقاء الجزائر فرنسية، وصرّح بأنه غير مستعد لمناقشة المسائل السياسية، وأعلن تهديده لأيّ شخص يمسّ سيادة فرنسا في الجزائر بالسجن.

وصف كاترو البيان وملحقه "بالعاصفة" ووعد بالقضاء عليها كما عارض المستوطنون في الجزائر بكلّ قوة مجاء في البيان خوفاً على مصالحهم، وأمام إصرار فرحات عبّاس بضرورة الاعتراف والقبول بما جاء في البيان ورفضه حضور جلسة الوفود المالية في

1 شوب محمد، قراءة في بيان 10 فيفري 1943 ونتائجه على الأوضاع السياسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 988.

2 Ferhat Abbas, *La nuit Coloniale*, Op, cit, p p.140-141.

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 202.

4 المصدر نفسه، ص 212-213.

5 ترجع بعض المصادر أن سبب عزل الحاكم العام بيروتون هو عدم الرجوع إلى حكومته في هذا الشأن أنظر: A.N.O.M.GGA/Boit 9H/45.

23 سبتمبر 1943 ورفضه للإصلاحات الهزيلة التي أقرتها الحكومة العامة¹، أعلن الحاكم العام حل المندوبيات المالية وتم اعتقال فرحات عباس ورئيس المندوبيات المالية العربية عبد القادر السايح بتهمة العصيان المدني وأحداث الشعب في وقت الحرب وتم نفيهما إلى بني عباس في الجنوب الوهراني² وعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: «أرغمنا العدو على إزاحة النقاب عن وجهه، واكتشفنا ما يدور بخلفه، لقد أحرزنا انتصاراً عظيماً».

كان هدف كاترو تخويف مناضلي الحركة الوطنية ويبدو أنه نجح ولو نسبياً عندما قدم 12 من الموقعين على البيان اعتذارهم مؤكداً ولاءهم التام لفرنسا، وهو ما اعتبره فرحات عباس خيانة عظيمة³، وعلى إثر هذا القمع المسلط على فرحات عباس تظاهر العديد من الجزائريين في الجزائر وسطيف وقسنطينة يوم 30 سبتمبر 1943⁴ رافعين لافتات كتب عليها: "من أجل ميثاق الأطلسي، وجزائر حرة" منادين بإطلاق سراح فرحات عباس وعبد القادر السايح⁵ ليقوم كاترو تحت هذا الضغط الجماهيري ووساطة "بيار بلوخ- Pierre Bloch لدى الحاكم العام بإلغاء قرار حل قسم التواب وإطلاق سراح فرحات عباس وعبد القادر السايح في 2 ديسمبر 1943، ليعود فرحات عباس إلى سطيف ويبدأ مرحلة جديدة من النضال السياسي.

5.1.1. أهمية البيان:

يعدّ البيان ثمرة للمجهودات التي قام بها فرحات عباس الذي بدأ حريصاً على فكرة العمل الجماعي، ومخاطبة الطرف الآخر -أي السلطات الفرنسية - بصوت واحد، كما يعتبر بحق عملاً ثورياً لتنديده بالاستعمار وإلغائه ورفضه لسياسة الإدماج والمطالبة بالجنسية الجزائرية والمواطنة، إضافةً إلى أنه يكتسي أهمية تاريخية كبيرة في تطوّر الحركة الوطنية، وهو الذي عبر عن روح الإجماع من خلال التوفيق بين مختلف الإيديولوجيات الوطنية وهو الذي حمل شعار "تحرير واتحاد".

إلى جانب أعضاء النخبة الجزائرية أمثال بن جلول وفرحات وسيسبان والتي كانت تتبنى التوجه الإدماجي، نجد هناك أعضاء التيار الإصلاحية من جمعية العلماء المسلمين أمثال توفيق المدني والعمودي، وإلى جانبهم أصحاب التيار الاستقلالي من المنتسبين لحزب الشعب الجزائري مثل مفدي زكرياء وحسين عسلة والدكتور الأمين دباغين رغم غياب رئيس الحزب بسبب اعتقاله⁶.

يمكن القول أنّ البيان قد قضى على فترة جمود وفراغ سياسي في الجزائر دامت منذ بداية الحرب وتحديد نشاط العمل السياسي، وبالتالي مثل بيان فيفري 1943 ثاني أكبر تجمع لتيارات الحركة الوطنية حول لائحة مطالب مشتركة بعد المؤتمر الإسلامي 1936، غير أنه اختلف معه في ضمّ أعضاء من التيار الاستقلالي، في المقابل لم يحظَ البيان بتأييد الحزب الشيوعي الجزائري الذي بقي

1 أصدرت الإدارة الفرنسية في 06 أوت 1943 ستة مراسيم تتضمن بعض الإصلاحات منها إشراك الجزائريين في مختلف الوظائف، توسيع نطاق التعليم بمختلف مراحله ومستوياته، تأسيس منصب نائب رئيس بلدية للمسلمين الجزائريين، تخفيض أسعار السلع.

2 بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، باب الوادي الجزائر، 2006، ص 98.

3 كتب فرحات عباس رسالة بعد خروجه من المعتقل في 9 ديسمبر 1943 وجهها إلى الدكتور تامزالي جاء فيها: "خلال إعتقالي قدمتم إلى السيد الحاكم العام باسم المندوبين الماليين للأهالي تصريحاً يغير مسار سياستنا الجزائرية عن هذا التصريح ممل ومفروض عليكم من إدارة الشؤون الإسلامية.....واني سأبقى وفياً لبيان فيفري 1943 ولليمين الذي أقسمته مثلكم...".

4 أشارت تقارير أمنية فرنسية في الغرب الجزائري إلى أسماء بعض المنظمين لهذه المظاهرات مثل: حلفاوي محمد ولد بلقاسم وإسطمبولي مصطفى ولد بن عمر، أعضاء بحزب الشعب من مدينة معسكر. أنظر: A.W.O,B 4477,R/Gend.,Sect... Masc., Oct..1943.

5 في هذا الصدد يقول عباس فرحات: "قام الشعب في الجزائر العاصمة وقسنطينة وسطيف وفي جميع القطر يتظاهر ضد الإجراءات التعسفية حتى اضطّر الجنرال كاترو، تحت ضغط الجماهير إلغاء قرار حل قسم التواب وإطلاق سراحنا". أنظر:

Benjamin Stora, Zakya Daoud: op, cit, p p,12 6.

6 عيسى بن قبي، تطور النضال السياسي لدى فرحات عباس من خلال بيان 10 فيفري 1943، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2013، ص 261.

وفياً لسياسة الإدماج، فعارضوه ورفضوه لأنّ الوطنية التي دعا إليها البيان في نظرهم تعبيرٌ عن تيار مصالح البرجوازية العربية - البربرية أما العلماء وحزب الشعب فقد قبلوه بدون تحفظ¹، كما حمل إرسال نسخة من البيان إلى القاهرة رمزية مهمة نظراً للأهمية التي تحتلها مصر بصفتها أكبر دولة عربية مستقلة، وإعلامها بالبيان هو تعبيرٌ عن تمسك أصحابه بالبعد العربي للجزائر وفيه تأكيدٌ على التوجّه الجديد القائم على التخلّص من فكرة الجزائر فرنسية².

يمكننا القول بأنّ البيان شكّل نقطة اجتماع التفت حولها تيارات الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف توجهاتها في ظروفٍ حرجيةٍ ومصيريةٍ يمر بها الشعب الجزائري، فجاء البيان شاملاً لمطالب موحدة على شكل مذهبٍ سياسي واضح المعالم، حيث استطاع أن يجمع بين مختلف التيارات السياسية، وهذا ما اعتبرته فرنسا منعطفاً خطيراً في تطوّر الحركة الوطنية في الجزائر³.

لاحتواء الوضع قامت السلطات الفرنسية بإصدار ستة مراسيم بتاريخ 6 أوت 1943 تقضي بإعطاء بعض الجزائريين الحق في تقلد الوظائف العامة، وإنشاء منصب للمسلمين كنائب لرئيس البلديات الكاملة السلطات، وتوسيع التعليم الأهلي الابتدائي العام والخاص، بالإضافة إلى تخفيض بعض أسعار السلع⁴، أما الجنرال ديغول فقد أعلن خلال زيارته لقسنطينة في أفريل 1943 عن تأسيس لجنة لدراسة الشؤون الأهلية⁵، وتم إصدار أمرية 7 مارس 1944 وهي باختصار نسخة عن مشروع بلوم فيوليت⁶ وأهم ما جاء في الأمرية منح الجنسية الفرنسية لبعض الجزائريين، وفتح الوظائف المدنية والعسكرية أمام الجزائريين المسلمين، وتوسيع التمثيل النيابي للجزائريين⁷، لذلك تعدّ أمرية 7 مارس 1944 محاولةً للرد على ما جاء في البيان وملحقه، وتعدّ الرد الرسمي والنهائي من اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني على مطالب الحركة الوطنية، وإذا قمنا بقراءة لما تضمنته الأمرية سنجد أنها وضعت شروطاً تعجيزية⁸ أمام تجنيس الجزائريين، لأنها اختارت الفئة المخول لها بالحصول على الجنسية الفرنسية بدقة متناهية وهذا ما يؤكّد أنّ هدف الفرنسيين لم يكن منح المواطنة للجزائريين بقدر ما كان البحث عن الفئة التي تتوفر فيهم شروط الاستحقاق من جماعة النخبة⁹، وهو ما يكرس خلق الطبقة داخل المجتمع الجزائري بين فئة النخبة وبقية الجزائريين المسلمين، وكذلك محاولة لاستقطاب فئة النخبة وإبعادها عن كل نشاط داخل الحركة

1 Mahfoud Kadache, Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1951, T2, op cit, p 645.

2 عيسى بن في، تطور النضال السياسي لدى فرحات عباس من خلال بيان 10 فيفري 1943، مرجع سابق، ص 262.

3 عبد الكامل جوية، الحركة الوطنية الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة (1946-1954)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2012، ص 59.

4 André Nouchi, La naissance du nationalisme Algérien dans l'Armée Française (1919-1945), éd Minuit, Paris 1962. Pp 136-137.

5 حل ديغول بالجزائر يوم 30 ماي 1943 حيث إستقبله الجنرال جيرو، ومجرد وصوله صرح بأنه قدم إلى الجزائر من أجل إعادة بناء الوحدة الفرنسية بالتعاون مع جيرو، وبالفعل تم تأسيس "اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني".

6 مشروع بلوم فيوليت Blum-Viollette proposal 1936: هو مشروع قانون سمي بهذا الاسم نسبة إلى ليون بلوم؛ وموريس فيوليت الذي كان حاكماً عاماً على الجزائر خلال العشرينات، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ وقيادي في الحزب الاشتراكي الفرنسي ونظراً لخبرته بالشؤون الجزائرية. قدم سنة 1936 مشروعاً عرف بمشروع فيوليت، يتكون من ثمانية فصول وخمسين مادة تتضمن إصلاحات دستورية بإعطاء حقوق متساوية بين الفرنسيين والجزائريين، وإصلاح التعليم، وإصلاحات زراعية، وإلغاء الأحكام الخاصة بالجزائريين، وإنشاء وزارة الشؤون الإفريقية، وزيادة عدد الجزائريين في المجالس المحلية، بالإضافة إلى إصلاحات أخرى. ومنح الجنسية الفرنسية لبعض المثقفين الجزائريين. أنظر: خميسة مدور، مشروع بلوم - فيوليت إصلاحات ضائعة بين قناتل بين حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوي الجزائري (1936-1938)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2016، العدد 7 2016، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، ص 112-152.

7 Agéron Charles Robert, Histoire de l'Algérie Contemporaine..., op.cit, p150.

8 حيث حصرت في العائلات البرجوازية في المدن الكبرى، وفئة المثقفين الحاصلين على الشهادات، وقدماء المحاربين .

9 نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، لبنان، 2007، ص 485.

الوطنية والتخلي عن فكرة الاستقلال والتحرّر¹، إضافة إلى أنّ تجسيد هذه الإصلاحات على أرض الواقع لن يكون فوراً إذ سيتم إصدار مرسوم يحدّد تدابير تنفيذها وهو ماجاء في المادة السابعة من الأمرية، إذ أنّ تجسيد هذه الإصلاحات يمتد على مدى عشرين سنة أي إلى غاية 1964².

بخصوص ردود الفعل حول أمرية 07 مارس 1944 فقد رفضها معظم الجزائريين على غرار فرحات عباس³ وجمعية العلماء المسلمين⁴ وحزب الشعب الذي عبّر زعيمه مصالي الحاج عن رفضه لما جاء في أمرية 07 مارس وجدّد موقف حزبه الثابت الرفض للمواطنة الفرنسية، واعتبر الأمرية مجرد نسخة محسنة من مشروع بلوم فيوليت وطالب السلطات الاستعمارية الكف عن احتقار الجزائريين، ومعاملتهم بطريقة تكفل لهم العيش كباقي الشعوب ومنحهم حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية من أجل حريتهم⁵.

رُفضت تلك الإصلاحات من طرف المستوطنين باعتبار أنها ستدفع الجزائريين -حسب نظرهم- إلى طلب المزيد من الحقوق، ما سيشكل خطراً على وجودهم، كما سيقصّص من نفوذهم السياسي ويهدّد مصالحهم، فتخوفوا منه وحاولوا توقيفه عن طريق اللجان التي كلفت بالنظر في تلك الإصلاحات، أمّا عن الفئة القليلة التي رحّبت بتلك الإصلاحات فتمثلت في الفئة الموالية لفرنسا والمستفيدة من الوجود الاستعماري على غرار الأعيان وشيوخ الزوايا وعلى رأسهم ابن قانة وابن تكوك زعيم الطريقة السنوسية والشيخ ساحلي أمقران، كما أعجب بها بن جلّول واعتبرها حلماً تحقق أما الحزب الشيوعي فاعتبرها خطوة إلى الأمام⁶.

بالنسبة لموقف الحلفاء فقد أظهر البيان نواياهم الحقيقية التي لا تتعدّى هزيمة قوات المحور والقضاء على النازية في شمال إفريقيا، واعتبروا القضية الجزائرية شأنّ فرنسي داخلي وبأنّ أيّ تصرف يسيء للفرنسيين من قبل الجزائريين فكأنما أساء للحلفاء وسيحمل الجزائريون عواقبه، هذا مايعزّز العديد من الدراسات التي أكّدت أنّ هدف الحلفاء الحقيقي لنزولهم في شمال إفريقيا هو هدف استعماري بحث⁷.

جاءت ردود فعل مختلفة للصحافة الدولية حول الإصلاحات، فقد لخصها أجرون في ردّ الصحافة المصرية التي دعت إلى عقد لجنة عليا من أجل الدفاع عن الجزائر ضدّ فرنسا الشعب الجزائري العربي المسلم، كما اهتم البرلمان المصري والوزير الأول النحاس باشا بالقضية، وتبعها الصحافة العراقية والسورية بنفس النبرة وطالبت إذاعة BBC البريطانية خلال بث حصّة "المستمع العربي" بتدخل دول الحلفاء لمنع فرنسا من محاولة بتر الجزائر عن الأمة العربية، وروجت وكالة Reuter لذلك في جميع أنحاء العالم⁸.

1 Mahsas, Ahmed, **Le mouvement Révolutionnaire en Algérie de la 1^{ère} guerre mondiale à 1945**, el maarifa, algérie 2007, p171.

2 Catroux, **Dans LA Bataille DE Méditerranée Egypt-Levant Afrique Du Nord 1940-1944 - Temoignages Et Commentaires**, Ed René Julliard, Paris 194, pp, 436-437.

3 وصف أحد الصحفيين الفرنسيين موقف فرحات عباس الرفض للأمرية 07 مارس 1944 قائلا: "فرحات عباس هو الصيدلي الوحيد الذي لا يحب الأموريات".

4 جاء رفض الأمرية على لسان الشيخ إبراهيمي بقوله: "وحاربت آخر محاربت لائحة 07 مارس بشدة.....، وإنّنا لوسيلة شيطانية للإندماج جيء بها بعد خيبة الوسائل التي تقدمتها".

5 Mahfoud Kadache, **Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1951**, Op, cit. p 668.

6 عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر 2013، ص 642.

7 محمد زروقي، تأثير الانزلال الانجلو أمريكي بالجزائر 6-9 نوفمبر 1942 على نشاط الحركة الوطنية إلى غاية 1945، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، تلمسان، العدد 6، جوان 2017، ص 98.

8 Charles Robert Agéron, **Les Troubles du nord-constantinois en mai 1945 in Vingtième siècle**, Revue d'histoire, N°4, octobre 1984, p 28.

6.1.1. رد فعل حركة أحباب البيان والحرية:

كانت خيبة أمل النواب وعلى رأسهم فرحات عباس وأنصار حزب الشعب الجزائري الذي كان ينشط سرًا وأنصار جمعية العلماء كبيرة، أما الإصرار الفرنسي على تجاهل واقع الشعب الجزائري وحقه في الحرية، الأمر الذي دفعهم إلى تشكيل جبهة موحدة لمواجهة تداعيات هذا القرار، فأنشأوا حركة "أحباب البيان والحرية-A.M.L" في 14 مارس 1944 مهمتها الفورية هي الدفاع عن البيان، ورفض الحزب الشيوعي الانضمام إلى هذه الحركة بحجة تشكيله لتنظيم خاص به أطلق عليه اسم "أصدقاء الديمقراطية والحرية-A.D.L" المؤيد لسياسة الإدماج.

تحرك عباس في اتجاه تشكيل حركة سياسية جديدة من مسقط رأسه بمدينة سطيف، مطالبًا زعماء الحركة الوطنية بمد يد العون والمساندة من أجل تجسيد المطالب الشعبية التي جاءت في البيان، فاشتراط عليه قادة حزب الشعب تغيير التسمية من "أحباب البيان الجزائري" إلى "أحباب البيان والحرية" كشرط للانضمام¹.

أصدر فرحات عباس جريدة المساواة-Egalité في 15 سبتمبر 1944 كوسيلة لنشر أفكار الحزب الجديد²، وقدر عدد المنخرطين بالحركة إلى 500 ألف منخرط حسب فرحات عباس، وهو رقم كبير إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ عدد المنتخبين الجزائريين المسلمين كان يقارب 1.7 مليون منتخب فقط حسب شارل أندري جوليان، وكان مقرها العام يقع بساحة الكاردينال لافيغري بالعاصمة، ولها عدة فروع بلغ عددها 257 فرع مع حلول شهر أبريل 1945، توزعت بين عمالة قسنطينة 115 فرع وعمالة العاصمة 86 فرع وعمالة وهران 56 فرع³، وقد تحدّدت أهداف الحركة حسب ملخصها عباس فرحات في النقاط التالية:

- الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة؛
- نشر الأفكار الجديدة لحركة أحباب البيان والحرية؛
- استنكار الاستبداد والتنديد بالعنصرية⁴.

تعدّدت وسائل نشاطها وعملها فهي إسعاف كل ضحايا القمع والاضطهاد والقوانين الزجرية الاستثنائية الجائرة، وإقناع الجماهير بشرعية الحركة وخلق تيار موازي للبيان، الترويج لفكرة إنشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة فدراليا مع فرنسا الجديدة المناوئة للاستعمار، وخلق روح التضامن بين كل الجزائريين وبث روح الشعور والمساواة ورغبة التعاون بينهم⁵. عرفت الحركة نشاطًا مكثفًا قاده فرحات عباس الذي انتقد خلال الاجتماعات الرسمية أمرية 7 مارس 1944، وطالب في اجتماع المجلس العام للحركة بقسنطينة المنعقد من 22 إلى 27 ماي 1944 بإطلاق سراح مصالي الحاج ومناضلي الحزب، كما أعلن أن

1 زايدي عز الدين، إنتشار خلايا أحباب البيان والحرية في الغرب الجزائري، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة الجليلي ليايس، سيدي بلعباس، 2009، ص 126-127.

2 جريدة لمساواة-Egalité: كانت تصدر باللغة الفرنسية في بدايتها 4 صفحات من الحجم الكبير، ثم زادت إلى 8 صفحات، كان شعارها: "مساواة الإنسان الشعوب و الأجناس"، بلغ سحبها 30 ألف نسخة نهاية 1944، ويذكر آجيرون رقما مغايرا وهو 130 ألف نسخة بينما يذكر سعد الله من 300 ألف إلى 500 ألف نسخة.

3 مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المرجع السابق، ص 188.

4 للإطلاع على القانون الأساسي وأهداف الحركة أنظر: عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، المصدر السابق، ص 287.

أنظر أيضا: Agéron, *Histoire de L'Algérie Contemporaine*, T2, op cit, p 568.

5 محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994، ص 201.

أمريّة 7 مارس 1944 جاءت ضدّ رغبات الجزائريين وتطلّعاتهم، ونُدّد بالإجراءات التعسّفية ضدّ الشّيخ البشير الإبراهيمي¹، واستغلّ عبّاس مشاركتة في المخيم الكشفي الفدرالي الأول بتلمسان بين 23 و30 جويلية 1944 للاتصال بأعضاء الحركة الكشفية لشرح مطالب حركة أحباب البيان².

عقدت الحركة مؤتمرها الأول خلال 02-03-04 مارس 1945 وسط ظروف دولية تشير إلى انتصار الحلفاء في الحرب وانتشار الأفكار التحرّرية لدى الشّعوب المستعمرة، وهو ما تأثر به عبّاس وأعضاء الحركة الوطنية داخل تجمع أحباب البيان والحرية أملين في تطبيق الحلفاء ميثاق الأطلسي وتم التأكيد في بيان المؤتمر على مبدأين أساسيين هما:

- الاعتراف بالجنسية الجزائرية؛

- إقامة جمعية تشريعية تأسيسية جزائرية ديمقراطية وجمهورية.

وتم التأكيد خلال المؤتمر على أنّ السّياسة الوحيدة التي يمكن من خلالها وضع حل عادل في الجزائر هي السّياسة التي لا تعارض ولا تتصادم مع الإرادة الشّعبية، والتي لا تضع حلولاً لهذا الشّعب دون استشارته³.

لقد استطاعت حركة أحباب البيان والحرية بفضل برنامجها الواضح ونشاطها المكثف بتكوين فروع في جميع أرجاء الوطن، ونشاطها الدعائي المتنوع أن تحقق نجاحاً باهراً خلال ضرفٍ صعبٍ ووجيزٍ لم يسبق للحركة السّياسية في الجزائر تحقيقه.

2.1. مجازر ماي 1945:

اختلفت القراءات حول ما حدث في شهر ماي 1945 بالشمال القسنطيني، كما اختلفت المفاهيم ووجهات النظر بين الطرفين الفرنسي والجزائري، حيث يطلق الطرف الأول والمتمثل في الإدارة الفرنسية والسّياسيين والمؤرخين الفرنسيين عليها اضطرابات حسبما جاء في تقرير توبرير - Raport Tubert الذي وصفها باضطرابات الشمال القسنطيني، بينما رأى الكاتب الفرنسي فالي - E. Valet في

كتابه "مأساة جزائرية حقيقة أعمال الشغب ماي 1945 - **Un drame algérien, la vérité sur les émeutes de mai 1945**" على أنّها مؤامرة مدبرة تهدف إلى القضاء كلياً على كل ما هو فرنسي في الجزائر⁴، كما تحدث أندري جوليان على "حركة تمردية - **Mouvement Insurrectionnel**"، بينما وصفها الكاتب روجي لو تورنو - Roger Le Tourneau في كتابه: "التطوّر السّياسي في شمال إفريقيا - Développement politique en Afrique du Nord" بأنها تعبيرٌ عن سخطٍ وحشي ضدّ الفرنسيين⁵.

بالنسبة للجزائريين فهناك من يقتصر على تسميتها بـ "مظاهرات 8 ماي 1945" لإعطائها طابعاً سلمياً، بينما يسميها البعض بانتفاضة ماي 1945، ويعتبرها البعض الآخر بمثابة "حركة ثورية"، أو "حركة ثورية غير مضبوطة"، وهناك من يفضل تسميتها بـ "المذابح أو المجازر" وذلك بهدف تجريم النظام الاستعماري، هذا الاختلاف والتباين لا يرتبط فقط بمسألة تحديد مفاهيم المصطلحات

1 للإطلاع على قرارات المؤتمر بالتفصيل أنظر: عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، **الكفاح القومي**، ... المصدر السابق، ص 290-291.

2 مصطفى أوعامري، **المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)**، المرجع السابق، ص 182-183.

3 عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، المصدر السابق، ص 301.

4 Eugène Vallet, **Un drame algérien, la vérité sur les émeutes de mai 1945**, Les Grandes Éditions Françaises, Paris, 1948, p 12.

5 زبير رشيد، **انتفاضة ماي 1945 هل كانت من تدبير حزب الشعب الجزائري؟ أم مؤامرة كولونيالية؟**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، جانفي 2015، ص 100.

وإنما يدل أيضاً على تعقد تلك الأحداث وعدم اتّضاح حقيقتها الجلية، وذلك رغم تعدّد الدّراسات المخصّصة لها والتي وإن اختلفت حول التسمية فإنّها تجمع على اعتبار أن ما حدث في 8 ماي 1945 ما هو إلّا إنذار لما وقع بعدها في 1 نوفمبر 1954¹.

1.2.1. ظروف اندلاع أحداث 8 ماي 1945:

لكي نفهم ونحلّل ما حدث في شهر ماي 1945 وجب علينا الرجوع إلى تطوّرات الحرب العالمية الثانية التي بعثت الحماس وعمّقت الوعي الوطني خاصّةً بعد انهزام فرنسا واحتلال الألمان للعاصمة باريس في 14 جوان 1940، إضافةً إلى الدعاية التي أطلقها المحور وخاصّةً الدعاية الألمانية، وإعلان ميثاق الأطلسي من طرف الرئيس الأمريكي روزفلت وحليفه تشرشل في أوت 1941 الذي نص على حق الشّعوب في تقرير مصيرها، وكذا إعلان سان فرانسيسكو في جوان 1945 لإنشاء هيئة الأمم المتحدة الذي لقي صدى إيجابي لدى الشّعوب المستعمرة، أمّا إقليمياً فقد شجّع قيام الجامعة العربية في مارس 1945 الجزائريين على المضي قدماً للمطالبة بالاستقلال.

يرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله عدم فاعلية العوامل الخارجية بقوله: «ويبدو من كلّ ماسبق أنّ الدوافع الخارجية وراء الحادثة 8 ماي 1945 كانت غير موجودة لفرنسا، وإن وجدت كانت غير فعالة وغير مباشرة»².

تميزت الظروف التي سبقت 8 ماي 1945 في الجزائر بحراكٍ واسعٍ حيث استطاعت حركة أحباب البيان والحرية من تحقيق وحدة وطنية جمعت مختلف اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية، حيث انضم إليها عناصر من النواب والنخبة وكذلك الطلبة والكشافة، وجمعية العلماء وحزب الشّعب، وبذلك أصبحت تشكّل جبهة سياسية أكثر منها حزباً سياسياً، ودعت إلى إقامة دولة جزائرية وتكوين حكومة جزائرية، بمعنى تحرير الجزائر من قبضة الاستعمار، ثم جاء مرسوم ديغول في 07 مارس 1944 الداعي للإدماج والتجنيس والذي لقي معارضة شديدة من المعمرين الأوروبيين، كما أبدى المعمرون تخوّفهم من نشاط أعضاء أحباب البيان والحرية، وخطورته على الوجود الفرنسي في الجزائر وأوعزوا إلى صحافتهم أنّ هذه التحركات السّياسية هدفها "رمي الفرنسيين في البحر"، وأنّ جبهة أحباب البيان والحرية هي وجه ظاهري فقط لحركة ثورية مسلحة، جاء ذلك بعد أن أصدر المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية لائحة في 02 أفريل 1945، دعا فيها للتمسك بالمطالب الواردة في بيان الشّعب الجزائري، والعمل على دفع الحكومة الفرنسية للاستجابة لطموحاته في تحقيق الأهداف المسطرة في الوثائق المرفوعة.

لاحق في الأفق مظاهر الوعي السّياسي والغليان الثوري خلال شهر أفريل من نفس السنة، حين قامت الجماهير الشّعبية في قصر الشلالة بمنع السّلطات الفرنسية من اعتقال 04 مناضلين في صفوف حزب الشّعب الجزائري³، ما دفع بالمعمرين ونوابهم إلى عقد اجتماع بتاريخ 24 أفريل 1945 حرّروا فيه رسالة إلى عامل ولاية قسنطينة وصفوا من خلالها الحالة الخطيرة -حسب رأيهم- في الجزائر منذ 1939، وأبدوا فيها تخوّفات كبيرة على النفوذ الفرنسي وطلبوا منه إعلام السّلطات العليا لاتخاذ إجراءات صارمة لحفظ الأمن والسّلم في الجزائر وما جاء فيها: «إنّ الجزائريين الأهالي قد أصبحوا معاندين ومهاجمين، وأنهم أصبحوا يشيعون ويتبجحون أنهم

1 عبد السلام عكاش، تفسير الصحافة الشيوعية وصحافة الحركة الوطنية لدور المجاعة ضمن أسباب انتفاضة 08 ماي 1945، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 21، جامعة باجي مختار، عنابة، ديسمبر 2015، ص 90.

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1992، ص 249.

3 محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، المرجع السابق، ص 27.

سيبقون وحدهم في بلاد أجدادهم، وأنهم صاروا يعلنون صراحةً كلمة الاستقلال التي جاء بها البيان الجزائري، وقد أصبحت الشوارع في كل مدينة وقرية تعجّ بالمظاهرين رغم منع السلطات ذلك، وأصبح المتظاهرون ينادون علانية بأنّ الجزائر أرض عربية»¹. هكذا وما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الأوضاع مشحونة بالتوتر بين الجزائريين المسلمين والفرنسيين، ولم يمر يوم إلا وسجّلت فيه مديرية الأمن العام لمقاطعة قسنطينة مناوشات بين الأوروبيين والمسلمين، نذكر منها مناوشات بالحجارة بين أطفال الأهالي وأطفال الأوروبيين بعد خروجهم من المدارس، وتهديد الأهالي حياة كل مسلم يعمل لدى المعمرين، كما تم إلغاء مباراة في كرة القدم بعناية خوفاً من أعمال شغبٍ بسبب أنّ الفريق الأول مشكّل من المسلمين والفريق المنافس من الأوروبيين². شهدت منطقة قالمة وضواحيها نشاطاً سياسياً مكثفاً قادته فدرالية التواب التي ترأسها الطبيب لخصاري، إضافة إلى خلايا حزب الشعب المنحل التي كانت تتبع إدارياً المكتب الجهوي لعنابة، ولها مكتبٌ بقالمة يتشكّل من محمد الطاهر براهيم رئيساً وعبد القادر بوتصفيرة أميناً عاماً وإسماعيل عبدة كاتباً عاماً ويزيد بن عيسى نائباً للكاتب العام مكلفاً بالتنظيم، ومبروك ورتسي مكلفاً بالمراقبة والدعاية ومخنار خلافة عضواً.

إضافة إلى النشاط الذي كانت تقوم به شعبة جمعية العلماء المسلمين بقالمة والتي ترأسها عبد الله بوحفص أحد تلامذة الشيخ ابن باديس، أمّا الحزب الشيوعي فقد كان نشاطه محدوداً بالمنطقة وأنصاره قليلون، من أبرزهم نذكر حمة بعلي وعمار عباد وهما من عمال مصلحة الطرقات، وكانت خلية الحزب الشيوعي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكنفدرالية العامة للعمال الفرنسيين CGT، أمّا المولود الجديد والمتمثل في أحباب البيان والحرية فقد شهد إقبالاً كبيراً من طرف شباب المنطقة، والذين دفعوا الاشتراكات بانتظام، ونشط مناضلو AML على مستوى جميع بلديات منطقة قالمة والتي كانت تتشكّل من تسع بلديات كاملة الصلاحيات وبلديتين مختلطتين³. بالرغم من هذا التوجه الشعبي لأحباب البيان والحرية، إلّا أنّ فرحات عباس أحسّ بنوع من التمرّد نظراً لكثافة نشاط عناصر حزب الشعب داخل حركة أحباب البيان، وأبدى تخوفه صراحةً حين أعلن قائلاً: «إنّ أحباب البيان لن يتحمّلوا أي مسؤولية في أحداث يمكن أن تسببها عناصر مشبوهة»⁴، وتمثل نشاط حزب الشعب في إصدار صحفٍ سرية في تلك الفترة مثل صحيفة "العمل الجزائري" التي كان لها صدّى واسعاً في أوساط الجماهير كما وجّه قادة الحزب نداءاتهم للشعب الجزائري وخاصةً الشباب منهم الذي تم تنظيمه في جمعيات الكشافة، وجاء في منشورٍ سرّي لحزب الشعب صدر بتاريخ 06 فيفري 1945: «...أيّها الإخوة المسلمين، حياة بلادكم في خطر، فقد خرّب الاستعمار البلاد مادياً ومعنوياً... لن نضمن الكرامة التي نتوق إليها إلّا في إطار أمة جزائرية، مع حكومة حرة قائمة على سيادة الشعب الجزائري»، واعتبر المنشور أنّ الزعماء مصالي والإبراهيمي وعبّاس لا يمكنهم القيام بشيء إذا كان الشعب لا يتوفر على الفطنة والشجاعة ليعبّر عن تضامنه معهم⁵، أمّا السلطات الفرنسية فقد قامت بحملة اعتقالات واسعة في

1 عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية (1936-1945)، المصدر السابق، ص 310-309.

2 Le rapport du général Tubert peut être consulté sur le site de Henri Pouillot: <http://www.henri-pouillot.fr/spip.p....>

3 إسماعيل سامعي، انتفاضة 8 ماي 1945 بقالمة ومناطقها، مديرية النشر بجامعة قالمة، 2004، ص 21.17.

4 الطبيب لباز، مظاهرات الثامن ماي 1945 في الجزائر (الأسباب و النتائج)، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 05، العدد 01، جامعة زيان عاشور الجلفة، جوان 2021، ص 619.

5 Le Monde: 8-9/07/1945.

صفوف أحباب البيان والحرية، بعد انعقاد المؤتمر الأول للحركة في شهر مارس 1945، حيث رأت أنّ نتائجه قد كُتست انتصار حزب الشعب وتوجّهه الاستقلالي، بل اتّهمت فرحات عباس بالانتماء لحزب الشعب والعمل بأوامر مصالي الحاج¹.

تزامنت تلك التطوّرات السياسية مع الأزمات الاقتصادية التي كان يعاني منها المسلمون الجزائريون، حيث كانت الأوضاع الاقتصادية جدّ متدهورة، فسنوات الجفاف والجراد وقلة الأمطار خاصّة سنة 1945، وسياسة الحكومات الفرنسية المتعاقبة التي أعطت الأولوية لتمويل جبهات القتال والميتروبول، على حساب قوات الجزائريين واعتماد أسلوب اقتصاد الحرب جعل السُلطات الاستعمارية تعتمد على تقنين توزيع الأغذية، فكانت حصّة الغذاء لا تكفي الأسرة سوى أسبوعاً واحداً بعدها يجب عليهم تدير أحوالهم²، وكانت الصّحافة الشيوعية وعلى رأسها أسبوعية الحرية- **Liberté** لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري قد قدّمت العديد من الأمثلة حول معاناة الجزائريين المسلمين خلال تلك الفترة فلم يخل عمودٌ لها بين نهاية 1944 وبداية 1945 إلّا وتكلم عن نقص التموين بالغذاء، وانتشار المجاعة في جميع أنحاء البلاد ومعاناة الجزائريين المسلمين من الجوع والبرد والقتال، وعنونّت "Liberté" مع بداية شتاء سنة 1945 مقالاً بعنوان «في بلد الصّوف الفلاحون يموتون برّداً والأطفال يتجولون عراةً في الشّوارع»، وكتبت: «في كلّ يوم نقرأ إعلانات عن جثث متجمدة في الشّوارع، إلى أين يذهب إنتاج صوف 800.000 من الخرفان سنوياً؟، كيف يموت النّاس من البرد في بلدٍ يصدر 120.000 قنطاراً سنوياً من الصّوف»³، وكتبت نفس الصّحيفة في 10 جانفي 1945: «بفعل الكارثة التي حلّت بقطعان الغنم في الهضاب العليا، الآلاف من الرّحل يوجدون بدون دخلٍ في مناطق تسودها المجاعة»⁴، كما أوردت نفس الجريدة خبراً عن وفاة سبعة أشخاص في المشربة من البرد والجوع، ووفاة أربعة أشخاص بالجوع والبرد من بلدية مسكيانة بداية شهر ديسمبر 1944 التي لم يتحصّل سكّانها على التموين طيلة ثلاثة أشهر، وفي عنوانٍ آخر كتبت: «في عين البيضاء المجاعة جعلت الفلاحين يبيعون هكتاراً من الأرض مقابل شيءٍ من القمح»، وأضافت الجريدة: «الوضع أصبح أكثر خطورة في دواوير بوراشد بني غوقرين، عناب، جليدة، خربة أوغوني بلدية عمي موسى التي يبلغ عدد سكّانها 20.000 يقتات سكّانها من جذور النباتات ممّا تسبب في انتشار عديد الأمراض»⁵.

«... حصل 22 دوار فقط سنة 1944 من تموينهم بحصة 5 كغ من الشّعير شهرياً، وانخفضت الكمية في أفريل 1945 إلى 2 كغ فقط للفرد»⁶.

نشرت جريدة الجزائر الجمهورية-Alger républicain تحقيقاً أجراه الكاتب ألبير كامي-Albert Camus تحت عنوان "البؤس في القبائل-Misère de Kabylie"⁷ جاء فيه: «لقد عمّت المجاعة البلاد بشكلٍ خطير، خلال جولتي في منطقة آقبو اكتشفت وفاة خمسة أفراد بسبب إستهلاكهم جذور نباتات سامّة، ووفاة أربعة عجائز بسبب الثلوج حاولن التنقل من دواوير

1 إسماعيل سامعي، إنتفاضة 8 ماي 1945 بقالة ومناطقها، المرجع السابق، ص22.

2 رضوان ثابت عينايد، الثامن ماي 1945 في الجزائر، ترجمة: ثابت عينايد ومغيلي، ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص30-33.

3 **Liberté, journal hebdomadaire, organe du PCA, rédacteur en chef Bachir Hadj Ali, 04 janvier 1945.**

4 Ibid, 10 janvier 1945.

5 Ibid, 06 décembre 1944.

6 Ibid, 22 mars 1945.

7 قامت الجزائر الجمهورية بنشر تحقيق الشاب الصحفي "ألبير كامي-Albert Camus) الحاصل على جائزة نوبل للأدب سنة 1957، والذي يصف فيه صورة البؤس المنتشر في منطقة القبائل، ويبدو ان هذا التحقيق قد بدأه كامي سنة 1939 لكنه أوقفه مع ظروف الحرب العالمية الثانية، ليعود ويكمل تحقيقه في المنطقة سنة 1944 إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، وحاول خلال تحقيقه ربط إنتفاضة ماي 1945 بحالة البؤس والمجاعة التي عرفتها البلاد، لكن دون إبعاد العوامل السياسية حيث عنوان أحد مقالاته ب"أحباب البيان و الحرية" وأخرى ب" الجزائر بحاجة إلى العدالة".

بعيدة إلى منطقة (Mchlet-عين الحمام) للحصول على الشّعير، أما في قرية لفلاي بسيدي عيش هناك عائلات لم تجد ما تأكله لمدة يومين أو ثلاثة أيام¹. حدّرت برقية لفرع الحزب الشيوعي في تبسة موجهة إلى الحكومة العامة وعامل قسنطينة من ارتفاع نسبة الوفيات جاء فيها: «نلفت الانتباه حول نسب الوفيات المخيفة لدى السّكان المسلمين في الأرياف بسبب الجوع والبرد... يجب توقّع الأخطر مع بداية فصل الشتاء، نطلب التدخل الفوري الحاسم وبشكل إستعجالي».

كما عرفت الجزائر ندرةً وارتفاعاً كبيرين في المواد الأساسية، ففي منطقة قلمة مثلاً شهدت أسعار الخبز ارتفاعاً من 70.3 فرنكاً سنة 1942 إلى 8.55 فرنكاً سنة 1945، وارتفع سعر مادة الفرينة ليصل إلى 9.5 فرنكاً في نفس السنة، ومادة الزيت إلى 36 فرنكاً للتر الواحد بعدما كان سعره لا يتجاوز 18 فرنك سنة 1942².

1.2.2. سير المظاهرات وبداية القمع:

أ. مظاهرات الفاتح ماي:

عرفت المدن الجزائرية الكبرى مظاهرات بدايةً من الفاتح ماي بمناسبة اليوم العالمي للعمال، واغتنم حزب الشّعب (النظام السّري) الفرصة لجعل المشاركة في المظاهرات أكثر تميّزاً وديناميكيةً، حيث نُظّمت مسيرات في العديد من المدن، مسيراتٍ منفصلة عن مسيرات الفرنسيين ومنظماهم، حملت هذه المظاهرات انشغالات وطموحات سياسية أكثر عمقاً تماشيًا مع المتغيرات المحلية والدولية، يقول الشاذلي مكي: «صادف هذا اليوم سقوط عاصمة ألمانيا في أيدي الحلفاء الأمر الذي أعطى المظاهرات طابعاً خاصاً، حمل المتظاهرون فيه لافتات تندّد بالاستعمار والمستعمرين، وتنادي بحرية الجزائر واستقلالها، ويسقوط قرار السابع مارس 1944، وبإطلاق سراح المساجين السياسيين، وبحياة جامعة الدول العربية وبحياة الجزائر حرةً ستقلة...»³، وكانت مدن مقاطعة قسنطينة مثل: سطيف، بجاية، عنابة، قلمة قد عرفت خروج حشود من المتظاهرين رافعين نفس الشّعارات التي تمت الإشارة إليها سابقاً، وشهدت تدخّل الشّرطة لتوقيف هذه المسيرات لكن دون استعمال العنف، وهو ما لم يؤدّي إلى ازلاقات أو وقوع ضحايا⁴، عكس مظاهرات عمالي وهران والجزائر اللتان شهدتا وقوع سبعة قتلى في صفوف المتظاهرين، خمسةً منهم سقطوا بشارع ريديزلي من بينهم الغزالي بن الحفاف وزيد محمد عبد القادر، وخمسين جريحاً إضافةً إلى اعتقال عشرات المتظاهرين⁵.

ب. مظاهرات 08 ماي 1945:

تتفق معظم الكتابات التاريخية أنّ شرارة اندلاع الانتفاضة كانت من مدينة سطيف لكنّ الاختلاف يكمن في الطرف الذي أشعل شرارة هذه الأحداث هل هم المتظاهرون؟ أم الشّرطة الفرنسية؟، الرواية الفرنسية التي حمّلت مسؤولية الأحداث للمتظاهرين بقيادة عناصر من حزب الشّعب المنحل، والرواية الجزائرية التي تتهم السّلطات الاستعمارية والشّرطة الفرنسية وميليشيا الكولون في التخطيط والتنفيذ لمجازر 8 ماي 1945.

1 Albert Camus, Misère de Kabylie, article parus dans Alger Républicain, voir: actuelles, chronique Igerienne, 20 édition, Gallimard, Paris V2, P38.

2 إسماعيل سامعي، انتفاضة 8 ماي 1945 بقلمة ومناطقها، المرجع السابق، ص25.

3 عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (الفترة الثانية 1936-1945)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، الجزائر 1984، ص319.

4 زبير رشيد، انتفاضة ماي 1945 هل كانت من تدبير حزب الشعب الجزائري أم مؤامرة كولونيالية، المرجع السابق، ص101.

5 عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (الفترة الثانية 1936-1945)، المرجع السابق، ص320.

برقية القنصل العام البريطاني في الجزائر كارفيل - Carvel المرسله من الجزائر بتاريخ 17 ماي 1945، والتي حملت عنوان «توضيح الاضطرابات الخطيرة التي عرفتتها مقاطعة قسنطينة في 8 ماي 1945 والأسبوع الذي تلاه»، تقول أنه حوالي الساعة الرابعة عصرًا من يوم السابع من ماي اتصل قائد القسم العسكري لمدينة سطيف بمحافظ الشرطة المركزية لإعلامه رسميًا بالتوقيع على الهدنة لتدوِّي الأجراس وصفارات الإنذار كإشارة لنهاية الحرب العالمية، فخرج الأوروبيون للاحتفال في ذلك المساء، وفي صباح 8 ماي 1945 قامت الكشافة بعد حصولها على رخصة رسمية بتنظيم مسيرة في الشارع الرئيسي في مدينة سطيف ووضع إكليل من الزهور على النصب التذكاري في إطار الاحتفالات بيوم النصر، وكان نائب المحافظ لمدينة سطيف بوترلان-Butterlin قد تلقى خبر تجمع حشد من المسلمين أمام مسجد المدينة، فأسرع النائب لاستدعاء المسؤولين وأعضاء حركة البيان ليحذّروهم من رفع لافتات تحتوي على شعارات وطنية في المسيرة، وحثهم المسؤولية في حدوث ذلك، كما زار محافظ الشرطة مكان تجمع المسيرة وتحدث مع المنظمين وأمرهم بعدم رفع أي شعارات سياسية، وكان رئيس الكشافة الإسلامية يعلي عبد القادر قد تعهد أمام المحافظ العام تور-Tort في مقر نيابة المحافظة بسحب مجموعته في حال أخذت المسيرة طابعًا سياسيًا، ليغادر المحافظ العام ساحة المسجد ويكلف محافظ الشرطة فالير-Valère بتأمين المسيرة والحفاظة على الأمن، وانطلق الموكب من المسجد متجهًا نحو وسط المدينة، وكان المتظاهرون يحملون لافتات مكتوب عليها: «أطلقوا سراح مصالي، من أجل تحرير الشعوب، تحيا الجزائر حرة ومستقلة...».

عندما وصلت المسيرة أمام مركز الكتبية 44 مشاة للقوات الجوية أعطى محافظ الشرطة أوليفيري-Olivieri أمرًا بتوقيف المسيرة، فانتشر أفراد الشرطة لقطع الطريق وتوقفت المسيرة التي تتقدمها فرقة الكشافة أمام مقهى فرنسا، وخاطب المحافظ المسؤولين عن المظاهرة مذكرًا إياهم بالوعود المتفق عليها بعدم رفع الشعارات السياسية والراية الوطنية وطلب منهم نزعها، لكنّ الشاب¹ الذي كان يحمل الراية لم يتقيد بالأوامر ما دفع بالمحافظ إلى محاولة نزعها بالقوة، لكنّ حامل الراية دفعه وأسقطه أرضًا وتعالّت الأصوات من المتظاهرين أقتلوه اذبحوه، فأطلق عيارًا ناريًا أصاب به الشاب لتتعالى الصرخات وينتشر المتظاهرون في شوارع المدينة، وتبدأ مطاردة (الرومي) وقتله بوحشية².

تختلف رواية الإدارة الاستعمارية الفرنسية مع رواية القنصل العام البريطاني حيث توجه أصابع الاتهام بخصوص مسؤولية إطلاق العيار الناري الذي أدى إلى اندلاع انتفاضة الجزائريين إلى عضو من حزب الشعب كإشارة لبداية الانتفاضة.

أما رواية فرحات عباس فهي تختلف على ما جاء في التقرير الفرنسي حيث يقول: «أثناء ليلة الثامن ماي أشيع أنّ رخصة أعطيت للمسلمين لتنظيم مظاهرة، ويدّعي رئيس الدائرة نائب عامل العمالة أنّ أحدًا من حركة أحباب البيان والحرية جاء ليطلبها ولم يلتزم بتقديم طلب كتابة كما هو القانون، وفي هذا الوقت لم يكن رئيس البلدية على علمٍ لأنه لم يخبر أما عامل عمالة قسنطينة ليستزاد كاربونال فقد استؤذن ووافق على المظاهرة لكنه أعطى أمرًا بإطلاق النار على المتظاهرين في حال رفع العلم الوطني الجزائري³، ولقد تكلمت الأوساط الاستعمارية عن مظاهرة هامة يوم 08 ماي 1945 وكانت هذه المظاهرة هي الفخ».

1 سعال بوزيد: (09-01-1919/08-05-1945) ولد بقرية الزايري ببلدية أوريسيا ولاية سطيف، من عائلة متواضعة إمتعن الفلاحة وتعلم القرآن، إخرط في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية بسطيف فوج "الحياة"، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 وكان يحمل الراية الجزائرية، كان اول من إستشهد خلال المظاهرات إثر طلق ناري أصابه في صدره .

2 <http://www.lepoint.fr/societe/exclusif-setif-les-archivesinedites-16-09-2010-1236970. php>

3 ويذكر عباس في وصفه للأحداث أن المظاهرات التي نظمها حزب الشعب الجزائري في الفاتح من ماي قد رفع فيها العلم الجزائري، ووقع خلالها قتلى وجرحى في صفوف المتظاهرين.

ويضيف فرحات عباس: «لقد أقيمت المسيرة بساحة محطة القطار قرب المسجد الجديد ثم اندفعت نحو مركز المدينة محاطةً برجال الشرطة، وبعد أن قطعت نحو ألف متر ارتفع علمٌ جزائري ولم تتدخل الشرطة، ولما صارت المظاهرة بقلب المدينة أمام مقهى فرنسي ظهر محافظ شرطة وقد اندفع نحو حامل العلم لينتزع من يده فمانع المناضل، فأطلق الشرطي عليه النار فوق قتيلاً على الأرض وتطور الأمر وبدأ التقتيل، ولأن ذلك اليوم كان يوم سوق أسبوعي في المدينة فقد انتشر الخبر بسرعة بواسطة العائدين من السوق إلى مدّهم وبواديهم لتعم الانتفاضة باقي أرجاء البلاد»¹.

وجّهت الإدارة الاستعمارية الفرنسية والمؤرخين الفرنسيين أصابع الاتهام بخصوص مسؤولية إطلاق العيار الناري، الذي أدّى إلى انتفاضة الجزائريين لحزب الشعب، وأشار موريس فيلار - Maurice Villard² أنّ المحرضين للانتفاضة من مناضلي حزب الشعب المتشدّدين، استغلّوا الظروف الدولية وفراغ المستعمرة الجزائرية من القوات ليقوموا بالتحريض على الثورة، ويضيف أنّ المحرضين قاموا بإعطاء أوامر بوجوب حضور الرجال القادرين على القتال والأقوياء للمظاهرات في الساعات الأولى من يوم الثلاثاء لأنّ ساعة الكفاح قد حانت، ويذهب إلى إتهام أحد مناضلي حزب الشعب بإطلاق عيارٍ ناري كإعلانٍ لبداية الثورة وقتل الشرطة والأوروبيين، كما أشارت تقارير الشرطة الفرنسية أنّ بداية إطلاق النار كان من طرف المتظاهرين³.

في 18 ماي 1945 وبناءً على طلب وزير الداخلية أدريان تيكسير - Adrien Tixier⁴ تم تعيين لجنة رسمية للتحقيق في أحداث 8 ماي 1945 بقيادة توبرت - Tubert⁵، وانتقلت اللجنة إلى مدينة سطيف صباح الجمعة 25 ماي 1945، ثم انتقلت بعد الظهر من نفس اليوم إلى قسنطينة لكنّ ديغول أصدر أمراً بإيقاف عمل هذه اللجنة وعودتها للجزائر العاصمة.

رأى توبرت أنّ الظروف النفسية التي عاشها الجزائريون قبل بداية الأحداث كانت سبباً رئيسياً لما حدث في 8 ماي 1945، خاصّةً ذلك الصّراع النفسي بين فئة الأوروبيين وفئة المسلمين، هذه الأخيرة التي عانت من مصطلحات الاحتقار التي وجّهت لها مثل عبارة "السلالة الدينية"، وكانت هذه الفئة من الجزائريين محط استهزاء وسخرية من طرف الأوروبيين، كما فسّر توبرت الأحداث على أنّها مظاهرات ذات طابع سياسي، حيث حمل المتظاهرون شعارات تطالب بالإفراج عن مصالي الحاج واستقلال الجزائر، كما اتهم كلّ من أعضاء حزب الشعب وأحباب البيان وجمعية العلماء المسلمين في تحريض الجماهير ودعوتهم للتظاهر، وقدر توبرت في تقريره أنّ يتراوح عدد المتظاهرين بين 7 و 8 آلاف مسلم، أمّا عن حصيلة ضحايا هذه الأحداث فقد أعطت اللجنة رقم 102 قتيل أوروبي و 15 ألف قتيل من المسلمين في مدينة سطيف، أمّا في قائمة فقد تحدث التقرير عن إعدام بين 500 إلى 700 شاب مسلم على أيدي جماعات مسلحة من الأوروبيين⁶.

1 Ferhat Abas, **La nuit Coloniale**, op.cit, pp,153-157.

2 موريس فيلار - Maurice Villard (1933-2020) عالم أحياء فرنسي، حصل على شهادة الدكتوراه في علم الأحياء سنة 1970 في جامعة نيو شاتل، بدأ مسيرته المهنية كمحاضر بجامعة برن عام 1972، ثم أستاذ محاضر عام 1987، ثم أستاذ متفرغ سنة 1990، قبل أن يتقاعد سنة 1996.

3 <https://histoirecoloniale.net/Le-Rapport-Tubert-sur-les-massacres-de-mai-juin-1945-dans-le-Constantinois.html?fbclid=IwAR3GhpUXDqPZgK6f20K2TM6dsA06UAdiQTWDBqfAHWa4NkbIsj8P-Z6YYc>

4 أدريان تيكسير - Adrien Tixier ولد في 31 يناير 1893 في فول (هوت فيين) وتوفي في 18 فبراير 1946 في الدائرة الثامنة في باريس، كان سياسياً اشتراكياً فرنسياً، وعضواً في فرنسا الحرة، واللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، ثم في الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية.

5 بول توبرت - Paul Tubert (1886-1971) ولد بمنطقة لافليش في سارث، حصل على شهادة البكالوريا وتخرج من كلية الحقوق بجامعة باريس وحصل على دبلوم الدراسات التاريخية واللغوية ثم تطوع في سلاح المشاة، إعتلى توبرت منصب حاكم عام مدينة الجزائر من (1945-1947)، تمت ترقيته في 1947 إلى رتبة لواء ثم مستشار في الاتحاد الفرنسي.

6 <https://histoirecoloniale.net/Le-Rapport-Tubert-sur-les-massacres-de-mai-juin-1945-dans-le-Constantinois.html?fbclid=IwAR3GhpUXDqPZgK6f20K2TM6dsA06UAdiQTWDBqfAHWa4NkbIsj8P-Z6YYc>

بالرغم من أنّ تقرير لجنة تويرر يعدّ من المصادر القليلة والمهمة التي تم الكشف عنها مؤخرًا حول الموضوع إلا أنّ اللجنة لم تتمكن من إكمال مهمتها بشكل فعلي، وواجهت اللجنة الرسمية عراقيل كثيرة بسبب تردّد شاتينيو الحاكم العام في الجزائر، كما لم تتمكن اللجنة من زيارة قالة بعد زيارتها القصيرة لكلّ من سطيف وقسنطينة بسبب تواصل المجازر هناك إلى غاية 25 جوان 1945، ومحاولة الجنرال ديغول التغطية على المجازر التي ارتكبتها أندري آشباري قائد الميليشيا الأوروبية في قالة، ويبدو أنّ عمل اللجنة قد توقف فعليًا يوم 26 ماي 1945 فور تلقّيها التعليمات للعودة إلى الجزائر العاصمة.

قدّم شارل روبير آجيرون دراسة حول الموضوع بعنوان: "Les troubles du nord-constantinois en mai 1945". اعترف في بدايتها بصعوبة تناول المسألة دون عاطفة أو ذاتية خاصّة في الإجابة عن التساؤلات المهمة مثل:

- كيف يمكن شرح والحكم على ما اتفق على تسميته في الجزائر بـ "الإبادة الاستعمارية ماي 1945"، وما اتفق على تسميته في فرنسا بـ "مشاكل الشمال القسنطيني 1945"؟.

- هل يجب وصف الأحداث على أنّها إستفزاز استعماري؟، أم محاولة تمرد؟.

استعرض آجيرون وجهات نظرٍ مختلفة لبعض المؤرّخين الفرنسيين والجزائريين حول المجازر، وبدأ بوجهة نظر أستاذة شارل أندري جوليان الذي وصفها بالحركة التمردية-Mouvement Insurrectionnel، واستبعد أن يكون السبب استفزازات فاشية بقدر ما هي حركة ثورية تمردية شاملة. كما استعرض موقفًا آخر لروجيه لتوغنو-Roger le Tourneau في دراسته التي جاءت بعنوان عصيان القطاع القسنطيني-Le Soulèvement de Constantinois حيث أرجع سبب العصيان إلى حقد وغلّ الأهالي ضدّ فرنسيي الجزائر.

أشار آجيرون أنّ الازمة الاقتصادية والمجاعة التي ضربت البلاد خلال الحرب العالمية الثانية كانت سببًا لاندلاع المظاهرات وهذا ما أكّده تقرير وزير الداخلية الفرنسي في 16 ماي 1945 الذي ذكر فيه أنّ أسباب الحوادث تعود إلى مشاكل التموين بالقمح نتيجة ثلاث سنوات من الجفاف¹، وهو ما ذهب إليه الصّحافة الشُّبوعية في الجزائر لكنّها حمّلت مسؤولية المجاعة المفتعلة لشخصيات فاشية داخل النظام الاستعماري ومعاونيهم من القياد²، وهذا ما تضمنه بيان الحزب الشُّبوعي الجزائري الصادر بتاريخ 13 أوت 1946 والذي جاء فيه: «إنّ حوادث قسنطينة في شهر ماي الأخير كشفت عن وجود حركة فاشية كان الحزب الشُّبوعي الجزائري قد قام بكلّ الوسائل للوقوف أمامها، وشهر دائمًا بسياسة الرجعية والتجويع التي يتعاطاها المائة سيد-les cents seigneurs في الجزائر بفضل أموالهم المغتصبة، وبفضل حماية ذوي الوظائف العليا من بقايا نظام فيشي....»، لكن قبل ذلك كان الحزب الشُّبوعي قد نسب لحزب الشَّعب الجزائري تحريض المتظاهرين على الثورة وذلك لتأثره بالدعاية النازية وهو ما تضمنه المنشور الصادر في 17 ماي

1 Charles Robert Agéron: **Les Troubles du nord-constantinois en mai 1945**, in Vingtième siècle, Revue d'histoire, N°4, octobre 1984.

2 حسب صحيفة "الحرية" فإن مندوبين عن الحزب الشُّبوعي الجزائري استقبلوا من طرف الأمين العام للحكومة العامة كازان - Gazane أسبوعين قبل 8 ماي، حيث اكادوا له خطورة حالة التموين في الجزائر، وأنّ البؤس السائد ينذر بقيام اضطرابات خطيرة إن لم يتم إتخاذ الإجراءات اللازمة.

خلال مداخلة نائب الحزب الشُّبوعي الفرنسي أمام اللجنة الإستشارية في 24 جويلية 1945 ذكر أنّ المؤامرة تم التخطيط لها منذ وقت طويل، من طرف الطابور النازي الخامس بالجزائر، وذكرت "الحرية" أنّ هناك مجموعة من الفاشيين داخل الإدارة الإستعمارية من كبار الكولون أثاروا ثورة طعام، إستغلها أفراد حزب الشعب المنحل.

1945 والذي جاء فيه: «يأتي التحريض من حزب الشعب الجزائري... وتنظيم الاضطرابات، هو الحزب الذي يطبق في الجزائر الأوامر التي يقدمها المحتليون في الإذاعة النازية»¹.

كتب فرحات عباس وصيته السياسية بداية 1946² وهو في السجن يرى فيها نفسه وأحباب البيان والحرية وينفي مسؤوليته من أحداث 8 ماي 1945 في بدايتها: «أؤكد بشرفي وأقسم أمام الله أنّ أحباب البيان أبرياء عن أحداث سطيف، وأن أيدينا نقية من أي دم إنساني...»، وتضمنت وصيته أيضاً «ضرورة نبد العنف لأنه جريمة ضد الشعب»، وقد أثبت فشله وهو «طريقاً للانتحار أكثر منه شيئاً آخر».

يؤكد فرحات عباس أنّ الأحداث هي مكيّدة مدبرة هدفها حل أحباب البيان قائلاً: «الاضطراب الصغير أدّى إلى صنع سيناريو لإيجاد مبرر لتصفية أحباب البيان والحرية والرجوع إلى الوراء، هذه المظاهرات تحولت إلى أحداث كبرى وهكذا تفسر أحداث 08 ماي 1945»، ويستشهد عباس لتأكيد تلك التّية المسبقة بالرواية التي نقلها له الدكتور سعدان عن عامل عمالة قسنطينة ليستراد كاربونال الذي باح له في شهر أفريل 1945: «أنّ أحداثاً مهمة ستقع، سيحلّ على إثرها حزب كبير»³، وفي تفسيره لانطلاق هذه المجازر بمدينة سطيف بالذات فقد صرح بأنّه من السهل تفسير ذلك إذ أنّه كان من اللازم تفجير هذه الأحداث، حيث ظهر البيان الجزائري وأحباب البيان والحرية.

فسّر توفيق المدني ما حدث على أنه جريمة ارتكبت في حق الجزائريين الأبرياء، وعبر عن ذلك في صحيفة الإصلاح للطبيب العقبي بقوله: «السبب الحقيقي للمذبحة هو رغبة المستعمرين في التخلص من أكبر عدد ممكن من المسلمين، وضرب الحركة الوطنية ضربة لا تقوم لها قائمة من بعد...»⁴.

بالنسبة لحزب الشعب الجزائري وزعيمه مصالي الحاج الذي وجّهت له الإدارة الاستعمارية أصابع الاتهام بخصوص مسؤوليته المباشرة في التخطيط وتنفيذ أحداث 8 ماي 1945، فيبدو أنّه كان يجهل التفاعل الحقيقي للأحداث والهدف الرئيسي من ورائها، ففي جويلية 1954 خلال مؤتمر هونرو⁴ صرح قائلاً: «هل هي إذاً جريمة إذا درسنا بطريقة علمية هذه المأساة التي أودت بحياة 40000 قتيل من الشعب الجزائري»⁵، وجعل حزب الشعب الجزائري من الأحداث وما ترتب عنها من مجازر وإبادة جماعية، موضوعاً لتعميق الوعي في أوساط الجزائريين بطبيعة الصراع ومستلزمات المواجهة، فكانت المجازر بمثابة حافز ومشجع لمناضلي الحزب الذين كانوا مصممين على اختيار نهج العمل المسلح، وضلّت أحداث 8 ماي 1945 حاضرة في مختلف نشاطات التيار الاستقلالي بعد 1954⁶.

1 رضوان عينايد ثابت، 8 ماي 1945 في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1986، ص 40-41.

2 حرر فرحات عباس هذه الرسالة أثناء سجنه بعد أحداث 8 ماي 1945 وجاءت بعنوان "وصيتي السياسية"، هذه الوصية نشرها شارل رويير آجرون سنة 1994، بعد أن عثر عليها بأرشيف الجيش البري الفرنسي، وقبل ذلك كتب الجنرال ماسو جزءاً منها في كتابه "معركة الجزائر الحقيقية" سنة 1972، حيث حصل على نسخة منها سنة 1957 من طرف زوجة قائد السجن العسكري بالجزائر لافون. أنظر:

Ferhat Abbas, **Mon Testament politique**, manuscrit inédit, retrouvé et publié par: Charles-robert Agéron, dans la Revue Française d'histoire d'outre mer, N°303, 1994, pp187-197.

3 Ferhat Abbas, **La nuit Coloniale**, op.cit, pp, 153-154.

4 أنعقد أيام 14-15-16 جويلية بـهونرو ببلجيكا بقاعة سينما ستار، حضره 150 ممثل عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، تم خلاله تشكيل مكتب جديد للحزب، والتصويت بالإجماع لصالح تجديد الثقة في مصالي الحاج، وتحويله السلطة المطلقة لتسيير الحزب.

5 محمد تقيّة، **الثورة الجزائرية المصدر والمآل**، ترجمة: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010، ص 110.

6 عامر رخيعة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ت، ص 70.

نورد نظرة جمعية العلماء لأحداث 8 ماي 1945 من خلال أدبيات بعض رجالاتها، وعلى سبيل المثال علق إبراهيمي على الحوادث واعتبرها بمثابة الثورة الفاصلة بين عهدين، وبأنه آن الأوان للمطالبة بحقوق الجزائريين كاملاً، إذ يقول في هذا الصدد: «إن معركة الثامن ماي 1945 هي الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع هذه الحقوق المهضومة طال الزمن أو قصر»¹، كما اعتبر أنّ الحادثة هي وصمة عار في جبين الحضارة الفرنسية بقوله: «لو أنّ تاريخ فرنسا كُتب بأقلام من نور، ثم كُتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقلمة وخرطة، لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله»، وأرجع إبراهيمي أسباب هذه الجريمة إلى جشع المعمرين وخشيتهم على مصالحهم في الجزائر، حيث أشار إلى ذلك بقوله: «في يوم إنهاء الحرب دبّر المعمرون مذبحه 8 ماي 1945، وكانت قسنطينة مسرح الحوادث الدامية والفظيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين ضدّ الأهالي الآمنين، هذه الحوادث التي دبّرها الاستعمار وأهله»، وكتب إبراهيمي في الذكرى الثالثة للمجازر قائلاً: «يومٌ مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء...»².

1 محمد خير الدين، مذكرات، ج2، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص19.

2 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، المرجع السابق، ص270.

ج. قمع المظاهرات:

قمعت القوات الفرنسية المظاهرات بكل قسوة وجندت لذلك وسائل وموارد كبيرة حيث قام الحاكم العام شاتينيو- Chàtaigneu بإعلان حالة الطوارئ وإصدار إجراءات قانونية استثنائية في عمالة قسنطينة¹، واتخذت إجراءات مصادرة الحرية إذ أصبح لا يؤذن للجزائري الخروج من بيته إلا إذا كان يحمل شارة على ساعده تقدّمها له سلطات الاحتلال، ومنح القانون العسكري كل السلطات للجنرال دوفال-Duval حاكم قسنطينة، وبناءً عليه تم إعطاء أوامر للجيش بالقضاء على التمرد كما أطلقت عليه السلطات الفرنسية بكل الطرق².

في منطقة سطيف تم تعزيز الكتائب الستة التي كانت في المنطقة بفيلق الرماة السنغاليين، وفيلق من الرماة الجزائريين وثلاثة كتائب تابعة للفيلق الأجنبي من وهران وكتيبة مشاة من تارة المغربية أما في منطقة قالمة فإلى جانب الكتائب الثلاثة المرابطة بها، تلقت تعزيزات من تونس تتمثل في عدة شاحنات مزودة بمدافع رشاشة، وفصيل يتكون من 250 جندي، إضافة إلى الميليشيات التي كان قد شكّلها قبل بداية المظاهرات رئيس الدائرة آشياري-Achiary³.

إضافة إلى القوات البرية شاركت القوات البحرية والقوات الجوية في أعمال القمع والإبادة، وقدّر عدد الطائرات المشاركة في عمليات القمع والإبادة نقلا عن المجلة الأمريكية "The stars and strips" الصادرة في 31 ماي 1945 بـ 150 طائرة متنوعة ومختلفة المهام قامت بقصف: ميلة، خنشلة، سطيف، العلمة، عزابة، عين الكبيرة...، أما في منطقة قالمة وضواحيها قامت 18 طائرة بـ 300 غارة على مدى 15 يوما بحمولة تصل إلى 150 قنبلة، يتراوح وزن القنبلة ما بين 10 و50 كغ حسب تصريح الجنرال Juin⁴، هذه القنابل هي مضادة للأشخاص من إنتاج إنجليزي، وهي موجهة في الأصل ضدّ جنود بخوذات أو متخندقين ولها مفعولٌ مربع⁵. أحيل الآلاف من الجزائريين الذين نجوا من إعدام الميليشيا على المحاكم العسكرية التي تم تنصيبها بقسنطينة، والتي مارست القمع القضائي ضدّ الجزائريين باستصدار أحكام قاسية، وبدأت فصول المحاكمات الأولى في 26 ماي 1945 واستمرت إلى غاية 15 جوان 1949، أنزلت خلالها المحاكم العسكرية أقصى العقوبات كالإعدام بالنّسبة للمتهمين بالتحريض، وحسب ابن شنوف النائب عن عمالة قسنطينة في الجمعية الاستشارية بلغ عدد الموقوفين 4665 إلى غاية نوفمبر 1945، أحيل 2000 شخص على المحكمة التي أصدرت 99 حكما بالإعدام، و64 بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة، و429 حكم بالأعمال الشاقة على فترات⁶.

أقدمت الإدارة الفرنسية على حلّ أحباب البيان والحرية في 15 ماي 1945، ومنعت صدور جريدة "المساواة" وتم حجز أملاك الحركة وسحب الاعتماد من "مدينة الأطفال" التي أنشأت لاحتضان الطفولة المشردة، وألقت القبض على كثير من النواب على غرار أحمد فرنسيس وأحمد بومنجل والدكتور بن خليل، واعتقال العديد من القادة السياسيين مثل البشير الإبراهيمي وفرحات عباس، وألقت القبض على الكثير من مناضلي حزب الشعب الذين كانوا خارج السجن⁷. أضيف إلى السجن والتعريم حقوق المحاكمة 4000-

1 من بين الإجراءات الإستثنائية نجد حضر جميع التظاهرات الرياضية والثقافية والنشاطات الكشفية، منع الأسواق والتنقل، إغلاق المقاهي العربية ومراكز توزيع المشروبات الكحولية، منع خروج السيارات من دائرة سطيف. أنظر: Depeche de Constantine: 11/05/1945

2 عامر رخيلا، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 80.

3 Jean Louis Planche, Sétif, Histoire d'un massacre annoncé, Chihab éditions, Alger, 2006, p187.

4 Fr CAOM 81 F 865 /ministère d'Etat charge des affaires algériennes.

5 Jean Louis Planche, Sétif, Histoire d'un massacre, annoncé, op. cit. p 126.

6 Egalité, 27Juin 1947.

7 إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص380.381.

10000 فرنك، فحسب حماد الشريف النائب عن دائرة سطيف وبجاية فإنه لأجل دفع حقوق المحاكمة قامت الإدارة بجرد أملاك عائلات الضحايا، وهي الآن تهدد حتى بسجن النساء¹، وكانت الظروف في السجون جد قاسية ومست في كثير من الأحيان بكرامة الإنسان، وذكرت صحيفة Egalité أنّ عمليات التعذيب جرت على طريقة الشرطة البيرية النازية القستابو-Gestapo².

تضاربت المصادر حول عدد الضحايا، فبعد خمسة عشر يوماً من أعمال القمع أوضح التقرير الرسمي للسلطات العسكرية الفرنسية أنّ عدد الضحايا من جانب الأوروبيين يقدر بـ 97 قتيلاً أما بالنسبة للمسلمين فإنّ العدد يقدر بـ 550، وحسب وزير الداخلية الفرنسي Adrien Tixier فإنّ عدد الضحايا لا يتجاوز 1500، وأوردت لجنة التحقيق التي قادها تيرت فقد قدم رقم 15000 قتل من جانب الأهالي المسلمين وهو أعلى رقم اعترفت به المصادر الحكومية الفرنسية الرسمية، في حين ذكر الجنرال دوفال-Duval بأن عدد الضحايا في صفوف الأهالي يتراوح ما بين 500 إلى 600 قتل، من جانبه يذكر الجنرال Weiss أنّ عدد الضحايا نتيجة القصف الجوي لا يتجاوز 200 على أقصى تقدير، أما القنصلية الأمريكية في الجزائر فقد تكلمت عن 35000 قتل خلال الأحداث، وفي هذا الصدد يذكر أجرون أنّه من المستحيل بعد 15 يوماً من القمع الدموي، الذي شاركت فيه قوات الجيش البرية والبحرية والجوية والشرطة وفرق المشاة السنغالية والمليشيات المسلحة من الأوروبيين أن تكون الحصيلة 550 قتل، لا بدّ أن يكون الرقم أكبر بكثير مما صرّحت به وزارة الداخلية الفرنسية، ومهما يكن فإنّ الأرقام المصرّح بها من طرف الحكومة الفرنسية تبقى بعيدة كلّ البعد عن الواقع. بالنسبة للجزائريين المسلمين فقد اعتادت حركة الانتصار منذ 1951 الحديث عن 45000 شهيد، أما جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين فأكدت أنّ عدد الضحايا قد تجاوز 80 ألف شهيد، وصرّح بوصوف عضو اللجنة المالية في ديسمبر 1946 أمام ممثلي اللجنة أنّ عدد ضحايا 8 ماي 1945 هو 90 ألف شهيد، وهي الأرقام التي اعتبرتها فرانسيس ديسان-Francine Dessaigne في مؤلفه بعنوان La paix pour dix ans مبالغ فيها ومزادات بدون أدلة³.

3.2.1. انعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على الوضع العام بالجزائر:

في محاولة منها لتهدئة الوضع بعد المجازر التي ارتكبتها في حق الجزائريين قامت الإدارة الفرنسية بتنظيم إنتخابات المجلس التأسيسي الأول في 21 أكتوبر 1945، ونظرًا للمعطيات المحددة بموجب قانون 07 مارس 1944⁴ ولأنّ الإنتخابات أجريت في ظل فراغ الساحة السياسية الجزائرية من أغلبية الأحزاب الفاعلة بعد عمليات حلّ تلك الأحزاب واعتقال زعمائها⁵، والدعوة إلى مقاطعتها والإمتناع عن المشاركة فيها حيث لم تتجاوز نسبة مشاركة الجزائريين المسلمين 30%، فإن نتائجها جاءت لصالح الأوروبيين⁶.

في نفس السياق ومع مواصلة فرنسا لإجراءاتها الرامية إلى تهدئة الشعب الجزائري وسعيًا منها لامتصاص غضبه، وللخروج من حالة الانسداد التي آلت إليها العلاقات بين سلطات الاستعمار وبعض تيارات الحركة الوطنية كالتيار الاستقلالي، أقدمت سلطات

1 Liberté, 27 Février 1947.

2 Egalité, 26 Septembre 1947.

3 سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص ص 27-29.

4 بموجب قانون 7 مارس 1944 يتم إنتخاب 22 عضواً أوروبياً من قبل 454000 ناخب، بينما يتم إنتخاب 15 عضواً من المسلمين من قبل 1.210.000 ناخب، هذا ما يعني أن نتائج الانتخابات محسومة لصالح المستوطنين الأوروبيين.

5 تم إعتقال فرحات عباس زعيم حركة أحباب البيان والحرية، والبشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء مباشرة بعد مجازر 8 ماي 1945، أما زعيم حزب الشعب المنحل مصالي الحاج فقد كان رهن الإعتقال قبيل ذلك، ولم يبق في الساحة السياسية الجزائرية سوى الحزب الشيوعي الجزائري، واتحادية المنتخبين.

6 عامر رخيعة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 87.

الاحتلال لإصدار قانون العفو العام¹ بعد المصادقة عليه من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية تم نشره في الجريدة الرسمية الفرنسية (JOF) في 09 مارس 1946 واستثنى العفو الشامل في المادة الثانية منه الأشخاص الذين ساهموا من بعيد أو من قريب في أعمال القتل أو البترقة أو الحرق²، لكن بالرغم من إصدار القانون إلا أنَّ عمليات الإعدام لم تتوقف في حق المعتقلين واستمرت إلى غاية 19 نوفمبر 1947³ أي لأكثر من عام ونصف بعد الإعلان عن القانون⁴.

سمح قانون العفو العام بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والسماح بعودة النشاط السياسي، وعلى إثر ذلك بدأ التفكير لدى أعضاء حزب الشعب الجزائري بضرورة الانتقال إلى العمل المسلح، بينما ضلّ دعاة الإدماج في دعوتهم إلى إقامة دولة جزائرية مرتبطة فدراليًا مع فرنسا، أمّا جمعية العلماء فواصلت نضالها بتوعية الشعب الجزائري والعمل على استرجاع هويته، مع بقاء الشيوعيين متمسكين بإيديولوجيتهم القائمة على الدفاع عن مصالح فرنسا بالجزائر.

تبقى عدّة تساؤلات في حاجة لأجوبة حول مجازر 8 ماي 1945 منها: من المسؤول حقًا عن هذه الممجية التاريخية؟ أهي الحكومة الفرنسية المركزية؟ أم الحكام والكونلون الفرنسيون في الجزائر هم من يتحمل المسؤولية خروجًا عن طاعة دولتهم؟ ولماذا حاولت الحكومة الفرنسية إخفاء جرائم الجيش والكونلون في تلك الأحداث؟.

الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M.A):

إثر صدور قانون العفو العام مارس 1946 أطلق صراح فرحات عباس الذي قرّر مواصلة نشاطه السياسي، بعد أن قضى في السجن فترة دامت أكثر من أربعين أسبوعًا، فهل كانت هذه الفترة كافية لإعادة النظر في تجربته السياسية السابقة؟ بعد خروجه من السجن كثف من نشاطه السياسي واتصل بشخصيات قريبة من أطروحاته السياسية، من أجل إنشاء حزب جديد قادر على تعبئة الجزائريين، ولذلك رحل إلى فرنسا واتصل بأستاذ الحقوق بجامعة تولوز (أشيل ميستر - Achelle Mestre)، ومدرس القانون بجامعة الجزائر الأستاذ (شارلييه - Charlier)، لاستشارتهم حول موقف دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة من إمكانية تحويل الجزائر إلى دولة تحتفظ فيها فرنسا بشؤون السيادة، واعترف له كلٌّ منهما بعدم مخالفة ذلك لدستور فرنسا⁵.

توجّه فرحات عباس في 1 ماي 1946 بنداء إلى الشبان المسلمين والفرنسيين بمناسبة عيد العمال، عبّر من فيه عن تبلور الفعل الراديكالي لديه، وبضرورة تأسيس جمهورية جزائرية متحدة فدراليًا مع فرنسا، جاء فيه: «...إنّ القضية هي تحرير الجزائر من نظام قديم قائم على الاستغلال الكولونيالي، لقد تركنا نهاية الطرق القديمة المعهودة لنسلك الطريق الكبير طريق الوطن الجزائري أعني لا إدماج ولا سيّدًا جديدًا ولا انفصال، بل غايتنا هي إبراز شعب فتي يتكون تكوينًا ديمقراطيًا واجتماعيًا، متجهزًا في الميدان الصناعي والعلمي، ودائبًا في تجديد ثقافته وأخلاقه مشتركًا مع دولة قوية وحرّة، غايتنا هي إنشاء دولة فتيّة تقود خطاها الديمقراطية الفرنسية»⁶.

1 ناصر الدين سعيدي، أحداث ماي 1945 ذكريات وتوضيحات جسيمة وعبرة وكفاح مرير، مجلة الذاكرة، العدد 2، الجزائر، 1995، ص 27.

2 للإطلاع على محتوى المرسوم كاملا أنظر: *Dépêche de Constantiine, 13 mars 1946*

3 آخر قضية حكمت بشأنها المحكمة العسكرية حول حوادث ماي - جوان 1945 تتمثل في قضية مقتل الزوج وانشل - Wunshell في قائمة على يد مجموعة من أهالي المنطقة، الذين وقفوا أمام محكمة قسنطينة في 15 جانفي 1947 وتم صدور الأحكام في حقهم بعد الاستئناف بالمحكمة العسكرية لمدينة الجزائر بتاريخ 19 نوفمبر 1947.

4 *Echo d'Alger, 24 Décembre 1947.*

5 محمد العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، المرجع السابق، ص 105.

6 Claude Collot. Jean Roberts Henry, *Le Mouvement National Algérien, Textes* 1, op.cit. p187.

يبدو أنّ اللاءات الثلاث التي وظفها فرحات عباس "لا إدماج، لا سيد جديد، لا انفصال"، كان يهدف من ورائها إلى كسب الرأي العام الفرنسي المتعاطف مع القضية الجزائرية، والمناهض لفكرة الكفاح المسلح كوسيلة لتقويض أركان الاستعمار، ورغم وجود مؤشرات توحى بتغيير طفيف في توجه أفكار عباس فرحات حيث أصبح ينادي بإقامة دولة جزائرية، لكن غير مستقلة بل مرتبطة فدراليًا مع فرنسا، أمّا وسائل تحقيق تلك الغاية حسب فرحات عباس فلا يجب أن تخرج عن الطرق السلمية، والتمسك بمبدأ الثورة بالقانون، بمعنى تحقيق استقلال ذاتي بالطرق السلمية وبعيدًا عن العنف المسلح إلا أنّ ذلك لم يمنع فرحات عباس من تمسكه بأفكاره الإدماجية الرامية إلى الارتباط بفرنسا ودفاعه عنها، وإصراره على فكرة الدولة الفتية التي تحتاج إلى توجيه ورعاية فرنسية¹.

دعا عباس في ندائه هذا إلى ضرورة تعايش الأغلبية مع الأقليتين الأوروبية واليهودية، في ظلّ جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا، ويعتقد أنّ الحل الصحيح لا يركز على القوة ولا للخضوع الديني والتملق، بل تحرير الجزائر يجب أن يعتمد على مبدأ احترام القوميات وعملية البناء تكون على أسس تاريخية صحيحة ممزوجة بالديموقراطية العالمية الحرة، ولتحقيق ذلك حمل نداؤه ثلاث محاور أساسية تختصرها في: المساواة المطلقة-تربية الإنسان-فتح أبواب العلم والتكنولوجيا.

رأى أنّ برنامجه السياسي هذا يمكن له أن يتحوّل إلى واقع حقيقي، لكن شرط أن تتخلى فرنسا على عقدة مرّكب الاستعمار وعجرفتها وغطرستها التي مارسها منذ 1830، ودعا المستوطنين إلى التخلص من عقدة الكبر، أمّا الجزائريين المسلمين فعليهم التخلص من تمجيد أنظمة الحكم العتيقة التي يصدرها مريدي الطرق وأرباب الزوايا، والاعتماد على وطنيين غيورين على بلادهم حتى وإن اختلفوا في الوطن والدين².

أعلن فرحات عباس في أبريل 1946 تأسيس حزب جديد أطلق عليه اسم "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - Union Démocratique du Manifeste Algérien" كبديل عن برنامج أحباب البيان والحريّة، وتشكّلت نواته من المثقفين والأعيان والمحامين مثل: بومنجل والدكتور سعدان وابن خليل وأحمد فرانسيس وغيرهم، وأطلق جريدة ناطقة باسمه هي "الجمهورية الجزائرية - La République Algérienne"³.

أعلن الحزب مشاركته في إنتخابات المجلس التأسيسي الثاني التي تحدّد إجراؤها في 02 جوان 1946، حيث تحصل الحزب على نسبة 71% أو ما يعادل 11 مقعدًا من أصل 13 مقعدٍ مخصّص للجزائريين المسلمين⁴، وبالرغم من أنّ نسبة المقاطعة كانت كبيرة إثر دعوة حزب الشعب الجزائري للمقاطعة والإمتناع عن المشاركة وحمل شعار "من إنتخبوا كفروا، الإنتخاب خيانة وطنية"، إلا أنّ عباس اعتبر نتائج الإنتخابات "انتصارًا مبنيًا، لا مرء فيه"، وأنّ نتائج الإنتخابات عبّرت عن التأيد المطلق لسياسة الحزب والقضاء النهائي على سياسة الإدماج، كما اعتبر مشاركة حزبه في الإنتخابات نهاية العزلة السياسية للجزائريين المسلمين وانتصار للجزائر في معركتها⁵. سعى عباس ومناضلي حزبه لإيصال صوت الجزائريين المسلمين للبرلمانيين الفرنسيين، ومحاولة تغيير عقلية كبار الملاك الفرنسيين الذين تربطهم مصالح مشتركة بالمستوطنين في الجزائر، واستعمل عباس في مداخلاته داخل البرلمان مبادئ الثورة الفرنسية وفلسفتها وقوانين الجمهورية الفرنسية، مستغلًا كل تجاربه وحنكته ودكائه وقدراته الخطابية لإقناع البرلمانيين الفرنسيين بتأييد فكرته بإقامة الجمهورية الجزائرية

1 محمد العربي الزبيدي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص106.

2 Ferhat Abas, **La nuit Coloniale**, op.cit, p196.

3 Mahfoud Kaddache, **Histoire du Nationalisme Algérienne**, op.cit, p730.

4 André Nouchi, **La naissance du nationalisme Algérien dans l'Armée Française (1919-1945)**, op.cit, p144.

5 Ferhat Abas, **La nuit Coloniale**, op.cit., p201.

المتحدة فدراليًا مع فرنسا، وقدّم للبرلمان الفرنسي مع جماعته من البرلمانيين في 09 أوت 1946 مشروع "دستور الجمهورية الجزائرية"¹ في حين يقول: «لم يكن لفرنسا في ذلك الحين أيّ دستور»².

جاءت المادة الأولى من مشروع الدستور تقضي بضرورة اعتراف فرنسا بالجمهورية الجزائرية وحكومتها وعلمها الوطني، وهو مطلبٌ استقلالي، لكن بمجرد الإطلاع على المادة الثانية والتابعة من مشروع دستور عباس نجد أنّ الاستقلال الذي تكلم عنه هو استقلال جزئي فقط وغير كامل، ما يوضح أنّ فكر عباس بقي وقيًا للإدماج، كما نسجل رفض أعضاء حزب الشعب بقيادة مصالي الحاج مشروع الدستور الذي تقدّم به عباس لقناعتهم وتمسّكهم بالاستقلال التام للجزائر، وكان عباس قد تلقى بريقة من الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري الجديد التونسي يقول له فيها: «إن فرنسا لا تمنحنا أيّ شيء من مطالبنا»، ونصح عباس بالانضمام إلى حزب الشعب الجزائري³.

بالرغم من كلّ التنازلات التي قدّمها مشروع الدستور إلّا أنّ رد فعل البرلمان الفرنسي كان سلبيًا، لأنّ الصّراع داخل المجلس التأسيسي كان صعبًا بسبب نفوذ الكولون، حيث تمكّنوا بفضل علاقاتهم داخل المجلس وإمكاناتهم المادية من تعبئة جميع الأوساط السياسية لغلق كلّ الأبواب في وجه نواب الاتحاد الديمقراطي، فلم تؤخذ مطالب المشروع مأخذ الجد، ولم يجهد نفسه لمناقشة القانون الأساسي الخاص بالجزائر بل صادق المجلس الوطني الفرنسي في 20 سبتمبر 1947 على القانون العضوي للجزائر⁴، الذي نصّ على أنّ الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وأبقى على مبدأ القسمين في الانتخابات الدّرجة الأولى والدّرجة الثانية والتساوي في التمثيل النيابي أيّ أنّه يساوي بين 10 ملايين جزائري مسلم و800 ألف أوروبي، كان هذا القانون صادمًا لفرحات عباس ومناضليه وخيب آمالهم الكبيرة في ترجمة مشروع دستور الجمهورية الجزائرية ووصفه عباس (بالعتيق)⁵.

أحدث قرار المصادقة على هذا القانون ردّة فعل عنيفة لدى مناضلي (UDMA)، الذي أمر منتخبيه بالاستقالة من مجلس الجمهورية، وقد تم ذلك في شكل رسالة تحمل تاريخ 31 أوت 1947، تضمّنت تحفظات الحزب وموقفه من الدستور الجديد⁶. عندما جرت إنتخابات تشريعية في نوفمبر 1946 قرر حزب (UDMA) عدم المشاركة فيها وذلك راجع حسب عباس إلى عاملين هما:

- ترك الفرصة لمرشّحي حزب (ح.إ.ح.د)، وكان ذلك بطلب من زعيم الحزب مصالي الحاج وعبرّ عباس عن ذلك بقوله: «أحجم حزب البيان عن تقديم مرشحين في إنتخابات نوفمبر 1946 للمجلس التشريعي الأول، ليمكّن مصالي الحاج من مجابهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه...»؛

1 للإطلاع على مضمون الدستور أنظر: Ferhat Abas, *La nuit Coloniale*. pp203-204.

2 Ferhat Abas, Ibid, p204.

3 - Mahsas, Ahmed, *Le mouvement Révolutionnaire en Algérie de la 1^{ère} guerre mondiale à 1945*, op.cit. p87.

4 القانون العضوي للجزائر قانون رقم: 1853.20/47 سبتمبر 1947 وجاءت نتائج التصويت عليه: 322 صوت بنعم، 92 صوت بلا، وامتنع 163 صوت، وشمل القانون ثمانية أبواب وستين مادة، يجمع القانون بين النظام الفدرالي و الإدماج، ويهدف إلى فصل النخبة التي تتمتع بحق المواطنة عن بقية الشعب.

للإطلاع على مواد القانون أنظر: إبن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية (1936-1945) ج3، ص ص. 40-45.

5 Ferhat Abbas, *La nuit Coloniale*, op.cit., p205.

6 حمل مضمون الرسالة إحتجاجا ضد القانون وإعلان إستقالة من عضوية مجلس الجمهورية، وثلاث ملاحظات حول عيوب هذا القانون. أنظر:

Naroun, *Ferhat Abbas ou Les Chemins de La Souveraineté*, op, cit, pp174

- رسالة الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة التي طالبه فيها بمساندة حزب الشعب، لأنّ فرنسا حسب تجربته الشخصية لا يمكن أن تستجيب لأيّ من مطالبه¹.

جاء دستور 1947 ليشكّل خيبة جديدة لفرحات عباس ومناضليه، لكنّها لم تمنعه وحزبه من مواصلة النشاط تحت شعار "الثورة بواسطة القانون"، والعمل على الاستعداد لخوض المعارك الانتخابية وتوحيد أجنحة الحركة الوطنية.

لجأت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إلى إجراء الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، قبل إجراء إنتخابات المجلس الجزائري وذلك لمعرفة مدى تأثير الحركة الوطنية على الجماهير، فحصل (إ.د.ب.ج) على 18% من الأصوات المعبر عنها، و(ح.إ.ح.د) على 33% من الأصوات، و(ح.ش.ج) على 4%، أما الأحرار من مرشحي الإدارة وعملاء الاستعمار فقد تحصلوا على 45% من الأصوات²، ولأنّ النتائج جاءت على غير المتوقع من طرف الإدارة الفرنسية قرّرت الحكومة عزل الحاكم العام شاتينيو، الذي اهتمته بالضّعف وسوء التسيير، وعيّنت بدله حاكم عام اشتراكي هو نيجلان-Ed.Naegelen الذي اتهمه عباس بمّد يد المساعدة إلى الملاك والإقطاعيين الذين تورّطوا في عهد فيشي، حتى مكّنهم من تقلّد زمام الحكم من جديد، وفرض سيطرتهم كما في الماضي³.

كان نايجلان اشتراكياً في مذهبه السياسي لكنّه بالنسبة للجزائريين المسلمين، هو يميني متطرف، يرى في استقلالها نهاية الإنجازات الفرنسية، لذلك شرع بمجرد تنصيبه في وضع أسس لتزوير وتزييف نتائج الإنتخابات، والتي سوف تعرف باسمه فيما بعد «الإنتخابات على طريقة نايجلان، التزوير، الخوف، الدم»⁴.

عقد حزب الاتحاد الديمقراطي ما بين 25 و27 سبتمبر 1948 أول مؤتمر وطني له بمدينة سطيف، قدّم خلاله عباس مداخلة بعنوان «تطلعات حول حاضر ومستقبل الجزائر»⁵، أكّد فيها على ضرورة إلغاء القوانين المفروضة بالقوة على الجزائريين المسلمين، وإدخال الديمقراطية إلى المجلس الجزائري، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية، وطالب بوحدة مغربية في إطار اتحاد شمال إفريقيا، ووجه المؤتمر رسالة إلى منظمة الأمم المتحدة المجتمعة في باريس، طالبوا فيها بمنح الأمم الصّغيرة حق تقرير المصير وإلغاء نظام الاستعمار. في مؤتمره الثاني ما بين 16 و18 سبتمبر بتلمسان قدّم عباس كعادته مداخلة جاءت بعنوان "نظام الاستعمار، ورفضه للعدالة والتقدم"، توجّه فيه مرة أخرى إلى منظمة الأمم المتحدة وشرح وضعيّة الجزائر من بداية الاحتلال لغاية 1949، مطالباً بتدخل المنظمة لوضع حد للاحتلال الفرنسي في شمال إفريقيا عامّةً والجزائر خاصّةً، والعمل على إقامة اتحاد مغاربي بعد التحرّر من الاستعمار وطالب بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين⁶.

مع بداية الخمسينيات فقد الاتحاد الديمقراطي قوته وحماسه وعبر فرحات عباس على ذلك قائلاً: «يجب أن نعترف بأنّ النعمية الهائلة والاحتفال الشّير قد جعلنا من الجزائر فرنسية، بالتأكيد أنّ حزباً تقدماً قد أسّس تصرفاته على احترام الشّريعة، ويكافح تحت شعار "الثورة بالقانون" لم يعد يستطيع التقدّم.....»⁷.

1 Benjamin Stora, Zakia Daoud, op.cit, p174.

2 Ibid, p181.

3 عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، المرجع السابق، ص 283.

4 Bernard Droz, Evelyne Lever, **Histoire de la Guerre d'Algérie**, seuil histoire, 1982, pp.33-36.

5 Ferhat Abbas, **Regards sur le présent et L'avenir de L'Algérie**, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1 Congrès de L'« U.D.M.A », édition Libération, Alger, 1984, pp.1-32.

6 Ferhat Abbas, **Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation**, rapport présenté par Ferhat Abbas au 2eme congrès national de l'« U.D.M.A » Tlemcen les 16.17 et 18 Septembre 1949, pp.1-39.

7 Mahfoud Kaddache, **Histoire du nationalisme algérien**, T1, op, cit. p892.

وصل حزب فرحات عباس وحزبه إلى طريق مسدود بسبب ممارسات الإدارة الاستعمارية وعملية تزوير الانتخابات في كل مرة، إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954، الذي وصفه عباس بقوله: «اغتنمنا فرصة عطلة عيد كل القديسين لعقد اجتماع لجنة الحزب المركزية، ومن جملة النقاط المدرجة في جدول العمل الوضعية المادية لسكان مدينة أورليونفيل (الشلف) بعد الزلزال العنيف الذي أصابها، والنتائج السياسية للانقسام الذي حدث داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وأثناء الاجتماع لمعت شرارة أحداث الفاتح نوفمبر مثل برقي في سماء الجزائر، ومن الصَّعب علينا اليوم أن نصف مدى وقع المفاجأة علينا ومدى قلقنا وارتياحنا، لقد تحقق ما كنّا نحذر السُّلطة الاستعمارية الفرنسية منه، التي كانت تراه مثيراً للسَّخرية كما كان زملاؤنا الفرنسيون في مجلس المنتخين يضحكون لسماعه»¹.

يعلّق علي كافي على موقف عباس الذي تفاجأ باندلاع الثورة حسب رأيه بقوله: «وعلى الرّغم من المبررات المستقبلية فقد اتخذ فرحات عباس موقفاً واضحاً منذ البداية حيث كتب في صحيفة الجمهورية العدد 46 بتاريخ 12-نوفمبر-1954 « إنّ موقفنا واضحٌ ومن دون أيّ التباس، إننا سنبقى مقتنعين بأنّ العنف لا يساوي شيئاً»، لقد استمر على موقفه ومبادئ حزبه وهو التعلق بالشرعية وإدانة العنف والمناورة للحصول على تنازلات من فرنسا، وبقي في حلمه هذا إلى أن فشلت كلّ محاولاته فركب القطار في 1956، بعد أن حلّ الحزب والتحق رئيسه وكثير من إدارته بجهة التحرير الوطني، مع العلم أنّ كثيراً من مناضلي البيان قد التحقوا بصنوف الثورة قبل ذلك التاريخ»².

تمكّن عبّان رمضان من إقناع فرحات عباس بالانضمام إلى الثورة إثر اتصالات بين الرجلين بدأت منذ شهر ماي 1955، وانتهت بالتحاق فرحات عباس والدكتور أحمد فرنسيس بوفد جبهة التحرير الوطني في القاهرة شهر أبريل 1956³.
أ. أصحاب الحرية والديمقراطية:

حصل الحزب الشُّيوعي الجزائري في الانتخابات المحلية التي أجريت في 02 جوان 1946 على 53396 صوت، وهو رقمٌ ضعيف إذا ما قورن بعدد الأصوات التي حصل عليها عباس⁴، ويرجع ذلك إلى إيديولوجيته المعادية للوطنية الجزائرية ونتيجة مواقفه السَّلبية وتجمعه على تيارات الحركة الوطنية الأخرى، وإتهامه لها بالتخطيط والتنفيذ لأحداث 8 ماي 1945 ومطالبة السُّلطات الفرنسية بسجن زعمائها، ونتيجة للصّورة غير المشرفة التي ظهر بها الحزب خلال الحرب العالمية الثانية⁵.

حاول الحزب إعادة الثقة لكيانه باعتماده هذه المرة على سياسة جديدة لعلّها تقربه أكثر من المجتمع الجزائري، ومن بين الإجراءات الجديدة التي اعتمدها تنقية الحزب من العناصر التي اتهمت برفع الشِّعارات ضدّ تيارات الحركة الوطنية الأخرى وضدّ زعمائها، فتم إبعاد عمار أوزقان الأمين العام للحزب الشُّيوعي الجزائري، وقام في ذات الوقت بضمّ عناصر معروفة وقريبة من الجزائريين أمثال الصّادق هجرس، مبروك بلحسين، بوعلام بوخالفة، وعمر أوصديق، وتم إعطاء الحزب تسمية جديدة هي: "أصحاب الحرية والديمقراطية".

1 Ferhat Abbas, *Autopsie d'une guerre*, L'Aurore, paris, Garnier, 1980, p69.

2 عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956) دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر3، ص177.

3 عبد القادر حميد، عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب 2003، صص 71-72.

4 André Nouchi, *La naissance du nationalisme Algérien dans l'Armée Française (1919-1945)*, op.cit, p144.

5 محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر 2008، ص14.

للتقرب أكثر من التيارات السياسية الأخرى أقرّ الحزب بأهمية الحركة الوطنية ويطابعها التقدمي، واقترح تشكيل جبهة وطنية ديمقراطية تضم بالإضافة إلى أصحاب الحرية والديمقراطية كلاً من العلماء وحزب الشعب والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وشعب فرنسا كحليف لها، هذا كما أقرّ الحزب جملة من المطالب نذكر منها:

- ترسيخ مبادئ السلم وإقامة علاقات مع القوى العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، والاتحاد السوفياتي؛
 - توفير الغذاء والمستلزمات لجميع المستوطنين الصغار والفلاحين والعمال، واعتماد سياسة الري لتطوير الفلاحة وتنمية الإنتاج الصناعي بالاهتمام بالعمال، وتأميم البنك الجزائري ومناجم الفحم والفوسفات وشركات التأمين الكبرى وشركات الغاز والكهرباء؛
 - تطبيق القوانين الاجتماعية المعمول بها في فرنسا خاصةً اقتراحات وزير العمل (كانت له ميولات شيوعية)؛
 - الدفاع عن العمال والدعوة إلى تكوين اتحاد يضمّ الشباب المتطلعين لمستقبل أفضل¹.
- بالتوقف عند مطالب الحزب نجده بقي متمسكاً بأيديولوجيته القائمة على عدم الاعتراف بالكيان الجزائري، محافظاً على مطالبه وأفكاره التي لم تخرج عن إطار الأممية الشيوعية، لأنّ الحزب كان يعمل وفقاً لاستراتيجية تسطرها الشيوعية العالمية لا المصلحة الوطنية، لذلك فشل الحزب في مسعاه في كسب ثقة الجزائريين وإعادة الاعتبار للحزب².
- ب. نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**

بعد استفادته من العفو الشامل الصادر في 16 مارس 1946 عاد البشير الإبراهيمي إلى بعث نشاط الجمعية الإصلاحية، ومن أجل الترويج لنشاطاتها شرعت الجمعية في إصدار السلسلة الثانية من صحيفة "البصائر" التي أوقفت منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية³، وكان للصحيفة دورٌ بارزٌ في نشر أفكارها وتطلعاتها⁴.

عقدت الجمعية مؤتمرها التاسع الذي عقد بتاريخ: 21 جويلية 1946 والذي خرج بمجموعة من المطالب نذكر منها:

- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية؛
- حرية الثقافة الإسلامية؛
- إصلاح نظام القضاء الإسلامي، وتعيين المفتين والقضاة من قبل الشعب؛
- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والدينيين في السجون الفرنسية؛
- معارضة التجنيس ورفض الإدماج؛
- إعادة فتح المدارس التي أغلقت منذ ماي 1945.

1 محمد بلعاسي. محمد شوب، مجازر 8 ماي 1945 وأثرها في تطوير الوعي السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، مجلة تنوير، العدد 5، جامعة الشلف، مارس 2018، ص 247-248.

2 مصطفى أوعامري، الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية (1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 17، العدد 29، جوان 2016، ص 451. 471.

3 توقفت البصائر عن الصدور عند اندلاع الحرب العالمية الثانية بأمر من الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية التي كانت الجريدة تتحدث باسمها.

4 لونيبي إبراهيم، جريدة البصائر والثورة الجزائرية (1954-1956)، مجلة الواحة للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2، جامعة الجليلي ليايس، 2014، ص 373.367.

بالتوقف عند مطالب الجمعية تلك نلاحظ أنها لم تتغيّر طوال عقدين من الزمن، فمسألة فتح المدارس وبناء المساجد وتعليم النشء تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، وإرشاد عامة الشعب الجزائري لمعرفة هويته الحقيقية والتمسك بها كان شغل الجمعية الشاغل. وتوجّ نشاط جمعية العلماء المسلمين في 1947 بتأسيس "معهد عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة، الذي ساهم في تخرج الكثير من الطلبة الجزائريين، بعدما كان أغلبهم يسافر لتونس أو المشرق العربي للدراسة، وأسندت إدارته للشيخ العربي تبسي وضم المعهد مدرسين أكفاء على غرار، نعيم النعيمي، أحمد حسين، أحمد حماني، عبد المجيد حيرش وغيرهم، وأصبح المعهد فرعاً من فروع جامعة الزيتونة لتسهيل إتمام الدراسة بها، واعترفت بشهادته عدة جامعات مثل: مصر، سوريا، العراق، الكويت وتم قبول طلابه لإكمال دراستهم بها¹.

كما وجّهت الجمعية عريضةً مفتوحة سنة 1949 إلى رئيس الجمهورية الفرنسية (فون سنت أوربول-Fan sente Auréole)

جاء فيها:

- إنّ الجزائر وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كلّ حق، وعشره العاشر سادة مفروضة لهم التمتع بكلّ حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه؛
- إنّ الدين الإسلامي مملوكٌ للإدارة، تحتكر التصرف في المساجد ورجاله وأوقافه وقضائه؛
- التعليم معطل في هذا الوطن بتعطيل المساجد، ومئات الآلاف من الشّباب المسلمين تشوق إليه، والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريب وسجن، ومدارسه تعاني من التضيق والتعطيل ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات التي تتسم بوسمكم؛
- أنّ الشعب الجزائري قد أصبح من طول ما جرب ومارس لا يؤمن إلّا بأركان حياته الأربعة، ذاتيته وجنسيته ولغته العربية ودينه الإسلامي، لا يستنزل عنها برقي الخطب والمواعيد ولا ينبغي عنها حولاً ولا يرضى لها بديلاً؛
- إنّ الشعب الجزائري مريضٌ يتطلع للشفاء، وجاهلٌ متوثب إلى العلم ويائسٌ متشوقٌ للنّعيم، ومنهوكٌ من الظلم مستشرفٌ إلى العدالة، ومستعبدٌ ينشد الحرية ومهضوم الحق يطالب بحقه في الحياة، وديمقراطي الفطرة والذي يحن إلى الديمقراطية الطبيعية، ولكنه ليس كما يقال "جائعٌ يطلب الخبز فإنّ وجده سكت"؛
- لا يسيع عقل ولا منطق كيف تكون الوحدة بين سيدٍ مسود؟، وكيف تتصوّر بين حاكم مزهو بعصبية جنسية تظاهرها عصبية دينية؟، وكيف تتفق في بلد كنيسته حرة وبيعته حرة ومسجده مستعبد؟².

بالنّظر إلى هذه المطالب ندرك أنّ جمعية العلماء لم تعد تكتفي بالبرنامج الإصلاحي الذي سطرته في قانونها الأساسي، بل إنّ تجربتها في مجالات التربية والتعليم والإصلاح الديني قد أقلها لدخول عالم السياسة إيماناً منها بأنّ الإصلاح لا يستقيم إلّا بسلطة تسير وراءه، في هذا السياق يقول الشّيخ الإبراهيمي: «إنّ وراء السياسة شيئاً اسمه الكياسة، وهي خلقٌ ضروري للسياسي، وأن

1 أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، المصدر السابق، ص 269.

2 البصائر، العدد 103، 1950.

السياسي الذي يحترم نفسه يحترم غيره مهما خالفه في الرأي، ومهما كان الخلاف جوهرياً، فإذا لزم النقد فلا يكون الباعث عليه الحقد، وليكن موجهاً إلى الآراء بالتمحيص لا إلى الأشخاص بالتقصص»¹.

عبّرت على هذا التوجه في العديد من المناسبات وذلك بمشاركتها في المؤتمرات والاحتجاجات وصياغة العرائض والمطالب والدخول في تحالفات والتفاعل مع الأحداث الوطنية والدولية²، كما تصدّت الجمعية لسياسة الإدماج بجميع مظاهره ووقفت ضدّ أمرية مارس 1944، ودعت إلى انتخاب مجلس إسلامي أعلى ومعاملة الدين الإسلامي بالمثل مع الدين المسيحي بكنائسه وأمواله ورجاله، والدين اليهودي ببيعه وأحباره وأوقافه، الأمر الذي عارضته الإدارة الاستعمارية واعتبرته بمثابة "جر السياسة إلى المسجد".

كما نرى الجمعية تعتمد في خطابها على توظيف مفاهيم هي أقرب للسياسة مثل العدل والديمقراطية، وتدعو إلى ترسيخها والتمسك بها، ولم تتردّد الجمعية في الجهر بمعاداتها لمصطلح "الاتحاد الفرنسي" الذي تستعمله فرنسا لإخفاء الوجه القبيح للاستعمار والذي يتناقض مع العقل والمنطق، إذ لا يمكن للمظلوم المستبد به أن يتحد مع ظالمه المستبد به³. غير أن الجمعية لم تجاري سياسة الأحزاب السياسية الأخرى بالمشاركة في الانتخابات البرلمانية خلال سنتي (1948 و1951) التي دعا إليها دستور 1947 والقانون الخاص بالجزائر، ولأنّ الخط السياسي للجمعية كان يرفض المشاركة السياسية عبر المؤسسات الدستورية الفرنسية، فقد قاطعت الجمعية كل تلك الاستحقاقات الاستعمارية المشوهة والمشبوهة⁴.

أصبح نشاط جمعية العلماء ملموساً في مجلسين، السياسة والإصلاح، وجندت لذلك كل إمكانياتها بدءاً بأعمدة الصحافة وانتهاءً بالمسجد والنادي والمدرسة، مروراً بالمناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية ذلك رغم كل العقبات التي فرضتها الإدارة الاستعمارية أمامها⁵. عند اندلاع الثورة التحريرية توجّست الجمعية شكاً مما حدث ولعلّ هذا الأمر راجع إلى عاملين اثنين هما: القيادة الثورية المجهولة بالنسبة لها، والسرية التامة التي أحاط بها مفجرو الثورة عملهم التحضيري، فبقراءتنا لافتتاحية البصائر في عددها رقم 292 الصادر بتاريخ 1954/11/05 يدرك بوضوح حالة التخبط والتذبذب التي أملت بها حينما نشرت مقالاً بعنوان "حوادث الليلة الليلية" وما جاء فيه: «فوجئت البلاد الجزائرية بعددٍ عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلها بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صباح يوم الإثنين غرة نوفمبر.....، إننا لحد الساعة لا نملك التفاصيل المقتنعة عن هذه الحوادث وأسبابها وليس بين أيدينا إلا ماتناقلته الصحف وشركات الأخبار، فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق فليس من شأن البصائر أن تتسرع في مثل هذه المواطن....»⁶، بل إنّ هذه الجريدة ظلت طيلة شهري نوفمبر وديسمبر من نفس السنة تبحث عن مصدر الثورة⁷، ولعل هاجس 8 ماي 1945 المروع بفضاعة الجرائم التي ارتكبتها المستعمر في حق الجزائريين ظل يهيمن على تفكير الجمعيات والأحزاب، وعلى هذه الخلفية تراثت الجمعية قصد الاستيثاق من حقيقة الثورة، والتعرّف على مفجريها تحاشياً لسيناريو 8 ماي جديد قد يكون أكثر مأساوية⁸، كما يمكن تفسير

1 نفسه، 1947.

2 الطيب بوسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية و الثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، الصراط، العدد 16، جانفي 2008، ص 157.

3 محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 207.

4 الطيب بوسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية و الثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، المرجع السابق، ص 165.

5 لونيبي ابراهيم، جريدة البصائر والثورة الجزائرية (1954-1956)، المرجع السابق، ص 368.

6 البصائر، مقال "حوادث الليلة الليلية"، العدد 292، 05 نوفمبر 1954، ص 1.

7 محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 182.

8 الطيب بوسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية و الثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، المرجع السابق، ص 169.

هذا الموقف من جريدة البصائر لسان حال الجمعية أنها لم ترد أن تقحم نفسها في أمرٍ لم تتأكد من مصدره، كما أن تأكيدها أو مساندتها لفكرة العمل المسلح كان سيعرضها للحل والمصادرة.

يذهب أحمد توفيق المدني إلى أنه كان يعلم بأمر الثورة وتاريخ اندلاعها، ويضيف أنه اتصل بالشيخ خير الدين واتفقا على عقد المجلس الإداري للجمعية الذي أكدوا فيه مساندة الجمعية للثورة ووقوفها إلى جانبها¹، لكن محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح" نفى على لسان الشيخ خير الدين ما أورده توفيق المدني قائلاً: «كل هذا لا أساس له من الصحة، فما كان أحد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئاً قبل اندلاعها... في صباح يوم الفاتح نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل إلينا موظف من موظفي الدار ويده جريدة "لا ديباش القسنطينية" ومنها علمنا أول أخبار الثورة المتفجرة...»².

كان الشيخ الإبراهيمي من أوائل المؤيدين للثورة، حيث أصدر مكتب الجمعية بالقاهرة يوم 02 نوفمبر 1954³، بياناً مما جاء فيه: «أذاعت عدة محطات عالمية في ليلة البارحة أنّ هيب ثورة اندلع في عدة جهات من القطر الجزائري...، ثم قرأنا في جرائد اليوم بعض تفصيل لما أجملته الإذاعات فخفقت القلوب بذكرى الجهاد... أما نحن المغتربين عن الجزائر فوالله لكأنا حملت إلينا الرياح الغربية حينما سمعنا الخبر روائح الدم الزكية... وكأننا في مواقع النار في خنشلة وباتنة»⁴.

وأكد ذلك بيان آخر في 03 نوفمبر 1954 بعنوان: إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء، ومما جاء فيه: «حياكم الله أيها الثائرون الأبطال وبارك في جهادكم، وأمدكم بنصره وتوفيقه وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار... اعلموا أنّ الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجباً عاماً مقدساً...»⁵.

وَقَّع الشيخان الإبراهيمي والورثاني على بيان مكتب الجمعية بالقاهرة بتاريخ 15 نوفمبر 1954، جاء بعنوان "نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد، نعوذ بالله أن تتراجعوا"، حمل مضمونه تأييداً ودعماً للثورة⁶.

بهذا التأييد المباشر للشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يمكننا أن نميز على مستوى قيادة الجمعية، بين تيارين مختلفين في مواقفهما حول مسألة الثورة، تيار سارع إلى تأييدها ومباركتها يتأسسه رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي أعلن عن موقفه المؤيد من القاهرة بل إنه أصبح ممثل جبهة التحرير الوطني في مصر والمشرق العربي، إضافةً إلى أعضاء الجمعية بالخارج من أمثال الشيخ الورثاني وأحمد بيوض، يضاف إليهم بعض مناضلي الجمعية في الداخل وهو الجناح الذي يتزعمه الشيخ العربي التبسي ويضم الشيخ أحمد حماني والشيخ طاهر حراث وعميد الرواية الجزائرية أحمد رضا حوحو، وهي الجماعة التي دعت منذ الوهلة الأولى إلى الالتحاق بالثورة والامتنال لأوامر جبهة التحرير الوطني والاعتراف ببيان أول نوفمبر 1954 وهو ما أطلق عليه بعض المؤرخين بالتيار الثوري داخل الجمعية⁷.

1 أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، صص 19-20.

2 محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ط1، دار البعث، الجزائر، 1982، صص 113-114.

3 عند اندلاع ثورة نوفمبر 1954 كان الشيخ الإبراهيمي بالقاهرة وقد سافر منذ 10 مارس 1952 بهدف تنظيم أمور طلبة الجمعية الذين يدرسون في مختلف معاهد ومدارس دول المشرق، لكن الشيخ التبسي وجه له إنتقادات متهمًا إياه بإهماله لشؤون الجمعية، كما شهدت تلك الفترة منافسة بين الشيخين التبسي وخير الدين ووصفها بعض المؤرخين بالأزمة داخل بيت الجمعية.

4 محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة 1954-1964، ط1، جمع وتصدير أبو القاسم سعد الله، شركة دار الامة، الجزائر، 1994، صص 20-23.

5 الفضيل الورثاني، الجزائر الفاتورة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، صص 140-141.

6 محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1954-1964)، ج5، المصدر السابق، صص 33-36.

7 لوئيسي ابراهيم، جريدة البصائر والثورة الجزائرية (1954-1956)، المرجع السابق، ص 370.

أما التيار الثاني داخل الجمعية فإن موقفه قد اتسم بالتحفظ أحياناً والمعارضة غير المعلنة أحياناً أخرى، ويمثله نائب الرئيس الشيخ خير الدين¹، هذا قبل الإعلان الرسمي لموقف الجمعية الداعم والمؤيد للثورة الصادر في 7 جانفي 1956 والمعنون بـ: «بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة في القطر الجزائري وموقف الجمعية منها»، الذي نُشر على صفحات جريدة البصائر في عددها رقم 349 بتاريخ 13 جانفي 1956 وفي هذا الموقف يقول أحمد توفيق المدني: «...وبعد مذكرات طويلة... رأينا أننا من الثورة ومع الثورة ولا يمكن إطلاقاً أن نكون إلا مع الثورة»².

ج. حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

بعد إصدار قانون العفو العام من قبل السلطات الاستعمارية في 16 مارس 1946، أطلق سراح المعتقلين من مناضلين ورؤساء أحزاب سياسية، لكن مصالي الحاج لم يتم الإفراج عنه إلا في 20 جوان 1946، ولم يتمكن من الوصول إلى بوزريعة بالعاصمة إلا يوم 13 أكتوبر 1946³، وقد وجد مصالي نفسه وسط حركة توسّعت وتغيّرت معالمها بعد غياب دام 9 سنوات بسبب السجن والنفي مما صعب عليه التكيف مع الأفكار الجديدة، فكان يحاول في البداية أن يتعرف على المناضلين الجدد داخل الحزب من المثقفين وصغار البرجوازيين (محامين، أطباء، أساتذة)، وأهم القضايا المطروحة للنقاش داخل الحزب⁴.

من بين أهم القضايا التي كانت مطروحة للنقاش خلال اجتماع اللجنة المركزية للحزب في أكتوبر 1946 نجد مسألة الوضع القانوني والشّرعي للحزب، وكذا قضية المشاركة من عدمها في الانتخابات التشريعية المقررة في 10 نوفمبر 1946، حيث دعا فريق من الأعضاء إلى إعادة تكوين حزب شرعي يواصل النضال من أجل الاستقلال، وهو الرأي الذي يميل له مصالي زعيم الحزب، بينما رأى فريق آخر بتشكّل من مجموعة من الشّباب المتحمّسين للعمل العسكري بقيادة محمد أمين دباغين أنه من الأفضل إبقاء السّرية حول نشاطات الحزب حتى تكون بعيدة على أعين السّلطة الاستعمارية، وكذا اعتماد النهج العسكري لأنه الأنسب في تحقيق المطالب بدل الاعتماد على المطالب السياسي والمشاركة في الانتخابات⁵.

استطاع زعيم الحزب مصالي ولو بصعوبة بالغة التقريب بين وجهات النظر، وذلك بعد اتخاذ قرار يقضي بالجمع بين الصفتين الشّرعية والسّرية، حيث يسمح للحزب بالمشاركة في الانتخابات والدفاع عن مطالبه بصورة شرعية، وتكليف جناح آخر يعمل سرّاً للتفكير في العمل المسلّح وبداية الإعداد له، لكن بالرّغم من أنّ مصالي استطاع احتواء الخلاف وتقرير فكرته إلا أنّ مجموعة الشّباب المعارضين مثل الدكتور الأمين دباغين، وحسين لحول، وعمر أوصديق قد غادروا الاجتماع وهم غير مقتنعين بالموقف النهائي حتى وإن كان زعيم الحزب قد وعد أن يكون العمل المسلّح أولوية الحزب وأنه سيأخذ حصّة كبيرة من نشاط الحزب⁶.

1 الطيب بوسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، المرجع السابق، ص 171.

2 أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 34-37.

3 بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، المرجع السابق، ص 303.

4 Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974) pionnier du Nationalisme Algérien, Edition L'harmattan, paris, 1998, p20.

5 Mohammed Harbi, le F.L.N Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir (1954-1962), Ed. Jeune Afrique, paris, 1980, p27.

6 هلال عمار، الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري 1947-1954، مجلة الذاكرة، العدد 3، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 83.

د. أزمات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

د.1. الأزمة حول مسألة الانتخابات:

تطبيقاً لقرار الاجتماع وبتاريخ 23 أكتوبر 1946، قدّم مصالي الحاج قوائم مرشحي الحزب للانتخابات، وكإجراء تعسفي منها رفضت إدارة الاستعمار ترشّح حزب الشعب الجزائري بهذا الاسم بدعوى أنّ هذا الأخير قد حل منذ 1939، فاقترح مصالي إسمًا جديدًا للحزب هو "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" أو "الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية"¹، وهكذا ولدت هذه الحركة في نوفمبر 1946، لكن الإدارة الاستعمارية رفضت ترشّح مصالي شخصيًا بالنسبة لدائرة العاصمة باعتباره من المحكوم عليهم قضائيًا² كما رفضت قائمتي وهران وسطيف³، وعلى الرغم من كلّ تلك المضايقات والمناورات التي لجأ إليها ممثلوا الإدارة الاستعمارية، فإنّ مرشحي الحزب قد فازوا بنصف المقاعد التي تنافسوا عليها⁴، ذلك أنهم لم يدخلوا الانتخابات إلّا في خمس دوائر فازوا فيها بخمسة مقاعد، ثلاثة منها في قسنطينة فاز بها كلّ من: الدكتور الأمين دباغين، والدكتور جمال دردور، والمهندس سعود بوقادوم، ومقعدان في العاصمة فاز بهما كلّ من: أحمد مزغنة، ومحمد خيضر⁵.

بعد ظهور نتائج الانتخابات ظهر صراع آخر داخل الحزب، حيث اعترض بعض الأعضاء داخل الحزب على مشاركة النواب الخمسة في البرلمان الفرنسي بحجة أنّ هذا الأخير يخدم مصلحة فرنسا وحدها، وكذلك بسبب التزوير الذي شاب عملية الانتخابات، كما أنكر هؤلاء حق النواب الفرنسيين في تسيير شؤون الجزائريين، لأنّ هذا الحق هو ملك للشعب الجزائري فقط وهو من يحدّد مصيره ومستقبله، ومن بين أشدّ المعارضين لسياسة مصالي الحاج البرلمانية نجد عمار عميش، الذي شن بداية فيفري 1947 حملة ضدّ سياسة مصالي الحاج⁶، حيث رأى أنّ زعيم الحزب قد تخلّى عن بعض مبادئ الحزب، وهذا ما وضّحه في رسالة موجهة للجزائريين بفرنسا، والتي خاطب فيها مصالي الحاج قائلا: «لقد حررناك من الفتنة والتعصب، وأنت تذهب الآن بسياستك إلى خطر أكبر، دعك من الخرافات وعد إلى الواقع»، كما بدأ عمار عميش يمهّد لإنشاء حزب جديد لمحاربة فكرة المشاركة في الانتخابات⁷.

أثناء هذه المرحلة الحاسمة من حياة الحزب تقرر أن تعقد (ح.إ.ح.د) مؤتمرها الأول يومي 15-16 فيفري 1947⁸، جرت الأشغال في سرية تامة خلال اليوم الأول الذي عقد في منزل ببوزريعة ملكًا للمناضل مهدي عوماري، وأنهى المؤتمر أشغالهم في اليوم الثاني في مصنع للمشروبات ببوزريعة ملكًا للمناضل لمولود ملأين، واختلّفت المصادر حول عدد الحضور، إذ يذكر راجف أنّ عدد

1 وقع إختلاف بسبب الترجمة في أصل التسمية الفرنسي الذي تضمنه الملف الإداري المقدم من طرف مصالي الحاج للسلطات الفرنسية للمشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية الثانية والمقرر إجراؤها بتاريخ 10 نوفمبر 1946، حيث جاء في الملف عبارة:

<< Le Mouvement pour triomphe des libertés démocratiques >> أنظر: بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ص 7

2 بعد رفض الإدارة الإستعمارية ترشح مصالي ترأس القائمة كل من: محمد خيضر، وأحمد مزغنة.

3 كانت قائمة وهران برئاسة السيد حسين لحول، أما قائمة سطيف فكان على رأسها السيد عبد الله فيلال.

4 محمد العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، مرجع سابق، ص 150.

5 Ahmed Mahsas, Le mouvement révolutionnaire en algérie, de la première guerre mondiale à 1954: essai sur la mouvement national, l' harmattan, paris, 1979, p218.

6 محمد بلعباسي، محمد شوب، مجازر 8 ماي 1945 وأثرها في تطوير الوعي السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 250.

7 - Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974) pionnier du Nationalisme Algérien, op.cit., p203.

8 يرى الدكتور العربي الزيري أن المؤتمر لم يكن تأسيسيا ولا يعتبر المؤتمر الأول لـ (ح.إ.ح.د)، مثلما يذهب إلى ذلك جل المؤرخين والمهتمين بتاريخ الحركة الوطنية، لكنه يرى أنه المؤتمر الثالث لحزب الشعب الجزائري. أنظر: العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، ص 152.

المشاركين كانوا 150 مشاركاً، بينما قدر حسين آيت أحمد عدد المشاركين بـ 120 مشاركاً، أما بن خدة فيقدر أنّ العدد أقل بكثير إذ لم يتجاوز 60 مشاركاً، بينما البقية فهم أعضاء من الجهاز وهو الرأي الأقرب للصواب¹.

وصف مصالي الحاج المؤتمر بقوله: «.... لم تجر دراسة جدية لأيّ من المشاكل والأحداث السابقة، وكان الأمر يتعلق بالأحرى بدسائس وصراعات وسباق إلى السُّلطة، كان مسرحاً للكثير من الديماغوجية والإدعاء الفارغ واليسارية الحمقاء، حيث لم يتوفر الجو المناسب لدراسة موضوعية وفق خطة عمل تتناسب والفترة من الكفاح التي كنا قد بدأناها بالمشاركة في الانتخابات².

ظهر الصِّراع جلياً خلال أشغال المؤتمر حول أسلوب الكفاح الذي يجب اعتماده، واستمع الحاضرون إلى تقريرين في منتهى الأهمية، الأول قدّمه السيدان حسين لحول وشوقي مصطفى يتعلق بالدفاع عن موقف الحزب بالمشاركة في الانتخابات، وقدم أجوبة سحرية حسب السيد أحمد بودة لكل الأسئلة التي طرحها الطرف الآخر، جعلت أغلبية الأعضاء يصفقون بحرارة لنشاط الحزب السياسي في ظل الشَّرعية والقانون الاستعماريين، بينما قدم حسين آيت أحمد التقرير الثاني الذي حمل آراء وأفكار مجموعة الشُّباب المتحمس للكفاح المسلح، وتميز التقرير بالدقة في التعبير والتركيز الإيديولوجي، وعلى ضوء التقريرين ناقش المؤتمر واقعه وأعد مخططاً لمستقبله³، حيث أقرّ المؤتمر على النقاط التالية: مواصلة النشاط السّري لحزب الشَّعب الجزائري، والإبقاء على تنظيم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كغطاء قانوني لمواصلة النضال السّياسي، وتأسيس المنظمة الخاصة من أجل التحضير للكفاح المسلح⁴.

انتخب المؤتمر بالإجماع السيد الحاج مصالي رئيساً للحزب وتم تزكية السيد لحول للاستمرار كأمين عام للحزب، وتم تعيين لجنة من ستة أعضاء مهمتها تعيين اللجنة المركزية والمكتب السّياسي، وأسندت مهمة الإشراف على المنظمة الخاصة للسيد محمد بلوزداد والتنظيم السّياسي للسيد أحمد بودة بينما كلف أحمد مزغنة بالحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، والشؤون الخارجية للدكتور محمد لمين دباغين⁵.

لقد انعكست الأجواء المتوترة على مجريات المؤتمر وأشغاله، حيث خرج بنتائج ظرفية فقط لم تنهي الخلاف الدائر بين مناضليه خاصةً فيما يتعلق بمسألة المشاركة في الانتخابات التي استمرت بعد المؤتمر، كما أسفر المؤتمر على شكل تنظيمي جد معقد للحزب مما كرس ظاهرة الانقسام بداخله فظهرت ثلاثة تيارات مختلفة هي:

- ❖ **التيار الشَّرعي:** وهو التيار المدافع على فكرة المشاركة في الانتخابات وفقاً لشرعية القوانين الفرنسية؛
- ❖ **التيار السّري:** الذي آمن مناضلوه بمبدأ الحفاظ على السّرية داخل الحزب للمحافظة على شعبيته؛
- ❖ **التيار الثوري:** ويرى ضرورة البدء في العمل الثوري، وتكوين منظمة شبه عسكرية تحضّر للثورة المسلحة، ويتشكّل من الجيل الجديد الذي يرى في العمل السّياسي تضييعاً للوقت⁶.

1 محمد زروقي، تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2020-2021، ص 207.

2 Mohammed Harbi, le F.L.N Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir (1954-1962), op.cit., p 43.

3 محمد العربي الزبيدي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، المرجع السابق، ص 152-153.

4 Tegua Mouhamed, L'Algérie en guerre, Office des publications universitaire, Alger, 1988, p79.

5 محمد العربي الزبيدي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، مرجع سابق، ص 154.

6 إبراهيم لونيسي، أزمة حزب الشعب الجزائري خلفيات وأبعاده، المصادر، ع2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999، ص 97.

يمكن تفسير استمرارية الخلاف حول مسألة المشاركة في الانتخابات من عدمها إلى تباين المكاسب والإخفاقات من تلك المشاركة، فقد شكّل الفوز في الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947 مكسباً وحيّةً لدعاة العمل الشرعي العلني في وجه المناضلين المعارضين والمشكّكين، لكنّ التزوير الذي رافق انتخابات الجمعية الوطنية الجزائرية التي جرت في 04 أبريل 1948¹، إضافةً إلى التهريب والاضطهاد وحملة الاعتقالات الواسعة التي منّت العديد من إطارات الحزب ومرشحيه، والكلفة المادية الباهظة للمشاركة في الانتخابات، سرعان ما أعاد الأصوات المعارضة للمشاركة في الانتخابات إلى الواجهة².

د.2. الازمة البربرية:

يرى السيد محفوظ قداش أنّ الازمة البربرية ظهرت بعد انتخابات 1948 وهي وليدة النقاش الذي دار حول عدم جدوى سياسة المشاركة في البرلمان الفرنسي، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه روبرت آجيرون، بينما كان لمحمد حربي وبن يوسف بن خدة طرح مختلف، حيث يعتبران أنّ سبب الازمة راجعٌ إلى مسألة التناقض الإيديولوجي الذي تبلور في تلك الفترة، عندما أقدمت بعض العناصر المدسوسة داخل قيادة الحزب بفرنسا على الجهر بمعاداتها للعروبة والإسلام، والدعوة صراحةً لبناء جزائر لائكية بروليتارية³، ويرجع البعض الآخر أسباب ظهور هذه الازمة إلى انتخاب رشيد علي يحي⁴ عضواً في اللجنة القيادية لفدرالية الحزب بفرنسا، خلال مؤتمرها الذي انعقد في شهر نوفمبر 1948، بدعم من واعلي بناي وعمر ولد حمودة وهما من أبرز زعماء الدعوة البربرية⁵، وأسندت له رئاسة تحرير جريدة التّجم التي سارع إلى توظيف اعمدتها لنشر فكر الحركة البربرية، والدفاع على أطروحة "الجزائر جزائرية" ورفض أي فكرة عن "الجزائر العربية الإسلامية".

تمكن علي يحي في ربيع 1949 من دفع اللجنة الفدرالية إلى التصويت على لائحة تدين مقولة أنّ "الجزائر عربية إسلامية"، وتدعي أنّ الجزائر ليست عربية وأنّ عروبتها ادّعاء باطل يتنكر لوجود العناصر البربرية والتركية وغيرها، وليس صحيحاً ما ينسب للإسلام من دور أساسي في تحديد الهوية السياسية الجزائرية، ولأجل ذلك يجب أن تكون اللائكية هي السائدة في برنامج حزب الشعب الجزائري⁶، وبالفعل نجح علي يحي في مساعاه حيث أقر أعضاء اللجنة الفدرالية بأغلبية 28 صوتاً من جملة 32 صوت استعمال القوة ضدّ اللجنة المركزية للحزب.

لابد من الإشارة إلى أنّ الحركة البربرية حظيت بالمساعدات والدّعم من طرف الحزبين الشيوعي الجزائري والفرنسي، وذلك وفقاً لما جاء به رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريز - Moris Toreze صاحب نظرية "البوتقة - Le creuset" والتي يؤكد

1 انتخابات 4 أبريل 1948 الخاصة بالجلس الجزائري الذي تقرر تأسيسه في الجزائر من 120 نائباً مناصفة بين الجزائريين والفرنسيين، شكلت نتائجها فشلاً ذريعاً للحركة بسبب سياسة الإدارة الفرنسية، فمن بين 59 مرشحاً أُلقي القبض على 33 قبل يوم واحد من إجراء الانتخابات من بينهم حسين الأحول والحاج شرشالي، أما عملية التصويت فقد شهدت تزويراً محكماً بتدبير الوالي العام مارسيل إدمونت نيجلان الاشتراكي الفرنسي. أنظر:

Mohammed Harbi, le F.L.N Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir (1954-1962), p 45.

2 سعاد ميمنة شبوط، حركة إنتصار الحريات الديمقراطية - MTL - (1945-1954) من الازمة إلى القطيعة، المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 02، العدد 05، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016، ص 136.

3 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، المرجع السابق، ص 165.

4 في ربيع 1948 إلّقى بناي واعلي مع أحمد بودة رئيس المنظمة السياسية للحزب على المستوى الوطني بمدينة الجزائر، وتحدث معه عن وضعية أحد الطلاب الجزائريين الذي كان مطلوباً من طرف الشرطة حسب زعمه، وكان هذا الأخير يرغب في الالتحاق بفرنسا لمتابعة الدراسة، وأنه بحاجة إلى تركية لدى قيادة الفدرالية هناك، هذا الطالب هو محمد علي يحي الذي سيتبين فيما بعد أنّه المحرض الرئيسي على النزعة البربرية بفرنسا.

5 Mohammed Harbi, le F.L.N Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir (1954-1962), Op cit, p 64.

6 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، المرجع السابق، ص 168.

من خلالها أنّ «الأمة الجزائرية لم تكن موجودة يوما، بل هي أمة في طور التكوين تتشكّل من عرب وأمازيغ ويهود ومالطيين وإسبان وفرنسيين وغيرهم...»، بيد أنّ القاعدة الحزبية ثارت ضدّ تلك المناورات حيث لفتت انتباه قيادة الحزب بالجزائر إلى ضرورة التنديد بمن وصفتهم بالعناصر الملحدة والمعادية للإسلام والعروبة.

استشعر المناضل أحمد بودة خطر الحركة البربرية وأشار إلى ذلك في مؤتمر زدين ديسمبر 1948¹، لكنه واجه معارضة شديدة من قبل حسين آيت أحمد وعمر ولد حمودة وعلي بناي²، في شهر أبريل 1949 جاء رد فعل قيادة الحزب بعد حجز رسالة موجهة من عمر أوصديق من داخل السجن إلى واعلي بناي تتحدث على ضرورة إنشاء حزب جديد تحت إسم (الحزب الشعبي القبائلي - PPK)³، لذلك أوفدت القيادة إلى باريس كل من شوقي مصطفى عضو المكتب السياسي، والصادق سعيد وهو شخصية مرموقة في منطقة القبائل، وانضم إليهم في فرنسا كل من محمد خيضر النائب عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالبرلمان الفرنسي وبلقاسم راجف للقيام بإعادة تنظيم خلايا الحزب بفرنسا، لكن أنصار النزعة البربرية منعوا هذه الشخصيات من الاتصال بالقاعدة الحزبية في فرنسا، ما أدّى إلى صدام عنيف ومشادات خاصة في باريس حيث اضطرّ مندوبو القيادة الوطنية للحزب إلى شن ما يشبه عمليات الكوماندوس، من أجل استرجاع مقرات الفدرالية التي استولى عليها أنصار النزعة البربرية⁴، واستدعى الأمر لإعادة لم الشمل والتحكم في زمام الأمور إلى التصرف بصرامة شديدة، واستغرقت مهمة إعادة هيكلة فروع الحزب وقسماته وإعادة تأسيس فدرالية حزب الشعب بفرنسا من جديد مدة قاربت 18 شهرا من العمل المتواصل، وبعد أن تمكّنت القيادة من استعادة التحكم في فدرالية فرنسا ووضع حد للازمة، أصدرت قرارا يقضي بفصل علي يحي من صفوف الحزب، بسبب موقفه الانفصالي وكل من تضامن معه، كما تقرر توقيف صحيفة التّجم الجزائري عن الصدور بعد أن انحازت إلى صف علي يحي وأنصاره⁵.

في الجزائر قرّرت القيادة بتوجيه من الأمين العام حسين لحول معالجة المسألة بشيء من الهدوء والحكمة، دون المساس بمبادئ الحركة وقواعدها، إذ لم تتأثر بتلك الإجراءات سوى قسمة عين الحمام (ميشلي سابقا) من بين القسمات الـ 13 الأخرى التي تشتمل عليها منطقة القبائل، وقرّرت القيادة إبعاد مناضلي الحزب المتورطين في افتعال الازمة البربرية وهم (واعلي بناي، وعمر أوصديق، وعمر ولد حمودة)، أما المناضل آيت أحمد فقد تم إبعاده من رئاسة المنظمة البربرية دون عزله من الحزب، بعد أن تم التحقيق معه⁶.

1 مؤتمر زدين: أنعقد خلال الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر سنة 1948، بمزرعة المناضل السيد جيلالي بلحاج، بمنطقة زدين بعين الدفلى، جمع أعضاء المنظمة الخاصة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، يقول آيت أحمد رئيس المنظمة السرية عن المؤتمر: "حددت فيه المنظمة أهدافها في مجال التسليح بشكل واضح، والعمل على توفير الحد الأدنى من السلاح لضمان إستمرارية العمل المسلح عشية إندلاعه، والمقصود به من الناحية العملية إنشاء مخازن للأسلحة الخفيفة والذخيرة في كامل المناطق.

2 سعاد مينة شبوط، حركة إنتصار الحريات الديمقراطية - MTL - (1945-1954) من الأزمة إلى القطيعة، المرجع السابق، ص 152.

3 محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المصدر السابق، ص 1086. أنظر أيضا: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائريين من البداية ولغاية 1962، ص 319.

4 Ben Youssef Ben khedda, Les origine du 1er novembre 1954, op, cit, p242.

5 Ibid, p 243.

6 أتهم آيت أحمد بالمشاركة في الأزمة البربرية وتم استدعاؤه والتحقيق معه، حيث أجرى معه المناضلان أحمد بودا والحاج محمد شرشالي تحقيقا أنكر فيه التهمة واعتبرها مؤامرة من قيادة الحركة ضد مسؤولي منطقة القبائل، فقررت الحركة عزله من رئاسة المنظمة الخاصة وتكليف أحمد بن بلة برئاستها.

د. 3. أزمة محمد أمين دباغين:

تعود جذور أزمة محمد أمين دباغين لتلك الخلافات التي ظهرت داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية منذ فيفري 1947، وكان جلياً الانقسام بين دعاة الممارسة الانتخابية (الشُّرعيين)، وبين أمين دباغين وغيره من الشُّباب الثوريين المؤمنين بالعمل المسلح (الرايكياليين)، الذين ضغطوا لتأسيس المنظمة الخاصة، ولعب دباغين دوراً كبيراً في جلب الدعم المادي والعسكري، خاصةً بعد لقائه مع أمين عام جامعة الدول العربية عزام باشا في أكتوبر 1948¹.

بعد عرض المشروع على قيادة الحزب أبدى الأغلبية تحفظهم، وجمّد المشروع إلى أجلٍ غير مسمى، وقد تأثر دباغين كثيراً لموقف القيادة السِّلبي مما دفعه بطرح تساؤلٍ مهم خلال دورة اللجنة المركزية سنة 1949 قائلاً: «هل نحن نعمل للثورة أم لمجرد التوعية الوطنية؟ وإذا كان الحزب يعمل للتوعية فإنّ نتائج الانتخابات تبيّن أنه حقق هدفه، إذ أصبح الشَّعب كُلُّه وطنياً، أمّا إذا كانت التوعية الوطنية مجرد مرحلةٍ للتَّحضير الجَدِّي للثورة فيجب علينا أن نعيد النظر في خطة العمل، وفي المسؤولين على حدِّ سواء لنفسح المجال لرجال تربوا على العمل الثوري، فأصبحوا بذلك أكثر استعداداً لقيادة المرحلة الجديدة»².

ظهر الصِّراع واضحاً بين هيئة القيادة وعلى رأسها مصالي الحاج والدكتور أمين دباغين، الأمر الذي دفع به إلى الابتعاد بشكلٍ رسمي عن الحركة، حيث انقطع تماماً عن حضور جلساتها والمشاركة في نشاطات القيادة، كما امتنع عن تقديم التقارير الخاصة بنشاطه النضالي خصوصاً ما يتعلق بوجوده في البرلمان الفرنسي، إضافةً إلى توجيه التهم للمسؤولين بإدارة الحزب لا سيما مصالي الحاج الذي اتهمه بالسُّكر، كما اتهم دباغين مصالي الحاج وأنصاره باستغلال المنظمة الخاصة لخدمة أهدافه ومصالحه بدلاً من خدمة الهدف الأساسي وهو الإعداد للثورة³، وتواصل تبادل التَّهم بين الطرفين إلى أن قام دباغين بتقديم استقالته من الحزب⁴.

في محاولةٍ لإعادة أمين دباغين إلى صفوف قيادة الحركة تم تشكيل لجنة من أربعة أشخاص، وهم: مصالي الحاج ومحمد بلوزداد وبين يوسف بن خدة وأحمد بودة، لتوضيح موقفه من الحركة لكنّه رفض مقابلتهم ثم تمت محاولةٌ أخرى من طرف القيادة الذين توجَّهوا إلى بيته لكنّه رفض أيّ اتفاق معهم، وكانت آخر محطة لقاءه مع أحمد بودة الذي أبلغه فيها بأنّ قيادة الحركة سوف تعتبره متمرّداً أو عاصياً في حالة عدم توضيح موقفه فإجابة دباغين بقوله "إذا فالحرب بيننا"⁵.

برز وبشكلٍ واضحٍ أثر أزمة أمين دباغين حقيقة الصِّراع حول القيادة داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بين جماعة من المناضلين القدماء مثل مولاي مباح ومزغنة بقبادة مصالي الحاج، وجماعة من الشُّباب المثقفين والمتحمسين للعمل الثوري والذين وصلوا إلى مراكز قيادية داخل الحزب، وفي وقتٍ كان يجب على قيادة الحزب الشُّروع في إيجاد حلولٍ جذرية لهذه الأزمة، التي عرفت في أدبيات الحركة الوطنية بأزمة "دباغين" قامت القيادة بالمزج بين هذه الأزمة والأزمة البربرية التي تزامنت معها تقريباً، وفي هذا السِّباق تشير

1 Mahfoud Kadache, Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1951, op.cit, p1086.

2 محمد عباس، رواد الحركة الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، منشورات دحلح، الجزائر، 2005، ص281.

3 Ahmed Mahsas, Le mouvement révolutionnaire en algérie, de la première guerre mondiale à 1954: essai sur la mouvement national, op. cit, p 326.

4 أكد يوسف بن خدة في كتابه "Les origine du 1er novembre 1954" أن دباغين هو الذي قدم إستقالته من الحزب، لكن أحمد مهساس يذكّر أن اللجنة المركزية للحزب أقرت دباغين بتاريخ 02 ديسمبر 1949.

5 مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، المرجع السابق، ص202.

مصادر أنّ مصالي الحاج قد استغلّ هذه الازمة للتخلّص من بعض العناصر التي أصبحت تشكّل خطراً على مستقبله القيادي وانفراده بزعامة الحزب وعلى رأسهم الدكتور دباغين.

د.4. إكتشاف المنظمة الخاصة L'OS:

تأسّست المنظمة الخاصة "L'OS" خلال المؤتمر الأول للحركة سنة 1947 برئاسة المناضل محمد بلوزداد، وبدون شك أنّ السبب الذي جعل إدارة الحزب تسلم مهمة القيادة لهذه المنظمة لمحمد بلوزداد كونه يتمتع بتجربة خاصّة في هذا الميدان، بصفته المسؤول على لجنة الأمن التي كان الحزب قد أنشأها سنة 1944، وتمّ تنصيب حسين لحول واسطاً بين قيادة المنظمة الخاصة وقيادة الحزب. بناءً على عدّة شروط محدّدة قام محمد بلوزداد باختيار 300 مناضل كنواة أولى لهذه المنظمة، التي شكّلت أساساً لتحقيق جملة من الأهداف أبرزها إعداد طليعة مسلحة لتأطير الشعب الجزائري في ثورته التحريرية، ولقد تمكّنت المنظمة بفضل مجهوداتها ونشاطها من جمع الكثير من الأسلحة، وتخزينها في أماكن آمنة وبعيدة عن الأنظار كما استطاعت المنظمة إنشاء ورشات لصنع الذخيرة الحربية والمتفجرات إضافة إلى تكوين المنخرطين عسكرياً وسياسياً وعقائدياً¹.

ظل محمد بلوزداد قائداً عامّاً للمنظمة منذ تأسيسها إلى غاية نوفمبر 1947، وهذا يدفعنا إلى القول إنّ الفضل يعود لشخصه في إرساء قواعد هذه المنظمة، لكنّه تخلّى عن قيادة المنظمة بسبب المرض ليعوّضه المناضل حسين آيت أحمد في قيادة المنظمة²، أمّا المرحلة الأخيرة فكانت القيادة العامة للمنظمة في يد أحمد بن بلة بعد عزل حسين آيت أحمد سنة 1949 من القيادة بسبب التّشبهات التي أحاطت به بعد الازمة البربرية.

خلال اجتماع اللجنة المركزية للحزب في ديسمبر 1948 طلب مناضلي المنظمة الخاصة من قيادة الحزب أمرين مهمين: الأول هو الرفع من قيمة الدّعم المالي المسخّر لها، والثاني هو أن تأذن لهم القيادة بالقيام ببعض العمليات العسكرية، وتم بالفعل الموافقة على هذه المطالب فلقد أُعطي الضّوء الأخضر للمنظمة للقيام بعمليات عسكرية تقوم هي بتحديدّها، وهذا ما أسفر على قيام المنظمة بعدّة عمليات مثل عملية كاشرو³ وعملية بريد وهران⁴، ولقد عرفت المنظمة تطوّراً هامّاً من حيث عدد أعضائها، إذ ارتفع العدد إلى حوالي ألف عضو وتغطّي العمالات الثلاث سنة 1950⁵.

أمّا عن أسباب إكتشاف أمر المنظمة الخاصة فهناك عدّة روايات، ففي رواية عمر بوداود يقول أنّ رجال السّلطة الاستعمارية كانوا على علمٍ بتحركات عناصر المنظمة الخاصة من خلال عملياتٍ سابقة، إذ يتهم عبد القادر بلحاج بأنه كان على اتصالٍ دائمٍ بالأمن الفرنسي منذ 1948⁶، كما يحتمل بعض الدّارسين والمؤرخين مسؤولية إكتشاف أمر المنظمة الخاصة إلى قيادة الحزب أو الواجهة

1 إبراهيم لونيسي، المنظمة الخاصة "L'OS" أو "المخ المدبرة لثورة الفاتح نوفمبر 1954"، المصادر، العدد1، جامعة مستغانم، 2002، ص68.

2 القيادة الثانية للمنظمة كانت على الشكل التالي: حسين آيت أحمد قائد عام، عبد القادر بلحاج المدرب العام، محمد بوضياف المسؤول على ناحية قسنطينة، جيلالي رجيبي المسؤول على قطاع الجزائر

3 هي بلدة تقع قرب مدينة معسكر حيث شيدت السلطات الفرنسية نصباً تذكاريّاً للأمير عبد القادر في 15 أكتوبر 1949 من طرف الحاكم العام نايبلان، فقررت المنظمة الخاصة باقتراح من محمد بلوزداد تدمير النصب التذكاري لأنه يمثل إهانة لشرف الأمير عبد القادر، لكن المهمة فشلت في تحقيق هدفها .

4 بسبب نقص الوسائل والتّموين للمنظمة وهذا راجع إلى الأزمة المالية الحادة التي كان يعاني منها الحزب، اقترح حسين آيت أحمد وأحمد بن بلة تنفيذ عملية سطو على بريد وهران، حيث فشلت العملية الأولى في 02 مارس 1949 لكن تمت العملية الثانية بنجاح في 01 أبريل 1949.

5 هذا الرقم ذكره حسين لحول بينما ذكر محمد بوضياف رقم 1000 و1500 عضواً، أما أحمد بودو فذكر رقم 1500 و1750، أما الرقم الذي أعطاه أحمد بن بلة للشرطة يوم ألقي عليه القبض فهو 600 عضو. أنظر: يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ص ص 210، 209.

6 أنظر: شهادة عمر بوداود في جريدة الشعب، 19 جوان 1989.

الشَّرعِيَّة للحزب¹، التي لم يُرق لها ما حققته المنظمة الخاصة من نتائج إيجابية خلال وقتٍ قصير، كما أنها لم تعطِ الصَّوء الأخضر للمنظمة لتفجير الثورة وبقيت القيادة في المماطلة حتى اكتُشف أمرها²، الأمر الذي ينفيه المناضل بن يوسف بن خدة، حيث يرى أن لا الشعب الجزائري كان متأهباً لتفجير الثورة ولا المنظمة الخاصة كان في مقدورها القيام بذلك خلال تلك الفترة³، أمّا السَّبب الرئيسي في إكتشاف أمر المنظمة الخاصة حسب كلٍّ من بن يوسف بن خدة وعيسى كشيدة ومحمد مشاطي فهي قضية تبسة حينما أعطت قيادة قسنطينة المتمثلة في الثلاثي محمد بوضياف والعربي بن مهيدي وديدوش مراد في 18 مارس 1950 أمراً بإرسال فرقة لتأديب المناضل عبد القادر خياري المدعو "رحيم"، والتحقيق معه في التهم الموجهة إليه القائلة بأنه عميل لمصالح الأمن الفرنسية، وتنفقت الفرقة التي ضمت كل من مصطفى بن عودة، عبد القادر بكوس، الطيب مسلم، أحمد ماضوي بقيادة ديدوش مراد لتنفيذ العملية واستطاعت الفرقة اختطاف المدعو رحيم لكنه استطاع الفرار إلى مقر الشُّرطة الفرنسية حيث أطلعهم على أمر المنظمة الخاصة.

اختلفت الروايات حول طريقة فرار رحيم من قبضة الفرقة المكلفة بالقبض عليه لكننا نورد ما ذكره مصطفى بن عودة وهو أحد أعضاء الفرقة المكلفة بتنفيذ المهمة: «... بعد انتهاء العملية (يقصد بها عملية اختطاف رحيم) وفي طريق العودة إلى قسنطينة توقفنا بوادي الزناتي للتزود بالوقود، وكان ديدوش مراد يعرف بعض المناضلين هناك فقصدتهم رفقة بن عودة وعبد الباقي بخوس بينما بقي حسين بن زعيم وإبراهيم عجمي في السيارة، وعندما عاد ديدوش ومن معه لم يجدوا أثراً للسيارة ومن فيها، وبعد أن عرفوا أنّ الشُّرطة قد ألقت القبض على زملائهم قرّر ديدوش الرجوع إلى قسنطينة، بينما عاد بن عودة وعبد الباقي لعنابة».

أمّا رواية السيد الطيب مسلم الذي عايش الحدث وكان على رأس التنظيم في تبسة فهي تختلف حول ما أطلق عليه اسم "مؤامرة تبسة" في أدبيات الحركة الوطنية حيث يقول: «عندما تقرّر الانتقال إلى عملية الاختطاف، جاءت سيارة من عنابة من نوع أدلر، كان على متنها كلٌّ من عمار بن عودة، إبراهيم عجمي، عبد الباقي بكوش، محمد بن زعيم»، وقد قاموا بنصب كمين للسيد خياري عند نصب تذكاري فرنسي يعرف باسم نصب ضحايا الحرب، كان يوجد بالقرب من باب شاله، وقام السيد الهادي مضوي باستدراج رفيقه خياري واصطحبته إلى بيته بدعوى حضور حفل ختان ابنه، وما إن اقتربا من الكمين حتى هاجمت الجماعة السيد خياري وجروّه إلى السيارة، وقاموا بنقله خارج المدينة لاستجوابه لكنّه سرعان ما استردّ وعيه وتصدّى لهم ببسالة خاصّةً أنه كان يحسن فن الملاكمة وفتر إلى مكانٍ قريب أين لحقوا به مرة أخرى وحاولوا تخديره بواسطة مادة كلوروفورم لكنّهم فشلوا في السيطرة عليه، شاهد أحد المستوطنين العراك فوقف غير بعيد ودوّن رقم تسجيل السيارة، وأخذ السيد خياري في الصراخ لما رآه، عندئذ خافت الجماعة من أن يكشف أمرها وانسحبت تاركة ضحيتها⁴.

بالرغم من اختلاف الروايات حول الحادثة إلّا أنّ النتيجة كانت فشل المهمة التأديبية، لتبدأ عملية اعتقالات واسعة نفذها رجال الدرك، ثم واصلت الشُّرطة عمليات التحقيق عبر حملة واسعة أسفرت في 31 مارس 1950 إلى اعتقال 155 مناضلاً، وذكرت صحيفة الجزائر الحرة الصادرة بتاريخ 15 ماي 1950 أنّ عدد المعتقلين فاق 500 معتقل، من بعضهما أوساط المنظمة السياسية وحتى هيئة أركان المنظمة حيث أُلقي القبض على خمسة أعضاء من مجموع سبعة وأدخلوا السّجن ويتعلّق الأمر بكلٍّ من بن بلة، بلحاج،

1 يساند هذا الرأي بقوة الدكتور العربي الزبيري، أنظر: محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، ص ص 79-80.

2 محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، المرجع السابق، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص ص 79-80.

3 Ben Youssef Ben khedda, Les origine du 1er novembre 1954, op, cit, pp 210-213.

4 عبد الوهاب شلال، المنظمة الخاصة "ومؤامرة تبسة" دراسة تاريخية موقفة، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2016، ص ص 109-113.

يوسف، رجيمي، محساس، وأسفرت هذه الاعتقالات على تفكيك المنظمة الخاصة وحجز عدد هائل من المعدات الحربية.¹ شكّلت الازمة ارتباطاً كبيراً في صفوف قيادة الحزب مثلما أكّد ذلك بن خدة، وبعد مشاوراتٍ طويلة وشاقة انتهت باتفاق المكتب السياسي التحرك على جبهتين، فمن جهة القيام بشن هجوم مضاد تحت عنوان "المؤامرة الاستعمارية" اعتمدت فيها على نشر حملة دعائية واسعة مفادها أنّ الإدارة الاستعمارية قد اختلقت مسألة المنظمة الخاصة لضرب الحركة، ومن أجل تحقيق ذلك وظّف الحزب كل منابر الرسمية، إضافةً إلى الصحافة على غرار صحيفة الجزائر الحرة التي دشنت الحملة في عددها الصادر في 1 أفريل 1951 بعنوان مثير "هل نحن على أبواب 8 ماي 1945 جديد"، وكذلك بعض الشخصيات الأوروبية التقدمية والتشكيلات السياسية الجزائرية.

أما الجبهة الثانية التي تحرك عليها المكتب السياسي فتتعلق بالعمل على إقناع المعتقلين بالتراجع عن تصريحاتهم الأولى وعدم الاعتراف بوجود المنظمة الخاصة²، ووصف بن خدة أنّ "هذا التكتيك كان مفيداً جداً إذ خفف العدو من حملته وبذلك تم إنقاذ التنظيم السياسي للحركة، وكذلك بقايا عناصر المنظمة الخاصة من ولايات القمع والإرهاب، ويضيف بن خدة أنه تم إصدار قرارات من طرف اللجنة المركزية للحزب في فيفري 1951 تقضي بالتمسك بمبدأ الكفاح المسلح والمنظمة الخاصة، ووقف نشاط المنظمة الخاصة وإلحاق عناصرها بالمنظمة السياسية في إ انتظار إعادة تكوينها على أسس جديدة³. يشير حسين حول في هذا الإطار أنّه أمام إكتشاف المنظمة الخاصة اضطرت قيادة الحزب إلى إعلان قرار حل الأجزاء المفككة مع الحفاظ على الخلايا التي لم تكتشف، وكان أهمها في منطقة الأوراس⁴، لكن بوضياف يرى أنّ إدارة الحزب التي ينعتها بالبرجوازية الصغيرة اختارت بابتداعها لأطروحة المؤامرة طريق الاستسلام⁵، ويذهب محساس أبعد من ذلك بإتهام القيادة السياسية بأنّ ظاهر الخطة يخفي نية غير معلنة في التخلي عن الخط الثوري المرسوم في مؤتمر 1947⁶. كان لقرار حل المنظمة الخاصة نتائج سلبية حيث زادت الهوة بين زعيم الحزب مصالي الحاج وبين الشباب الذين بذلوا جهداً كبيراً في الإعداد لتفجير الثورة⁷.

د. 5. أزمة (1953-1954):

منتصف مارس 1952 اجتمعت اللجنة المركزية للحزب برئاسة بلقاسم راجف وبحضور مصالي الحاج بمنطقة الأربعا بضواحي العاصمة، في مزرعة المناضل مصطفى صحراوي حيث قدّم مصالي عرضاً عن رحلته إلى الشرق الأوسط⁸، ثم تمت مناقشة أهم نقطتين في جدول الأعمال وهما: تحديد تاريخ انعقاد مؤتمر الحزب وكان لا بدّ أن يكون في القريب العاجل ليتسنى ترتيب أمور الحزب، ودراسة موضوع الوحدة الوطنية⁹، واتخذت اللجنة المركزية قراراً بتحديد تاريخ أيام 12 و 13 و 14 جويلية 1952 لانعقاد المؤتمر الثاني للحزب،

1 Ben Youssef Ben khedda, **Les origine du 1ér novembre 1954**, op, cit, pp215-217

2 محمد العربي الزيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 185.

3 Ben Youssef Ben khedda, **Les origine du 1ér novembre 1954**, op, cit, p217.

4 إبراهيم لونيسي، **المنظمة الخاصة "L'OS" أو "المخ المدبرة لثورة الفاتح نوفمبر 1954"**، المرجع السابق، ص 68-69.

5 محمد بوضياف، **التحضير لأول نوفمبر 1954**، ط 1، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص 24.

6 محمد عباس، **قوار عظماء شهادة 17 شخصية وطنية**، دار هومة، الجزائر 2009، ص 139.

7 يحي بوغزير، **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 128.

8 خلال صيف 1951 قام مصالي الحاج بأداء فريضة الحج واغتنم الفرصة للقيام بعدها بجولة في الشرق الأوسط من أجل التعريف بالقضية الجزائرية، والتماس المساعدة المادية من الحكومات العربية، وحضي في جدة باستقبال رسمي من طرف الملك عبد العزيز، ثم توجه إلى القاهرة حيث التقى عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية، ثم وزير خارجية مصر محمد صلاح الدين، والأمير عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي.

9 يقصد به "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها" التي تأسست في 1951/08/05 والتي تشكلت من جمعية العلماء وحركة إنتصار الحريات والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي، هدفها توحيد العمل والمطالبة باحترام الحريات الأساسية ومحاربة القمع بكل أشكاله. أنظر:

إلا أنَّ اعتقال مصالي الحاج في أورليان فيل-Orléans ville ولاية الشلف حاليًا، ونفيه إلى مدينة نيورت-Niort بفرنسا يوم 14 ماي 1952 دفع بقيادات الحركة إلى تأجيل تاريخ انعقاد المؤتمر¹، وبعد أخذ ورد ومشاورات بين أعضاء اللجنة المركزية للحزب ورئيسه وقع الاتفاق على تاريخ 4 و5 و6 أفريل 1953 لعقد مؤتمر الحزب².

جرت أشغال المؤتمر الثاني للحزب بمقر الحزب الواقع بشارع عمار القامة (شارتر-Charter) سابقًا وشارك فيها حوالي مائة مندوب يمثلون القواعد الحزبية والمنتخبين وسائر المنظمات الجماهيرية، قدموا من جميع أنحاء الجزائر ومن فرنسا، وكان مولاي مبراح الناطق باسم مصالي في المؤتمر لأدَّ رئيس الحزب كان تحت الإقامة الجبرية بفرنسا، وسبق ذلك مؤتمرات جهوية في كلٍّ من العاصمة وقسنطينة ووهران وتيزي وزو أشرف عليها السيدان حسين حول وعبد الحميد سيد علي³، استغرق المؤتمر ثلاثة أيام من المناقشات الكثيفة تناولت أمهات المسائل: سياسة الحزب وأيديولوجيته، التوجّهات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تصوّر الحزب لمفهوم القوة، موقفه من القضايا الدولية، واقع المنظمة الخاصة، تطوير قوانين الحزب العضوية، انتخاب أعضاء اللجنة المركزية⁴.

يذكر عبد الرحمن بن إبراهيم العقون أنَّ المؤتمر في جوٍّ مشحون بالتوتر وانعدام الثقة، وظهر ذلك على وجوه الحاضرين من خلال الترسّبات السابقة والخلافات في الآراء ومشكلة اكتشاف المنظمة الخاصة، وموقف القيادة السّلي من مناضليها، إضافةً إلى الصّراع الذي بدأ يظهر للعيان بين مصالي واللجنة المركزية للحزب بسبب نقطتين أساسيتين هما⁵:

نقطة الخلاف الأولى تمثلت في القرار الذي اتخذته المؤتمر ويقضي بتحديد صلاحيات الرئيس، وإدخال نوع من الديمقراطية والشورى داخل قيادة الحركة، واعتماد ما يعرف بمبدأ القرار للأغلبية، وستكون هذه النقطة لاحقًا القنبلة التي تفجر الحركة من الداخل عندما يصرّ مصالي على رفضها ويطلب بمنحه الصّلاحيات المطلقة والتفويض التام لتسيير شؤون الحركة وعلى الجميع الطاعة والانصياع. وتمثلت نقطة الخلاف الثانية في القرار الذي اتّخذ بالأغلبية والقاضي بإبعاد أهم الأعضاء المقرّبين من مصالي داخل المكتب السياسي للحركة وهما أحمد مزغنة ومولاي مبراح، وانتخاب بن خدة أمينًا عامًا للحركة مع اختيار كلٍّ من حسين حول وعبد الرحمن كيوان مساعدين له⁶.

أمام هذه الظروف وبداية الانقسامات في القيادة قدّم بن خدة استقالته من منصبه كأمين عام الحزب، لكنّ اللجنة المركزية رفضتها كما أعلنت رفضها المطلق لمطلب مصالي الحاج بمنحه تفويضًا كاملاً الصّلاحيات، وتنقلّ حسين حول إلى باريس لشرح موقف اللجنة المركزية لمصالي، هذا الأخير الذي رفض استقباله وأرسل إلى قسّات الحزب في الجزائر وفرنسا رسائل في شكل تعليمات باسم "لجنة الخلاص" يطلب فيها من المناضلين ما يلي:

- تجميد أموال الحزب؛
- قطع جميع أشكال العلاقات مع قيادة الحزب؛

Mohamed Tegui, *L'Algerie en guerre*, p123.

1 Ben Youssef Ben khedda, *Les origine du 1er novembre 1954*, op, cit, p279-280.

2 محمد العربي الزبيري، *تاريخ الجزائر المعاصر*، مرجع سابق، ص189.

3 نفسه، ص189.

4 Ben Youssef Ben khedda, *Les origine du 1er novembre 1954*, op, cit, p311.

5 عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، *الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936)*، المصدر السابق، ص366.

6 سعد بيمينه شبوط، *حركة إنتصار الحريات الديمقراطية - MTLT (1945-1954) من الأزمة إلى القطيعة*، المرجع السابق، ص146.

- الاعتراف بمولاي مرياح ومزغنة ممثلين شخصيين له دون سواهما.

لم يبق أمام اللجنة المركزية حسب بن خدة سوى خيارين إما الثبات على موقفها أو التسليم بالأمر الواقع، وقد اختارت التسليم مخافة انفجار الوضع¹، فسلمت اللجنة المركزية صلاحياتها لمصالي، كما سلمت أدوات سلطتها له (مقر الحزب وصحفه وقسم من أمواله)².

هـ. تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA)

تأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954 بمدرسة الرشاد في العاصمة من طرف أربع شخصيات تاريخية: عضوين من قداماء المنظمة الخاصة وهما مصطفى بن بولعيد ومحمد بوضياف، وعضوين من اللجنة المركزية وهما محمد دخلي (سي البشير) المسؤول عن التنظيم، ومساعدته رمضان بو شوبة (سي موسى) مراقب التنظيم، وأرجع بوضياف إشراك أعضاء من اللجنة المركزية للحركة رغم الفوضى التي كانت تسودها آنذاك إلى سببين هما:

- أولاً: ربح الوقت والاستفادة من وسائل الحركة (الأموال وعتاد الطبع والمحلات..)

- ثانياً: استئناف الاتصال بمناضلي القاعدة وإطارات المنظمة الخاصة وهو الأمر الأكثر أهمية³.

كان الهدف من تأسيس هذه اللجنة الظاهري والرسمي كما يبدو من تسميتها والمعلن عنه في بيان تأسيسها هو التحرك لتوحيد الصفوف والمصالحة بين مختلف الأطراف المتصارعة داخل الحركة، ضمن أفقٍ محدّد هو تحضير الحزب برمته للعمل الثوري. تباينت الآراء حول العلاقة بين أعضاء (CRUA) وطرفي الصراع داخل الحركة، فبن خدة يشير أنّ أعضاء اللجنة المركزية كانوا على وفاق مع أعضاء (CRUA) حيث قدّمت لهم المساعدة في استغلال إمكانيات الحركة في تمويل إصدار ونشر صحيفة "الوطني - Le Patriote"⁴ الناطقة بلسان اللجنة الثورية للوحدة والعمل من صندوق اللجنة المركزية، كما استمرّ حلول في دفع مرتبات عناصر المنظمة الخاصة المنتمين للجنة الثورية، وأكد بن خدة أنه كان على علم بتأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل وبأنشطتها من طرف مؤسّسيها الأعضاء في اللجنة المركزية فوافق على ذلك وأعلن دعمه المطلق لها⁵.

كان لمحمد بوضياف رأيٍ مغايرٍ حينما اتهم المركزيين بأنّ هدفهم كان كسب أعضاء اللجنة الثورية إلى صفّهم في صراعهم مع المصاليين، بل ذهب أكثر من ذلك عندما اتهم المركزيين بأنهم يوهون أنصارهم والمقربين منهم بأنهم هم اللجنة الثورية، واعتبر بوضياف أنّ توضيح موقفها من المركزيين كان أحد أسباب اجتماع الإثنين وعشرين⁶.

1 حسب شهادة بوضياف فإن اللجنة المركزية كانت عاجزة عن مواجهة الضغط المصالي في ذلك الوقت عندما سلمت له السلطات الكاملة، كما خصصت له مبلغ خمسة ملايين فرنك فرنسي قديم من أجل مؤتمر للحزب في الأشهر الثلاثة القادمة. أنظر: محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، ص 42.

2 Ben Youssef Ben khedda, Les origines du 1er novembre 1954, op, cit, p331.

3 محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، المصدر السابق، ص 44.

4 صحيفة "الوطني - Le Patriote" تم إصدارها بمجرد الإعلان عن ميلاد اللجنة الثورية للوحدة والعمل وذلك لتوزيع على كل مسؤولي الدعاية والإعلام على مستوى أقسام الحزب، وقد شارك في تحرير مواضيعها عدد من أعضاء اللجنة الثورية بمساعدة قياديين في اللجنة المركزية لحركة الانتصار على غرار حسين لحول الذي أشرف على افتتاحها وتولى عبد القادر أوعمار عملية السحب، وقد صدر منها ستة أعداد فقط آخرها العدد الصادر بتاريخ: 05 جويلية 1954.

5 Ben Youssef Ben khedda, Les origines du 1er novembre 1954, op, cit, p337.

6 محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، المصدر السابق، ص 45-46.

فيما يخص علاقة أعضاء (CRUA) بالمصاليين فيبدو أنها كانت متوترة منذ البداية، حيث وصفهم بوضياف بـ«المناضلين الذين كانت تحذوهم بركة الزعيم»، وعرفهم في موضع آخر بقوله «من هم المصاليون بالضبط؟»، هم من يوجد وراء مصالي الحاج الذي كان يتمتع بسمعة كثر الإفراط فيها وعضوين سابقين وتافهين من اللجنة المركزية مزغنة ومرباح، وبعض المناضلين القدماء من زمن "نجم شمال إفريقيا، هؤلاء الأوفياء كانوا يجرون وراءهم سيلاً من قليلي الدراية بكل ما كان يحدث»¹.

من جهة أخرى كان المصاليون عازمون على البقاء أسياد الموقف في هذا الصراع، ولم يتقبلوا أي مبادرة من شأنها أن تثير الشك في صحة موقفهم، لذا استاءوا كثيراً من تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل واغتاظوا لإصدار صحيفة "الوطني" وراحوا يشيعون أن ثمة تواطؤ حصل بين اللجنة الثورية ومركزيين، كما اعتدوا على بوضياف وبيطاط في شارع الديوان بالقصة السفلى².

بدأت اللجنة الثورية في الاتصال بالطرفين (المصاليين والمركزيين) في محاولة للشمّل على طاولة واحدة لكن مظاهر الفشل كانت بادية خصوصاً عندما اتجه كلٌ منهما لعقد مؤتمره الخاص³، وأمام فشل اللجنة الثورية في مسعاها للشمّل بين الإخوة الفرقاء رأى البعض من قادتها أنه يجب التفريغ للتضخيم للعمل الثوري المسلح.

يوضح بوضياف بأن قرار الشروع في العمل المسلح لم يكن في حقيقة الأمر إلاّ حلاً استراتيجياً لإنقاذ الحركة من التصدّع والانهيار، وقد تجسّد ذلك في اجتماع⁴ 22 في 25 جون 1954، واجتماعي 10 و 23 أكتوبر 1954 أين تم وضع آخر اللّمسات لتفجير الثورة التحريرية من طرف لجنة الستة، وذلك بالإعلان عن ميلاد "جبهة التحرير الوطني" التي حلت محل اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وتسمية المنظمة العسكرية بـ"جيش التحرير الوطني"، وتحديد الفاتح نوفمبر كتاريخ لاندلاع الثورة، وتقسيم التراب الوطني إلى خمس مناطق وتعيين قادتها كما تم تكليف محمد بوضياف بمهمة التنسيق بين الداخل والخارج مع التركيز على مبدأ القيادة الجماعية⁵.

يمكن أن نستنتج في خضمّ الأزمات التي عرفتتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أنّ بذرة الازمة كانت موجودة داخل الحركة منذ تأسيسها سنة 1947، ويعود السبب الرئيسي إلى ضعف التكوين الإيديولوجي والتباين الفكري بين جيلين من المناضلين، الجيل القديم الذي أبعده السّلطات الاستعمارية عن ساحة الأحداث إمّا بالتفني أو السجن، وجيلٌ جديد انخرط في صفوف الحزب وتقلد مناصب قيادية وفرض نفسه بعد الحرب العالمية الثانية يقوده الحماس إلى العمل الثوري⁶، وبخصوص هذا الانقسام يذهب سليمان الشّيخ في تفسيره للازمة على أنها أزمة قمة لا أزمة قاعدة ويؤكد ذلك بقوله « كانت نتيجة هذه الثنائية في القيادة، أن جعلت فريقين منهما يتعارضان ويختصمان حول السّلطة داخل الحزب، والحقيقة أنّ هذا الزعيم الكاريكاتوري المعين من قبل الزعيم المكرس،

1 نفسه، ص 45.

2 Ben Youssef Ben khedda, Les origine du 1ér novembre 1954, op, cit, p337.

3 عقد أنصار مصالي الحاج مؤتمرهم بمورنو البلجيكية أيام 14-15-16 جويلية 1954 في غياب زعيم الحزب الذي كان منفياً في نيور الفرنسية، وخرج المؤتمر بقرارات أي مبادرة للشمّل أهمها: حل اللجنة المركزية للحزب ومنح السلطة الكاملة المطلقة لمصالي الحاج في تسير شؤون الحزب، وردا على هذا المؤتمر عقد أعضاء اللجنة المركزية مؤتمراً بتاريخ 13-14-15-16 أوت 1954 أداروا فيه قرارات مؤتمر هورنو وقرروا إسقاط عضوية مصالي مزغنة ومرباح من الحزب.

4 أنعقد بمنزل المناضل إلياس دريش في (كلوصلامي - Clos Salembier) المدنية حالياً، جمع 22 مناضلاً بمبادرة من بوضياف، ديدوش، بن بولعيد، بن مهيدي، بيطاط

5 سعاد يمينة شبوط، الثورة الجزائرية في مرحلة المخاض (1953-1954)، ظروف تأسيس جبهة التحرير الوطني (FLN) والحركة الوطنية الجزائرية (MNA) نوفمبر-ديسمبر 1954، دورية كان التاريخية، العدد 21، سبتمبر 2013، ص ص 10-11.

6 عبد الصمد عصماني، الصراع داخل حركة إنتصار الحريات الديمقراطية (من الازمة الإيديولوجية إلى أزمة القيادة 1946-1954)، المرجع السابق، ص 181.

والقائل "بأن الحزب هو أنا"، ليس من طبيعة مختلفة عن قول المركزيين أن "الحزب هو نحن"، لأن الفريقين عميا عن قوى جديدة تمثل البديل الحقيقي، وضلا في صمم عن الإصغاء لضرورات النضال الجديدة»¹.

1 سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2003، ص 75.

2. تأثير الحرب العالمية الثانية على المغرب:

1.2. لقاء أنفا جانفي 1943:

توالت اجتماعات الحلفاء بعد نجاح عملية الإنزال (TORCH) في شمال إفريقيا، لمناقشة القضايا المتعلقة بالعمليات الحربية وتقرير مصير الحرب وتوحيد الأفكار ووضع استراتيجية موحدة عسكرية وسياسية لضمان الانتصار النهائي، إضافةً إلى تنظيم لقاء بين الجنرالين "ديغول" و"جيرو" لوضع حد للنزاع القائم بينهما¹، لذلك تم عقد هذا اللقاء البتري بفندق أنفا بالدار البيضاء ما بين 14 و24 جانفي 1943، وحرص روزفلت على عقد اللقاء فوق أراضي شمال إفريقيا للحفاظ على رمزية نجاح الإنزال العسكري فيها²، وحضره كل من الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل والجنرالين الفرنسيين ديغول³ قائد المقاومة الفرنسية وشريك الحلفاء في الحرب، وهنري جيرو بصفته القائد المدني والعسكري لمستعمرات فرنسا بشمال وغرب إفريقيا، فيما غاب عنه كل من الرئيس السوفيياتي ستالين والرئيس الصيني تشان كاي تشيك الذين اعتذرا عن الحضور نظراً لظروف الحرب آنذاك، وأُحيط اللقاء بسرية تامة وترتيبات أمنية مكثفة حتى أنه تم إفراغ كل منطقة أنفا من سكانها وأُحيطت المنطقة بسيار كهربائي عالي الضغط⁴.

لعب الرئيس الأمريكي روزفلت دوراً كبيراً في المؤتمر ودعا لتنفيذ بنود معاهدة الحلف الأطلسي التي وقعها الحلفاء في 18 جانفي 1941، والقاضية بالدفاع عن حق الشعوب في استقلالها وتقرير مصيرها، واتفق المجتمعون في لقاء أنفا على مواصلة دعم الاتحاد السوفيياتي وغزو صقلية وإيطاليا من جهة تونس، وتعيين إدارة مشتركة لجميع القوات الفرنسية في الحرب، وكشف روزفلت للشعب الأمريكي نتائج المؤتمر في خطاب بث يوم 12 فيفري 1943⁵.

على هامش لقاء أنفا ألتقى الرئيس الأمريكي روزفلت والسُلطان محمد الخامس في 22 جانفي 1943، هذا اللقاء الذي وصفه أبو بكر القادري على أنه "تكريم" من روزفلت للملك المغرب بسبب مواقف الأخير ضدّ النازية، ومعارضته لمخططات بيتان الذي حاول عرقلة عملية إنزال الحلفاء، ولقد تحدث عن هذا اللقاء ملك المغرب الحسن الثاني في كتابه التحدي⁶ فقال: « في 22 جانفي 1943 دعانا الرئيس روزفلت إلى مأدبة عشاء أقامها على شرف والدي، في حي أنفا بالقرب من الدار البيضاء، في نفس المكان الذي صرّح فيه روزفلت قبل بضعة أيام "أن الحرب ستستمر إلى أن تستلم قوات المحور دون شروط"... إن الكلمات التي ترددت أثناء العشاء في أنفا، لم تخلف في ذهني إلا أثراً يكاد يكون مبهمًا، فقد دار الحديث بالخصوص على الحالة العسكرية في أوروبا وإفريقيا والمحيط الهادي، وكان من البديهي أن يجلس أي على يمين مضيفه وقد حضر العشاء رئيس الحكومة البريطانية ونستون تشرشل، والجنرال نوكيس، وباتون، وروبرت مورفي، وهاري هوبكنز، والكولونيل إيلويت روزفلت ابن الرئيس روزفلت، والقبطان

1 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945، ج 2، المصدر السابق، ص 147.

2 محمد حواس، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة في المضامين 1930-1951، المرجع السابق، ص 439.

3 تردد الجنرال الفرنسي ديغول كثيراً قبل الحضور لكن تشرشل ضغط عليه بشدة وهدده بشل غرفة العمليات التي تديرها المقاومة الفرنسية ضد ألمانيا، فقبل بالمشاركة رغم عدم رضاه عن زيادة الولايات المتحدة في المؤتمر.

4 رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص ص 419-438.

5 <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/11/13/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A2%D9%86%D9%81%D8%A7>

6 كتاب التحدي للملك الحسن الثاني: صدرت طبعته العربية سنة 1963 عن المطبعة الملكية بالرباط، أما الطبعة الفرنسية في سنة 1976 عن دار ألبن ميشال بفرنسا، يتشكل الكتاب من ثلاث محاور أساسية: المحور الأول: يتعرض بالشرح والتحليل لظروف المغرب السياسية والاجتماعية في عهد الحماية، المحور الثاني: يتعرض للمغرب في الحاضر، المحور الثالث: يتعرض إلى النظام الملكي وتحياته.

مالك ري الملحق البحري في البيت الأبيض، والصّدر الأعظم الحاج محمد المقرّي، ورئيس المراسم السيد محمد المعمرّي، وأنا ولما كنت في الرابعة عشرة من عمري، لم أتصور كيف فتحت عيني وأرهفت سمعي وأنا في محضر هؤلاء الرجال المرموقين، وبعد مأدبة العشاء استأذن البعض في الانصراف من بينهم الجنرال نوّكيس فأذن لهم الرئيس الأمريكي وبقي فقط روزفلت وتشترشل وروبرت مورفي ووالدي وأنا"، بعدها دار حوارٌ بين الرئيس ووالدي وكان السيد المعمرّي يترجم للآخر ما يقوله الأول"، ومن بين ما نقله ولي العهد الحسن الثاني عن روزفلت قوله لأبيه محمد الخامس: "إننا نتطلع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر إلى الاستقلال وفقًا لمبادئ الحلف الأطلسي، متمنيا أن يكون هذا اليوم قريبًا يوم أن تضع الحرب أوزارها.... وأضاف مؤكّدًا: بعد الحرب ستصبح إعادة التنظيم السّياسي والاقتصادي للمجتمعات الإنسانية ضرورة ملحة، إنّ الولايات المتحدة لن تقوم يومئذ بوضع أي عراقيل في وجه استقلال المغرب، و ستخص المغرب المستقل بمعونات اقتصادية"¹.

لكن يبدو أنّ روزفلت قد اجتمع مع الملك المغربي مرتين في نفس التاريخ أي 22 جانفي 1943 وذلك بشهادة ولي عهده محمد الخامس عندما روى للكاتب السويسري "جورج فوشر - Georges Vaucher" في كتاب "Sous Les Cédres D'ifrane" حين يقول: «... لقد كان ذلك أول سر دولة احتفظت به. لقد كان يوم الجمعة يومها طلب مني والدي مرافقته على الساعة الثالثة بعد الظهر من أجل تدشين مدرسة في الدّار البيضاء، وفي حقيقة الأمر اتجهنا لوحدا في السيارة إلى نزل "آنفا"، فلم أحضر لقاءه مع الرئيس الأمريكي روزفلت، ولكنني كنت من المدعوين في العشاء الرسمي.... لقد كان اللقاء السّري للسلطان مع الرئيس روزفلت مهمّ جدًّا، لقد تحدثا بقلوب مفتوحة ولولا وفاة روزفلت فيما بعد لكان بإمكانه أن يلعب دورًا كبيرًا في تطوير المغرب وكامل القارة الإفريقية»².

هذا ما أكّده جوليان بأنّ الملك المغربي خصّ بلقاءين مع روزفلت، وكان الاجتماع بحضور رئيس الوزراء البريطاني تشرشل وفي غياب المقيم العام في المغرب الجنرال نوجيس، وهو الأمر الذي شكّل صدمة بالنسبة لفرنسا لأنّ روزفلت حرص على مقابلة السّلطان محمد الخامس دون حضور المقيم العام الفرنسي، الذي يعتبر مندوب السّلطان في الشّؤون الخارجية حسب معاهدة الحماية المفروضة في 30 مارس 1912³، بالرغم من محاولات نوجيس لإقناع الأمريكيين بضرورة حضوره اللقاء مع السّلطان، بحجة أنّ فرنسا هي المسؤولة عن سياسة المغرب الخارجية، وأنّ المقيم العام هو حلقة الوصل بين السّلطان والأجانب، وأنّ أي اتصال دبلوماسي للسلطان دون حضور المقيم العام الفرنسي سيُشكّل خرقًا صريحًا لبند أساسي من بنود معاهدة الحماية، لكن يبدو أنّ الأمريكيين كانوا في موقع قوة خلال تلك الفترة مكّنهم من فرض منطقهم حتى داخل المستعمرات الفرنسية⁴.

يبدو أنّ لقاء روزفلت مع الملك محمد الخامس لم يُخرج الفرنسيين فقط بل أخرجت تصريحات روزفلت حتى أصدقاءه البريطانيين حسب الرواية التي قدّمها إليوت روزفلت نجل الرئيس روزفلت في مذكراته بعنوان (كما رآها) والتي يذكر فيها: «لقد كان والدي يحرك الشّوكة التي كان يأكل بها، ومؤكدًا أنّ الوضع يجب أن يتغير جذريًا بعد الحرب خاصّةً فيما يتعلق بمسألة الاستعمار، وعندما تساءل السّلطان عمّا كان يقصده من التغيير الجذري، فردّ عليه بأنّ أبواب الأموال الفرنسيين والبريطانيين كونوا شركات احتكارية بغرض

1 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945، ج2، المصدر السابق، ص 148-149.

2 Georges Vaucher, *Sous Les Cédres D'ifrane*, René Julliard, paris, 1962, p 117-118.

3 Charles André Julien, *Le Maroc Face aux impérialismes 1415- 1956*, Ed. JA, Paris, 1978, p189.

4 ثامر عزام أحمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936-1956)، المرجع السابق، ص 110-111.

استغلال خيرات المستعمرات... ولم يتوقف والدي عن ذلك رغم سعال تشرشل المبالغ فيه وحركته غير العادية على أريكته... لقد كان تشرشل يبدو عليه الإحراج خاصّةً عندما قال والدي للسلطان بأنه بإمكان المغرب الاعتماد على الشركات الأمريكية حتى يستطيع التحكم في اقتصاده¹.

رغم أنّ الملك محمد الخامس لم يحضر إلا جانبًا فقط من لقاء أنفاً إلا أنّه شكّل أهمية كبيرة، إذ كانت المرة الأولى التي يجري خلالها السلطان المغربي محادثات مع زعماء دول كبرى ومن دون وساطة فرنسية، كما حقق من ورائه مكاسب أهمها وعد روزفلت بدعم مساعي المغرب في نيل استقلاله بعد نهاية الحرب وتقديم المساعدة الاقتصادية اللازمة، أمّا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فيبدو أن الرئيس روزفلت أراد إبلاغ ملك المغرب وولي عهده أنّ بلادهم تقع ضمن الاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب، حيث أنها تشكّل نقطة وثوب على أوروبا جعلها تهتم بإنشاء قواعد عسكرية في المغرب منذ ذلك الوقت².

أثارت طبيعة التعهّلات التي قدّمها روزفلت للسلطان محمد الخامس جدلاً مستمراً بين المؤرخين، نظراً لعدم وجود وثائق رسمية للقاء أنفاً بخلاف الروايات الشخصية لبعض الذين حضروا اللقاء على غرار نجل فرانك روزفلت "إليوت-Elliott" أو ولي العهد الحسن الثاني، وتركز جوهر هذا الجدل حول الأهمية السياسية للقاء وتأثيره القوي على الأجندة القومية في المغرب خلال السنوات التالية، حيث أكّد العديد من المؤرخين على أهمية الوعود التي صرّح بها روزفلت لملك المغرب خلال اللقاء، والتي اعتمد عليها السلطان وكذلك القادة الوطنيين فيما بعد كوسيلة مهمة لحشد الدعم الرسمي الأمريكي للاستقلال، وإشراك شخصية روزفلت في حركتهم الدعائية ضدّ الفرنسيين³.

هناك من اعتبر اللقاء بمثابة شهادة ميلاد للوطنية المغربية حين اعتبر ستيفان بيرنار-Stéphane Bernard في كتابه (الصراع الفرنسي المغربي-Conflit Franco-Marocain) أنّ الصراع المغربي الفرنسي قد انطلق في الثاني والعشرين من شهر جانفي 1943 حينما التقى السلطان محمد بن يوسف بالرئيس روزفلت، والحقيقة أنّ هذا الحكم فيه الكثير من المبالغة لأنّ الوطنية المغربية تعود لفترة الثلاثينات عندما رد المغاربة على السياسة البربرية، وقبل ذلك في مقاومة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي⁴.

ثم إنّ هناك من المؤرخين من قلل من قيمة اللقاء إلى حدّ اعتبار أنّ وعد روزفلت للسلطان باستقلال المغرب بعد الحرب هو أسطورة مغربية، حتى أنّ المؤرخ ستينر-Stenner أكّد على أن القوميين المغاربة قد اخترعوا "أسطورة روزفلت" لإضفاء الشرعية على مزاعمهم في نظر الدبلوماسيين الغربيين، رغم ما تحمله هذه النظرة من جمود واختزال للنضال المغربي المناهض للاستعمار والذي كان ديناميكيًا ومتعدّد الأوجه⁵، لكنّ الواقع هو أنّ القوميين المغاربة قد استغلّوا لقاء أنفاً بمهارة لخدمة قضيتهم والحصول على دعم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في نضالهم ضدّ الاستعمار.

شكّل لقاء أنفاً منعطفًا حاسمًا في تاريخ العلاقات المغربية الفرنسية، بحيث لم يعد يقتصر المغاربة على المطالبة بإصلاحات في نظام الحماية فقط بل باستقلال بلادهم، وأصبح وعد روزفلت باستقلال المغرب سلاحهم المفضّل لإضفاء عدم الشرعية على الاستعمار الفرنسي للمغرب، هذا رغم إحجام حكومة روزفلت والحكومة اللاحقة بعد وفاته في 12 أبريل 1945 على دعم المطالب المغربي

1 Elliott Roosevelt, Mon Père m'a dit, Flammarion, Paris, 1947, p92-96.

2 ثامر عزام أحمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936-1956)، المرجع السابق، ص 111.

3 Karim Bejjit, U.S.- Moroccan Relations in the Context of the Anfa Conference, Journal of Global Initiatives, Policy Pedagogy, Perspective, vol14, No2, 2019, p37.

4 محمد حواس، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة في المضايف 1930-1951، المرجع السابق، ص 443.

5 D. Stenner, Did Amrika promise Morocco's independence? The nationalist movement, the sultan, and the making of the Roosevelt Myth, journal of north African Studies, VOL 19, N 4, 2014, p524-539.

للاستقلال، وذلك نظرًا لظروف الحرب الدائرة آنذاك، فالأولوية الأمريكية كانت نتيجة لإنهاء الحرب لصالح الحلفاء أكثر من تحقيق استقلال المغاربة، ولضرورة حماية مصالح حليف استراتيجي مثل فرنسا، وفي هذا الشأن يقول الملك الحسن الثاني: «إنّ الذين زعموا أنّ كفاحنا قد دعمه الأجانب، يعرف الجميع أيّ خطأ ارتكبه، فالمبادئ الديمقراطية العظمى التي تغنّوا بها في آنفا تنوسيت شأنها في ذلك شأن الوعود المشرقة التي قُطعت، ولم يمرّ وقتٌ طويل حتى أدركنا أن روزفلت وتشروشل لم يكن ههما في يناير 1943 تحرير المغرب من النير الاستعماري، إنّما انصبّ اهتمامهما على تحييد المغرب لهزيمة رومل ولتتمكن قوات الحلفاء من النزول في إيطاليا، وهكذا تبقى الأولويات للحسابات المنطقية»¹.

2.2. تأسيس حزب الاستقلال المغربي:

أسهمت عوامل عديدة في تبلور فكر الحركة الوطنية وتحولها من حركة تطالب بالإصلاح إلى حركة تطالب باستقلال المغرب وتخلصه من نظام الحماية والسيطرة، فقد بعثت تجارب السنين مع الحماية وسياسة المراحل في نفوس الوطنيين المغاربة في الداخل والخارج شعورًا بالحاجة إلى عملٍ حاسم، يتطلب التوقف عن سياسة المجاملة خاصةً بعد الطلاق الذي وقع بين الشعب وممثلي الحماية منذ أحداث سنة 1937، وما تلتها من اعتقالات في صفوف الوطنيين، ونفيهم وتشريدهم إلى خارج البلاد².

كان نزول القوات الأمريكية على سواحل المغرب سنة 1942، واجتماع الملك محمد الخامس مع الرئيس روزفلت في آنفا عام 1943، وتأثر قادة الحركة الوطنية بما تضمنه ميثاق الأطلسي في 14 أوت 1941، كما كان للمؤثرات الخارجية كدخول العراق عصبة الأمم عام 1932، والمعاهدة البريطانية المصرية عام 1936، وموقف الحركة الاستقلالية في كلٍّ من سوريا ولبنان تجاه إدارة الإنتداب في القطرين خلال الأربعينات³، إضافةً إلى دعاية المحور التي كانت تُبث من برلين وروما وإشبيلية للتحريض على الوجود الفرنسي، لا شيء سوى بغية خلق المضاعف لفرنسا في المغرب والحلول محلّها في الوقت المناسب، كلُّ ذلك أثر في ترسخ الفكرة الاستقلالية في أذهان قادة الحركة الوطنية، وشجّعهم على الاستعداد لليوم الذي يعلنون فيه مطالبتهم بالاستقلال⁴.

أثر غياب غلال الفاسي المنفي منذ سنة 1937 ومحمد بن حسن الوزاني الموجود تحت الإقامة الجبرية، أخذ بلافريج المبادرة للقيام بعمل يعيد للحركة الوطنية المغربية نشاطها وحيويتها، نظرًا لمكانته الهيكلية في الحزب الوطني فقد كان أمينه العام ويعتبر من القلائل الذين لم يتم اعتقالهم خلال أحداث 1937 بسبب تواجده خارج المغرب، وأثناء تواجده بمنفاه الاختياري في الشمال شهد ميلاد تنظيم موحد بين حزبي الشمال حزب الإصلاح بقيادة عبد الخالق الطريس وحزب الوحدة المغربية بقيادة مكي الناصري، وأدّت هذه الوحدة في الشمال إلى الإعلان عن "الميثاق الوطني" في مدينة تطوان بتاريخ 18 نوفمبر 1942، والذي تضمن مطلب الاستقلال كبند أساسي بالإضافة إلى المطالبة بوحدة المغرب شمالاً وجنوباً بنظام ملكي إسلامي تحت سلطة إشراف العلويين والاعتراف بالسيادة المغربية في الداخل والخارج وبذلك يكون بلافريج قد شهد ميلاد فكرة الاستقلال في الشمال قبل الإعلان عنها في المنطقة السلطانية⁵.

1 عبد السلام انويكة، المغرب زمن الحرب العالمية الثانية بعيون الرئيس الأمريكي روزفلت، المرجع السابق، ص 186.

2 غلال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 301.

3 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب، المرجع السابق، ص 118-119.

4 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 6، مصدر سابق، ص 79-80.

5 حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية، المرجع السابق، ص 467-468.

يُرجع علال الفاسي في مذكراته الفضل في تأسيس الحزب الجديد (حزب الاستقلال) إلى الحزب الوطني نفسه، فقد فكّرت لجنته التنفيذية في ضرورة السير في هذا الاتجاه، ولتأكد من أنّ فكرتها متفقةً عملياً مع رغبات سائر الطبقات الشعبية دعت لعقد مؤتمر عام يجمع كلّ التوجّهات السياسية في البلاد¹، وانعقد هذا المؤتمر في الرباط في 11 جانفي 1944 حيث نشأ حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي² الذي وضع فكرة استقلال المغرب هدفاً أساسياً وانتخب أحمد بلافريج أميناً عاماً له³. ومن أهم مبادئ الحزب نجد:

- **الاستقلال**: لأنه شرط أساسي لتحرير جميع المناطق المغربية؛
 - **مناصرة الحرية**: لأنها نشاط الفرد في حياة الاجتماعية؛
 - **الدستور**: حيث أكّد الحزب ولاءه للسلطة الحاكمة الملك محمد بن يوسف ولهذا طالب الحزب بإعلان دستور ديمقراطي يعترف بحقوق الإنسان، بالإضافة إلى اللغة العربية لغة البلاد الرسمية والإسلام هو الدين الرسمي للمغرب؛
 - **المساواة**: بين المغاربة في الحقوق والواجبات، كما أكّد الحزب على ضرورة العدل من خلال القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، وعلى السياسة الاجتماعية من تعليم وإسعاف وتحسين حالة العمال المغاربة في المدن والأرياف.
- عبّر إسم الحزب على برنامجه فلم يعد الوضع في المغرب يتطلب مجرد إصلاحات في قانون الحماية، وضمّ بين أعضائه معظم من كانوا في الحزب الوطني من فلاحين ومثقفين وقضاة وأساتذة وجمعيات قدماء التلاميذ وشخصيات بارزة من الحزب القومي، وقد ركّز الحزب على مطلبين رئيسيين هما: الاستقلال والوحدة التامة لجميع مناطق المغرب الأقصى، ثم تكوين نظام ديمقراطي شبيه بالأنظمة التي تتكون منها الأمة الإسلامية⁴.

3.2. تقديم وثيقة الاستقلال 11 جانفي 1944:

1.3.2. ظروف تقديم وثيقة الاستقلال:

قبل الخوض في ظروف تحرير الوثيقة والمساهمين في تحريرها يجب الإشارة أولاً إلى أنّ حزب الاستقلال ليس الطّرف الوحيد الذي ساهم في إعلان مطلب الاستقلال بشكل واضح في وجه فرنسا خلال هذه الفترة، فقد تم إعلان المطالبة بالاستقلال في وقت واحد تقريباً من طرف عدّة تكتلات أولها (الميثاق الوطني) في منطقة الحماية الإسبانية 1942 مثلما تمت الإشارة سابقاً، ثم الحزب الشيوعي المغربي سنة 1943 ليأتي دور حزب الاستقلال سنة 1944⁵.

بالنسبة لظروف تأسيس وثيقة الاستقلال فكانت بعد مشاورات طويلة وتفكير جاد حسب ما أورده القادري في مذكراته حيث يقول: «بدأ التفكير الجاد للقيام بعمل لصالح بلادنا، لتحريرها من الاستعمار البغيض، لذلك كان لا بدّ لنا أن نقفز من المطالبة بالإصلاحات التي تقدمنا بها في 1934 إلى المطالبة بالاستقلال، لكن لا يمكن أن يقع منّا ذلك وحدنا دون استشارة رمز

1 جاءت مكونات حزب الاستقلال شاملة لجميع فئات الشعب المغربي مثل: أعضاء الحزب الوطني، أعضاء جمعيات قدماء التلاميذ، أعضاء من الحركة القومية المغربية، المفتين والقضاة وكبار الموظفين.

2 لما تأسس حزب الاستقلال سنة 1944، أصبح أحمد بلافريج كاتبه العام، كان علال الفاسي يتوقع تعيينه رئيساً للحزب، إلا أن القادة منحه لقب (الزعيم) شرفياً، ورأى علال الفاسي ذلك إهانة له واعتبر أن رفاهه القدامى بعده عن رئاسة الحزب بنوع من اللباقة، وتركز غيظه على بلافريج. أنظر: جون واتر بوري، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، 2013.

3 علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 284.

4 علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 289-290.

5 مجيد أيور، وثيقة 11 يناير 1944، سياق إستحواذ الرجوازية بقيادة النضال ضد الإستعمار، الحوار المتمدن، العدد 1435، مارس 2006.

البلاد والساھر على كيانھا والحارس الأمين لشخصيتها جلالة الملك محمد الخامس فتوالى الاتصالات معه لمدايسة الموضوع ليتقرر في الأخير تحرير الوثيقة التاريخية التي تقدمنا بها في 11 جانفي 1944¹.

انطلاقا من هذه الشّهادة التاريخية ندرك أهمية الملك محمد الخامس في رعاية هذا العمل الوطني، لذلك سعى قادة الحزب إلى توثيق علاقتهم به، وظلّ محمد الفاسي صلة وصل بين الملك وقادة حزب الاستقلال، حيث كان يُبلغ الملك مقترحات الحزب ويتلقى آراءه وتوجيهاته، كما عزّز هذا التحوّل في النشاط الوطني الزيارات الرسمية التي قام بها الملك محمد الخامس خلال الأعوام 1941-1943 لعدد من المدن المغربية وهو ما هيا له فرصة الاتصال بأبناء الشعب المغربي²، كما أدلى الملك بتصريحات خلال تلك الفترة أمام ممثلي الحماية والحلفاء تصبّت كلّها في ضرورة استرجاع الشعب المغربي لحقوقه منها بقوله: «إنكم تعلمون أنّ قيام المغرب بواجباته كلّها أعطاه سبباً آخر ليستعجل الحصول على سائر حقوقه»، وهو مازاد في ثقة رجال الحركة الوطنية من إمكانية الملك في تحقيق الأهداف التي يناضلون من أجلها³.

في مرحلة التمهيد لكتابة الوثيقة كان هناك اقتراح من أحمد بلافريج بإشعار الوزاني زعيم الحركة القومية الذي كان تحت الإقامة الجبرية بقرية (إيتزر) بالأمر، ودعوته هو وحزبه للعمل على تقديم الوثيقة والمشاركة فيها وتمّ تكليف محمد الأغزاوي بهذه المهمة، وكان الهدف من إشراك القوميين وزعيمهم الوزاني حسب أبو بكر القادري هو وحدة الصّف والوقوف أمام الفرنسيين ككتلة واحدة وموحدة، وكذلك تخليد إسمهم في أشرف وثيقة تقدم بها المغرب لجلالة الملك وللسلطات الفرنسية وممثلي الدول الأجنبية، وإشراك القوميين وزعيمهم في الخطوة التي خطتها الحركة الوطنية وهذا من باب أنّنا نعتبر أنّ العمل الوطني الشّريف لا ينبغي أن تحتكره أيّ جماعة مهما قوى إخلاصها وتضاعف نشاطها، ولأنّنا نرى أنّ الخير كلّ الخير في الوحدة والتعاون والتضامن.

لم تشارك الحركة القومية في تقديم الوثيقة الأولى واكتفت بتقديم وثيقة تأييد لمطلب الاستقلال بعد يومين أي في 13 جانفي 1944، ويفسّر الوزاني في مذكراته موقف القوميين من عدم المشاركة في تقديم وثيقة الاستقلال بقوله: «أريد من الحركة القومية أن تندفع إلى عمل كان لا شكّ وطنياً في حدّ ذاته، ولكن من غير أن تتّلعّ مسبّقاً على البواعث أو الجهات التي دعت إليه، وبعبارة أخرى طلب منها أن تنغمز وتحمّل المسؤوليات على غير بصيرة ولا هدى، ودون أن تكون في مستوى أصحاب الاقتراح من حيث العلم والإطلاع، فتتقاد انقياداً أعمى متحمساً لما عُرض عليها من أشخاص جدد في الميدان الوطني، وحديثي عهد بالكفاح السّياسي⁴، ومع تقدير رجال الحركة القومية للشّخصيات المتحاورّة معهم من (القدماء⁵)، وتحمّسهم لفكرة المطالبة بالاستقلال الذي كان من أسس الإيديولوجية القومية منذ نشأة حركتها في 1937..... لقد فوجئت الحركة بالإعلان عن حزب الاستقلال وتقديم وثيقة الاستقلال ووضعها أمام الأمر الواقع، إنّ هذا الاستعجال هو ما يؤكّد أنّ الأمر لم يكن بيد (القدماء)، وأنّ الحزبية الجامحة تغلّبت في آخر الأمر عليهم حتى تفوت على الحركة القومية المشاركة في العمل الذي كان وطنياً لا طائفياً⁶.

1 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، المصدر السابق، ص 157-158.

2 المختار إدريسي، الأحداث والعوامل التي ساعدت على تنظيم وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، مجلة المقاومة وجيش التحرير، العدد 57، الرباط، ديسمبر 1999، ص 55.

3 غلال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 285.

4 يوضح القادري في مذكراته أن الوزاني يقصد كل من الرغاري وياحني. أنظر: القديري، مذكراتي في، ص 166.

5 يقصد الوزاني بالقدماء هم عناصر قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية، ثانوية مولاي إدريس بفاس، حيث تولى بعضهم فجأة ترويج فكرة المطالبة بالاستقلال في نطاق سري، ويشكّ الوزاني أنّها فكرتهم بل هناك من يقف وراءهم.

6 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج6، المصدر السابق، ص 94.

طرح القوميون وعلى رأسهم الوزاني العديد من التساؤلات حول مبادرة وثيقة الاستقلال وكان شرطهم لقبولها والانخراط فيها حسب ما جاء في مذكرات الوزاني أن يجيبهم الوطنيون على بعض تساؤلاتهم حيث يقول: «هذا الموقف الذي ظهر به فجأة "القدماء" والذي حمل "التطرف" في مطالب الحركة الوطنية المغربية يدعو إلى الكثير من التساؤلات بل التقلبات داخل الأوساط المغربية، فما الذي طرأ حتى انقلب "القدماء" للمطالبة بالاستقلال علانية، هل هو تطوُّرٌ وليدٌ للظروف السياسية في الخارج؟، أو صنيع الوجود الأمريكي في المغرب؟، أم هو موقفٌ مُوحى به من جهات رسمية مغربية أو موعزٌ به من شخصيات حليفة جديرة بالاعتبار؟، أو ليس هو هذا ولا ذاك وإنما هو موقفٌ تلقائي نابعٌ من ضmannات متيقظة ومنبثقٌ من نفوس متفائلة؟»، هذه هي التساؤلات التي صاغها القوميون المغاربة في الشمال لكنهم لم يتلقوا عنها أيَّ إجابة¹.

مضمون وثيقة الاستقلال:

حرّرت وثيقة الاستقلال في بيت الحاج محمد مكوار بفاس²، وهندس إنشاءها محمد اليزيدي وأحمد بلافريج، أما بالنسبة للموقعين على وثيقة الاستقلال فقد ذكر القادري قائمة تضم 66 شخصية مقسّمة كما يلي: 50 شخصية تمثل أعضاء الحزب الوطني الجناح السري أو ما يطلق عليه بالطائفة، 09 شخصيات يمثلون قدماء تلامذة مدرسة مولاي إدريس، 03 شخصيات من مدرسة أزرو، 03 شخصيات حرة، إضافةً إلى محمد الفاطمي الفاسي وإن لم يظهر اسمه في القائمة التي نشرها القادري لكنّه يؤكد أنّه كان من الموقعين³. أغلب هؤلاء كانوا من المثقفين ومن الطبقة البرجوازية ورجال الأعمال وملاك الأراضي والعقاريين مثلوا 11 مدينة مغربية⁴، كما أكّد القادري أنّ جميع الموقعين يُعتبرون حسب تصريح الوثيقة من مؤسّسي أو أعضاء حزب الاستقلال لأنّ نص الوثيقة يقول: «إنّ حزب الاستقلال الذي يشم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة...» وهو عكس ما كتبه بعض المؤرخين من أنّ المتقدمين والمضامين على وثيقة الاستقلال إنّما هم يشكّلون جبهة ولا يشكّلون حزبًا واحدًا⁵، وتمّ تقديمها يوم الثلاثاء 11 جانفي 1944 على بالشكل التالي:

- وفد قدم الوثيقة إلى الملك محمد الخامس وهم السادة: أحمد بلافريج، محمد اليزيدي، عبد العزيز بن إدريس، الهاشمي الفيلاي، عبد الله إبراهيم، إدريس المحمدي، عبد الكريم بنجلون، أحمد الحمياني، عبد الحميد الزموري؛
- وفد قدم الوثيقة إلى القنصلية الأمريكية في المغرب وهم السادة: المهدي بنبركة، عبد الرحيم بوعبيد؛
- وفد قدم الوثيقة إلى المقيم العام الفرنسي في المغرب (قابريل بيو - Gabriel Puaux) الذي خلف الجنرال نوجيس في ماي 1943 وهم السادة: الحاج عمر بن عبد الجليل، محمد غازي، محمد الزغاري، محمد الديوري؛
- وفد قدم الوثيقة إلى القنصلية البريطانية في المغرب وهم السادة: الحاج أحمد مكوار، أحمد باحيني⁶.

1 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج6، المصدر السابق، ص 92.

2 قامت الجهات المعنية المغربية بتحويل هذا المنزل إلى متحف للمقاومة وجيش التحرير، اعتباراً للدور الذي لعبه مالكة في إخراج الوثيقة إلى حيز الوجود. أنظر جريدة الصباح المغربية، منزل مكوار بفاس شاهد عصر على وثيقة الإستقلال، 14 جانفي 2013.

3 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، المصدر السابق، ص 188-189.

4 يرى ألبير عياش أنّ معظم قيادات الحركة كانت من الطبقة البرجوازية الكبرى التي إغتنمت من بيع المخزونات الهامة التي إحتكرتها قبل 1939، أما سبب إغراطها داخل الحركة الوطنية فيعود إلى الإجراءات التعسفية التي طبقتها إدارة الحماية ضدها والتي حدثت من توسع أعمالها وازدهارها. أنظر: ألبير عياش، المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ص396.

5 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، المصدر السابق، ص189.

6 خالد صقلي، التضامن بين المغاربة من خلال وثيقة 11 يناير 1944، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد 37، سبتمبر 2017، ص75.

قدمت وثيقة إلى الجنرال ديغول وسفير الاتحاد السوفياتي في الجزائر، ولم يتم تقديم الوثيقة إلى السلطات الإسبانية حتى يؤكد الحزب على تمسكه بالوحدة الترابية للأراضي المغربية، ويبعد عنه كل الشكوك التي تتهمه بالتواطؤ مع دول المحور¹. بدأت الوثيقة بسلسلة من "الحثيات" على شكل مقدمة تحاكم نظام الحماية وتذكرها بالدور الذي لعبه المغرب ومشاركته الفعالة إلى جانب الحلفاء خلال فترة الحرب، كما تذكر بمبادئ ميثاق الأطلسي وتلتزمس انخراط المغرب في هذا الميثاق والمساهمة في مؤتمر السلام، واقترحت الوثيقة إجراء إصلاحات داخلية يشرف عليها ملك البلاد، ثم تعرض الوثيقة لمطلب الاستقلال صراحةً وتكوين نظام ديمقراطي شبيه بالأنظمة التي اتبعتها مختلف الحكومات الإسلامية يضمن حقوق سائر العناصر والطبقات التي تتكون منها الأمة المغربية، وتقرّر إجراء مفاوضات مع الأمم المعنية باستقلال المغرب².

2.3.2. ردود الفعل الرسمية والشعبية من تقديم وثيقة الاستقلال:

أ. موقف الملك محمد الخامس من تقديم الوثيقة:

بعد تلقيه لوثيقة الاستقلال قام الملك محمد الخامس بدعوة لعقد اجتماع يوم 13 جانفي 1944 حضره الوزراء والقادة والقضاة، حيث أبلغهم بشأن الوثيقة التي قدمها إليه حزب الاستقلال، فوافق الجميع على ما جاء في الوثيقة³، ونتج عن هذا الاجتماع تشكيل لجنة وزارية تتكون من محمد بن العربي العلوي وزير العدل، وأحمد بركاش وزير التعليم، ومحمد المعمرى وزير التشريعات، وأحمد الشبيهي، والحسن مزور، والعربي حريشي ممثلي العلماء⁴. كان هدف الاجتماع الاتصال باللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال لبحث الطرق التي تراها مناسبة لتنفيذ مطلب الاستقلال، عسى أن تتمكن اللجنة الوزارية من إقناع ممثلي الإقامة بالموافقة على هذا المطلب وحل المشكلة المغربية⁵، لكن الاتصالات انقطعت بعد اجتماعين في 15 و 18 جانفي 1944 بين الطرفين دون الوصول إلى أي نتيجة تذكر، ويبدو أن السبب يرجع إلى زيارة المقيم العام بيو- Gabriel Puaux إلى القصر وإبلاغ الملك محمد الخامس في 18 جانفي 1944 أن فرنسا متمسكة بمعاهدة الحماية 1912، وبأنها لن تقبل أن تمس من جانب واحد.

قام قادة حزب الاستقلال بتوجيه رسالة "تفسيرية"⁶ إلى الملك محمد الخامس في 18 جانفي تشير إلى أنّ الوفد المفاوض قد خرج من الاجتماعين المشتركين مقتنعاً بأنه لا سبيل إلى تحقيق أيّ إصلاح جوهري ودائم إذا قام على أساس اقتسام السيادة بين المغرب وفرنسا، ولم يمض يومٌ واحدٌ على تلك الرسالة حتى أثبتتها قادة حزب الاستقلال ببيان أُطلق عليه "بيان حقيقة"⁷ الذي أعاد تأويل

1 عز الدين زايدي، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 314.

2 ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، المرجع السابق، ص 396.

3 علّال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 297.

4 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 6، المصدر السابق، ص 100.

5 علّال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 298.

6 يرى الحسن الوزاني أن الداعي وراء توجيه تلك الرسالة التفسيرية من قادة حزب الاستقلال للملك في تفسير السياسة هو وجود سوء فهم أو تفاهم، كما ان مضمونها برهن على أن أمر المطالبة بالاستقلال لم يدبر ولم يسر وفق المرام على الصعيد المركزي.

7 محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 6، المصدر السابق، ص 101.

مضمون وثيقة الاستقلال الأولى وخفف من حدتها ومما جاء فيه: «لم يكن هدفنا إثارة أو إطلاق حركة عصيان داخل البلاد، يمكن أن يكون من نتائجها عرقلة جهود الحلفاء في الحرب التي يجب أن يقوم بها كل واحد»¹.

انتقد الوزاني البيان بشدة وذكر أنّ البيان كان له رد فعل سيء في الأوساط المغربية التي اعتبرته تراجعاً وتقهقراً، فأحدث أثره صدمة وخيبة في النفوس التي ذهبت في تأويله مذاهب شتى لا تشرف مطلقاً، بل وزّع في الرباط منشوراً يندد بالبيان وأصحابه². اضطرّ الملك محمد الخامس أمام الضغوطات الكبيرة التي مارستها سلطات الحماية عليه للتذكير أمام مبعوث ديغول في 28 جانفي 1944: «بالتزامه باحترام معاهدة الحماية والتأكيد على الدور الفرنسي في النهضة المغربية، والتذكير بالصدقة الفرنسية المغربية التي بنيت عبر الزمن على أسس صلبة، ولم ينس الملك إبداء إعجابه الكبير لما يقوم به ديغول وحكومته الحرة من أجل تحرير فرنسا»، ولتخفيف الضغط عليه قام بعزل وزير العدل محمد بن العربي العلوي وإقالة نائب الصدر الأعظم في التعليم أحمد بركاش وابنه عبد الرحمان بركاش باشا مدينة الرباط، إضافةً إلى توقيف بعض الموظفين وتوبيخ آخرين ممن اتهموا بالتواطؤ مع الوطنيين والانخراط في الحركة الاستقلالية³.

ب. موقف الحزب الشيوعي من تقديم الوثيقة:

اعتبر الحزب الشيوعي وممثلي النقابيين أنّ تقديم وثيقة الاستقلال جاء في وقت غير مناسب، لأنّ قوى الحلفاء كانت تخوض خلال نفس الفترة معارك ضارية وحاسمة ضدّ المحور في إفريقيا وروسيا وإيطاليا، واتهمت صحيفة الحزب الشيوعي (L'Ébération) مناضلي حزب الاستقلال بإثارة القلاقل والعمل ضدّ طموحات الشعب المغربي وضدّ الديمقراطية، وكتب ميشيل مازيلا في جريدة (Espoir) بتاريخ 05 أوت 1945 مقالاً جاء فيه: «هل استطاع شعار الاستقلال أولاً أن يحقق بعض الرفاهية لسكان هذا البلد؟ هل جعلهم يحصلون على الحقوق الديمقراطية الأساسية؟ نقول لا العكس تماماً هو الذي حصل، إنّ ذلك الشعار، إنّما يسر لعبة رجال التروستات والفيوداليين والاستعماريين الذين وجدوا فيه ذريعة لبعث الانقسام، فنحن نتساءل إذاً أليس هؤلاء المستفيدون هم الأصحاب الحقيقيون لذلك الشعار؟»⁴.

ج. الموقف الشعبي من تقديم الوثيقة:

تقبل الشعب المغربي فقد تقبل الوثيقة وأيدها بعرائض وقّعها جميع الفئات، وتوالت الوفود الشعبية من كلّ نواحي المغرب ترفع للملك عرائض التأييد، وعمت البلاد نشوة الحديث عن الاستقلال، وانتشرت مظاهر الفرح والاحتفال في كامل أرجاء المغرب خاصةً في مدن: الرباط وفاس وسلا⁵، كما تم تأييد وثيقة الاستقلال 1944 من طرف أعضاء المجلس العلمي بفاس وعلى رأسهم قضاة فاس وعدولها منهم محمد بن عبد السلام السايح الرباطي، واسماعيل الإدريسي، كما أيّدت المنطقة الخليفية وثيقة الاستقلال وتجسّد هذا

1 ألبير عياش، المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، المرجع السابق، ص 397.

2 للإطلاع على نص البيان كاملاً وموقف الوزاني منه أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة جهاد، ج 6، ص ص 105-106.

3 جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 119.

4 يظهر موقف الشيوعيين واضحاً من خلال منشور للحزب مورخ في 14 جانفي 1943 تحت عنوان: "موقف الحزب الشيوعي المغربي إزاء الأحداث الراهنة". أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ص 215.

5 عز الدين زايدي، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 317.

التأييد بوضوح من خلال الرسالة التي وجهها حزب الإصلاح الوطني للملك محمد الخامس في 29 فيفري 1944¹، فيما أعرب نائب رئيس الجالية اليهودية السيد رافائيل بنازيراف-Raphaël Bénazeraf بالدار البيضاء أنّ وضع اليهود الحالي لا يسمح لهم باتخاذ موقفٍ مؤيدٍ للوثيقة، لكنهم مستعدون للاستجابة بصورة فورية لاستدعاء عاهلهم².

د. موقف سلطات الحماية الفرنسية من تقديم وثيقة الاستقلال:

بالنسبة لسلطات الحماية فقد أفلقتها هذه الحركة من الاستقلاليين خاصةً عندما تأكدت من موافقة القصر وتأييده لها، لذلك لم يتأخر قمع الحماية كثيرًا، فبعد تدخل المقيم العام لدى الملك وإخباره بأنه لن يحصل على شيء من طرف الحلفاء، وأنّ فرنسا الراغبة في تحقيق إصلاحات في إطار الحماية تتوفر على الوسائل الكفيلة بالحفاظ على النظام، أمره بتنحية كلمة الاستقلال من أفواه المغاربة وقلوبهم، وطلب منه أن يأخذ موقفًا صريحًا "هل هو مع فرنسا أم ضدها؟".

كنتيجة لذلك صدر بيان في 17 جانفي صيغ باتفاق مع القصر جاء فيه: «إنّ فرنسا ستواصل مخططاتها الإصلاحية وأنّ السُلطان يرغب أن يتطوّر المغرب في إطار الصداقة الفرنسية وفي ظل احترام المعاهدات»، كما قام الجنرال ديغول مباشرة بعد إعلامه بالتطورات الحاصلة في المغرب بإرسال وزير خارجيته ريني ماسيغلي-René Massigli³، إلى المغرب من أجل تذكير الملك والحركة الوطنية هناك أنّ حكومة فرنسا الحرة على استعداد لمواصلة مهمتها الحضارية في المغرب "بأيّ ثمن".

في خطابه أمام الملك فيما يتعلق بوثيقة الاستقلال فإنّ ماسيغلي صرح قائلاً: «إنّ فرنسا لا تقوم بأيّ إصلاحات إلّا ماتعتهه مطابقاً للدولة، ومساييراً لعادات وتقاليد البلاد المغربية، وبالتالي فإنّ اختيار أيّ مبادرة للإصلاح من حيث المضمون أو الظروف الملائمة لها ليست من صلاحيات أيّ أحدٍ ما عدا فرنسا لأنّ ذلك تعبيرٌ عن الثقة الكبيرة التي لطالما أبداها المغرب لفرنسا، وبإمكانه أن يواصل هذه الثقة فيها ممثلةً هذه المرة في حكومة فرنسا الحرة وعلى رأسها الجنرال ديغول»⁴.

في إطار عمليات القمع قامت مصلحة الأمن العسكري في ليلة 28-29 جانفي باعتقال 18 شخصاً من الموقعين على وثيقة الاستقلال بدعوى تعاملهم مع العدو النازي، وربطهم اتصالات سرية مع المصريين والمسّ بالنظام العام، من بينهم أحمد بلافيج الذي تم نفيه إلى جزيرة كورسيكا، وإصدار أحكام بالسّجن تتراوح بين سنة وستين في حق كلّ من عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بنبركة، وأبو بكر القادري، وعبد الله إبراهيم، وتم نقل محمد العربي العلوي إلى مركز السّجن بالجنوب.

فترتب على عمليات القمع تلك مظاهرات أدّت إلى صدامات عنيفة ودامية بينهم وبين قوات الشّربة والجيش خاصةً في الرباط وسلا مدينتي السُلطان، وكانت حدّها أكبر في مدينة فاس باعتبارها مركز المقاومة التقليدي حيث سيطر المتظاهرون على المدينة بالكامل بين 30 جانفي إلى 10 فيفري⁵، لكن قوات الشّربة والجيش استعادت السّيطرة على المدينة واعتقلت عدداً كبيراً من سكّانها،

1 للإطلاع على نص رسالة التأييد التي وجهها حزب الإصلاح الوطني للملك محمد الخامس كاملة في 29 فيفري 1944 أنظر: محمد بن عزوز حكيم، وثائق تشهد، مطبعة الساحل، الرباط، 1980، ص 111.

2 ألبير عياش، الحركة النقابية بالمغرب (مغربة الحركة 1943-1948)، ج2، ترجمة: نور الدين سعودي، منشورات أمل، الدار البيضاء، 1997، ص 36.

3 ريني ماسيغلي-René Massigli: (1888-1988) أستاذ جامعي في التاريخ، إنخرط في الدبلوماسية الفرنسية سنة 1919 وتقلد عدة مناصب من بينها مدير الشؤون السياسية بين سنتي 1937 و1938، ووزيراً للشؤون الخارجية في حكومة فرنسا الحرة بين سنتي 1943 و1944 ثم سفيراً لفرنسا في بريطانيا بين سنتي 1944 و1955.

4 حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية، المرجع السابق، ص 484.

5 كانت الانتفاضة في فاس أوسع حيث أعلن الإضراب العام في المدينة، واستمرت التظاهرات الاحتجاجية للتنديد باعتقال القادة الوطنيين والعتاف باستقلال المغرب وسقوط الحماية، واتخذ الوطنيون من جوامع المدينة ملاذاً لهم من رصاص القوات الفرنسية وسقط في المدينة أكثر من 60 شهيداً وعدد كبير من الجرحى. للإطلاع على أحداث فاس بالتفصيل أنظر:

طبقت في حق الكثير منهم حكم الإعدام وأدانت آخرين بالسجن والأعمال الشاقة¹ كما قامت بغلق الكثير من المدارس وطردها مدرسيها بحجة أنّ التلاميذ والمعلمين ساهموا في هذه الحركة².

بالنسبة للأمريكيين والبريطانيين فقد تم التواصل معهم سواءً بواسطة سفارتهم أو ممثليهم العسكريين أو بعض جواسيسهم، إلّا أنّهم كانوا يتجنبون النقاش حول حدوث أيّ عملٍ من شأنه أن يعرض الوجود الفرنسي للاضطرابات والقلق، على اعتبار أنّ فرنسا هي حليف الحرب وأنّ أي عملٍ ضدها في المغرب سيكون لصالح الألمان، وهذا ما سجلته المذكرات الدبلوماسية والتقارير القنصلية التي كانت ترسلها البعثات الأمريكية بالمغرب حول وثيقة الاستقلال وما ارتبط بها، والتي كان يتبعها كلٌّ من القنصل العام بالدار البيضاء وزميليته بالرباط وطنجة³.

4.2. إصلاحات (إريك لابون- Eirik Labonne) وبعث النشاط السياسي في المغرب:

دفع انتفاضة جانفي 1944 الإدارة الفرنسية إلى طرح مجموعة من الإصلاحات لامتناس سخط الوطنيين المغاربة، حيث قرّر المقيم العام الفرنسي بيو في 15 مارس 1944 تشكيل أربعة لجان من ذوي الاختصاص لاقتراح الإصلاحات الضرورية في مجالات الإدارة العامة، التعليم، العدل، الاقتصاد. أشار بيو أنّه يرغب في تطوير مؤسسات الدولة وهيئة المغاربة لإدارتها، والاهتمام بالحالة الاقتصادية لاسيما الزراعة التي تعدّ النشاط الأساسي لسكان المغرب، أمّا في الميدان الإداري فقرّر المساواة في الوظائف بين الفرنسيين والمغاربة، كما قرّر أن تبقى اللغة الفرنسية إلى جانب العربية في التعليم وإنشاء مدارس ابتدائية جديدة، وقبول المغاربة المسلمين في المدارس الفرنسية، وإنشاء منصب خليفة قضائي لدى محاكم الباشوات، وتزامنت مشاريع الإصلاح هذه مع قيام سلطات الحماية بإطلاق سراح 387 سجيناً بفاس في جويلية 1944 للتخفيف من حدة التوتر عند الوطنيين المغاربة⁴.

خلال الفترة بين (1944-1945) بدأت معالم الحرب تتضح أكثر لصالح الحلفاء وعلى جميع الجبهات، ففي الأراضي السوفياتية كان الجيش الأحمر يحقق انتصاراً ساحقاً على الجيوش الألمانية ويطاردها في دول البلطيق، وفي نفس الوقت انطلقت الجيوش الحليفة في الجنوب والغرب من أوروبا باحتلال صقلية ثم الأراضي الإيطالية والدخول إلى روما في ربيع 1945، ثم الانتقال بسرعة إلى فرنسا التي تم بها إنزال نورماندي الشهير في جوان 1944 ومحاصرة القوات الألمانية، لتبدأ عملية احتلال ألمانيا التي قاومت بشدة لكن قوة الحلفاء كانت قد حسمت المعركة لتعلن ألمانيا استسلامها غير المشروط في 8 ماي 1945، ثم اليابان في 02 سبتمبر 1945⁵.

Roger Le Tourneau, **Evolution politique de L'Afrique du nord musulmane, 1920-1961**, Armand Colin, Paris 1962, p213.

1 بدأ تطبيق العفو على المعتقلين السياسيين منذ مارس 1944 إلى غاية جويلية 1945 حيث تم الإفراج على وطني فاس الأكثر تورطاً وعددهم 11 شخصاً، لكن بقيت عقوبة النفي في حق كل من علّال الفاسي الغابون، وبلفريج كورسيكا سارية المفعول، إضافة إلى بقاء بعض المناضلين تحت الإقامة الجبرية في المغرب.

2 ألبير عياش، **الحركة النقابية بالمغرب (مغربية الحركة 1943-1948)**، ج2، المرجع السابق، ص36.

3 للإطلاع على ملخصات للمراسلات والمذكرات الرئيسية المتبادلة بين ممثلي القنصلية أو المفوضية الأمريكية بالمغرب في تلك الفترة ووزارة الشؤون الخارجية أنظر:

Foreign Publications of the Department of Foreign Affairs, Washington, 1944.

الجلد الخامس صفحات 524-538 متاحة على النت: <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1944v01>

أنظر كذلك: أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية**، ص ص 170-175.

4 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، **الإدارة الفرنسية في المغرب**، المرجع السابق، ص127.

5 رمون كارتييه، **الحرب العالمية الثانية (1942-1945)**، ج2، ترجمة: سهيل سماحة، أنطوان مسعود، مؤسسة نوفل ش م م، بيروت، 1983، ص382.

بعد انتهاء الحرب واسترجاع فرنسا لسيادتها دعى الجنرال ديغول الملك محمد الخامس لزيارة فرنسا، وذلك للمشاركة في الاحتفال بذكرى إعلان المقاومة 18 جوان 1945، فلي الملك الدعوة وقام بزيارة لفرنسا دامت ثلاثة أسابيع زار خلالها كثيراً من المدن الفرنسية، وبعض المناطق الألمانية التي أصبح يُسيطر عليها الفرنسيون واستعرض فرق الجنود المغاربة الذين شاركوا في الحرب، وقلده الجنرال ديغول وسام التحرير اعترافاً من فرنسا وقائد تحريرها بمجهودات حلفائها في معركة التحرير¹، جاء ذلك بعد أن حضر الملك إلى جانب ديغول احتفالات 18 جوان بساحة لاكونكورد، وخلال تواجده بمقر إقامته في باريس طرح الملك على ديغول مسألة تعويض المقيم العام بالمغرب بيو².

خلف السيد إريك لابون- Eirik Labonne غابريل بيو- Gabriel Puaux في 30 مارس 1946، وكان لابون قد شغل منصب الكاتب العام للحماية بالرباط من سنة 1926 إلى 1928، وعُرف بعبقريته في المجال الاقتصادي وعلى وجه الخصوص في مجال الصناعة والتعدين، كان يملك قدرة عالية في النقاش والتفاهم لذلك فتح مجال الحوار مع ملك المغرب وكذلك الزعماء الوطنيين محاولاً إقناعهم بأطروحاته الليبرالية.

كان إريك لابون ينوي بناء اقتصاد يضمن الرخاء لكل المغاربة³ معتمداً على التطور الصناعي وذلك بالاستغلال الجدي للموارد المعدنية المتوفرة، هذا ما صرح به لابون أمام الصحافة الباريسية في بداية مارس وبالرباط أمام الملك محمد الخامس الذي خصه باستقبال رسمي في 23 مارس 1946، وأكد عزمه على تسبيق المسائل الملحة في هذا البلد المستنزف والمنهك بمتطلبات الحرب والكوارث الطبيعية بقوله: «تغذية وإسكان أولئك الذين يحسون بالجوع والبرد، تعليم الناس ليتراجع الجهل، وإخراج الخيرات التي تحتضنها هذه الأرض السعيدة على سطحها وفي باطنها، بتنمية الإنتاج الصناعي وتحديثه، إذ بدونه سيظل البلد متأخراً»⁴، كما كان يحتقر الفلاحة ويعتبرها "بالفن البدائي"، كما كان يستخف بالتكنوقراطيين وينتقد الموظفين الذين يتفنون كاهل الدولة ويكلفون الخزينة جزءاً كبيراً من ميزانيتها، التي يرى أنه من الأفضل تسخيرها في البحث والتنقيب عن مواد الطاقة والمعادن⁵.

حظي إريك لابون باستقبال جيد من طرف الملك محمد الخامس الذي كان يعرفه من قبل⁶، وسعى لربط اتصال بالوطنيين بعد أن قام لابون بإصلاحات تدل على حسن نواياه وتهدف إلى تهدئة الأوضاع وذلك بالسماح بعودة كل من علاّ الفاسي زعيم حزب الاستقلال من منفاه في الغابون، وأحمد بلافريج من كورسيكا والذي استعاد منصبه ككاتب عام للحزب، والترخيص لحزب الاستقلال بإصدار جريدتين هما "العلم" اليومية الإخبارية الناطقة بالعربية وعلى رأسها عبد الجليل القباج في 11 سبتمبر 1946، وجريدة

1 أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص322.

2 جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال (1912-1956)، المصدر السابق، ص122.

3 جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال، المصدر السابق، ص129.

4 ألبير عياش، الحركة النقابية بالمغرب، ج2، المرجع السابق، ص85-86.

5 Pierre Escoubé: Eirik Labonne Diplomate hors-série, <https://www.revuedesdeuxmondes.fr/wp-content/uploads/2016/11/8b0a0031557984eb05c7b85bb0ee590b.pdf>.

6 للإطلاع على تفاصيل هذا الاستقبال أنظر: نشرة أخبار المغرب، الرباط، ع3، أفريل 1946.

رأي الشعب - L'opinion du peuple الأسبوعية والناطقة بالفرنسية الصادرة بتاريخ 08 مارس 1947، وترأسها خديجة ديوري التي تحمل الجنسية الفرنسية¹، وترأس هيئة تحريرها عبد الكريم بن جلون ثم خلفتها جريدة الاستقلال-Indépendance عام 1952². قام لابون بإلغاء إدارة الشؤون السياسية وتعويضها بجهازين جديدين هما الكتابة السياسية وإدارة الداخلية، وبدأ لابون في عقد لقاءات مع الوطنيين للتداول الآراء كما فكّر في إقناع الشخصيات البرجوازية المرموقة بالمساهمة في تطوير اقتصاد المغرب وتنميته، الأمر الذي أقلق مساعديه وأزعج الفرنسيين بكلّ فئاتهم معوّرين وعسكريين وتجار وصنّاع وموظفين وأصبحوا لا يخفون انزعاجهم من سياسة لابون التي اعتبروها ضعفاً في صالح الوطنيين المغاربة الذين قد يستغلون للتعبير عن طموحات أكبر، وفي 22 جويلية 1946 اقترح لابون على مجلس شورى الحكومة إصلاحات هامة أراد من خلالها حسب تعبيره «أن يزرع في نفس الشعب المغربي والشباب ذكوراً وإنثاء، الثقة والشعور بأنّ الحياة في كلّ المجالات ترحّب بأعمالهم وقدراتهم الفكرية والذهنية»، ومن أهم تلك الإصلاحات نذكر:

- في المجال الاقتصادي: التصنيع، التنقيب عن المعادن، خلق شركات اقتصادية مشتركة؛
- في مجال التعليم: توسيع التعليم على اختلاف أسلاكه (الابتدائي - المهني - الثانوي - العالي)، شن حرب على الأمية مع خلق شبكة مكثفة من المدارس يقوم بتنشيطها فرنسيون؛
- في مجال الإدارة: ولوج المغاربة مختلف المناصب مع تشجيع اللامركزية لصالح الجهات؛
- في المجال الاجتماعي: منح الحق النقابي للمغاربة المستخدمين في المقاولات ذات الطابع الصناعي أو التجاري؛
- في المجال السياسي: تشكيل مجالس منتخبة³.

لكنّ الوطنيين المغاربة رفضوا هذه الإصلاحات حيث وجّه بلافريج في 24 جويلية 1946 احتجاجاً للملك ضدّ مخططات فرنسا معتبراً أنّ هذه الإصلاحات هدفها تثبيت أسس سياسة الحماية التي أظهرت فشلها مع مرور الوقت، وأشار بلافريج أنّ خطاب المقيم العام لابون لم يتعرّض لوضعية الحريات العامة، وطالب بلافريج بإلغاء نظام الحماية وتشكيل حكومة مغربية برئاسة الملك لتشريع في إجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية قصد إبرام اتفاقية جديدة تضمن السيادة المغربية⁴.

استأنف حزب الاستقلال نشاطه بقوة وحزم فلم تكن إصلاحات لابون وحدها دافعا لهذا النشاط، بل شكّل دعم القصر ووفرة الموارد المالية وانتشار أعضائه بأهم المدن المغربية ميزة مهمة سهّلت للحزب إعادة تجميعه للخلايا والفروع الحضرية ومضاعفة أعدادها

1 اعتمد الحزب على خديجة ديوري لأنها تحمل الجنسية الفرنسية وهي زوجة محمد ديوري أحد الوطنيين من القنيطرة وكان من الموقعين على بيان الإستقلال وهذا لعدم التعارض مع القانون الفرنسي الخاص بالصحافة الفرنسية الذي يمنع أن يكون مسير الجريدة يحمل جنسية غير فرنسية.

أنظر:

Jamaà Baida, **La Presse Marocaine D'expression Française des origines à 1956**, publication de la Faculté, Des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat 1996.

2 زين العابدين العلوي، **المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف 1927-1956** فترة الحماية الفرنسية والإسبانية، ج3، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2009، ص257.

3 جورج سيلمان، **المغرب من الحماية إلى الإستقلال**، المصدر السابق، ص130.

4 فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، **الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات الوطنية المغربية الجزائر والمغرب الأقصى 1939-1956**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016/2017، ص214.

والدخول إلى البوادي¹، وردًا على إصلاحات لابون عقد مجلس الحزب الأعلى اجتماعًا في الرباط وهو أول اجتماع له بعد عودة الفاسي من المنفى وبعد دراسة للإصلاحات قرّر الحزب مايلي:

- كتابة مذكرة للملك يعلن فيها معارضة الحزب للبرنامج السياسي للمقيم، ويرفض شكل الإصلاحات التي عرضها خصوصًا نظام اللامركزية والمجالس المختلطة، متمسكًا بفكرة (الحزب الوطني) والكتلة في عدم إعطاء الفرنسيين أي حق من حقوق المواطنين المغاربة؛
- كتابة بيان بهذا المعنى يوزّع على الشعب؛
- كتابة مذكرة للملك تبين خطر البرنامج الاقتصادي للسيد لابون على البلاد، وتطلب من الملك عدم المصادقة على أي تشريع يتعلّق باغتصاب التراث المغربي أو جانبًا منه؛
- توجيه نداء من الحزب للممولين المغاربة بطلب منهم رفض التعاون الاقتصادي الذي يطلبه المقيم العام وعدم الاشتراك في الشركات التي يؤسّسها بتوجيه استعماري فرنسي؛
- تأسيس لجنة الاقتراح والتوجيه الاقتصادية التي تعمل على إلتكار المؤسسات المغربية وإرشادها وتوجيهها لمقاومة مؤسسات الإقامة العامة للجنة التنفيذية للحزب؛
- إعلان الحزب استعداده لتوجيه الأمة نحو التضحية الكبرى إذا حاولت الإقامة العامة تطبيق برنامجها بالقوة².

5.2. تأسيس حزب الشورى والاستقلال:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وفي سياق تعديل سياستها الاستعمارية داخل مستعمراتها ومن بينها المغرب، أصدرت باريس سلسلة من الإجراءات للتخفيف من حدة التوتر التي ميّزت الفترة السابقة، فسمحت بعودة النشاط الوطني في المغرب وإطلاق سراح الزعماء السياسيين كما تمت الإشارة سابقًا، ومن بينهم محمد حسن الوزاني الذي قصد مدينة فاس أين ألقى خطابًا في 30 ماي 1946، وجّه من خلاله نداءً إلى الشعب المغربي للقيام بعمل من شأنه أن يفضي بالبلاد إلى الحرية والاستقلال.

في 29 جويلية 1946 عقد أعضاء الحركة القومية بزعامة حسن الوزاني مؤتمرًا بالدار البيضاء تم خلاله الإعلان عن تأسيس حزب جديد بإسم "حزب الشورى والاستقلال" خلفًا "للحركة القومية"³، وتألّف المكتب السياسي للحزب من تسعة مسؤولين هم: محمد حسن الوزاني أمينًا عامًا، عبد القادر بن جلون أمينًا عامًا بالنيابة، وعضوية كلّ من الحاج أحمد معنين، محمد الفاضل، إبراهيم الهلاّلي، علي العراقي، محمد العربي العلمي، عبد الهادي الشرايبي، محمد بن عبد الله، وأصدر الحزب ابتداءً من أفريل 1947 جريدة أسبوعية ناطقة باللغة العربية هي جريدة "الرأي العام" التي ترأسها أحمد بنسودة وتولى الوزاني تحرير افتتاحيتها، وصادق المؤتمر بالإجماع على "ميثاق الاستقلال القومي" الذي يعدّ أول وثيقة سياسية تبناها حزب الشورى والاستقلال لتصبح برنامجها القاعدي ومرجعيتها السياسية،

1 ألبير عياش، الحركة النقابية في المغرب، المرجع السابق، ص 87.

2 علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص ص 336-337.

3 Ben Barka Mahdi, Option Révolutionnaire au Maroc Suivi de Écrits politiques, éd, Maspero, paris, 1966, p43.

وجاء هذا البرنامج في صيغة نصّ قانوني تطرّق لمختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما تناول العلاقات الداخلية والخارجية للمغرب المستقل، وجاء في عشر محاور نذكر من أهمها: ¹.

- المطالبة باستقلال المغرب مع ضرورة استرجاع وحدته الترابية المفككة بين الشمال والجنوب بحكم الحماية، وخضوع مدينة طنجة للنظام الدولي منذ مطلع القرن العشرين؛
- التمسك بالملكية الدستورية؛
- تشكيل حكومة تتمتع بثقة الأمة، ولها حرية التصرف حتى تستطيع قيادة المغرب تقرير مصيره؛
- إصدار دستور خاص بالمغرب؛
- ضرورة إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية؛
- تعويض معاهدة الجزيرة لسنة 1905 بمعاهدة جديدة تضمن سيادة المغرب وتحمي مصالح الأجانب في المجال الاقتصادي والصناعي بشكل خاص وتحترم أملاكهم؛
- ضمان نظام قانوني خاص للأقلية اليهودية مستمد من القواعد الإسلامية المرتبطة بكيفية التعامل مع "أهل الذمة" لأن الطبيعة الإسلامية والعربية لدولة الأشراف العلويين لا تسمح لهم أكثر من ذلك؛
- تفضيل التعاون مع فرنسا عن غيرها من الأجانب ².

كما صادق المؤتمر على "المبدأ السياسي القومي" ³ الذي يستلهم كثيراً من مبادئ الحركة القومية، إلا أنه يطابق الظروف السياسية في ذلك الحين، وقدّم "ميثاق الاستقلال القومي" و"المبدأ السياسي القومي" إلى الملك في رسالة مؤرخة في 29 جويلية 1946، شرح فيها موقفه من القضية المغربية وقدّم خطة تكفل حسب رأيه تحقيق أمان القوميين، وتضمن للمغرب حريته ومجده من خلال ميثاقه الذي ركّز على أنّ حل القضية المغربية يمر عبر ثنائية التخلّص من الحماية وترسيم الديمقراطية أو الاستقلال والدستور في آن واحد، راجياً من الملك تقديم هذه الخطة التي أعدّها حزب الشورى والاستقلال للمقيم العام الفرنسي بالمغرب السيد إريك لابون ⁴.

أسّس حزب الشورى والاستقلال فروعاً له في مناطق مختلفة من المغرب، ونظم فصيلاً طلابياً بالقرويين وكون جمعيات سياسية من أهمها: جمعية أخوات الصفا وهي أول تنظيم نسائي تأسّس بالمغرب التي عقدت مؤتمرها الأول في أواخر سنة 1946 بفاس، كما نادى الحزب بإقرار المساواة في الحقوق وحرية الرأي، والعمل على تحسيس الرأي العام المغربي بمزايا الديمقراطية وربط كفاحه الوطني من أجل الاستقلال بإقامة حكم ديمقراطي يستفيد منه كلّ الشعب، كما ربط إلغاء نظام الحماية بإقامة ملكية دستورية ديمقراطية، وفي إطار هذا التوجّه تقدّم الحزب سنة 1947 بمذكرة للملك والإقامة العامة عرفت بمذكرة 23 سبتمبر 1947 ⁵.

1 زين العابدين العلوي، المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف 1927-1956 فترة الحماية الفرنسية والإسبانية، المرجع السابق، ص 274-275.

2 عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والذي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1990، ص 17.

3 للإطلاع على برنامج "المبدأ السياسي القومي" أنظر: عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والذي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، ص 17-18.

4 عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والذي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، المصدر السابق، ص 21-22.

5 فاطمة زهرة آيت بلقاسم، الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات الوطنية المغاربية، المرجع السابق، ص 216.

مذكرة 23 سبتمبر 1947:

تعتبر مذكرة 23 سبتمبر 1947 أهم وثيقة سياسية صدرت عن حزب الشورى والاستقلال، ولم تكن هذه المذكرة عملاً سياسياً معزولاً عما عرفه المغرب من ظروف منذ نزول الحلفاء في شمال إفريقيا في 08 نوفمبر 1942، وما ترتب عنه من تفاعلات ظهرت في حوادث جانفي 1944، التي سبق التطرق إليها بالشرح، وكذا القطيعة بين الملك ونظام الحماية بعد خطاب مدينة طنجة في 09 أبريل 1947.

تضمنت المذكرة تحليلاً تاريخياً للأزمة السياسية الحادة التي كان المغرب يعيشها بسبب تصلب الإدارة الفرنسية في موقفها حيال تطّاعات وحقوق الشعب المغربي في استرجاع سيادته¹، وشملت المذكرة آفاق العمل الوطني لحل المسألة المغربية ضمن ملف كامل تضمن في مقدمته رسالتين الأولى موجّهة للملك محمد الخامس، وحاول فيها الشّوريون إقناع السّultan بضرورة إقامة دستور للبلاد انطلاقاً من تجارب شعوب أخرى لقيت نفس مصير الشعب المغربي، بينما الرسالة الثانية قدّمت للمقيم العام الجنرال "جوان"²، والتي حملت شرحاً لكلّ الحلول المستعجلة التي اقترحتها على المدى القريب لحلّ الأزمة السياسية وتوجيه نظر المقيم العام بصفته ممثلاً للحكومة الفرنسية إلى خطورة الوضع.

جاء مضمون مذكرة 23 سبتمبر 1947³ مرتّباً ومتدرّجاً في الطّرح والأولوية في المطالب⁴، فبدأت المذكرة بشرح للمشكلة المغربية والعلاقة المتوترة بين الشعب المغربي والإدارة الفرنسية التي قد تؤدّي إلى انقطاع الصّلة بصفة نهائية، وذلك بسبب سياسة الاستبداد التي تطبقها هذه الإدارة في حقّ الشعب المغربي، كما تشير المذكرة إلى التوتر الحاصل بين الإقامة العامة ونظام المخزن بسبب تداخل السّلطات وعدم وجود دستور للبلاد، هذا إضافةً إلى إهمال سلطات الحماية لتضحيات المغاربة في سبيل إحراز النّصر الذي حققه الحلفاء، لذلك تشير المذكرة أنّه لا يمكن حل المشكلة المغربية بمواصلة العمل بعقد الحماية الموقع بين البلدين في 30 مارس 1912 الذي آل إلى فشل ذريع.

من أجل تحقيق الهدف العام لحزب الشورى والاستقلال⁵، والأهداف الوطنية بصفة عامة تتطرق المذكرة إلى طرح برنامج عمل استعجالي يعتمد على عدّة وسائل أهمها:

- المفاوضات؛
- التمسك بالواقعية في تصوّر حلول لمشاكل المغرب؛
- الدّخول في مرحلة انتقالية تنتهي باستقلال المغرب وتوقيع معاهدة تحالف وصداقة بين الطرفين؛

1 حواس محمد، حزب الشورى والإستقلال في المغرب الأقصى 1946-1956 نموذج للدور التحرري للنخبة في المغرب العربي، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 19، العدد 2، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، 2018، ص 171.

2 للإطلاع على محتوى الرسالتين كاملاً أنظر: عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، ص 121-125.

3 للإطلاع على مضمون وثيقة 23 سبتمبر كاملاً أنظر: عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، ص 225-245.

4 حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية، المرجع السابق، ص 571.

5 حدد حزب الشورى والإستقلال هدفه العام كما يدل عليه اسمه في: "العمل بجميع ما يستطيع من وسائل في سبيل إقرار ديمقراطية حقيقية، سياسية واجتماعية واقتصادية لفائدة الشعب المغربي كما يعمل لإستعادة السيادة المغربية، وممارستها ممارسة تامة وتحقيق إستقلال الوطن في إطار وحدته الترابية والسياسية، في ظل ملكية دستورية.

- خلق جو سياسي من شأنه توجيه المغرب في أقرب وقت ممكن لحريته وتقرير مصيره وذلك بإعلان فرنسا عن حق الشعب المغربي في تقرير مصيره، وإلغاء جميع القوانين الجائرة والتشريعات الاستثنائية، إصدار عفوٍ شاملٍ على كلِّ المغاربة، مواكبة هذا الجو السياسي للمرحلة الانتقالية التي تضمن للمغرب التخلُّص من نظام الحماية؛
 - خلال فترة المرحلة الانتقالية يؤسَّس المغاربة حكومةً مؤقتةً تحظى بثقة الأمة وبثقة الملك تقود المغرب نحو الحرية عن طريق الدُّستور؛
 - إلغاء معاهدة الحماية 30 مارس 1912 واستبدالها بمعاهدة تحالف على أساس السَّيادة الكاملة للبلدين؛
 - تكليف مجلس وطني بإعداد دستور أساسي - في ظل ملكية ديمقراطية - يكفل حقوق كلِّ المغاربة؛
 - إلغاء نظام الحكم المباشر ووضعه تشريع يمكن من (مغربة) إدارة البلاد؛
 - إلغاء المناطق العسكرية؛
 - تنظيم الجيش والشرطة المغربية¹.
- جاء مع المذكرة اقتراح الحزب مشروع معاهدة جديدة بين فرنسا والمغرب تحل محل معاهدة الحماية، وحمل مشروع المعاهدة ثلاثة وعشرين بنداً وضَّح من خلالها الحزب رؤيته لحاضر ومستقبل العلاقات التي يجب أن تقوم بين البلدين.
- من خلال استقراءنا لمذكرة 23 سبتمبر 1947 يمكن استنتاج الكثير من الملاحظات والتي نوجزها في النقاط التالية:
- يُعتبر حزب الشُّورى والاستقلال أوَّل من قدَّم مذكرة سياسية رسمية لممثل الحكومة الفرنسية تحمل حلولاً مستعجلة للمشكلة المغربية على أساس الاستقلال والديمقراطية؛
 - لأوَّل مرة في تاريخ المغرب يستمع ممثل الحكومة الفرنسية إلى رأي حزب وطني يندد بنظام الحماية؛
 - أعطى الحزب دليلاً على أنَّه لا يعارض فقط من أجل المعارضة بل إنَّه قادرٌ على اقتراح الحلول الواقعية لإنهاء المشكلة المغربية؛
 - برهن حزب الشُّورى والاستقلال من خلال مذكرة 23 سبتمبر 1947 أنه لم يخطِّط لبرنامج يقتصر على الاستقلال، بل أعطى تصوُّره ورؤيته لبناء مغرب ما بعد الاستقلال².
- ظهر الرِّبط بين الاستقلال ومصطلحي (الدُّستور والديمقراطية) في وثيقة حزب الشُّورى والاستقلال واضحاً، فبالنسبة لإعلان دستور للدولة وإن كانت المطالبة به بالنسبة لشعب لا يملك قراره السياسي يعدُّ أمراً غير متطابقٍ مع أسس التحرُّر، إلَّا أنَّ الحزب أصرَّ على هذا الأمر واعتبره ضرورةً سياسيةً تفرضها مقتضيات النهضة الشاملة، فبالنسبة له لا يمكن تصوُّر حياة أمة بدون دستور فهو النظام الذاتي والقانون الأساسي الذي به يستقيم أمر الأمة والدولة والفرد والجماعة، كما أنَّ الدُّستور في نظر الحزب هو السَّبيل إلى الاستقلال بل قد يكون سابقاً له من أجل بناء الدولة العصرية، واستشهد الحزب بتجربة حزب الوفد في مصر بقيادة زعيمه سعد زغلول الذي جعل من مطلب الدُّستور بنداً أساسياً في مطالبه لحل المسألة المصرية، ويرى الحزب أن الديمقراطية هي السَّبيل الأنجع لحل كلِّ مشاكل المغرب الداخلية خاصَّةً، فهي الوسيلة للقضاء على الاستبداد بكلِّ أشكاله وكذلك الوقوف أمام الحكم المطلق³.

1 محمد حسن الوزاني، حدثني والذي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، المرجع السابق، ص 225-233.

2 محمد حسن الوزاني، نفسه، ص 244.

3 حواس محمد، حزب الشورى والاستقلال في المغرب الأقصى 1946-1956 نموذج للدور التحرري للنخبة في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 179-180.

عارض حزب الاستقلال مذكرة 23 سبتمبر 1947 معارضةً شديدةً، وقابلها بالعداء وشن حملة دعائية واسعة ضدها، واعتبر المجلس الأعلى لحزب الاستقلال في مذكرة مؤرخة وجهها إلى فروع الحزب في أوائل 1948 بشأن إيديولوجية حزب الشورى والاستقلال، أن تشكيل حكومة وطنية حرة يعدّ مساساً بسلطات الملك التنفيذية، أمّا مطلب الدستور فهو سابق لأوانه لأنه سيقضي على فكرة الاستقلال بحذ ذاتها، وهو وبالٌ على البلاد وسيكون فرصةً لتنظيم الاحتلال لا غير.

ندد حزب الاستقلال بالمرحلة الانتقالية بدعوى أنها تلتقي مع مخطط المقيم العام في تجريد الملك من السُلطة التشريعية، واعتبر حزب الاستقلال المعاهدة المؤقتة البديلة لمعاهدة الحماية إخراجاً للقضية المغربية من وضعها الدولي المؤطر بمعاهدة الجزيرة الخضراء إلى وضعية ثنائية بين المغرب وفرنسا وقد تؤدّي بالمغرب إلى الدّخول في مشروع "الاتحاد الفرنسي".

ندد مكتب المغرب العربي الذي يهيمن عليه أعضاء حزب الاستقلال بتلك المباحثات وأساء أعضاؤه المغاربة لحزب الشورى والاستقلال، وقد لخص علّال الفاسي موقف حزب الاستقلال من المذكرة في مقولة: «لا مفاوضة إلّا بعد إعلان الاستقلال ولا دستور إلّا في إطار السّيادة»، لكن بالمقابل لم يقدّم حزب الاستقلال طرحاً ذا مضمون سياسي واضح وبقي يطالب بالاستقلال لكن دون تبني برنامج سياسي أو اجتماعي أو ثقافي، واعترف أحد قادته وهو المهدي¹ بن بركة الذي اعتبر أن الحزب لم يتبنّ برنامجاً واضحاً للمغرب المستقل.

بالنسبة لملك المغرب محمد الخامس ورغم تحفظه من مبدأ "الملكية الدستورية"² فقد استلم المذكرة والرسالة المرفقة لها، وتابع باهتمام المفاوضات التي باشرها حزب الشورى مع الإقامة العامة بكل تفاصيلها، لأنّ وفد حزب الشورى المفاوض كان ملتزماً بإعلام القصر بكل ما يجري خلال اللقاءات المباشرة بين الطرفين، بالرغم من ذلك يبدو أنّ موقف الملك وإن لم يكن معلناً فيبدو واضحاً في رفضه للمذكرة، لأنه فضّل السكوت على هجوم الاستقاليين العنيف لمبادرة الشوريين هذا إن لم يكن للقصر يدٌ في ذلك، إضافةً إلى أنّ علاقة الملك محمد الخامس مع زعيم الشوريين حسن الوزاني كانت متوترة في كثير من الأحيان بسبب الانتقادات التي كان يوجهها الأخير للقصر في كلّ مرة، ولأنّ الملك لم يكن له أن يوافق على نجاح أيّ مبادرة أو حل للمسألة المغربية بعيداً عن القصر³.

كلّ ذلك أدّى إلى فشل مبادرة الشوريين في الوصول إلى حل للمسألة المغربية خاصّةً بعد أن وصفت باريس المذكرة بعد الاطلاع عليها بـ"القاسية"، كما أوقف الشوريون المفاوضات مع الإقامة تضامناً مع الملك عندما تعرّض شخصه للإهانة فيما عرف بـ"حادثة المنشورات"⁴.

1 المهدي بن بركة (1920-30 أكتوبر 1965: سياسي مغربي معارض، اختفى في 30 أكتوبر 1965، كان المهدي بن بركة قائداً للمعارضة المغربية ومدافعاً عن قضايا العالم الثالث، وكان أساتذاً جامعياً وواحداً من مؤسسي حزب الاستقلال كما أسهم أيضاً في إقامة الاتحاد الوطني للقوي الشعبية وحكم عليه بالإعدام غيابياً مرتين في المغرب التي هرب منها ليقیم مع عائلته في القاهرة وكان يدخل المغرب بين الحين والآخر سرّاً لمتابعة النضال السري ويسافر إلى أوروبا أيضاً، وقد اختطف في 29 أكتوبر عام 1965 أمام مقهى ليب في باريس .

2 نظام الملكية الدستورية: الملكية الدستورية أو الملكية المحدودة، نظام حكم ملكي يحكم فيه الملك حسب السلطات التي يحددها له دستور البلد، وأغلب الوقت يبقى الملك يشارك الحكم مع البرلمان، وهذا عكس نظام الملكية المطلقة، الملكية الدستورية تختلف من بلد لبلد حسب دستور البلد الذي يحدد صلاحيات الملك وطريقة مشاركته السلطة مع البرلمان.

3 حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية، المرجع السابق، ص 578-579..

4 عرفت بقضية النشرات السرية التي تسيء إلى شخص الملك وتشكك في أصله وانتمائه الملكي، وهي قصة تعود إلى ما قبل 1927، وكان من ورائها الضابط العسكري الفرنسي "Lecomte" الذي تمّ تنحيته رغم محاولة الجنرال "جوان" الدفاع عنه. أنظر: جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال، ص 141-142.

6.2. زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة (09-12 أبريل 1947):

تعدُّ مدينة طنجة واحدة من أهم المدن الرئيسية في المغرب الأقصى، بسبب موقعها الجغرافي حيث تقع في أقصى الشمال الغربي للقارة الأفريقية، ولا تبعد على الحدود الإسبانية إلاَّ بنحو 20 كم، وهي تطل على واجهتين بحريتين الأطلسي والمتوسط، وتعدُّ إطلالتها على ممر جبل طارق الذي يعدُّ من أهم الممرات المائية في العالم من أبرز الامتيازات التي تحظى بها المدينة¹، تكمن خصوصية مدينة طنجة في خضوعها لنظام دولي منذ 18 ديسمبر 1923²، ذي طبيعة مغايرة لنظام الحماية الذي خضعت له بقية المناطق المغربية، واستغلَّت إسبانيا في عهد فرانكو ظرفية اندلاع الحرب العالمية الثانية للقيام باحتلال مدينة طنجة بتاريخ 14 جوان 1940، مجسِّدةً بذلك رغبة قديمة للطموحات الامبريالية الإسبانية في السيطرة على هذه المدينة الاستراتيجية، لكن مع نهاية الحرب العالمية انسحب الإسبان من المدينة بتاريخ 11 أكتوبر 1945 لتعود المدينة للخضوع للنظام الدولي من جديد³.

جاءت زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة بعد انقطاع طويل من زيارة السلاطين المغاربة لها، مع أنها جزءٌ مهمٌّ من المغرب، وأشارت المصادر التاريخية إلى أنَّ آخر زيارة ملكية لمدينة طنجة ترجع إلى عهد السلطان الحسن الأول عام 1889. أثار عدم حصول المغرب على مقعدٍ في الأمم المتحدة⁴، وتنكُّر الجنرال ديغول لوعوده وإصراره على إبقاء المغرب تحت السيطرة الفرنسية، حفيظة الملك محمد الخامس والوطنيين المغاربة معًا، لذلك كان لابدَّ للبحث عن طريقٍ آخر لطرح مشكل المغرب أمام الرأي العام الدولي، فجاءت زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة للتأكيد للعالم بأنَّ الأراضي المغربية واحدة وغير قابلة للتقسيم وكذلك شعب المغرب⁵.

أدرك الملك جيدًا من خلال مستشاريه أنَّ زيارته للمدينة سيجلب أنظار العالم إليها، ويسلِّط الأضواء على قضية المغرب والأكد أنَّهُ سيضع سلطات الحماية أمام موقفٍ محرج، لذلك حاولت دائمًا تأجيل الزيارة أو تعطيلها مثلما حدث في أكتوبر 1946 عندما استطاع رئيس الحكومة المؤقتة الفرنسية جورج بيدو إقناع الملك بتأخير سفره إلى المدينة إلى وقت آخر⁶، إلاَّ أنَّ إصرار الملك هذه المرة أمام المقيم العام الذي حاول إقناعه بالعدول عن زيارته، لم تترك خيارًا للحكومة الفرنسية إلاَّ بقبول الزيارة لكنها حدَّدت شروطًا للملك يجب أن يتقيد بها وهي ضرورة إبلاغ الدَّول المشاركة في النظام الدولي في مدينة طنجة، وضرورة مرافقة المقيم العام للملك خلال الزيارة، إضافةً إلى إطلاع المقيم العام على كافة الخطب التي سيتم إلقاؤها خلال الزيارة سواءً من الملك أو ولي العهد أو الأميرة عائشة⁷.

1 رشيد الزكالة، محمد الرفاس، أطلس المغرب، سلسلة أطلس إفريقيا، باريس 2003، ص 77.

2 18 ديسمبر 1923: تاريخ توقيع كل من فرنسا وإسبانيا وإنجلترا لاتفاقية باريس التي أكدت على الوضع الدولي لمدينة طنجة، وتم البدء في تطبيق الاتفاقية سنة 1925، وتم إنهاء النظام الدولي على المدينة بعد إسترجاع المغرب لسيادته على المدينة بتاريخ 29 أكتوبر 1956.

3 زينب حمودة، طنجة تحت الاحتلال الاسباني (1940-1945)، أسطور للدراسات التاريخية، العدد 4، جويلية 2016، ص 109.

4 كان طموح المغاربة في الحصول على مقعد في هيئة الأمم المتحدة كبيرًا نظيرًا لما قدمه من تضحيات خلال الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى حصول بعض الدول العربية في المشرق كالسعودية واليمن على مقاعد في هيئة الأمم.

5 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939-1956، المرجع السابق، ص 158.

6 جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال 1912-1956، المصدر السابق، ص 132.

7 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939-1956، المرجع السابق، ص 158.

وشنت سلطات الحماية حرباً دعائية مضادة باعتمادها على الصحف الاستعمارية في المغرب وفرنسا وحتى في الجزائر، بهدف إفشال زيارة الملك وإضعاف أي تأثير شعبي أو سياسي قد يسببه خطابه في طنجة¹.

قبل زيارة الملك بأيام فقط وبالتحديد في 07 أبريل 1947 وقعت أحداث دامية بمدينة الدار البيضاء يربط المؤرخون المغاربة فصولها في نفس السياق السالف الذكر وهو إفشال زيارة الملك إلى طنجة، وهو نفس الاستنتاج الذي ذهب إليه القنصل الأمريكي بالرباط في تقريره حول الأحداث باعتماده على مصالحه الاستخباراتية حيث اعتبر أنّ الأحداث كانت بتحريض فرنسي بهدف عرقلة خطاب الملك في مدينة طنجة².

ترجع أسباب هذه الأحداث إلى شجارٍ عارضٍ حدث في حي ابن مسيك بالدار البيضاء بين جنود سنغاليين حاولوا التهجم على امرأتين مغربيتين من الحي ومجموعة من الأفراد المغاربة الذين تصدّوا لهم³، لكن الأمر تطوّر عندما رجع الجنود السنغاليين إلى ثكتهم وعادوا مع مجموعة كبيرة من الجنود إلى الحي وقاموا بإطلاق النّار بشكلٍ عشوائي على سكّان الحي واستمر الأمر لعدّة ساعات الأمر الذي خلّف مئات القتلى حسب ما أشار إليه جوليان⁴، دون أن تتدخل السلطات الفرنسية لإيقاف العدوان بالرغم من وجود ثكنة عسكرية قريبة من الحي، بل اختفى خلالها رجال البوليس بكيفية تلفت الأنظار، ولم يسمح لجنود (القوم) المغاربة المتواجدين بمقر حراسة المدينة من طرف قيادتهم بالتدخل لتهدئة الأحداث بحجّة أنهم لم يتلقوا أيّ أمرٍ بالتدخل⁵.

دخل الملك مدينة طنجة بعد رحلةٍ طويلةٍ على متن القطار مصحوباً بالمقيم إريك لابون وابنته الأميرة عائشة وولي عهده الأمير الحسن الثاني، ومدير المطبعة السلطانية محمد الرشيد ملين، ومحمد الفاسي مدير جامعة القرويين، فضلاً عن عددٍ من الشخصيات الفرنسية، وتوقّف القطار في منطقة "عرباوة" التي كانت تمثل حدّاً فاصلاً بين المنطقة الجنوبية السلطانية والشّمالية الخليفية ليعبر عن زيف هذه الحدود، ثم توقف أيضاً بمدينة "أصيلة"⁶ أين تناول وجبة الغداء⁷.

1 من بين الاشاعات التي أطلقتها الصحف الاستعمارية الفرنسية في المغرب هو أن الجنرال ديغول الذي كان قد غادر السلطة ومناصريه سينتهزون فرصة سفر الملك ليعلنوا ثورتهم القومية من الدار البيضاء نحو باريس، وأن الشيوعيين الفرنسيين يتجهّون لإعلان إضراب في قطاع السكة الحديدية التي يمر منها الملك يوم سفره. أنظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص 343.

2 محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9-13 أبريل 1947، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كوابرات، الرباط، 2007، ص 56.

3 تنهم الإدارة الفرنسية الوطنيين المغاربة في إثارة المناوشات، لكن الوطنيين المغاربة يحملون المسؤولية لإدارة الحماية الفرنسية التي دبرت وخططت لتلك الأحداث وعلى رأسها السيد بونيفاس رئيس جهة الدار البيضاء، بينما ذهب جورج سبيلمان في تحليله للأحداث على أنّها تندرج ضمن حلقة جديدة من العداء القديم بين السنغاليين الذين ينعتهم المغاربة بالعبيد، وبين المغاربة الذين مارسوا إلى عهد قريب الرق والمتاجرة في العبيد. أنظر: جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال، ص 133.

4 Charles André- Julien, Le Maroc Face aux Impérialismes 1415-1956, Editions Jeune Afrique, Paris 1978, p.23

5 يشير علال الفاسي أن عدد القتلى خلال الاحداث يقدر بألفين مغربي، أنظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص 345.

66 مدينة أصيلة: تقع أصيلة على بعد 45 دقيقة جنوب مدينة طنجة، وقد كانت بمثابة قرية للصيد في الأزمنة السابقة، استقرت بها قبائل عربية منذ القرن الثامن، أي قرناً واحداً قبل أن تسقط في أيدي البرتغاليين عام 1472، حيث قام هؤلاء ببناء سور للإحاطة بالمدينة التي تمتد على مساحة 7 هكتارات و تضم خمسة أبواب كبيرة، كما تحتفظ المدينة القديمة أيضاً بآثار معمارية هامة تعود إلى هذا الماضي العريق، أبرزها "لاكوارصا" (برج البحر)، وهو برج يطل على البحر، يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر، تحظى المدينة اليوم بمكانة كبيرة وتقدير خاص بفضل سحرها البوهيمي الذي يفتن كل من زارها، وكذا هدوءها وانفتاحها على العالم. تحتضن في كل سنة أحد أشهر المواعيد الثقافية والفنية بالمغرب، وهو موسم أصيلة الثقافي الدولي الذي يحتفي بمختلف أنواع الفنون. تعد أصيلة وجهة متجددة، ملهمة ومريحة في الوقت نفسه.

7 محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9-13 أبريل، المرجع السابق، ص 57.

قبل أن يصل لمدينة طنجة استقبل الملك استقبالاً حاراً من طرف سكان مدينة أصيلة وعلى رأسهم مندوبه هناك الذي قام بتقديم ممثلي الدول الأجنبية¹ وهو ممثل الولايات المتحدة وبريطانيا والأميرال البرتغالي.

كان أهم حدث خلال زيارة الملك لمدينة طنجة هو الخطاب التاريخي الذي ألقاه في 10 أبريل 1947 في ساحة المندوبية بطنجة أمام الهيئة الدبلوماسية وأعيان المدينة وكبار الشخصيات الرسمية والاجتماعية المغربية والفرنسية والإسبانية، فضلاً عن وفود تمثل حزب الاستقلال² وحزب الإصلاح وحزب الوحدة المغربية³.

أعلن الملك محمد الخامس للعالم إرادة الأمة المغربية في الحصول على حقها في استرجاع استقلالها ووحدتها الترابية قائلاً: «إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عليه، فما ضاع حق وراؤه طالب، وإن حق الأمة المغربية لا يضيع ولن يضيع»، وشدد عزمه على صون مستقبل البلاد وضمان حقوقها مسترسلاً: «نحن بعون الله وفضله على حفظ كيان البلاد ساهرون، ولضمان مستقبلها الجيد عاملون، ولتحقيق تلك الأمنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون»، كما أكد أنّ عرش المغرب يقوم على وحدة البلاد من شمال المغرب إلى أقصى جنوبه، وأنّ مرحلة الحماية ما هي إلا مرحلة عابرة في تاريخ المغرب⁴.

ذكر الملك محمد الخامس في خطابه المغاربة بالأسباب التي أضاعت مجدهم وهيبته ومن أهمها تفشي الجهل والظلم والتفرقة بين الصُفوف، والابتعاد على تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ودعا لمحاربة كل تلك العوامل وأكد على المقومات الإسلامية التي وُحّدت العرب والمسلمين وخصّ ميلاد الجامعة العربية بالمدح والإطراء، كما أكد الملك في خطابه على وحدة الأراضي المغربية وضرورة دمج المناطق المجزأة وهي إشارة واضحة إلى إعادة توحيد الشمال والجنوب ومدينة طنجة⁵.

في ختام حفل الغداء الذي أقامه على شرف الهيئة الدبلوماسية، صرّح الملك للصحافة الدولية بما يلي: «إنّ المغرب يسعى إلى ربط علاقات أخوية مع كلّ الدول التي دافعت عن الحرية والتي مازالت تدافع عن قضيتنا، وإنّ المغرب يرغب بحماسة شديدة في الحصول على كافة حقوقه ولا حاجة للتذكير بأنّ المغرب بلد عربي تربطه أواصر متينة بالدول العربية بالشرق، وبوُدّ توطيد كل تلك الروابط خصوصاً بعدما أصبحت الجامعة العربية أداة تلعب دوراً هاماً على المستوى السياسي العربي»⁶، ولم يكتفِ السلطان بإلقاء خطابه التاريخي فقط بل أمّ المواطنين في الجمعة بالمسجد الأعظم حاثاً في خطبة حماسية المصلّين على التمسك برابطة الدين الإسلامي لأنّها «الحصن الحصين لأمتنا ضدّ مطامع الغزاة»⁷.

فيما يخص نصّ الخطاب وبعد إطلاع المقيم العام لابون عليه أضاف في آخره فقرة جاء فيها: «أنظروا في العالم العصري واقتبسوا من علومه، وسيروا في الطريق الذي عبّه رجال الحضارة الجديدة مستعينين بالعلماء والفنيين من أبناء الأمم الصديقة، وبالأخص

1 كان من بين الشروط التي طرحت على الملك قبل سفره إلى طنجة أن يتولى المقيم العام تقديم ممثلي الدول الأجنبية للملك، لكن محمد الخامس رفض هذا الشرط إذ وجد فيه إجراء يتعارض مع وحدة البلاد الجغرافية، وكذلك ظهور المقيم العام وكأنه المكلف بتسيير الشؤون السلطانية.

2 استعد حزب الاستقلال استعداداً كاملاً لهذه المناسبة وأصدرت جريدته "العلم" عدداً خاصاً بالزيارة الملكية لطنجة ووزعت مجاًناً، وكان فرع الحزب بطنجة هو من يشرف على الحفلات القومية والتنظيمات الشعبية، والتقط مبعوث الحزب السنمائي عبد الكبير الفاسي شريطاً لكل نشاطات الملك خلال الزيارة.

3 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939-1956، المرجع السابق، ص 160-161.

4 محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9-13 أبريل 1947، المرجع السابق، ص 58.

5 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939-1956، المرجع السابق، ص 162.

6 جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال، المصدر السابق، ص 134.

7 غلال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 358.

الأحرار من رجال فرنسا التي ناضلت عن مبادئ الحرية التي بها تسمو البلاد وتزدهر»¹، وقدم نص الخطاب للصحافة بإضافة تلك الفقرة، ومع أن الملك وافق على إضافة هذه الفقرة إلا أنه تجنب قراءتها عند إلقائه الخطاب، وبرر الملك عدم إلقائه للفقرة الأخيرة من الخطاب والتي تعد الأهم بالنسبة للفرنسيين، بالهتافات المتواصلة التي انطلقت مباشرة بعد إلقاء الملك للدعاء حيث بدى للحضور وكأن الملك قد أنهى خطابه²، إلا أن الفاسي يرى أن الملك تعمد عدم ذكرها بسبب حوادث الدار البيضاء الأليمة التي لم تترك للملك مجالاً للمجاملة³.

لم تقف الأمور عند هذا الحد بل توجهت الأميرة لالة عائشة بنت الملك بخطابٍ أمام حشدٍ غفير⁴، تحدثت فيه على ضرورة التعليم الإجباري للبنات، والدور البارز الذي لعبه والدها الملك في هذا الأمر حيث ساهم في بناء وتشبيد العشرات من المدارس بكل حواضر المغرب وبواديها، كما أشارت إلى دور الملك في نقل الشعلة التي انبثقت في المشرق إلى مملكته، ودعت إلى تحرر المرأة المغربية وافتتاحها على لغات العالم كشرط أساسي لانعتاق شعب تواق للحرية⁵، وفي سياق حديثها تكلمت عن دور مصر في توجيه الشعوب العربية وقيادتها نحو التحرر والمجد⁶، وقد تناول ولي العهد الحسن الثاني موضوعاً مماثلاً أمام الكشافة الإسلامية التي كان قائداً لها ذكر فيه بانتماء المغرب للأمة العربية والإسلامية قائلاً: «إن العالم العربي هو وطننا والعربية لغتنا وركائز شخصيتنا والعرب أشقاؤنا». عدت الحكومة الفرنسية خطاب الملك محمد الخامس تحدياً واضحاً لها وخرقاً للمعاهدة التي تربط الدولتين، وأرسل القنصل العام الإنكليزي في طنجة السيد مالوت-Mallot برقية إلى لندن في 12 أبريل 1947 يخبر فيها تأكيد السلطان في كلمته أمام ممثلي الدول الأجنبية في طنجة على حق الشعب العربي في الحرية، وتأكيد على حاجة العالم الإسلامي للوحدة، كما أرسل السفير الأمريكي السيد تاغن-Teign في 15 أبريل 1947 بباريس برقية أخبر فيها حكومته انزعاج الحكومة الفرنسية من خطاب الملك في طنجة وقامت باستدعاء المقيم العام الفرنسي للتشاور معه بشأن الخطاب، وطلبوا منه توضيحات حول مضمون الخطاب فبرّر موقفه أمام الحكومة الفرنسية بأن الملك قد خدعه عندما حذف من خطابه في طنجة الفقرة التي تتعلق بالتعاون الفرنسي المغربي⁷.

انحاز الملك في خطابه إلى جانب الوطنيين المغاربة وعانق أطروحتهم وبيّن أنه رافض لفكرة التطور التدريجي ويطالب بالاستقلال الفوري، وأشار بوضوح بأنه رافض لفكرة التحديث الفرنسي عندما نادى بالعروبة والوحدة الإسلامية، لقد جعل الحوار بين المغرب وفرنسا غير ممكن حسب وصف المارشال "جوان" الذي صرح: «بأن الملك محمد بن يوسف قد قطع كل صلة مع فرنسا»، ومن جهة أخرى أصبح إبنائه ومن أول ظهور جماهيري لهم بمثابة عناصر قيادية للشباب المغربي التواق إلى الحرية والاستقلال⁸.

1 أحمد عسة، المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت، 1975، ص 247.

2 يعتقد أندري جوليان بأن تبرير الملك كان مقبولا ظاهريا. أنظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 397.

3 علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 363.

4 لالة عائشة الابنة البكر للملك محمد الخامس من زوجته الثانية لالة عبله، والتي كانت وما تزال تمثل رمز تحرر المرأة المغربية حيث تعد أول أميرة مغربية تلقي خطابا أمام الجماهير، وأول أميرة تظهر أمام الجمهور بدون حجاب، كان في عمرها سبعة عشر سنة حين قرر الملك إصطحابها في رحلته لمدينة طنجة 1947، أين كلفها خطاب أمام الجماهير مكشوفة الوجه والرأس، وكان ذلك بمثابة ثورة على العادات والتقاليد السائدة في المغرب، إذ من المعروف أن نساء القصر المغربي لا يكشفن عن وجوههن ولا يتعرف الشعب المغربي عليهن.

5 ندوة "إضاءات حول الرحلة السلطانية إلى طنجة"، مداخلة بعنوان: قراءات في خطاب الأميرة لالة عائشة بطنجة 1947.

https://www.youtube.com/watch?v=O-GlDiJ_FU

6 تراجعت الاميرة عائشة في سنة 1964 حسب سييلمان على حديثها عن دور مصر القيادي. أنظر: جورج سييلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال، المرجع السابق، ص 134.

7 ثامر عزام حمد سليم الدليمي، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939-1956، المرجع السابق، ص 164.

8 جورج سييلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال، المصدر السابق، ص 136.

بالرغم من أنّ زيارة الملك محمد الخامس لطنجة لم تتعدّ ثلاثة أيام، ولكن تأثيرها كان عميقاً جداً على كلّ الأطراف سواءً المغربية أو الفرنسية، وإن كان جل الباحثين قد ركّزوا على إلغاء الفقرة الأخيرة من الخطاب التي تذكر بالإنجاز الحضاري لفرنسا في المغرب، إلّا أنّ "ستيفان بيرنار - Stéphane Bernard" اعتبر ذلك جزئية أكثر منها مسألة أساسية لأنّ الملك كان عازماً قبل زيارته بالانحياز إلى الوطنية المغربية وعلى لعبه الدور المنوط به كقائد لشعبه للوقوف إلى جانبه لتحقيق طموحاته¹.

انتهاز الملك الفرصة ليعلن صراحةً لسلطات الحماية أنّه من اليوم فصاعداً سيتصدّى لها بنفسه، وبالفعل لقد خرج الملك من طنجة وهو يحمل لقب "ملك الاستقلال"، ما دعى الحكومة الفرنسية إلى تحميل مسؤولية ما جرى للمقيم العام إيريك لابون الذي اتهمته بالتقصير وتم تعويضه في ماي 1947 بالجنرال ألفونس جوان - Jeanne Alphonse المعروف بغطرسته وعقليته الاستعمارية لإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً، ما اعتبره المراقبون بمثابة إعلان حرب من قبل الحماية على ملك المغرب².

1 حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية، المرجع السابق، ص 655.

2 تلي رفيق، محمد الخامس والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2015/2016، ص 63.

3. أثر الحرب العالمية الثانية على تونس:

1.3. خلع المنصف باي وردود الفعل التونسية:

مع انتهاء العمليات العسكرية في تونس في 13 ماي 1943 بدى واضحاً نية إدارة الحماية الفرنسية في تصفية الحسابات تجاه التونسيين، فأصدرت لجنة فرنسا الحرة أوامر في جوان 1943 ومارس 1944 تلغي الصبغة التونسية عن الكاتب العام للحكومة التونسية، حيث أصبح يطلق عليه "الكاتب العام للحكومة"، وأصبح يتم تعيينه من طرف الحكومة الفرنسية بعد ما كان يعينه الباي، وأقدمت سلطات الحماية على محاكمة وإعدام العشرات من المناضلين التونسيين في معظم ولايات الجمهورية ووضعت البعض تحت الإقامة الجبرية بتهمة التخريب والتعاون مع المحور¹. اضطرت قيادة الدستور الجديد التي نشطت أثناء وجود قوات المحور في تونس أو التي تواصلت معه خلال نفس الفترة إلى الهجرة خارج البلاد، على غرار الحبيب ثامر ويوسف الرويسي وحسين التريكي والطيب سليم والرشد إدريس والهادي السعيد وغيرهم الذين هاجروا إلى روما فألمانيا ثم فرنسا وأخيراً إسبانيا بين سنوات 1943-1946².

نتيجةً لممارسات الحماية القمعية لم يلق استعراض قوات الحلفاء في شوارع تونس أي اهتمام أو حفاوة تذكر إلا من قبل الفرنسيين واليهود، بينما اعتبر التونسيون أنّ الحلفاء ما هم إلاّ مستعمرين جدد، كما أدّى هذا القمع من طرف سلطات الحماية في تونس إلى قيام ثورة المرازيق المسلحة في الجنوب الغربي التونسي في 1943 التي قادتها قبيلة المرازيق أكبر قبائل نفزاوة³ وامتدت الثورة إلى غاية أوت 1944⁴، حين قام العديد من المقاومين بالالتحاق بالجيش الألماني والتراجع معهم إلى جهة الوطن القبلي، معلنين النضال المسلح ضدّ الاحتلال الفرنسي مستعملين أسلحةً كانت قد خلفتها قوات المحور أثناء انسحابها من تونس، ومن أجل القضاء على ثورة المرازيق جندت فرنسا قوات عسكرية كبيرة استعملت فيها حتى القوات الجوية⁵.

2.3. نفي المنصف باي:

في 07 ماي 1943 دخلت جيوش الحلفاء إلى العاصمة تونس وفي نفس اليوم اقتحم الجنود الانجليز قصر حمام الأنف وألقوا القبض على الباي محمد المنصف، وطلب منه الجنرال جوان-juin في 13 ماي 1943 إمضاء وثيقة التنازل عن العرش، حيث تم إتهامه بالتعاون مع قوات المحور خلال فترة احتلالها للقطر التونسي⁶، لكن الباي رفض التنازل على عرشه فقام الجنرال جوان-juin بإذن من الجنرال جيرو- Giraud القائد الأعلى للقوات الفرنسية بإفريقيا بإصدار أمر يقضي بعزل المنصف باي⁷ الذي أبعاد إلى منطقة الأغواط

1 تم وضع كل من محمد بدرة ومحمد كاهية بداية شهر جانفي 1944 قيد الإقامة الجبرية في توزر.

2 عبد المجيد كرم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964، المرجع السابق، ص121.

3 جاء خلال عملية الإحصاء سنة 1946 أن قبيلة المرازيق في تونس هي أكبر قبائل نفزاوة بتعداد أكثر من 8000 نسمة بكامل ولاية قبلي، يسكنون في دوز والعيونات، وهم قبائل رحل يمتنون تربية المواشي.

4 جاءت ثورة المرازيق كغيرها من انتفاضات الساحل أو الجنوب أثناء الحرب العالمية الثانية بعد إنسحاب قوات المحور، لتستغل القوات الفرنسية الفرصة للإنتقام من التونسيين بتهمة تعاوهم مع قوات المحور. أنظر: محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973.

5 عبد المجيد كرم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964، المرجع السابق، ص119.

6 أثبتت التحقيقات التي أجريت فيما بعد من طرف الفرنسيين والحلفاء عدم وجود أي نوع من التعاون بين الباي المنصف والمحور، بل أثبتت مقاومة الباي لكثير من أعمال دول المحور وعدم الاستجابة لمطالبهم في وقت كان يمثل فرنسا الأميرال إستيفا ينفذ كل ما يطلب منه تنفيذاً لأوامر حكومة فيشي.

7 يرجع أحمد المستيري في شهادته سبب عزل المنصف باي ونفيه هو أنه يعتبر أول باي تونسي تجرأ وقال لا للمقيم العام الفرنسي آنذاك. أنظر:

<https://doc.aljazeera.net/portrait/2019/4/7/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8%D9%8A%D8%A8-%D>

بالجنوب الجزائري، حيث عانى المنصف باي كثيراً من حرارة الطقس الكبيرة خاصةً في فصل الصيف وهو ما عبر عنه المارشال جوان بقوله: «الأغواط في شهر جوان، لم تكن تلك هدية جميلة قدمت للباي»¹، أضف إلى ذلك عدم توفر الخدمات الأساسية بنزل ترانس اتلانتيك حيث كانت تجهيزات الفندق تقادمت مع مرور الوقت وهو ما أدى إلى تدهور صحته.

أرسل المنصف باي في 06 جويلية 1943 وثيقة التنازل عن العرش وذلك بسبب مرضه² وعن ذلك يقول الحبيب بورقيبة: «ومّا عُرف عليه (المنصف باي) أنه كان بديناً فلم يقدر على تحمّل قساوة الطقس في الأغواط فدفعه ذلك لتوجيه رسالة إلى السلطات الفرنسية أعلن فيها تنازله عن العرش»³، وتم نشر التقرير الصحي للباي الذي ورد فيه التالي: «الحالة لا تدعو إلى القلق، والتشخيص متحفظ ولكن سيكون من المؤسف أن نشهد الباي السابق يموت في الأغواط»⁴.

في ظل تلك الأوضاع القاسية والتضييق الاستعماري كتب الباي منصف رسالة في 03 جوان 1943 أعلن فيها استعداده للتخلي عن العرش بصفة نهائية وعن عدم ربط أي صلة بالحكومة التونسية الجديدة وباستعداده التصريح بأنه تخلى عن العرش لأسباب صحية مقابل صرف إدارة الحماية له راتباً شهرياً يضمن له العيش وعائلته، كما اشترط الرجوع إلى تونس والسكن بمسكنه الشخصي بالمرسى، وبالرغم من تنازل الباي على عرشه إلا أنّ سلطات الحماية كانت تخشى عودته إلى تونس لذلك تم التفاوض مع الباي منصف على أساس نقله من الأغواط لكن دون رجوعه إلى تونس.

تحت ضغط المراقب المدني ميلرتفي الذي كلف بمهمة المفاوضات مع الباي وقّع الأخير وثيقة التنازل على العرش في 06 جويلية 1943 وشهد على التوقيع فقهاء من مسلمي الجزائر هم: الطيب بن علي التيجاني ممثل الزاوية التيجانية، نائب قاضي الأغواط حامد بن حمزة⁵، ريان بن بشير محمد من محكمة الأغواط الشرعية، ونشرت جريدة الأخبار النسخة الأصلية للنص العربي المكتوب بخط المنصف باي في عددها ليوم السبت 10 جويلية 1943 وجاء فيها: «نحن محمد المنصف باي نظراً لعدم قدرتنا على القيام بالعبء الثقيل الملقى على كاهل صاحب الملك قياماً تتوفر فيه شروط الصحة البدنية التي يقتضيها شرعنا العزيز، صرحنا علنياً بالتخلي عن حقوقنا في الحال والمآل على عرش المملكة بالتنازل عن ملك تونس بين يدي خلفنا المحبوب سيدي الأمين باي، لازل برعاية الله محفوظاً، وبإلهامه تعالى في كافة أعماله محاطاً ومشمولاً، وما رائدنا في ذلك إلا مصلحة البلاد التونسية وسعادتها»⁶، وقد أرفق نصّ التنازل برسالة وجهها المنصف باي بخط يده إلى الجنرال ماست، وشكّل خبر تنازل الباي على عرشه خيبة أمل لدى عموم التونسيين وخاصةً في أوساط النخبة فالوثيقة شكّلت اعترافاً بشرعية الأمين كباي على تونس، بينما تلقت سلطة الحماية الخبر بارتياح كبير⁷.

تقرّر بعد 25 يوماً من توقيع وثيقة التنازل نقل المنصف باي إلى الإقامة بفيلا بمنطقة تنس الساحلية بالجزائر، وتم تأييث الفيلا وتوفير جميع شروط الراحة للباي بفضل تبرّع سكان بلدة تنس والمناطق المجاورة لها وفي ذلك يذكر نور الدين بن محمود على لسان

1 سعيد المستيري، المنصف باي الملك الشهيد، تر: هشام القروي، دار الأقواس للنشر، تونس 1991، ص 182.

2 مع بداية شهر جوان تدهورت صحة الباي وأصيب بارتفاع الضغط المصحوب باضطرابات تنفسية ألزمته الفراش، ولم يستطع الحصول على طبيب إلا بعد 48 ساعة، حيث عاينه الطبيب ليونتان كولونيل مدير المنطقة الصحية للجنوب الجزائري.

3 الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص 150.

4 سعيد المستيري، المنصف باي الملك الشهيد، المرجع السابق، ص 185-186.

5 تجدر الإشارة هنا إلى موقف قاضي الاغواط الذي رفض إشراكه ضمن هذا المجلس تاركا الامر إلى نائبه حامد بن حمزة.

6 جريدة الأخبار، العدد 41، 10 جويلية 1943.

7 سعيد المستيري، المنصف باي الملك الشهيد، المرجع السابق، ص 195.

الباي قوله: «في تنس كان فضلاء الجزائر يرأسونه ويكرمونه، وكان الثري الشهير الأستاذ زاوي الحاج يرسل كلَّ جمعة سيارة من سياراته من البليدة إلى تنس وفيها هداياه ولم تتخلف تلك السيارة عن رحلتها الأسبوعية في الصيف ولا في الشتاء حتى نقل جلالته إلى بو»¹. بعد تحرير فرنسا تم نقل الباي المنصف إليها في 17 أكتوبر 1945 وبالتحديد إلى مدينة بو-Pau التي سبق لها وأن استقبلت قبل حوالي قرن الأمير عبد القادر، وبالعودة لأسباب وأهداف نقل الباي إلى مدينة بو يذكر القليبي: «إن وجود جلالته في الجزائر قد سهّل على الكثيرين من أفراد شعبه الاتصال به، فرأت السُّلط الاستعمارية أنّ تقصّيه عن كلّ ذلك وتنقله إلى فرنسا... وحققوا بهذه النقلة ثلاث أهداف هي - الإمعان في إقصائه عن وطنه وأهله ومحبيه، حرمانه من عطف إخواننا الجزائريين عليه، القضاء على كلّ أمل في إعادته لتونس»².

استقرّ المنصف باي في مدينة بو-Pau الفرنسية مع أفراد عائلته الذين إلتحقوا به بعد ثلاثة أسابيع باستثناء ابنه رؤوف الذي كان قد نفى معه إلى بو في نفس اليوم، كانت إقامة الباي في مدينة مريحة وتتوفر على جميع المرافق ووسائل الراحة، كما قامت السُّلطات الفرنسية بتخفيف نظام الإقامة الجبرية حيث كان باستطاعة الباي التجول في السيارة على جوانب المدينة وسمحت له باستعمال الهاتف وتلقي الرسائل والزيارات، وخصّصت له منحة تصل إلى 300 ألف فرنك شهرياً³.

كان للباي المنصف نشاطات عديدة في مقر منفاه بمدينة بو وهو ما يبرز متابعته للأحداث الجارية بتونس وبدول المغرب العربي، حيث بعث برسالة مؤرخة في 13 جمادى 1366 هـ/1947م نشرتها جريدة الحرية إلى سلطان المغرب محمد الخامس عبر له فيها عن إعجابه الكبير بالخطاب الذي ألقاه في 10 أبريل 1947⁴، كما وجه الباي رسالة إلى الملك فاروق بمناسبة عيد ميلاده⁵، وأجرى الباي في منفاه مقابلة صحفية مع مراسل جريدة الأهرام المصرية التي نشرت تفاصيلها تحت عنوان "باي تونس السابق يتحدث إلى الأهرام" تطرق خلالها إلى عدة محاور أهمها: علاقته مع المحور، شعوره نحو الحلفاء، صداقته مع فرنسا، شكره للملك فاروق وللشعب المصري، حياته في المنفى⁶، بقي الباي المنصف في مدينة بو الفرنسية إلى غاية وفاته يوم الأربعاء صباحا بتاريخ 01 سبتمبر 1948⁷.

3.3. نشأة الحركة المنصفية:

قامت سلطة الحماية في تونس بعد فترة قصيرة من نفي الباي المنصف بتنصيب محمد الأمين بايّا جديداً على تونس، وهو ما رفضه التونسيون لأنهم رأوا أن محمد الأمين ليس كفؤاً للمنصف فهو ضعيف الإرادة مسلم، واستند على الفرنسيين في مسألة تعيينه أكثر من اعتماده على الشعب التونسي ونعته بباي الفرنسيين لذلك لم يعترفوا بإمارته، وأعدوه مغتصباً للعرش وظل في نظرهم المنصف هو الباي الشرعي لتونس. اندلعت مظاهرات واحتجاجات إثر نفي الباي وعقدت اجتماعات تم خلالها إصدار لوائح وكتابات صحفية

1 جريدة الأسبوع، العدد 127، 6 سبتمبر 1948.

2 محي الدين القليبي، مأساة عرش، المطبعة العصرية، القاهرة، دس، ص 184.

3 سالم المنصوري، أحمد بن صالح وزمانه، تق: شاذلي القليبي، منشورات نيرفانا، تونس، 2018، ص 97.

4 نشرت جريدة الحرية محتوى الرسالة تحت عنوان " من جلاله ملك تونس إلى عظمة سلطان مراكش وحدة آلام واتفاق أهداف"، وتكفل جلولي فارس بتبليغها عن طريق ممثل حزب الاستقلال في باريس، ورد عليه السلطان محمد الخامس برسالة لا تقل حميمية وحرارة.

5 محي الدين القليبي، مأساة عرش، المصدر السابق، ص 9.

6 جريدة الأهرام، العدد 2275، 6 أكتوبر 1946.

7 سالم المنصوري، أحمد بن صالح وزمانه، المرجع السابق، ص 99.

عبر فيها الشعب التونسي عن غضبه على هذا القرار¹، وهو الأمر الذي يؤكد سعيد المستيري حيث يذكر في هذا الشأن: «...وبالطبع فإن الأمين باي لم يرض به أحد كباي شرعي للبلاد، إذ أن أغلبية الشعب التونسي تنازعه ذلك الحق، ويمكن معرفة مدى غضب الناس عليه بما كان يفعلته التجار عند زيارته للأسواق، حيث كانوا يغلقون متاجرهم... ويذهب البعض في الاستهانة إلى حد البصاق على سيارته، ومن باب التحدي كانوا يضعون صورة المنصف باي بجميع الأماكن التي يقوم بزيارتها»²، الأمر ذاته ذهبت إليه جريدة الزهرة³ وعبرت عنه مراسلات سلطات الحماية في تلك الحقبة⁴.

ظهر في تونس ما أطلق عليه بالحركة المنصفية التي أخذت شكل جبهة وطنية والتي ضمت أغلب التيارات السياسية التونسية في ذلك الوقت كأعضاء الحزبين الدستوريين القديم والجديد من أتباع الديوان السياسي، واللجنة التنفيذية والمستقلين، ومشايخ جامع الزيتونة وأعضاء المجلس الكبير وأعضاء ديوان المنصف باي السابقين وأصدقائه وأمرء العائلة الحسينية، ولم يتخلف عن مساندة تلك اللجنة في ذلك الوقت سوى أعضاء الحزب الشيوعي التونسي.

اختلفت تسميات الحركة حسب تنوع المصادر حيث أطلق عليها المناضل البشير بوعلي النزعة المنصفية⁵، ويسميتها المراقب المدني دومانتي-Domante في سلسلة مقالاته حول البلاد التونسية بجريدة الأسبوع بـ"المبدأ المنصفي"⁶.

شهدت اللجنة نشاطاً داخل تونس وخارجها بين سنتي 1944 و 1947 وتركزت مطالبها في إطلاق سراح المنصف باي وإعادة المنصف باي إلى عرشه دون أن تتحول الحركة إلى حزب سياسي أو القيام بأعمال عنف، ومن بين الأعضاء البارزين داخل الحركة المنصفية نذكر محمد شنيق ومحي الدين القليبي⁷ ومحمد بدره وعزيز الجلوي⁸.

التفّ الشعب التونسي حول أعضاء الحركة المنصفية الذين بادروا إلى إمضاء العرائض في كلّ البلاد للمطالبة بعودة الباي المنصف على رأس العرش في تونس، رغم محاولات إدارة الحماية لمنعهم وتعطيل عملهم، ووجهت تلك العرائض إلى لجنة فرنسا الحرة بقيادة ديغول. كان أعضاء الدستوري القديم أكثر المدافعين عن الباي المخلوع إذ وجّه زعيم الحزب الثعالي يوم 25 ماي 1943 مذكرةً إلى ممثلي الحلفاء يستنكر خلالها خلع المنصف باي، وتعجّب الثعالي لموافقة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وهي الحاملة لواء الحرية والديموقراطية على خلع ملك عن عرش آبائه وأجداده بالقوة، فيقول في مذكرته: «الواجب بكلّ صدق أن يُردّ له ملكه في الأجل القريب الذي لا يمكن أن يكون خطراً على أيّ شخص، ولنا لنؤمل من السادة روزفلت وستالين وتشرشل رؤساء الأمم المتحدة الكبرى أن يحرصوا على تلافي هذا الخطأ اللاسياسي وغير المقبول، دفاعاً عن قضية عادلة وتشريعاً لبلادهم وإرشاداً وتنبيهاً

1 عبد الوهاب جمل، حكام إفريقيا وتونس من الفتح الإسلامي إلى العهد الجمهوري، د ن، د م، 2017، ص 551.

2 سعيد المستيري، المنصف باي الملك الشهيد، المرجع السابق، ص 152.

3 جريدة الزهرة، العدد 11400، 6 جوان 1947.

4 محمد صالح بن مصطفى، حكم الأمين باي بين ثقل الإرث وجسامته المسؤولية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 85-86، تونس، 1997، ص 363.

5 البشير بوعلي، ذكريات مناضل وطني، تق: جلوي فارس، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، دس، ص 63.

6 محي الدين القليبي، مأساة عرش، المصدر السابق، ص 202.

7 شكل عناصر الحزب الدستوري القديم أهم عناصر الحركة المنصفية، وربطوا قضية نفي الباي منصف بالقضية التونسية ومن أهم تلك العناصر نجد محي الدين القليبي الذي أصدر كتاباً بعنوان "مأساة عرش" شرح خلاله كل تفاصيل خلع المنصف باي، وأورد فيه الجوانب القانونية للقضية، وأطلق من خلاله صرخة أستنجد موجة لكبار المسؤولين السياسيين في المشرق العربي وإلى الظهير العالمي يطلب منهم التدخل لإرجاع الباي إلى عرشه.

8 عبد الكريم عزيز، فضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 332.333.

لحلفائهم الفرنسيين»¹، كما أرسل الثعالي مذكرة طويلة أخرى بتاريخ 1 0 مارس 1944 إلى رئيس الحكومة المصرية شارحاً له فيها الفعل الشنيع الذي قام به الحلفاء فور دخولهم إلى تونس بخلع المنصف باي وتوجيه له تهمة كاذبة كما حاول دحض هذه التهمة بإبراز مواقف المنصف باي في فترة حكمه.

سعى أعضاء اللجنة التنفيذية للدستوري القديم وعلى رأسهم صالح فرحات الكاتب العام للجنة والمنصف المستيري أمين صندوقها ورئيس لجنة الشؤون السياسية فيها لمقابلة الأمين باي، وأشاروا عليه بأن يطالب بإرجاع المنصف باي ويستنكر إبقائه في معتقله ويعلن مستعداً للتخلي عن العرش متى عاد المنصف باي إلى تونس، وبذلك يصحح موقفه إلى جانب الملك الشرعي، والعائلة المالكة وعموم الشعب التونسي وقطع الطريق أمام دسائس الاستعمار².

عمل الدستور القديم بكلّ جد من أجل المطالبة برجوع المنصف باي لمنصبه وتعدّي نشاطه الحدود التونسية، ونوّع من أساليب نضاله حيث أصدر الكتب ورفع الاحتجاجات وسعى للتنسيق مع باقي الأحزاب والشخصيات الوطنية التي تشاركه نفس الهدف. أمّا بخصوص نشاط الدستورين الجدد داخل الحركة المنصفية فقد قاده رئيس الحزب بورقية الذي ساهم بنشاط في الحملة المنصفية حيث أرسل رسالة إلى ملك إنجلترا جورج الخامس، شرح له فيها طريقة عزل الباي المنصف غير القانونية من طرف إدارة الحماية الفرنسية، غايتهم من ذلك الانتقام منه رغم مقاومته لتهديدات الألمان والإيطاليين وضغوطاتهم عليه رغم ذلك فقد بقي المنصف صامداً ووفياً للحماية الفرنسية.

أرسل بورقية برفقة ثانية بداية جوان 1943 إلى الرئيس الأمريكي روزفلت عبر القنصل الأمريكي دوليتل بشأن نفي المنصف باي ومحاولة إدارة الحماية إهانة الشعب التونسي كاملاً بهذا التصرف³، إضافة إلى تقرير طويل بعث به بورقية في 28 فيفري 1944 إلى المقيم العام بعنوان "المشكل التونسي" عرّج فيه على قضية المنصف باي قائلاً: «مسألة المنصف باي والحق يقال هي الشغل الشاغل الذي سينكّد عيش الحماية إلى أن يأتي يومٌ تعزم فيه فرنسا بعد الاطلاع على حقيقة الأمر على أن تتخذ ضدّ مليكتنا المفدى تفره العدالة البحتة والسياسة السامية، وهذا العمل وإن تمّ لا يقع تأويله كضعف من فرنسا بل بالعكس، إنّها ستتمكّن بفضلها أن تجلب إليها العواطف الروحانية المنهالة على اسم المنصف باي»⁴.

كما نسجل نشاط محمد شنيق الوزير الأول للمنصف باي سابقاً رفقة بقية وزرائه ضمن الحركة المنصفية، حيث قدّموا استقالتهم في 15 ماي 1943 تضامناً ورفضاً لخلع الباي مطالبين بإرجاعه إلى منصبه، وعلّق محمد شنيق وأصدقائه المنصفين آمالاً كبيرة على زيارة ديغول إلى تونس يوم 27 جوان 1943 أين أقيم حفلٌ لاستقباله وحضر الحفل محمد شنيق حيث استطاع الحديث على عجلٍ مع الجنرال ديغول عبّر له فيه عن مدى إخلاصه وولائه للباي المخلوع، الأمر الذي أثار انتباه الجنرال الذي طلب منه إرسال مذكرة حول قضية المنصف باي، لكنّ المقيم العام ماست سعى لتعطيل كلّ عمل يمكن من إرجاع الباي منصف على عرش تونس فقام بأمر مفوض الشرطة كازماجور بفتح تحقيق ضدّ محمد شنيق وكبح جماح أعضاء الحركة المنصفية، وبالفعل أُلقي القبض عليه بعد أن تمّ اتهامه بالتآمر

1 محي الدين القليبي، مأساة عرش، المصدر السابق، ص 157-158.

2 نفسه، ص 88-89.

3 عمار الخليفة، المنصف باي الملك الشهيد، تر: محمد الطاهر الراوي، ميديا كوم، تونس، 2006، ص 88-89.

4 الحبيب بورقية، تقرير الكاتب العام للحزب الدستوري التونسي إلى المقيم العام لفرنسا بتونس بعنوان المشكل التونسي، بتاريخ 28 فيفري 1944، ص 5.

من أجل تغيير النظام وتم اعتقاله ليلة 15 أوت 1943، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد أن أمضى وثيقة تلزمه بالتوقف عن ممارسة أي عمل سياسي لصالح المنصف باي¹.

برزت الحركة المنصفية نتيجةً لظروفٍ خاصةٍ مرت بها تونس، وكان لها الفضل في دفع العمل الوطني للبروز بصورةٍ قويةٍ أواخر وعقب الحرب العالمية الثانية، فلقد جمعت الرأي العام التونسي بمختلف شرائحه وتوجهاته، وتطافرت جهود الكل للمطالبة بعودة المنصف باي، وقد استطاعت هذه الحركة تعبئة قسم هام من الشعب التونسي، ليصبح المنصف باي رمزًا للوحدة والوطنية التونسية.

4.3. تكتل التيارات السياسية التونسية وتبلور مطالبها:

بعد ظهور ملامح انتصار الحلفاء في ربيع 1944 بفضل تفوقهم على المحور في شمال إفريقيا وأوروبا، وانتصار الاتحاد السوفياتي في ستالينغراد، والاستعدادات الحثيثة للقوات البريطانية -الأمريكية التي كانت تجري في الجزائر البريطانية تمهيداً لإنزال النورماندي على التراب الفرنسي، ظهرت ملامح التغيير في التوازنات خاصةً على الصعيد السياسي ولاسيما فيما يتعلق منها بالنظام الاستعماري، فعقد في مدينة برازافيل عاصمة الكونغو الفرنسي في شهر أبريل 1944 مؤتمراً تحت رئاسة الجنرال ديغول لبحث مستقبل علاقات فرنسا بمستعمراتها.

خرج المؤتمر بنتيجةٍ رسمت صورةً عن هوية تلك العلاقات الجديدة المنتظر تطبيقها في المستقبل والمتمثلة في مبدأ جديد عنوانه "الوحدة الفرنسية"²، وبدأت إدارة الحماية تتحرك في هذا الاتجاه، حيث أطلقت مشروع إصلاحات حاولت من خلاله مجابهة المطلب الدستوري القديم في إنشاء نظام دستوري في البلاد يضمن للتونسيين تسيير شؤونهم ومشاركتهم الفعلية في مختلف المناصب والوظائف والمسؤوليات. وبالفعل قدّم الجنرال ماست-Charles Mast المقيم العام بتونس برنامج الإصلاحات في شهر فيفري 1945 وعيّن لجنة إصلاحات تتكون من 24 عضواً نصفهم فرنسيين والنصف الآخر تونسيين، وكلّف السيد الطاهر بن عمار نائب رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير بإقناع زعماء الحزبين الدستوريين بالمشاركة في تلك اللجنة³، لكنّ برنامج الإصلاحات ذاك ظهر هزلياً في نظر أشدّ الوطنيين التونسيين اعتدالاً.

رفض الشيخّ الثعالبي المشاركة في تلك اللجنة ودعى إلى عقد مؤتمرٍ سرّي للحزب في شهر سبتمبر 1944 بمنزل الحكيم ابن ميلاد، تقرّر فيه المطالبة بالاستقلال التام والعدول عن جميع المطالبات السابقة والحلول المنقوصة⁴، وفي إطار التنسيق بين الدستوري القديم والجديد وعملاً بما اتفق عليه الزعيمان صالح فرحات والحبيب بورقيبة في أعقاب الاجتماع الثاني الذي كان قد عُقد في شهر أوت 1944 بكازينو الرصيف-Casino la jetée الكائن بحلق الوادي، تألفت لجنة مكونة من سبعة أعضاء هم: صالح فرحات، الحبيب بورقيبة، الطاهر بن عمار، مصطفى الكعك، محمد بن رمضان، محمد بدر، الفاضل بن عاشور، وعقدت اجتماعاً لها في شهر أكتوبر 1944⁵

1 سعيد المستيري، المنصف باي الملك الشهيد، المرجع السابق، ص 205.

2 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 260.

3 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق ص 261.

4 محمد الحبيب شلبي، "موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء، ثلاثة رسائل من الشيخ أمين الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي"، م.ت.م، العدد 22/21، أبريل 1981، ص 323.

5 شهد شهر أكتوبر 1944 وفاة زعيم الدستوري القديم الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتونس العاصمة عن سن ناهز 70 سنة.

بمكتب صالح فرحات 25 نخب إنكلترا، تم خلاله الاتفاق وبالإجماع على المطالبة بالاستقلال الداخلي للأمة (حكم ذاتي)، ثم توسّعت دائرة السّبعة بانضمام شخصيات أخرى ليصبح العدد 17 عضواً¹.

قرّرت اللّجنة بعد اجتماعات عديدة عقد مؤتمر تُدعى إليه شخصيات أخرى من العاصمة ومن بقية جهات القطر التونسي وحرّرت اللّجنة نصّاً نهائياً عُرف بـ "الميثاق التونسي"² لعرضه على المؤتمر الذي انعقد مساء 22 فيفري 1945 وضمّ نحو ثمانين شخصيةً تونسية تمثل أغلب الاتجاهات السياسية بتونس من أعضاء الحزبين الدّستوري القديم والجديد وشخصيات منصفية وزيتونية ومن المجلس الكبير باستثناء الشيوعيين.

خلص المؤتمر إلى المصادقة بالإجماع على "بيان الجبهة التونسية 22 فيفري 1945" الذي يطالب بمنح الاستقلال الداخلي للبلاد -الاستقلال الذاتي- على أن يكون تونسياً ديمقراطياً يعيّن شكله من طرف هيئة منتخبة بالاستشارة الشّعبية، وتضمن المشروع إدارة التونسيين لشؤون بلادهم بأنفسهم مع احتفاظ فرنسا بكلّ حقوقها المتمثلة في الدّفاع عن تونس دبلوماسياً وعسكرياً، وحتى وإن لم يطالب المشروع بالاستقلال التام إلّا أنّ سلطات الحماية رفضته³.

بعد أن يئس قادة الحركة الوطنية في تونس من الوصول إلى حل للقضية التونسية اتّجهت أنظارهم إلى الخارج، وخاصةً إلى المشرق العربي حيث كان بروتوكول الإسكندرية قد تمّ توقيعه وظهرت للوجود جامعة الدول العربية⁴، فاتجه الحبيب بورقيبة إلى مصر في 26 مارس 1945⁵ واستقر في القاهرة وأخذ في ربط صلاته بدوائر الجامعة العربية والصّحف المصرية للتعريف بالقضية التونسية، وفي هذا الصّدّد يقول بورقيبة: «...ونرجع الآن عن خروجي من تونس لبث الدّعاية ولتوسيع نطاق الكفاح ضدّ الاستعمار الفرنسي.... واتّجهت النّية نحو العمل من أجل كسب الأنصار وبث الدّعاية في البلدان العربية والولايات المتحدة الأمريكية ولم يكن ليتيسر ذلك إلّا بالخروج من تونس»⁶، ثمّ إلّتحق به بعض المناضلين وأسّسوا في القاهرة مكتب الحزب الحر الدّستوري التونسي، وأصدروا نشرة إخبارية دورية باللغة العربية تُعنى بالمستجدّات السياسية في تونس يتمّ تبليغها إلى الصّحف المصرية ومكتب الجامعة العربية، ونشرية أخرى باللغة الفرنسية تُبلّغ إلى مراسلي الصّحف الأجنبية وبعض السّفارات الأوروبية بالقاهرة⁷.

1 الأعضاء السبعة عشر هم: محمد الماطري، عبد العزيز الجلولي، محمد شنيق، ألبير بسيس، أحمد الزاوش، الطاهر الزاوش، البحري فيقة، المنصف المستيري، علي كاهية، الشاذلي بن رمضان، صالح فرحات الحبيب بورقيبة، مصطفى الكعك، الطاهر بن عمار، محمد بدر، وتحلف كل من محمد بن رمضان والفاضل بن عاشور الذين كان من المفروض حضورهما.

2 تم إمضاء "الميثاق التونسي" في 30 أكتوبر 1944 من قبل 17 تونسياً يمثلون مختلف الحساسيات الوطنية وهو بمثابة الركيزة التي ستقام عليها "الجبهة الوطنية" لاحقاً كإحدى صيغ التقارب والتعاون والاتحاد بين جميع التونسيين.

3 Habib Boularés, Histoire de la Tunisie les Grandes Dates de la Préhistoire à la Révolution, Cérés Editions, Tunis, 2011, p. 611.

4 في سبتمبر 1943 بدأت المشاورات الثنائية بين مصر والأردن والعراق وسوريا والسعودية ولبنان واليمن حول مشروع جامعة الدول العربية. وفي 25 سبتمبر 1944 عقد اجتماع في الإسكندرية ضم مندوبين عن مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والسعودية واليمن وعرب فلسطين وبعد ثماني جلسات متوالية انحصر النقاش حول اقتراح رئيس الوفد العراقي نوري السعيد بتكوين مجلس اتحاد لا تنفذ قراراته إلا الدول التي توافق عليه، خوفاً من التأثير على سيادة الدول الأعضاء، وأصدر المندوبون العرب الذين حضروا اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام بالإسكندرية بروتوكولا عرف باسم "بروتوكول الإسكندرية" ينص على موافقتهم على إنشاء جامعة للدول العربية، التي تأسست رسمياً يوم 22 مارس 1945 إثر نهاية الحرب العالمية الثانية من خلال سبع دول قبل أن يتطور ويصل عدد أعضائها إلى 22 دولة، تلزم جامعة الدول العربية بمبادئ الأمم المتحدة، وبالمساواة القانونية بين الدول الأعضاء، وعدم التدخل في شؤونها.

5 كان بورقيبة في ذلك الوقت تحت الإقامة الجبرية في العاصمة التونسية، وخرج من العاصمة متنكراً في رحلة شاقة ساعده في ذلك الحبيب عاشور وعلي عزيز وصهره محمد العون، ورافقه في رحلته خليفة حواس.

6 الحبيب بورقيبة، حياتي آرائي جهادي، المصدر السابق، ص 151.

7 عبد الكريم عزيز، فضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 355-356.

بعد مغادرة بورقيبة إلى القاهرة خلفه الأمين العام للحزب صالح بن يوسف في رئاسة الحزب بمساعدة أعضاء الديوان السياسي الذي يتشكّل من: المنجي سليم والهادي نورية وعلي البهلوان والدكتور سليمان¹، وعمل صالح بن يوسف مع أعضاء الديوان السياسي على إعادة تنظيم هيكل الحزب وربط خلاياه ببعضها البعض، وتقوية دعايته بين التونسيين، هذا رغم أساليب القمع التي مارسها سلطة الحماية خلال تلك الفترة².

ساهم الحزب في ظهور تنظيمات مهنية وشعبية جديدة، واقترب من البايع ومن بعض أعضاء حزب الدستور القديم والمنصفين ومناضلي الحركة الزيتونية³ وغيرهم من الوطنيين المستقلين، وقرروا توحيد جهودهم في إطار "جبهة وطنية تونسية" من أجل إسقاط الحماية الفرنسية واستقلال تونس⁴.

5.3. مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946

بعد حصول توافق في وجهات النظر بين الدستوريين القدامى والجديد أصبح الجو مهيئاً لعقد مؤتمر يتم خلاله الإعلان عن مطلب الاستقلال التام، ليبدأ منظمو المؤتمر بتحرير وثيقة المؤتمر التي ستكون محل إثراء من قبل الحاضرين، جرى نقاشٌ طويلٌ حول مضمون الوثيقة التي ستكون بمثابة "ميثاق وطني"، خاصةً بين مناضلي الدستور القديم والجديد حول الصياغة حيث أصرّ الأول على عبارة الاستقلال التام كمطلبٍ أساسي، في حين كان الثاني يفضل عبارات أقلّ حدةً من التصريح بالاستقلال التام، ليتمّ في الأخير اعتماد مطلب الاستقلال التام والكامل وتألّفت لجنة لصياغة النصّ النهائي، تشكّلت من عضوين من الدستور القديم ومثلهما من الدستور الجديد⁵، وبعد عقد عدّة اجتماعات ونقاشات تمت الموافقة على النصّ النهائي لوثيقة الاستقلال الذي تمت الموافقة عليه من طرف لجنة التنسيق وتقرّر أن يتم عقد مؤتمرٍ شعبي في سرية تامة⁶.

عقد المؤتمر في سرية تامة في 23 أوت 1946 الموافق للسادس والعشرين من رمضان وعُرف بـ "مؤتمر ليلة القدر" حضره حوالي 300 شخصية⁷، شملت مختلف الطبقات والاتجاهات السياسية والهيئات الوطنية باستثناء الحزب الشيوعي، ومن بين الذين حضروا المؤتمر ممثلين عن الحزب الدستوري الجديد والقديم، ونقابات العمال، وأساتذة جامعة الزيتونة، واتحاد الموظفين، واتحاد التجار وأرباب الصناعات، وجمعية الفلاحين، وجمعية الأطباء والصيادلة، وجمعية المحامين التونسيين، وجمعية المعلمين، كما حضره الوزراء السابقون في عهد المنصف باي، وبعض أعضاء المجلس الكبير⁸، لتحرير ميثاق للشعب التونسي يعلن استقلاله.

1 الحبيب ثامر، هذه هي تونس، مطبعة الرسالة، مكتب تحرير المغرب العربي، القاهرة 1948، ص 105.

2 من بين عمليات القمع التي مارسها سلطة الحماية خلال تلك الفترة نذكر حادثة "الطابور" في أوت 1945، وحادثة بلدة زرمدين في جويلية 1946.

3 تشكلت الحركة الزيتونية خلال النصف الأول من القرن العشرين من قطبين رئيسيين هما المحافظين والإصلاحيين، وانخرط الزيتونيون في العمل السياسي منذ الحرب العالمية الأولى، بداية بنشاط الشيخ صالح الشريف ورفاقه في تركيا وأوروبا ومع الشيخ الثعالبي في باريس وصولاً إلى تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي عام 1920 الذي كان مشروعاً زيتونياً بالأساس، كما خاض الزيتونيون التجربة النقابية منذ بدايتها.

4 أحمد غريسي، الحركة الوطنية في الجزائر وتونس 1945-1956-دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة العربي التبسي، 2020-2021، ص 109.

5 تألفت اللجنة الرباعية من: الشاذلي الحلاوي والمنصف المستيري عن الدستوري القديم، والهادي نورية وعلي البهلوان عن الدستوري الجديد.

6 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم، المرجع السابق، ص 266.267.

7 اختلفت المصادر حول عدد الحاضرين خلال المؤتمر حيث يذكر أحمد القصاب في كتابه تاريخ تونس المعاصر رقم 300 مشارك بينما يذكر عبد الكريم عزيز في كتابه نضال شعب أبي رقم 200 مشارك، بينما ذكر الحبيب ثامر في كتابه هذه تونس أن عدد المشاركين فاق 700 مشارك.

8 الحبيب ثامر، هذه تونس، المصدر السابق، ص 106.

عقد المؤتمر البيري بمنزل المناضل محمد بن جراد بنهج الملاحه بترنجة، وأسندت رئاسة المؤتمر إلى رئيس سابق للدائرة الجنائية بوزارة العدل وهو القاضي العروسي الحداد¹ الذي افتتح الاجتماع وسط التصفيق الحاد بهذه الكلمات: «طيلة مباشرتي لمهمتي القضائية طالبت بإعدام المجرمين، وها أنا اليوم أصدر حكمي بالإعدام على نظام الحماية»، أمّا صالح فرحات فقد ارتجل في خطابه حيث حوصل أهم المراحل التي اجتازها الحزب الدستوري التونسي منذ تأسيسه ثم قال: «...إنّ الدولة الحامية لم تحترم التزاماتها تجاه العائلة الحسينية التي تعهدت لها بتقديم المعونة والسند، وكان لخلع الباي الشرعي صاحب السمو محمد المنصف إختراقاً للمعاهدة، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه الحركة تلغي معاهدة باردو لاسيما أنّ فرنسا لم تدافع عن التراب التونسي أثناء الاحتلال الألماني الإيطالي، وبما أنّ فرنسا لم تحترم التزاماتها وخلعت الباي عن العرش بشكلٍ إعتباطي وهو ما يعدّ إهانةً للدين الإسلامي، وبما أنّها عجزت عن الدّفاع عن التراب التونسي وحتى عن ترابها نفسه فإنّنا نعلن استقلال تونس»، ثم أخذ الكلمة الأستاذ صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد لكنه لم يتمكن من إنهاء خطابه بعد أن اقتحمت قوات الشرطة المكان، وقبل انتهاء الاجتماع سأل الخطيب الحاضرين: «هل انتم مجتمعون على إعلان استقلال تونس؟» فأجابوا بصوتٍ واحدٍ: "الاستقلال... الاستقلال!" "الحرية... الحرية" وهو ما اعتبر موافقة الحاضرين على وثيقة المؤتمر أو توقيعاً شفهيّاً للوثيقة²، بعد عملية الاقتحام تمّ إلقاء القبض على خمسين شخصيّة من بين الحاضرين ولم تتمكّن الشرطة من العثور على الوثائق إذ تمكّن الهادي نويرة الذي حرّر اللائحة من الفرار حاملاً معه الوثائق³.

روى محمد شنيق للشاذلي خير الله وقائع مدهامة الشرطة واعتقال المشاركين في المؤتمر بقوله: «...كانت هناك سيارةٌ مجهزةٌ براديو استخبارات استعملها الأعوان لإبلاغ الجنرال ماست Mast عن هوية الشخصيات التي حضرت الاجتماع وعلى إثر مدهامة مقر الاجتماع قام أفراد الشرطة باعتقال مجموعة كبيرة من الحاضرين فكانت مع صالح بن يوسف والفاضل بن عاشور من بين المعتقلين، وتمّ اقتيادنا إلى مقر المحكمة العسكرية خلف القصبية حيث تولّى ضابط الشرطة استنطاقنا للكشف عن هويتنا وأخذونا إلى قاعة كبيرة أين وجدت فتحي زهير، وصالح فرحات، والدكتور بن سليمان وبن زينة، قضينا ليلةً في السّجن ومن الغد أُطلق سراح عددٍ من الموقوفين بعد انتهاء التحقيق⁴، واقتيد آخرون إلى السّجن المدني من بينهم صالح بن يوسف وفتحي زهير وصالح فرحات ومحمد الفاضل بن عاشور وأخوه عبد الملك والطيب العناي والصّحبي فرحات والمُنجي سليم وسليمان بن سليمان وعلي البهلوان والباهي الأدغم، وأحمد بن ميلاد وعمار الدخلاوي، ولم يتم إطلاق سراحهم إلّا في سبتمبر 1946»⁵.

ظلّت مسألة توقيع الحاضرين معلقة وهو ما يقلّل من أهميتها، لذلك فكّر كلّ من محمد الحبيب شليبي والهادي نويرة بالسّعي لإعطاء توقيع الوثيقة، ويذكر محمد الحبيب شليبي في سعيه لتحقيق هذا المسعى قوله: «ومن الغد فكّرت مليّاً واهتديت إلى حل... ذلك أنّ رئيس المؤتمر السيد العروسي الحداد لم يُلقَ عليه القبض... وحينئذٍ فهو الذي يمضي على الوثيقة وهكذا كان، فقد بعثتُ رسولاً

1 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 602.

2 وأكدت لائحة المؤتمر بصريح العبارة على مبدأ الاستقلال التام حيث جاء فيها: "إن الحماية نظام سياسي واقتصادي لا يتفق مطلقاً مع مصالح الشعب التونسي الحيوية ولا مع حقه في التمتع بسيادته، ويؤكد بأن هذا النظام الاستعماري بعد تجربة خمس وستين سنة قد حكم على نفسه بالإخفاق، ويعلن عزم الشعب التونسي الثابت على السعي في استرجاع استقلاله التام وفي الانضمام لجامعة الدول العربية ومجلس الأمم المتحدة والمشاركة في مؤتمر السلام".

3 Habib Boularés, *Histoire de la Tunisie les Grandes Dates de la Préhistoire à la Révolution*, Op.cit, p618.

4 عبد العزيز بوراوي، فضائل نقابية زوايع وانفجارات 1943-1988، تق: عبد الجليل بن عباس ومحمد الزاوي، التفسير الفني، تونس، 2013، ص 75.76.

5 <https://ar.leaders.com.tn/article/0988->

إلى الأستاذ نويرة عارضاً عليه الفكرة فوافق عليها واتفقنا أن نلتقي بعد الإفطار ونذهب سوياً إلى مسكن السيد العروسي الحداد ونطلب إليه أن يمضي على عددٍ من نسخ الوثيقة»¹.

تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل: (U.G.T.T)

يعتبر النقابي التونسي محمد علي الحامي² أول من زرع بذور المنظمة النقابية في تونس، حين أعلن عن تأسيس جامعة عموم العملة التونسية في 19 جانفي 1925، وانضم إليه العديد من الشُّباب المقاومين والناشطين أمثال المختار العياري، البشير بودمعة، أحمد توفيق المدني، والفرنسي فينيدوري، إلّا أنَّ المنظمة تعرّضت لاضطهاد قوات المستعمر الفرنسي، وتشبّثت أعضائها وواجه الحامي على إثرها عقوبة النفي مدة عشر سنوات خارج البلاد بعد إدانته من طرف محكمة الجرائم بالتآمر ضدّ أمن الدولة³.

مع تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وانتشار الأوبئة، في بلدٍ يعيش فيه سكّانه تحت سطوة المحتل، اندلعت من جديد شرارة الاحتجاج، فأسفرت عن سقوط قتلى في صفوف عمّال المناجم في ثلاثينيات القرن الماضي، وإضرابات عمال موانئ مدينتي تونس وبنزرت، فأعيد إثر هذه الأحداث إحياء العمل النقابي من جديد وذلك بإعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية على يد بلقاسم القناوي⁴ في 27 أفريل 1937 والتي تستمد أفكارها من منظمة الحامي، ولم تختلف تجربة القناوي عن تجربة الحامي كثيراً حيث سرعان ما وئدت المنظمة النقابية على يد الاحتلال الفرنسي مجدداً بعد أحداث 9 أفريل 1938⁵.

رغم القمع الذي تعرّضت له الكنفدرالية العامة للعمال التونسيين (C.G.T) أثناء فترة الحرب إلّا أنّها استطاعت المحافظة على وجودها في السّرية، مما جعلها تستعيد نشاطها بسرعة بعد خروج قوات المحور من البلاد سنة 1943، لكنّ سيطرة الشُّيوعيين على الكنفدرالية خلال مؤتمرها الأول في 18 مارس 1944، وعدم انتخاب فرحات حشاد⁶ في عضوية (C.G.T) دفع بنقابي جهة صفاقس من التونسيين بعد المؤتمر إلى الانسلاخ عن (C.G.T) وحل النقابات التي كانت تحت قيادتهم مثل البلدية، السكك الحديدية، الأشغال العامة⁷.

بعد فترةٍ من الركود دخل حشاد في مشاورات مع النقابيين الوطنيين على غرار الحبيب عاشور وعبد العزيز بوراوي لتأسيس نقابات تونسية مستقلة وكان له ذلك حيث تم بعث نقابة في 9 نوفمبر 1944 تحت تسمية اتحاد النقابات المستقلة لعمال الجنوب التونسي وقد ضمّ عدّة نقابات مثل الأشغال العامة والسكك الحديدية والبريد والنقل والميناء وانتُخب فرحات حشاد كاتباً عاماً له.

1 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم، المرجع السابق، ص268.

2 محمد علي الحامي (1890-1928): من رواد الحركة النقابية بتونس، ومؤسس "جامعة عموم العملة التونسيين" سنة 1924، التي تعتبر أول تنظيم نقابي محلي وعربي يعنى بالطبقة العاملة في بلاده، ويدافع عن حقوق العمال، استطاع في فترة مبكرة من تاريخ تونس أن يجمع شتات العمال التونسيين في مختلف المجالات تحت رعاية النقابات الفرنسية، لكنه سرعان ما أدرك مع ثلة من المثقفين والوطنيين ضرورة تشكيل هيكل نقابي مستقل، للاهتمام بالمشاكل الجوهرية الخاصة بالعمال التونسيين. انظر: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7/>

3 <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%>

4 بلقاسم بن عمر القناوي ولد في بلدة المطوية سنة 1907 بمنطقة الأعراض (جهة قابس)، ويعد من جيل النقابيين الوطنيين الأوائل الذين نشطوا وتحممسوا لأفكار محمد علي الحامي في منتصف عشرينيات القرن العشرين وعملوا على إحياء جامعة عموم العملة التونسية سنة 1937.

5 عبد السلام بن حميدة، الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس 1924-1956، تر: محمد بسباس وآخرون، ج1، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس 1984، ص97.

6 فرحات حشاد: (1914-1952) ولد في قرية العباسة بجزيرة قرقة ولاية صفاقس، تلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة العربية الفرنسية، وتحصل سنة 1928 على الشهادة الابتدائية، أنخرط في الكنفدرالية العامة للعمال التونسيين سنة 1936، ثم إنسلخ عنها ليكون مع مجموعة من رفاقه بصفاقس اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب التونسي، واسس سنة 1944 اتحاد النقابات المستقلة للشمال، تم إغتياله في 5 ديسمبر 1952 من طرف اليد الحمراء.

7 الأمين يوسف، الحركة النقابية في تونس 1900-1981، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس 1983، ص52.

تم تأسيس اتحاد النقابات المستقلة بالشمال التونسي في ماي 1945 بتونس العاصمة وانضمت إليه عدّة نقابات مثل الأشغال العامة والعربات المجرورة والمخابز¹، وقد ركّز النقابيون المستقلون في نشاطهم الدعائي في البداية على ضرورة فصل العمل النقابي على العمل السياسي، والاهتمام بتحسين الظروف المادية للعمال التونسيين، إضافةً إلى العمل على توحيد الجميع في منظمة نقابية مستقلة واحدة².

انعقد بمقر الجمعية الخلدونية بتونس أول مؤتمر تأسيسي في 20 جانفي 1946 تمّ فيه توحيد نقابات الجنوب ونقابات الشمال وانبثقت عنه المنظمة الشغيلة التي سميت الاتحاد العام التونسي للشغل (UGTT) وتولّى فرحات حشاد الأمانة العامة للاتحاد والشّيخ ابن باديس عاشور الرئاسة الشرفية³، هكذا تأسّس الاتحاد العام التونسي للشغل الذي شهدت قاعدته نموّاً سريعاً في فترة وجيزة حيث ارتفع عدد المنخرطين بين 20 جانفي 1946 وسنة 1947 من 12000 إلى 74000، وقد اندمجت داخله جامعة الموظفين التي كانت تضمّ نقابات عمال العدالة والبريد والتعليم، وتطوّرت تركيبة الاتحاد حتى أصبح يعد ثمانية وستين نقابةً مختلفةً خلال فترة ديسمبر 1947⁴، وحسب الإحصائيات الرسمية فإنّ الاتحاد التونسي للشغل كان يضمّ في صفوفه 74000 مناضلاً تونسياً من ضمن 96000 تونسياً منخرطاً في مختلف النقابات الأخرى أي ما يعادل نسبة 08.77% من الموظفين التونسيين⁵.

نظم الاتحاد في 20 جويلية 1947 اجتماعاً عامّاً بتونس حضره حوالي 2000 عامل وتقرّر خلاله شن إضراب عام بتونس يوم 05 أوت للمطالبة بالرفع من الحد الأدنى المعيشي للعمال غير المختصّين، والاعتراض على الإصلاحات التي تقدّم بها المقيم العام⁶، لكنّ سلطات الحماية واجهت العمال المضربين بالسّلاح فاستشهد 34 عاملاً وجرح الكثير من بينهم الحبيب عاشور وألقي القبض على 300 نقابي. اعتُبر ذلك الإضراب عمليةً وطنيةً لا يهدف لتحسين الأجور فحسب بل كان عملاً يكرّس إرادة الاتحاد ومقاومة الاستعمار ومحاولاً لاسترجاع حقوق العامل التونسي وكرامته⁷، ووجد مناضلو الاتحاد العام أنفسهم مرغمين على التحالف مع البرجوازية التونسية التي رفعت شعار الاستقلال والانخراط في العمل السياسي.

في محاولةٍ لفضح السياسة الفرنسية استغلّ المناضل فرحات حشاد مجزرة هنشير النفیضة التي ارتكبتها سلطة الحماية في حق الفلاحين المضربين في 21 نوفمبر 1950 ليحرّر مقالاً في جريدة الحرية بعنوان: "الحق يؤخذ ولا يعطى"، وفي مقالٍ آخر بنفس الجريدة تطرّق حشاد إلى ضرورة المقاومة بقوله: «نقاوم التيار الاستعماري الذي يريد الاستحواذ على ما بقي بين أيدينا حتى نبقي في حالة اليأس، ونقاوم الفكرة الاستعمارية التي تجعل منّا اليوم شعباً يتقهقر...نقاوم فكرة التفوق العنصري....نقاوم فكرة الحمل

1 الأمين اليوسفي، الحركة النقابية في تونس 1900-1981، المرجع السابق، ص 53.

2 حمة الهمامي، قراءة في تاريخ الحركة النقابية، الصامد للنشر والتوزيع، تونس، 1988، ص 39.

3 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 367.

4 حمة الهمامي، قراءة في تاريخ الحركة النقابية، المرجع السابق، ص 47.

5 محمد بوطيبي، الحركة النقابية التونسية (دراسة مقارنة بين نقابي جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل أمثودجا)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة المديّة، المجلد الثامن، العدد 13، ديسمبر 2017، ص 40.

6 حمة الهمامي، قراءة في تاريخ الحركة النقابية، المرجع السابق، ص 48.

7 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 367.

والاستسلام....نقاوم كل من يريد الاعتداء علينا وسلب كرامتنا...»¹، وهكذا كسب الاتحاد بفضل صموده سمعةً في داخل البلاد وخارجها، واستطاع الانضمام إلى المنظمة العالمية للنقابات (F.S.M) رغم معارضة سلطات الحماية وممثل (C.G.T). بعد انعقاد مؤتمر الاتحاد في نهاية مارس وبداية أبريل 1951 اختار الاتحاد الخروج من (F.S.M) والانضمام إلى المنظمة العالمية للنقابات الحرة (C.I.S.L)²، وقد عرفت الفترة الممتدة بين شهري جويلية وديسمبر 1951 نشاطاً سياسياً مكثفًا للمناضل فرحات حشاد بإسم الاتحاد العام التونسي للشغل خاصةً على الصعيد الخارجي في ميلان وسان فرانسيسكو وبروكسل. تزامن هذا النشاط مع نشاط الحبيب بورقيبة بالولايات المتحدة الأمريكية بإسم الحزب الحر الدستوري، والوزارة التونسية في العاصمة الفرنسية باريس قصد لفت الرأي العام العالمي للقضية التونسية، وهذا ما يشير إلى التنسيق الذي كان قائماً بين مختلف الوطنيين التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل، وهو ما تؤكد التقارير الفرنسية حول هذا التنسيق والتلاحم على غرار التقرير الذي رفعه المقيم الفرنسي في تونس إلى السيد روبرت شومان-Robert Shuman وزير الخارجية الفرنسي، مشيرًا إلى النشاط الذي كان يقوم به الأمين العام للاتحاد العام للشغل على المستويين الداخلي والخارجي، ودوره في استقطاب عناصر النقابات التونسية الأخرى، وكذلك دوره في النشاطات السياسية والتحريض لتنظيم الإضرابات³.

أعطت الحرب العالمية الثانية نفساً جديداً لأولوية المعركة السياسية داخل الحركة النقابية في تونس، فامتزج العمل النقابي بالنضال الوطني، ولعبت نقابة الاتحاد العام التونسي للشغل دوراً مهماً في ترشيد النضال الوطني من خلال تزويده بالقيادة والبرامج ومثلت الاحتجاجات والإضرابات العمود الفقري للعمل النقابي، كما استطاع قائد التنظيم فرحات حشاد نحت أفكاره النقابية من وحي تجارب الحركة النقابية السابقة مستفيداً من أخطائها.

6.3. المفاوضات والاستقلال:

بعد عزل المقيم العام جون مونص - Jean Mons عيّنت الحكومة الفرنسية في بداية شهر جوان 1950 مقيماً عاماً جديداً في تونس لويس بيرلييه - Louis Périllier⁴ عسى أن تحقق أهدافها بفضل مشروع الإصلاح الذي سيقود البلاد التونسية إلى التفتح والازدهار وإلى الاستقلال الداخلي، وهكذا وبمجرد وصول المقيم العام الجديد تم الإعلان عن إجراءات تتعلق بتطوير نظام الحكومة التونسية، وتوسيع نظام مشاركة التونسيين في الوظيفة العامة، وتكوين نظام على أساس ديمقراطي بناءً على توصيات الحكومة الفرنسية، التي تنوي إعطاء الفرصة للبلديات في المشاركة المباشرة للتونسيين في إدارة مصالحهم⁵.

1 محمد بوطيبي، الحركة النقابية التونسية (دراسة مقارنة بين نقابتي جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل أمثودجا)، المرجع السابق، ص 43.

2 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 368.

3 محمد بوطيبي، الحركة النقابية التونسية (دراسة مقارنة بين نقابتي جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل أمثودجا)، المرجع السابق، ص 44-45.

4 لويس بيرلييه - Louis Périllier: ولد في أبريل 1900 في نيم وتوفي في 15 أبريل 1986 في باريس، تدرج في المناصب بين ملحق عسكري، ثم عميداً ثم مستشاراً رئيسياً بديوان المحاسبة، ثم مقيماً عاماً بتونس، عين كاتباً عاماً لمعتمد الداخلية بالجزائر العاصمة في جوان 1943 ثم والياً على الجزائر العاصمة في 1 جوان 1944، شغل منصب المقيم العام الفرنسي في تونس جوان 1950 حاول إجراء إصلاحات مؤسسية من شأنها أن تمهد الطريق للاستقلال الداخلي، كان السبب وراء تعيين صلاح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد، وزيرا للعدل في حكومة شنيق الثانية صيف 1950.

5 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي "القديم" 1934-1956، المرجع السابق ص 294-295.

في 08 سبتمبر 1949 عاد بورقيبة إلى تونس لكن قبل عودته بعث كاتبه الخاص علالة العويقي إلى تونس للتعرف على الوضع فأعلمه أنّ صالح بن يوسف لا يرغب في عودته وأنّه وجماعته يوجّهون إليه الانتقادات جهراً¹، لذلك قرّر العودة للأخذ بزمام الأمور بعد أن لاحظ كذلك فشل الجامعة العربية في الوصول إلى حلول لمعظم قضايا الدول العربية، وثبت لديه أنّ الجامعة العربية لم تسجّل القضية التونسية في جدول أعمالها لانشغالها بقضية فلسطين.

لمس بورقيبة التقارب الحاصل بين فرنسا والحكومة المصرية رغم مساندة حزب الوفد برئاسة النحاس باشا لقضايا التحرّر العربية والعمل من أجل الوحدة بين العرب²، ويبدو أنّ بورقيبة قد تكوّنت لديه قناعةً بسلوك طرق جديدة بعد الزيارات التي قام بها إلى عديد الدول في الشّرق الأوسط وأوروبا وجنوب شرق آسيا وأمريكا تعتمد على العمل الميداني داخل الوطن ومحاوله محاربة الاستعمار بأسلوبه واعتماد سياسة المراحل "خذ وطالب" لإجبار فرنسا على التفاوض لتحسين الأوضاع في البلاد التونسية.

بهدف تحقيق ذلك سافر بورقيبة من تونس إلى فرنسا في 12 أفريل 1950 وفي 14 أفريل أدلى في العاصمة باريس بالتصريح التالي: «بعد الرحلة التي قمتُ بها إلى كلّ من نيويورك والقاهرة حرصتُ على القدوم إلى باريس لأضع فرنسا أمام مسؤوليتها، ذلك أنّ هذه البلاد التي تربطنا بها عدّة روابط مصرّة على عدم اعتبار إرادة التونسيين المتزايدة لتحرير بلادهم...وفي حين نرى قسماً كبيراً من العالم العربي قد استرجع في الوقت الحاضر استقلاله، تبقى فرنسا الدولة الوحيدة الراجعة في إبقاء نظام الحماية الذي يكتسي صبغةً استعماريةً قد أكل عليها الدّهر وشرب، ولقد بينت لي الجولات التي قمتُ بها في مختلف أرجاء البلاد التونسية أنّ هذا الوضع يثير امتعاض الشّعب التونسي برمته»³.

عرض الحبيب بورقيبة على الرّأي العام الفرنسي حلاً عملياً للمشكلة التونسية طبق برنامج يحتوي على سبعة بنود⁴، يرمي إلى إنهاء الحكم الفرنسي المباشر وتسليم النفوذ والسّلطات إلى أيدي التونسيين وتمثل تلك البنود في:

- تشكيل حكومة تونسية من التونسيين فقط يسيّرّها وزير أول تونسي يعيّنه الباي؛
- إلغاء منصب الكاتب العام للحكومة الفرنسية؛
- إلغاء المراقبين المدنيين الفرنسيين؛
- إلغاء الدّرك الوطني الفرنسي؛
- بعث مجالس بلدية منتخبة تمثل فيها المصالح الفرنسية حيثما وجدت جاليات فرنسية؛
- إحياء السّلطة التنفيذية التي أصبحت خاضعةً للمقيم العام؛

1 لا يختلف إثنان في وجود خلاف حاد بين بورقيبة وبين يوسف، فبورقيبة يتهم بن يوسف بأنه من دبر عملية الهجرة إلى المشرق (1945-1949) واعتبرها مؤامرة لإبعاده على الساحة السياسية التونسية، كما يتهمه بالتقصير في إرسال المال الكافي له حين كان في القاهرة، كما يعتبر بورقيبة مؤتمر دار سليم محاولة يوسفية لإبعاده، في حين يتهم بن يوسف بورقيبة بأنه عمل على تهديد وإسراف أموال الحزب في سهراته بمصر لاشباع نزواته خاصة في الإسكندرية، وذلك بشهادة أعضاء مكتب المغرب العربي والمصريين أنفسهم. أنظر: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990. ص 79.76.

2 عبد الكريم عزيز، فضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 382.

3 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 611-612.

4 سلم الحبيب بورقيبة تلك المطالبات السبعة لوكالة " فرانس براس - Agence France-Presse " في يوم 15 أفريل 1950.

- تشكيل مجلس وطني منتخب انتخاباً عاماً مكلّفاً بإعداد دستور يحدّد العلاقات التي ينبغي أن تكون مستقبلاً بين تونس وفرنسا، والتي يجب أن تقوم على الاحترام المتبادل للمصالح المشروعة للبلدين¹.
 - لقي مشروع بورقية هذا معارضةً شديدةً من طرف الجالية الفرنسية التي واجهته بتقريرٍ مقابل قدّمه الناطق باسم الجالية الفرنسية في تونس أنطوان كولونا-Antoine Colonna إلى روبر شومان-Robert Showman وزير الشؤون الخارجية الفرنسية في 20 ماي 1950 يتضمن ستة نقاط هي:
 - بالنسبة للباي حمله بطريقة لطيفة لكن بحزم على أن يحترم مثل أسلافه جميع صلاحيات الدولة الحامية؛
 - إبقاء الحزب الدستوري الجديد خارج القانون؛
 - فتح تحقيق عدلي حول إعادة تكوين حزب منحل وإجراء تبعات ضدّ قادة الحزب الدستوري الجديد ورؤساء المائة والعشرين
 - شعبة بالإيالة بتهمة التآمر على أمن الدولة؛
 - إعادة الرقابة على الصحافة وحل الاتحاد العام التونسي للشغل؛
 - عزل الموظفين الذين انخرطوا في الحزب الدستوري أو المتعاونين معه².
- وجدت فرنسا نفسها أمام قوتين متناقضتين، قوة الشعب التونسي المنظم الصفوف المتوحد العازم على نيل حقوقه، وقوة الجالية الفرنسية المتشبعة بالروح الاستعمارية المتمسكة بامتيازاتها ومقاليده جميع الأمور والتي تخشى كل تغيير³، أمام هذه الوضعية لجأت فرنسا إلى تعيين مقيم عام جديد في 31 ماي هو "لوي باريليي - Périllier" الذي كلف بإجراء سلسلةٍ جديدةٍ من الإصلاحات، وصرّح روبر شومان في 10 جوان 1950 خلال مأدبةٍ أقامها المقيم العام الجديد على شرف البرلمانين الممثلين لأقطار ما وراء البحار قائلاً: «إنّ مهمة السيد باريليي تتمثل في فهم البلاد التونسية وتمكينها من تنمية ثرواتها تنميةً شاملةً والسير بها نحو الاستقلال الذي هو الغاية النهائية لجميع الأقطار التابعة للوحدة الفرنسية»⁴.
- وهكذا تمّ الإعلان عن إصلاحات تتعلق بتطوير نظام الحكومة التونسية، وتوسيع نظام المشاركة التونسية في الوظيفة العمومية، وإكساب النظام البلدي صبغةً ديمقراطية، كما تمّ إجراء تعديلات تأسيسية بصورة تدريجية غايتها السّير بالبلاد التونسية إلى الاستقلال الداخلي، ولكنه عبّر عن رفضه للقومية باعتبارها نظرية قد تجاوزتها الأحداث وبالتالي أصبحت رجعيةً، الأمر الذي وجد معارضةً شديدةً من قبل الجالية الفرنسية التي حاولت بجميع الوسائل منع تطبيق تلك الإصلاحات المصريح بها، وقرّر أعضاء القسم الفرنسي من المجلس الكبير تقديم استقالة جماعية في 10 جويلية 1950.
- بالمقابل بعث القسم التونسي من نفس المجلس رسالةً إلى وزير الخارجية الفرنسي طالبوا فيها منح تونس دستوراً الخاص الذي يتوافق مع المبادئ التي أعلنت عنها الحكومة الفرنسية⁵، وعلى إثر تلك التطوّرات تم الاتفاق على تشكيل حكومةٍ تونسيةٍ جديدةٍ بتاريخ 17 أوت 1950 برئاسة محمد شنيق وضمت الحكومة كلاً من صالح بن يوسف وزيراً للعدل، محمود الماطري وزيراً للدولة، محمد الصالح

1 علي البلهوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2018، ص 130.

2 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 614.

3 علي البلهوان، تونس الثائرة، المصدر السابق، ص 130.

4 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 614.615.

5 نفسه، ص 615-616.

المزالي وزير التجارة والصناعة، محمد بن سالم وزير الصحة، محمد بدرة وزير الشؤون الاجتماعية، محمد سعد الله وزير الفلاحة، أوكلت لها مهمة المفاوضات¹.

إذا كان الدستور الجديد قد قبل بالمفاوضات فإنّ الدستور القديم كان رافضاً لها بالجملة، حيث رفض الحزب عرضاً لرعيه محي الدين لقلبي للمشاركة في وزارة شنيق وأصدر الحزب عدّة بيانات يدين فيها هذه التجربة التي حُكم عليها بالفشل مسبقاً²، كما أدان عبد الكريم الخطابي ويوسف الرويسي مشاركة الحزب الدستور الجديد في الحكومة المزدوجة واعتبراها خيانة للأهداف الاستقلالية للمغرب العربي، وتنكراً لميثاق العمل الوطني الصادر بالقاهرة سنة 1947 الذي ينصّ على أنّه لا مفاوضة قبل الجلاء التام.

شهدت المفاوضات عقبات كثيرة حالت دون وصول الطرفين إلى اتفاق كامل، ومن أهم تلك العقبات نذكر الدور السبلي الذي لعبته الجالية الفرنسية في تونس والرافضة لأيّ تغيير في سياسة الحماية من شأنه أن يعود بالفائدة على التونسيين أو تحقق من خلاله الحركة الوطنية انتصاراً ولو كان محدوداً، كما شهدت منطقة النفيضة في 26 أكتوبر 1950 إضراب العمال والذي استمرّ إلى غاية ديسمبر من نفس السنة وتصدّت له القوّات الفرنسية ووقعت مصادمات دامية بين قوّات الأمن والعمال المضربين أدّت إلى استشهاد ستة عمال وإصابة العديد منهم³، الأمر الذي اتخذته فرنسا ذريعةً لقطع المفاوضات وبعثت فرنسا يوم 15 ديسمبر 1951 مذكرةً ردّاً على المذكرة التونسية⁴ قطعت بها جسور التفاوض بين الطرفين وجاء فيها رفضٌ كاملٌ للمطالب التونسية وفرض السيادة المزدوجة على تونس⁵. ذكّرت السلطات الاستعمارية الحكومة التونسية بأنّ ما قام به الفرنسيون في ترقية البلاد اقتصادياً ومساهمتهم في موارد الميزانية لا يسمح بإقصائهم من تسيير المؤسسات السياسية، وجاء ردّ بورقيبة سريعاً على مذكرة سلطات الحماية حين صرّح في 16 ديسمبر قائلاً: «لقد طُويت صفحة من صفحات التاريخ التونسي، وأنّ جواب السيد شومان يفتح عهداً من القمع والمقاومة مع ما يتبع ذلك من دموعٍ وأحزانٍ وأحقاد».

بعد خيبة الأمل التي أصابت قادة الحركة الوطنية التونسية إثر رد وزارة الخارجية الفرنسية قرّر الديوان السياسي للحزب الدستور والاتحاد العام التونسي للشغل وكذا الاتحاد العام للتجارة والصناعة والاتحاد العام للفلاحة، الدخول في إضراب عام في كامل البلاد ابتداءً من 21 ديسمبر إلى 23 ديسمبر 1950 حتى تستجيب الحكومة الفرنسية لمطالبهم⁶. كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلت كلاً من المنجي سليم والحبيب بورقيبة والمهدي شاكر في 18 جانفي 1952 واستمرت الاعتقالات في صفوف الحركة الوطنية ووضع المقيم العام البلاد التونسية تحت الحكم العرقي، حينها أدرك الوطنيون على كافة مشاربهم وانتماءاتهم الحزبية أنّ أسلوب الصدام مع القوّات الفرنسية عن طريق التظاهرات الشعبية لا يمكن أن يؤدّي إلى إرغام إدارة الحماية للاستجابة لمطالب التونسيين.

1 نصيرة شوح. لمياء بورقيوة، المفاوضات التونسية الفرنسية واستقلال تونس، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 2، 2012، ص 226.

2 حلت جريدة الإرادة تبريراً لموقف الدستور القديم من المشاركة في حكومة شنيق ومن المفاوضات جاء فيه: "أما نحن فقد رفضنا العرض فكرر الإلحاح وتكرر من جانبنا الرفض، لأننا كنا على يقين تام بأن لا تغيير ذا أهمية ينتظر وبأن الهدف الذي إستهدفته الأمة في ميثاقها القومي من قبل ورأينا أن الوزارة المقبلة ليس لها برنامج عمل كما أن الحدود الموضوعة لها لا تفسح مجالاً للعمل وهي تضيق على أن نسمع شيئاً له أهمية من آمال الأمة". أنظر: الإرادة، 15 أوت 1950.

3 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 387.

4 المذكرة التونسية التي قدمها محمد شنيق إلى وزير الشؤون الخارجية روبر شومان يوم 31 أكتوبر 1951 ووافق عليها الحزب الدستور الجديد والباي، وطالب فيها بإصلاحات عميقة للبلاد.

5 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 392.

6 أحمد غريسي، الحركة الوطنية في الجزائر وتونس 1945-1956 -دراسة تاريخية مقارنة-، المرجع السابق، ص 121.

لجأ الوطنيون إلى أسلوب حرب العصابات فقطعوا أسلاك الهاتف في الدخلة والكاف والقيروان وصفافس وقابس وقفصة كما حطّموا السّيك الحديدي والطرق، ونصبوا الكمائن للحرس والجيش، فكانت تلك العمليات إيذاناً باندلاع الثورة الشعبيّة المسلّحة في تونس سنة 1952، والتي كان ردّ السّلطات الاستعمارية عليها عنيفاً فقد دّمرت وأبيدت مناطق عديدة في البلاد¹.

في ظل تلك الأجواء بدأت مهمة المقيم العام الجديد جون دو هوتكلوك-Jean De hautecloque الذي وصل إلى تونس في 13 جانفي 1952، وكان عازماً على وضع حدّ للاضطرابات ولتصاعد النّشاط الوطني في تونس ولتحقيق ذلك الهدف عُرض على وزير الخارجية إبعاد قياديّ الحركة الوطنية، فوافقت وزارة الخارجية على اقتراحه وسلّم المقيم العام يوم 15 جانفي 1952 رسالةً شديدة اللّهجة للباي تطالبه فيها الوزارة بدعوة وزرائه للعودة من باريس، وسحب الشّكوى المقدّمة للأمم المتحدة²، وعزل حكومة شنيق ونشر نداء يدعو فيه التونسيين إلى وقف كلّ أشكال العنف والشّغب³.

يوم 18 جانفي 1952 تمّ إلقاء القبض على رئيس الدّستوري الجديد الحبيب بورقيبة ومدير الحزب المنجي سليم ووُضعا تحت الإقامة الجبرية بطبرقة، وفي نفس اليوم اعتُقل القياديان في الحزب الشّيعي محمد النافع وموريس نزار وعددٌ من النقابيين وأبعدوا كلّهم إلى الجنوب التونسي، واستمرّ قمع سلطات الحماية، ففي 25 مارس 1952 استُقبل الأمين باي المقيم العام بقصر حمام الأنف أين دعا الأخير وبلهجة حادة إقالة حكومة محمد شنيق وتعيين حكومة جديدة، وأمهل الباي أجلاً إلى منتصف النّهار وفي نفس الليلة أُلقي القبض على محمد شنيق والمطاري ومحمد بن سالم ومحمد الصالح مزالي ونقلوا بطائرة إلى قبلي بنفزاوة في الجريد، بينما تمّ تحويل بورقيبة من طبرقة إلى رمادة⁴. على إثر تلك الممارسات القمعية قام الباي بإرسال برقية إلى الرئيس الفرنسي في محاولة لإبداء سخطة، لكن لم يكن لبرقيته أيّ تأثير على الواقع بل بالعكس فلقد تلقّى رسالة من الرئيس الفرنسي ردّاً على برقيته ينصحه فيها بتشكيل حكومة جديدة غايتها الاتحاد والتهدئة، الأمر الذي أذى بالباي للرّضوخ لمطالب المقيم العام بإخلاء حكومة شنيق وتعيين حكومة صلاح الدين البكوش أواخر شهر مارس 1952⁵ وهو أحد الإقطاعيين المعروف بميله إلى السّلطات الفرنسية، وألّف بكوش وزارته الجديدة التي تشكّلت من كبار الملاك الزراعيين، هذه الحكومة الجديدة لقيت معارضةً شديدة من قبل التونسيين لأنّها في نظرهم لن تخدم سوى مصالح سلطة الحماية في تونس، وعمّت الإضرابات والمظاهرات والاحتجاجات أغلب التراب التونسي⁶.

بعد فشل السّياسة الدّموية التي سلكها المقيم العام هوتكلوك حاولت الحكومة الفرنسية تهدئة الخواطر ولجأت إلى تعيين مقيم عام جديد في تونس في 03 سبتمبر 1953 هو بيار فوازار - Pierre Voisard، ليسلك سياسة أقلّ عنفاً وأكثر تفتحاً وقام في 4 مارس 1954 بإصلاحات لم تختلف في محتواها عمّا قدمه سابقوه واقتصرت على إسناد بعض الحقائق الوزارية إلى التونسيين، وتكوين

1 الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 101.

2 أعدت الحكومة التونسية بعد وقف المفاوضات مع فرنسا مذكرة شكوى ضدها أمضاها الوزير الأكبر محمد شنيق يوم 14 جانفي 1952 وجميع الوزراء التونسيين ولم يعض عليها الأمين باي، ثم سافر صالح بن يوسف ومحمد بدرة إلى باريس لتقديم الشكوى التونسية للأمين العام للأمم المتحدة أين اجتمعت جلستها العامة في تلك السنة بباريس، وقد تولى وفد العراق ووفد باكستان الدفاع عن ترسيم القضية في جدول أعمال مجلس الأمن، للإطلاع على نص الشكوى أنظر: علي البلهوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداي، ص 161 .

3 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 312.

4 شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص ص 260-261.

5 Le Monde, N°2231, Mardi 01/04/1952.

6 عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000، المرجع السابق، ص 360.

لجنة مشتركة يرأسها المقيم العام لفضّ النزاعات، وإبقاء الحقائق الوزارية الأخرى والرئيسية بيد الفرنسيين كالمالية والاقتصاد والتعليم، وقامت بإطلاق سراح بعض السياسيين كالمنجي سليم والصّادق المقدم ومبروك عبد الصّمد وسليمان آغا وحماي السّوسي¹.

من خلال قناعته بعدم تمتّع وزارة البكوش برضا الشعب التونسي قام بيار فواز بإعفائها من مهامها وكلف محمد الصّالح مزالي بتشكيل حكومة جديدة في 02 مارس 1954، ضمت الوزارة الجديدة أعضاءً تونسيين وخمسة أعضاء فرنسيين كما أصدر المقيم العام أمراً بإطلاق سراح السّجناء السياسيين وإلغاء الرقابة على الصّحف².

كان أول عمل قامت به حكومة الصّالح مزالي إصدار إصلاحات جديدة³ رفضها التونسيون واعتبروا أنّ الأحداث قد تجاوزتها، ذلك أنّ المقاومة ما زالت مستمرة بل زادت في البلاد ولم تستطع سياسة القمع تحقيق أهدافها⁴. في يوم 07 ماي 1954 تعرّض الجيش الفرنسي لهزيمة مذهلة على يد قوات هوشي منه في معركة ديان بيان فو بالهند الصينية، وفي البلاد التونسية كانت سلطة الحماية عاجزة أمام ضربات الثّوار، كما تزايد وبشكل خطير عمل منظمة اليد الحمراء⁵، فأخذت فرنسا تبحث عن مخرج مشرف لها وبدأت بتعيين حكومة جديدة في 17 جوان 1954 بقيادة منداس فرانس - Mendas France الذي أكّد عزمه على حلّ القضية التونسية وتمكين التونسيين من الحصول على سيادتهم الداخلية.

شرع منداس في تكثيف اتصالاته وإجراء مشاوراتٍ حثيثة مباشرة وغير مباشرة مع زعماء الحركة الوطنية وفي مقدّمهم الزّعيم الحبيب بورقيبة وبالتّشاور والاستئناس بشخصيات وطنية تونسية مثل المنجي سليم، ومحمد المصمودي، وفرنسية مثل آلان سافاري، كانت نتيجة أن انتقل بيار منداس فرانس إلى تونس ليتحول مباشرة من مطار العوينة إلى القصر الملكي مرفوقاً بالجنرال جوان، ويعلن في صباح يوم 31 جويلية 1954 أمام محمد الأمين باشا باي الاستقلال الدّائمي لتونس بعد أكثر من سبعين سنة كانت فيها تحت نيران وجبروت الاحتلال البغيض⁶.

تم تشكيل حكومة تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار في تونس يوم 02 أوت 1954 وشارك الحزب الدّستوري التونسي الجديد بعضوين في هذه الوزارة، وانطلقت المفاوضات بين الطرفين في 04 سبتمبر 1954 بتونس ثم انتقل المفاوضات إلى باريس في 13 من نفس

1 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، مرجع سابق، ص 535.

2 ضمت الوزارة الجديدة أعضاء تونسيين وخمسة أعضاء فرنسيين كما أصدر المقيم العام أمراً بإطلاق سراح السّجناء.

3 شملت تلك الإصلاحات إلغاء المجلس الكبير واستبداله بمجلسين أحدهما خاص بالتونسيين والآخر خاص بالفرنسيين، وتحررت الحكومة التونسية نوعاً ما من السيطرة الفرنسية المباشرة، ولو أن سلطتها بقيت محدودة لأن المقيم العام الفرنسي ضلّ يحتفظ بالاشراف على شؤون الجيش والبحرية والأمن والإذاعة.

4 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 641.

5 منظمة اليد الحمراء: استعملت الحكومة الفرنسية "اليد الحمراء" التي تأسست خصيصاً لتصفية المناضلين والمناهضين للاستعمار الفرنسي في دول المغرب العربي، وهي منظمة عسكرية فرنسية غامضة تعمل مباشرة تحت سلطات المخابرات الفرنسية، نفذت عدداً كبيراً من الهجمات في أوروبا ودول شمال إفريقيا في الخمسينيات من القرن الماضي، فكان بداية نشاطها باغتيال الزعيم السياسي والقبائلي التونسي الذي أسس الاتحاد العام التونسي للشغل المناضل فرحات حشاد، الذي قتل في شوارع تونس برصاصة في الرأس في 5 من ديسمبر 1952، كما اغتالت اليد الحمراء القيادي البارز في الحزب الدّستوري الجديد التونسي الهادي شاكر في 13 من سبتمبر 1953، والقيادي في الحركة الوطنية التونسية عبد الرحمن مامي الذي اغتالته المنظمة في 13 من جويلية 1954، وبحسب أنطوان ميلرو في مذكراته التي حملت عنوان "اليد الحمراء: الجيش السري للجمهورية"، وهو أحد عناصر منظمة اليد الحمراء، ارتكبت المنظمة الفرنسية السرية نحو 40 هجوماً في تونس وحدها، مستهدفة أبرز نشطاء وقادة الحركة الوطنية التونسية، ولم تعترف لحد اللحظة الحكومة الفرنسية بمسؤوليتها عن عمليات المنظمة، رغم كشف الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا هولاند سنة 2013، وثائق من الأرشيف الفرنسي عن مسؤولية المخابرات الفرنسية عن مقتل المناضل التونسي فرحات حشاد. أنظر: علي البلهوان، تونس الثائرة، ص 387.

6 عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 538.

الشهر واستمرت إلى غاية 03 جوان 1955¹، وقبل التوقيع على الاتفاق طلبت الحكومة الفرنسية من حزب الدستور الجديد أن يوجّه تعليماته إلى الثوار بتسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية فوافق الحزب على ذلك² واستطاع إقناع الثوار بتسليم أسلحتهم والعودة إلى الحياة المدنية³.

كان لاعتراف فرنسا بالاستقلال الداخلي لتونس تأثيرات مختلفة حيث ابتهج الشعب التونسي بذلك الإعلان واعتبروه نصراً سياسياً عظيماً، بينما نزل الخبر كالصاعقة على المعمرين الفرنسيين لأنه يهدّد مصالحهم، بينما صرّح بورقيبة لوكالة الأنباء الفرنسية AFP قائلاً: «إن إعلان منداس فرانس يعتبر خطوة هامة على طريق السيادة التونسية التامة، وإن الأمل هو الاستقلال التام والوصول إليه لن يكون بالكفاح بين الشعبين التونسي والفرنسي، بل بالتفاوض وتقريب وجهات النظر بين الحكومتين في إطار الثقة المتبادلة والصداقة الجديدة»⁴.

كان تصريح بورقيبة هذا عبارة عن ردّ على تصريح صالح بن يوسف الذي أعلن من كراتشي العاصمة الباكستانية أنّ هدف التونسيين هو الحصول على استقلال تونس التام، هذا الأخير الذي اعتبر الاتفاق خطوة إلى الوراء وبأنّه خيانة للكتلة الأفرو آسيوية التي دعمت قضية شمال إفريقيا في مؤتمرها بباندونغ⁵، بينما كان الحزب الدستوري القديم رافضاً للمفاوضات حول الاستقلال الداخلي منذ بدايتها باعتبار أنه أمر واقع وموجود منذ معاهدة باردو فلا داعي للانتظار 73 سنة لتمنحه إلينا فرنسا⁶.

خلال الفترة التي كانت تشهد فيها تونس وضعاً يشبه الحرب الأهلية⁷ واصل الوطنيون التونسيون بزعامه الحبيب بورقيبة نشاطهم لتعديل اتفاقية 03 جوان 1955 بمهدف الوصول إلى الاستقلال التام، وتوجّه الحبيب بورقيبة في فيفري 1956 إلى باريس لمقابلة غي مولي رئيس مجلس الوزراء، وحصل خلال تلك المقابلة على الاعتراف باستقلال تونس من حيث المبدأ، ثم أُجريت مفاوضات سريعة أفضت إلى إمضاء بروتوكول الاستقلال في يوم 20 مارس 1956 الذي وضع حدّاً للحماية الفرنسية بالبلاد التونسية⁸.

1 في 01 جوان عاد الحبيب بورقيبة إلى تونس قادماً إليها من مرسيليا على ظهر سفينة مدينة الجزائر، واستقبل إستقبال الأبطال من طرف الشعب التونسي الذي وصفه بالمجاهد الأكبر، وفي 03 جوان تم توقيع اتفاقية الاستقلال الداخلي لتونس.

2 شكل الحزب لجنة الاتصال بالثوار في كامل أنحاء البلاد لإقناعهم بتسليم أسلحتهم وكان من بين أعضائها: الباجي قائد السبسي، مصطفى الفيلالي، الطيب السحباي وغيرهم، وفعلاً جمعت الأسلحة المسلمة في الإقامة العامة بتونس وتم عرضها أمام وسائل الاعلام.

3 الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، المرجع السابق، ص 114.

4 عبد الكريم عزيز، فضال شعب أبي تونس 1881-1956، المرجع السابق، ص 539.

5 براكني عبد الباقي، الصراع بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف وتداعياته على الوضع السياسي التونسي 1934-1956، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، المجلد 4، العدد 2، جوان 2019، ص 84.

6 محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري القديم 1934-1956، المرجع السابق، ص 328.

7 إشتد الصراع بين بن يوسف والحبيب بورقيبة بعد توقيع اتفاق الاستقلال الداخلي حيث عقد بورقيبة يوم 17 أكتوبر 1955 اجتماعاً للديوان السياسي للحزب قرر فيه تجريد صالح بن يوسف من منصب الأمانة العامة ومن عضوية الحزب، الأمر الذي رفضه بن يوسف وأنصاره داخل الحزب وأعلن عدم شرعية الديوان السياسي، ووصل الأمر إلى حد الاقتتال بين أنصار الطرفين وأقام كل طرف بمحاولة إغتيال الطرف الآخر وتحول الصراع من سياسي إلى عسكري لينجح في الأخير الحبيب بورقيبة في السيطرة على النفوذ السياسي في تونس وضرب الحركة اليوسيفية. أنظر: عمار السوي، عواصف الاستقلال" رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته من تاجر إلى الشرايطي"، مطبعة الباسمينية، تونس، 1996.

8 أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، المصدر السابق، ص 657.

الخاتمة

الخاتمة:

رغم أن الحرب العالمية الثانية كانت أوروبية في أسبابها إلا أن مجرياتها ونتائجها وانعكاساتها كانت عالمية، وكغيرها من مناطق العالم تأثرت منطقة شمال إفريقيا بهذه الحرب وأثرت فيها، حيث شكّلت مجريات أحداث الحرب العالمية الثانية وتطوّراتها خاصّة هزيمة فرنسا أمام الألمان ونزول جيوش الحلفاء بشمال إفريقيا عوامل شجّعت على مضاعفة النشاط الوطني وتعبئة الجماهير بالمنطقة في محاولة لاستغلال ظروف الحرب لتحقيق الاستقلال، وذلك رغم سياسة القمع والاضطهاد التي طبّقتها الإدارة الاستعمارية في شمال إفريقيا في مختلف مجالات الحياة خاصّة السياسية حين زجّت بأغلب قادة ومناضلي الأحزاب السياسية في السّجن وقامت بحل الأحزاب وصادرت الصحف، وبالرّغم من الإذلال الذي تعرّضت له فرنسا منتصف سنة 1940 عندما تحطّمت جيوشها أمام الألمان وتوقيعها للهدنة إلا أن سياستها في منطقة شمال إفريقيا لم تتغيّر، حيث زاد القمع واشتدّت حدّة القوانين الاستثنائية بسبب ظروف الحرب، وبقي الوضع على ما هو عليه مع وصول حكومة فيشي إلى السّلطة، حيث تبنّت شعار الحفاظ على ممتلكات الامبراطورية الفرنسية في كلّ مكان وبكلّ الوسائل، وهو ما يقودنا إلى حقيقة مفادها أن مجريات الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا كانت لها انعكاسات سلبية على سكان المنطقة في عدة جوانب، وانعكاسات إيجابية في جوانب أخرى لعل أهمها جعل شعوب المنطقة وخاصة التيارات السياسية الوطنية تشعر بشكل أكبر بمشكلة الاستعمار وضرورة الإستعداد لإنهاء تلك المشكلة.

بعد عرض فصول هذه الدراسة المتواضعة الموسومة بـ (الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 الجزائر، المغرب، تونس - نموذجاً) توصلت إلى النتائج التالية:

- في الجزائر اعتمدت الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية العمل السياسي كخيارٍ استراتيجي لتحقيق آمال وطموحات الشعب الجزائري، قبل أن تعرف البلاد فراغاً سياسياً عشية اندلاع الحرب كان نتيجةً لسياسة القمع التي مارستها سلطة الاحتلال ضدّ قادة ومناضلي الحركة الوطنية خاصّةً مناضلي حزب الشعب، وهو ما شجّع بعضاً من أعضاء الحزب على مضاعفة النشاط السري لتعبئة الجماهير واستغلال ظروف الحرب للاتصال بالألمان وتشكيل اللجنة الجزائرية الثورية لشمال إفريقيا (carna) التي حاولت خلق نشاطٍ عسكريٍّ رغم رفض وتحذيرات مصالي الحاج في سجنه.
- كان للحرب العالمية الثانية التأثير المباشر على الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي، فقد ساهم التواصل الذي جمع بين الجزائريين والمجندين من مختلف المستعمرات الفرنسية في تبادل أفكار سيكون لها دور كبير في بلورة روح جديدة للنضال الوطني، خاصة بعد التواصل الذي مكن الجزائريين من معرفة ما يحدث في العالم.
- بعد انهزام فرنسا أمام الألمان سنة 1940 علّق الجزائريون آمالهم على الحلفاء سنة 1942 خاصّةً بعد ظهور فكرة الميثاق الأطلسي 1941، وظهر تيار التّواب خلال تلك الفترة بقيادة فرحات عباس الذي برز كزعيمٍ وطني، وسعى بشكلٍ واضحٍ للدّفاع على حقوق الجزائريين، وإقناع نظام فيشي للقيام بإصلاحات تخفف من أعبائهم لكنّ ذلك لم يتحقق، فحاول عبّاس الاتجاه نحو الحلفاء بعد نجاح عملية الإنزال الشّعلة نوفمبر 1942 دون المرور بالفرنسيين، وجاء البيان الجزائري فيفري 1943 الذي لقي تأييداً من أغلب أطراف الحركة الوطنية، لكنّه لقي معارضةً شديدةً من طرف لجنة فرنسا الحرة بقيادة ديغول وتجلّى ذلك بوضوح في سير أعمال ونتائج مؤتمر برازافيل حين أكّد ديغول أنّ أيّ إصلاحات يجب أن تكون مبنيةً على قرارات الدولة الفرنسية، أمّا الحلفاء فقد اعتبروا المسألة شأن فرنسي داخلي.

- أصيبت الحركة الوطنية في الجزائر بخيبة أملٍ كبرى عندما تراجعت فرنسا عن وعودها بل اختارت الرجوع إلى سياسة ما قبل الحرب بتقديم إصلاحات وهمية لا ترقى إلى أدنى مطالب الجزائريين وذلك عندما قام ديغول بإحياء مشروع تم رفضه سنة 1936 بأمرية خاصة في شهر مارس 1944، فكان من الحركة الوطنية أن لجأت إلى توحيد مطالبها وتأسيس حركة أحباب البيان والحرية، وساهمت ردة فعل حكومة فرنسا الحرة والحلفاء في تغيير أفكار فرحات عباس الذي أخذ يميل إلى الفكر الراديكالي بدل الاعتدال.
- لم يدم اتحاد الحركة الوطنية تحت راية حركة أحباب البيان والحرية طويلاً إذ قامت الإدارة الفرنسية بتدبير مؤامرة 8 ماي 1945 التي انتهت بمجازر مروعة ضدّ الشعب الجزائري وبحلّ حركة أحباب البيان وزجّت بقيادته في السجون والمعتقلات.
- بعد الإفراج عن القادة السياسيين في مارس 1946 أعادوا تجديد نشاطهم، فظهرت أحزاب جزائرية تحت أسماء جديدة للسماح لها بممارسة نشاطها في ظلّ القانون وسلكت طرقاً جديدة لبلوغ أهدافها، فشاركت في الانتخابات التي أقرتها السلطات الفرنسية لكن دون جدوى بعد عملية التزوير التي طالت تلك الانتخابات، الأمر الذي جعل حزب الشعب-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية- يؤسّس المنظمة الخاصة، لكنّ الخلافات الحادة داخل قيادة الحزب في ربيع 1953 وأسباب أخرى مهّدت لظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل ثم جبهة التحرير الوطني التي أخذت على عاتقها تفجير ثورة نوفمبر 1954.
- في المغرب وبداية من سنة 1940 ظهرت الملكية من جديد على الساحة السياسية لتصبح الفاعل الأساسي في حقل الصّراع من أجل الاستقلال وذلك بسبب المكانة الرمزية التي حظي بها السلطان ونضاله السياسي الفعلي ضدّ سلطات الحماية.
- أظهرت الحرب العالمية الثانية سيادة المغرب من خلال شخصية الملك محمد الخامس الذي برز كمناضل سياسي على المستويين المحلي والدولي، وأصبح المخاطب والمتكلّم باسم المغرب والمدافع عن حقها في الاستقلال والحرية، مستنداً إلى وعود روزفلت خلال لقاء أنفا 1943 وتحلّى ذلك ضمناً في خطابه في بيان الاستقلال جانفي 1944، وكان واضحاً وصريحاً في خطابه السلطاني الذي ألقاه في 10 أبريل 1947، كما قام الملك بمبادرات عديدة في هذا السياق نذكر منها:
 - ✓ في سنة 1940 وعلى عهد حكومة فيشي رفض محمد بن يوسف تطبيق القوانين الاستثنائية على اليهود المغاربة.
 - ✓ في نوفمبر 1942 رفض الملك قرار الجنرال نويس القاضي بتغيير العاصمة الإدارية الرباط خلال عملية الإنزال الأنجلو أمريكية على شواطئ المغرب.
 - ✓ في جوان 1943 أظهر الملك محمد الخامس إرادته في الاستقلال عن الحماية عند لقائه بالرئيس الأمريكي روزفلت في أنفا دون المرور بالإقامة العامة.
 - ✓ رفض الملك محمد الخامس إمضاء الظهائر التي تقرّ بالسيادة المزدوجة أو الإصلاحات التي قدمتها حكومة الحماية مثل إصلاحات إريك لابون سنة 1946.
 - ✓ في 10 أبريل 1947 قام السلطان محمد الخامس بزيارته الشهيرة لمدينة طنجة كتأكيد على وحدة المملكة وشمولية سيادته السياسية على التراب المغربي.
- نزول الحلفاء في المغرب كان دافعاً إلى زيادة الوعي الوطني للشعب المغربي وإيمانه بضرورة الانتقال من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال التام.
- شهدت فترة الحرب العالمية الثانية زيادة الوعي الوطني بالمغرب وتبلوره والإيمان بضرورة الاستقلال التام ووحدة الموقف بين الملك والحركة الوطنية.

- نتيجة لتأثيرات الحرب العالمية الثانية وإنزال الحلفاء وإعلان ميثاق الأطلسي وحق الشعوب في تقرير مصيرها وتشجيع الملك محمد الخامس تم تأسيس حزب الاستقلال المغربي سليل الحزب الوطني في 11-1-1944 بقيادة أحمد بلال فرج، وتكفل حزب الاستقلال بقيادة الكفاح الوطني في المغرب بتحقيق الاستقلال التام عبر وثيقة الاستقلال التي تقدم بها إلى ملك المغرب وممثلي الإقامة العامة الفرنسية ودول الحلفاء، والتي أكدت إفلاس نظام الحماية بالمغرب وفشله في تحقيق طموحات الشعب المغربي، لذلك طالبت الوثيقة بحق المغاربة في تقرير مصيرهم والحصول على الاستقلال التام مع التشديد على وحدة المغرب والحفاظ على مؤسسة المخزن كما هي باعتبارها من ثوابت الأمة المغربية، مما جعل الوثيقة محل تأييد من طرف الملك وفتة كبيرة من الشعب المغربي.
- أدت عودة محمد حسن الوزاني من المنفى سنة 1946 إلى بعث نشاطه السياسي وتأسيس حزب الشورى والاستقلال في 29 جويلية 1946 متخذاً من "ميثاق الاستقلال القومي" برنامجاً له، وأصدر الحزب مذكرة 23 سبتمبر 1947 تضمنت حلاً لإنهاء الأزمة السياسية الحادة التي كان يعيشها المغرب بسبب تصلب الإدارة الفرنسية في موقفها أمام طموحات الشعب المغربي في الحرية والسيادة، وكذا تصوراً لنظام الحكم في المغرب بعد إنهاء الحماية حيث ارتكزت على ثنائية "التخلص من الحماية وترسيم الديمقراطية" أو "الاستقلال والدستور" في آن واحد، وذلك بإدخال إصلاحات على نظام المخزن وعصرنة مؤسساته الموروثة من فترة ما قبل الحماية والتخفيف من سلطتها المطلقة بتأسيس نظام ملكي دستوري على الطريقة الإنجليزية، وهو ما اعتبر مطلباً غير منسجم مع السياسية آنذاك وتجاوزاً ضد الحكم الملكي وصلاحياته المقدسة في المغرب.
- في تونس شكّلت أحداث 9 أفريل 1938 محطة بارزة في تاريخ الحركة الوطنية حيث استغلت سلطة الحماية تلك الأحداث لإعلان حالة الطوارئ وحلّ الحزب الحر الدستوري الجديد وأطلقت حملة اعتقالات واسعة في صفوف مناضليه.
- تُعتبر سنة 1940 حاسمة، إذ بالرغم من هزيمة فرنسا عسكرياً أمام ألمانيا إلا أنها أمنت في قمع الحريات وتعقب الوطنيين واعتقالهم وإصدار أحكام في حقهم في 14 فيفري 1940 وصلت إلى 20 سنة أشغالاً شاقة.
- عينت حكومة فيشي في 25 جويلية 1940 ولأول مرة رجلاً عسكرياً كمقيم عام للبلاد التونسية وهو الأميرال (إستيفا - Estiva) الذي عُرف بوقوفه الحازم ضد مطالب الوطنيين التونسيين.
- عملت إيطاليا على استغلال هزيمة فرنسا عبر آلية (اللجنة الإيطالية للهدنة مع فرنسا - C.I.A.F) حين جرّدت القوة العسكرية الفرنسية من قدرتها الدفاعية والهجومية في تونس من خلال تحديد عدد الجنود والمعدات وصلاحيات الجيش ككل.
- لم يمثل الدستور القديم خلال الفترة (1940-1942) عمقاً شعبياً كبيراً وذلك يرجع إلى موقفه من المحور حيث رأى أنّ هزيمة ألمانيا قضية وقت فقط ومن الخطأ الوقوف إلى صفّها، وقد خلق له هذا الرأي هوة مع الرأي العام التونسي السائد آنذاك والذي كان يميل إلى نصرة ألمانيا في حربها ضد فرنسا وبريطانيا.
- بعد اعتلائه عرش تونس في 19 جوان 1942 حاول المنصف باي استرجاع هيبة وسلطة العائلة الحسينية التي فقدت ثقة التونسيين لانصهارها شبه التام في بوتقة الحماية، وركّز اهتمامه لتسجيد سيادة الشعب التونسي طبقاً لمعاهدة باردو 1881، حيث بعث أول حكومة وطنية تونسية وقدم مجموعة من المطالب اقتربت في كثير من النقاط إلى مطالب الأحزاب السياسية الوطنية التونسية ما أكسبه حب التونسيين وثقتهم، وبالرغم من حرص المنصف باي التزام الحياد تجاه الأطراف المتحاربة إلا أنّ إدارة الحماية أصدرت

في يوم 7 ماي 1943 بعد دخول جيوش الحلفاء إلى تونس بعد انتصارهم على جيوش المحور قرار خلع الباي المنصف بتاريخ 14 ماي 1943 بتهمة التعاون مع المحور وتم نفيه إلى مدينة الأغواط بالجزائر.

- لعب الحبيب بورقيبة دوراً محورياً في قيادة البلاد التونسية إلى الاستقلال، فهو الذي دخل العمل السياسي عام 1933 من بوابة الحزب الدستوري التونسي الذي كان يقوده عبد العزيز الثعالبي، لكنه سرعان ما تركه وأسّس مع آخرين الحزب الحر الدستوري الجديد في 2 مارس 1934، استطاع بورقيبة قراءة مستقبل الحرب ورفض رفضاً قاطعاً التعاون مع المحور وأمر مناضلي الدستور الجديد من سجنه بمساندة الحلفاء دون شروط، اعتُقل مرات عديدة من طرف سلطات الاستعمار الفرنسي بسبب نضاله من أجل التحرر، فهرب إلى مصر وعاد إلى تونس في 7 أبريل 1943، ومن أجل التعريف بقضية تونس سافر في 16 مارس 1945 إلى بلدان عديدة كمصر والهند وإندونيسيا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا، وقدم سنة 1950 مشروع إصلاحات للحكومة الفرنسية. أعلن بورقيبة في 2 جانفي 1952 عدم ثقة التونسيين في فرنسا واندلعت بعد ذلك الثورة المسلحة في 18 جانفي 1952، وهو ما ردت عليه فرنسا باعتقاله مع عددٍ من رفاقه في الحزب، وبعد حوالي ثلاث سنوات قبلت الجلوس معه على طاولة المفاوضات، عاد إلى تونس في 1 جوان 1955 ولقي استقبلاً شعبياً كبيراً، وقّع مع فرنسا في 3 جويلية 1954 معاهدة تمنح تونس استقلالها الداخلي وإعلان الدولة التونسية، عارض رفيقه صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد المعاهدة ووصفها بأنها رجوع إلى الوراء، مما تسبب في انشقاق الحزب إلى فريقين ودخولهما في صراعٍ شرسٍ، استطاع بورقيبة إقناع أغلبية التونسيين بالمعاهدة التي تلاها توقيع وثيقة الاستقلال التام في 20 مارس 1956، وبعد ثلاثة أشهر ألغى الملكية بخلع الملك محمد الأمين باي وإعلان تونس دولة جمهورية في 25 جويلية 1957، واختير أول رئيس لها.

- في الثامن من نوفمبر في عام 1942 قبل عام ونصف العام من غزو الحلفاء لنورماندي، غزا ما يقرب من 110 آلاف جندي أميركي وبريطاني شمال إفريقيا اثر عملية إنزال برمائية أطلق عليها "عملية الشعلة" التي وُصفت آنذاك بالمغامرة الكبرى على المستويين السياسي والعسكري، مغامرةٌ جاءت تحت وطأة الضغوط من أجل فتح جبهة ثانية لتخفيف الضغط الهائل على الجبهة السوفياتية.

- **عملية الشعلة** هي أول عملية هجومية تشنها أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية، وحتى تنفيذ عملية أوفرلورد الخاصة بإنزال نورماندي كانت الشعلة أكبر عملية برمائية في التاريخ.

- بعد عملية الإنزال في نوفمبر 1942 أُعيد استدعاء شباب المستعمرات في شمال إفريقيا لتشكيل الجيش الفرنسي للمشاركة في معارك التحرير حيث رأت فرنسا الحرة من الأهمية بما كان مشاركة الجيش الفرنسي قوّات التحالف في عمليات القتال وذلك بهدف استعادة مكانة فرنسا بعد هزيمة 1940، فتّمت إعادة تشكيل وحدات الجيش المكوّنة من خمس فرق مشاة وثلاث فرق مدرّعة، وتشير الإحصائيات الفرنسية إلى أنّ من بين 800 ألف جندي تم تجنيدهم في الجيش الفرنسي بين 1939 و 1945 نجد ثلثي هذا العدد هم من مسلمي شمال إفريقيا، هؤلاء الشّباب استفادوا بشكلٍ أو بآخر من الخطاب الفرنسي حول الحرية والعدالة كما اكتسبوا الخبرة العسكرية عند اندلاع ثورة التحرير في الجزائر، شكّل عددٌ كبيرٌ منهم كوادرجيش التحرير الوطني.

- بعد نهاية الحرب استمرّ الاحتلال في شمال إفريقيا بل زادت حدته وضراوته، والأكثر من ذلك أنكرت سلطة الاحتلال كل مجهود بذلته شعوب المنطقة لصالح الحلفاء عامةً وفرنسا خاصّةً، حدث ذلك أمام مرأى ومسمع دول الحلفاء الذين أوكّلوا أمر شعوب شمال إفريقيا إلى فرنسا واعتبروا أنّ مطالبهم بالحرية والاستقلال هي شأنٌ داخلي فرنسي، هذا الموقف ولّد خيبة أمل لدى شعوب

المنطقة واعتبره قادة الحركة الوطنية حيادًا واضحًا من قبل ما سُمّي بالعالم الحر على مبادئ الأطلسي 1941 التي يبدو أنها كانت تخص شعوبًا معينة فقط دون غيرها.

بالرغم من أنّ مطلب الاستقلال لم يتحقق خلال فترة الحرب العالمية الثانية في الجزائر المغرب وتونس، ورغم القمع الذي تعرّضت له قيادة الحركة الوطنية أثناء مجريات الحرب وبعدها إلا أنّ فكرة الاستقلال قد تجدّرت أكثر في أوساط الجماهير، التي باتت تشعر بشكل أكبر بحقيقة الاستعمار، وبرزت ثلة من الشّباب المثقف والمتحمّس للعمل المسلّح كان لها تأثيرٌ على مجريات الأحداث بعد نهاية الحرب، لذلك لا يمكن أن ننكر بأنّ الحرب العالمية الثانية كان لها دورٌ هام في زيادة الوعي السياسي داخل الأقطار الثلاث، فهي بدون شك قد ساعدت بشكلٍ فعال في تغليب المطلب الاستقلالي، وساعدت كذلك في تفعيل الاتجاه الراديكالي ضدّ الاستعمار وضرورة التأهب لمواجهة.

التوصيات:

من خلال البحث في الاشكالية العامة لدراستنا المتواضعة الموسومة بـ (الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 الجزائر، المغرب، تونس - نموذجًا) نقترح بعض التوصيات منها:

- الملاحظ خلال هذه الدراسة المتواضعة قلة البحوث الاقتصادية والاجتماعية خلال هذه الفترة من تاريخ شمال إفريقيا وهو ما يمكن أن يشكل قاعدة بحث مهمة لدى المهتمين بدراسة تاريخ المنطقة.
- لاحظنا خلال إعدادنا للأطروحة أنّ الباحثين الجزائريين في مختلف الأطوار التعليمية (ليسانس-ماستر-ماجستير-دكتوراه) يقومون بعملية تكرار ما تم كتابته من قبل، وأمام صعوبة إيجاد عناوين لمواضيع تاريخية أصيلة سواء خلال الحقبة العثمانية أو خلال الحقبة الاستعمارية، لا بد من توجيه الأنظار نحو الفترة الممتدة ما بين 1962 وإلى يومنا هذا، التي تعدّ ميدانًا خصبًا للباحثين شريطة أن تتوفر لديهم جملة من المؤهلات.
- وجب على المؤرّخ أيضًا إلمامه بالعلوم المساعدة كعلم الاقتصاد بما في ذلك علم الاقتصاد السياسي، الذي يتناول الحقائق الاقتصادية من توزيع الثروات ومستوى المعيشة، ونوعية وسائل الإنتاج وأسلوب العمل وكيفية الإستهلاك وغيرها، والعلوم السياسية التي تهتم بمعالجة العوامل المختلفة التي تشكّل الظاهرة السياسية مثل: السياسة المقارنة، العلاقات الدولية، والنظرية السياسية، السياسة العامة، والفلسفة التي تمكّن المؤرخ من تفهّم سير الأحداث من خلال التصرّو الفلسفي أو التطوّر الفكري والحضاري، وعلم النفس الذي يعرّفنا على جوانب وقضايا النفس البشرية من خلال العوامل النفسية والدوافع الذاتية التي تحكم وتوجّه سلوك الأفراد والجماعات، وعلم الاجتماع الذي يدرس الإنسان من خلال التعرّف على القوانين التي تتناول أفعال الناس وعلاقاتهم ببعضهم، وما يتصل بذلك من مظاهر التغيير الاجتماعي.
- في انتظار توفر الوثائق الأرشيفية على المؤرخ الجزائري أن يحدو حدو الفلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسة سواء في الجزائر أو خارجها، هؤلاء الذين يقدّمون باستمرار وبشكلٍ منتظم دراسات وأبحاث قيّمة ومفيدة عن الطبقات الاجتماعية، والاحتجاجات، والانتخابات، والأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني، والنظام السياسي، والسلطة، والمعارضة... الخ، استنادًا إلى ما يخلفه الفاعلون السياسيون من مذكرات أو سير ذاتية، وما تكتبه الصحافة ورقياً، وما تنشره الكترونياً، فضلاً عن المعلومات والأرقام والبيانات والإحصائيات التي توفرها المواقع الرسمية وغير الرسمية عبر شبكة الانترنت.

- من جانب آخر على المؤرخ أيضاً أن يستعين ويوظف نتائج الدراسات والأبحاث الفلسفية والاجتماعية والسياسية عن الجزائر، في إعادة ما أصبح يتداول اليوم بـ"تدوير التاريخ" ولكن وفق منظوره وتصوّره هو، ومثال ذلك ما وجدناه عند بنيامين سطورا في كتابه "تاريخ الجزائر منذ الاستقلال - L'histoire de l'Algérie depuis l'indépendance" إذ تنوعت قائمة البيبلوغرافيا ما بين أبحاث ودراسات عن نشأة السينما الجزائرية، وعن الطبقة العاملة، وعن السُّلطة، وعن الجماعات المحلية، وعن الاشتراكية، وعن التسيير الذاتي، وعن الثقافة، وعن الإسلام والفكر المعاصر بالجزائر، وعن التصنيع، وعن الهجرة الجزائرية، وعن تطوّر الجامعة الجزائرية وتكوين النخبة، وعن السياسة الخارجية للجزائر، وعن المرأة الجزائرية... الخ.
- والنتيجة التي أودّ الوصول إليها من خلال ما ذكرت أنّه من غير المعقول أن يشتغل الفلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسة بحقل التاريخ ويوظفون أحداثه ويدمجونها في أبحاثهم ودراساتهم المتعلقة بقضايا الجزائر في الزمن الرّاهن، وفق ما تقتضيه مناهجهم طبعاً، بينما يعزف المؤرخ عنها بحجج واهية، إذ يرى البعض أنّ دور المؤرخ هو الانتظار والترقب حتى تجتمع كلّ الشّروط في الكتابة، مع العلم أنّ الحادثة اليومية تصبح من الماضي في اللحظة التي يكتمل فيها المشهد، وعليه يتعيّن على المؤرخ السّعي في هذا الاتجاه وإبداء الرأي فيه لإثبات جدارته وأحقيته في اقتحام هذا المجال الخصب، الذي لا يمكنه أن ينضب في سبيل تراكم معرفي سيكون سنّداً للأجيال القادمة، في انتظار افتتاح الأرشيف مستقبلاً.
- تحمل دور الأرشيف الأمريكية والبريطانية والألمانية وحتى الروسية الكثير من الحقائق التاريخية حول دراستنا المتواضعة لذلك من المهم جداً الاطلاع عليها لمن أراد التوسع في هذا الموضوع.
- ضرورة الإهتمام بدور الأرشيف وتطويرها مع ما يتلاءم والتكنولوجيا الحديثة لتقوم بدورها في إفادة الباحثين في مجال التاريخ.
- تستحقّ عملية الشُّعلة نوفمبر 1942 مساحةً أعمق في ذاكرتنا، فهي لا تقل أهميةً على إنزال النورماندي لكنّ درجة الاهتمام تختلف بشكلٍ واضحٍ، إذ حظي إنزال النورماندي باهتمامٍ سياسي وعسكري وتاريخي كبير عكس ما كان عليه الحال بالنسبة لعملية الإنزال الشُّعلة في شمال إفريقيا، الأمر الذي يحتمّ على الباحثين والمؤرخين تسليط الضّوء والاهتمام أكثر بتلك المحطة المهمّة في تاريخ المنطقة، ذلك ليس بسبب حقيقة أنّها كانت نقطة تحوّل محورية في الحرب فحسب، بل لأنها حدّدت السياسة الأمريكية في المنطقة منذ ذلك الحين.

ملاحق الوثائق الأرشيفية

الملحق رقم: (1) وثيقة صادرة عن المحكمة العسكرية بالجزائر تحمل إتهامات في حق مناضلين من حزب الشعب على رأسهم مصالي الحاج سنة 1941.¹

12 MARS 1941

**Tribunal militaire
Permanent d'Alger**

ACTE D'ACCUSATION

Dressé par nous, Bois, Conseiller de justice militaire, commissaire du gouvernement près le tribunal militaire permanent d'Alger.

Dans l'affaire des nommés :

A. -

MESSALI Hadji, fils de Ahmed Ould Hadji, et de Sari Ali, Fatma. Né le 16 mai 1898 à Tlemcen, arrondissement dudit département d'Oran. Commerçant, célibataire, deux enfants. Demeurant à Alger, 15 rue François Villon.

KHALIFA ben Amar, fils de feu Amar ben Bokhari et de Cherifa bent Hadj Mekki. Né en 1914 à Guémar (El Oued), arrondissement de Batna, département de Constantine. Sans profession, célibataire, demeurant à Guémar, annexe d'El Oued. Territoire militaire de Touggourt.

BOURMACHE Mokrane, fils de Ahmed ben Tahar et de Hammaoui Menana. Né en 1912 au douar Beni Ourtilane, commune mixte de Guergour, arrondissement de Bougie, département de Constantine ; Chef cuisinier, célibataire.

FERHAT Mohamed, fils de Mohamed ben Saïd et de Ouared Melha. Né le 15 novembre 1905, au douar Iraten, commune mixte de Fort-national, arrondissement de Tizi-Ouzou, département d'Alger, maçon et menuisier, marié, 2 enfants ; demeurant à Tizi Rached, douar Iraten, commune mixte de Fort-National (Alger).

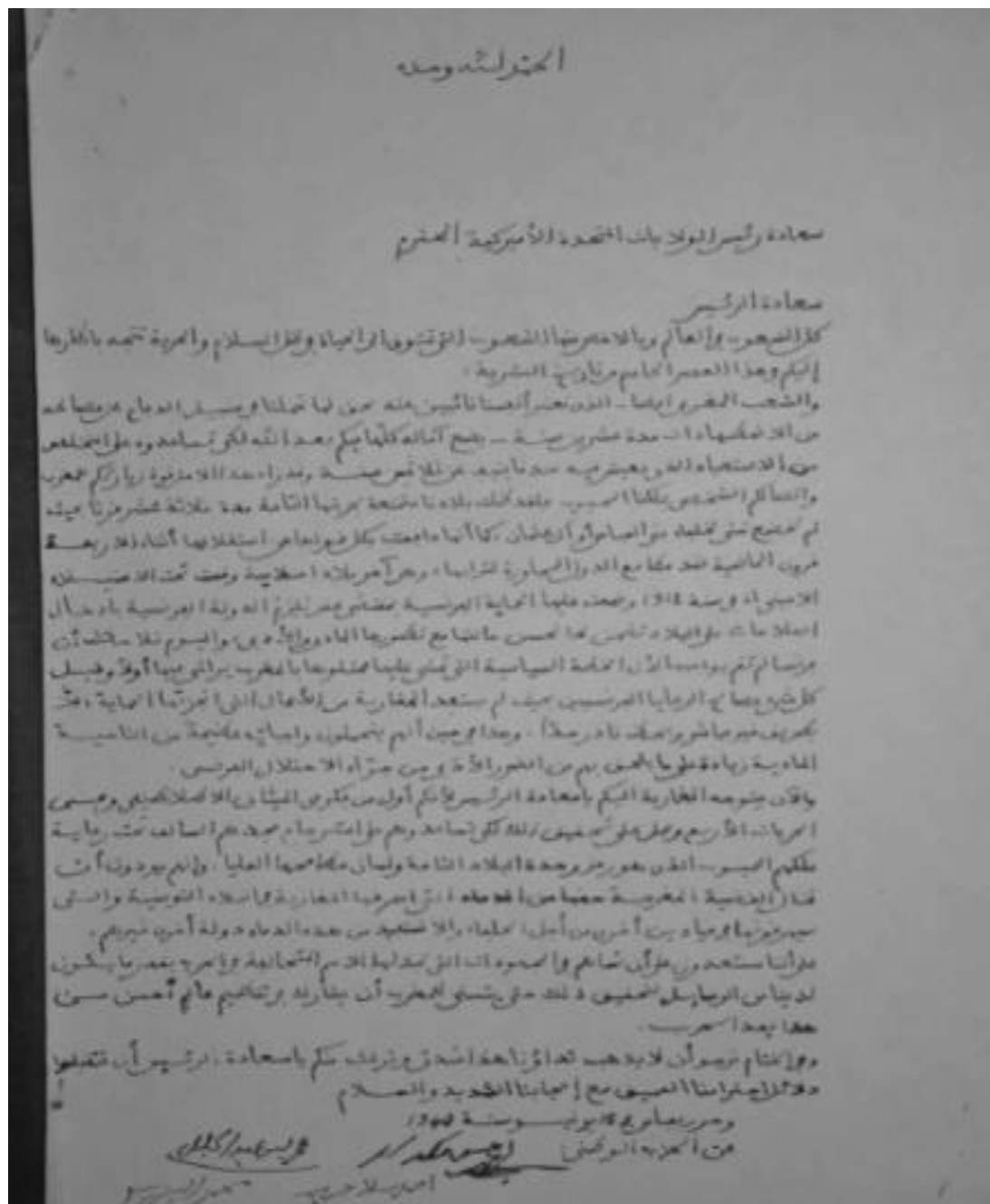
BAGHRICHE Hachemi, fils de Amar Baghriche et de Cherifa Filali. Né le 29 janvier 1922 à Constantine, arrondissement et département de Constantine. Comptable, célibataire, demeurant à Constantine 46 rue Charbonneau.

Inculpés de :

- 1) Atteinte à la sûreté extérieure de l'état.
- 2) Atteinte à l'intégrité du territoire national.
- 3) Reconstitution de ligue dissoute.
- 4) Manifestations contre la souveraineté française.

¹ <https://recherche-anom.culture.gouv.fr/ark:/61561/zf476jhija>

الملحق رقم (2): رسالة من القوميين المغاربة (مكوار، بلفريج، اليزيدي، بن عبد الجليل) إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية
15 جوان 1943.¹



الملحق رقم: (3) وثيقة سرية موقعة من طرف ايزنهاور قائد اركان قوات الحلفاء المشتركة (ديسمبر 1942) تتضمن برنامج مستعجل لتطوير مطارات شمال إفريقيا بهدف استغلالها في عمليات الحلفاء الجوية.¹

93

SECRET

INCOMING MESSAGE
HEADQUARTERS EUCUSA.

Reference No. 3873.
Dated: Dec 31st 1942.
Received: Jan 1st 0300Z.

PRIORITY.

From: Algiers.
To: AGWAP Washington.

[ALSO NAF 76]
repeated on J.S.M. 649

REF. No. 3873 31st December, 1942.

"EDITED LITERAL TEXT".

Interior Addresses: For: Combined Chiefs of Staff.
From: Spaatz.
Signed: Eisenhower. - 90
- 2456 (NAF 44)

References: Your 388 dated December 23rd. (No record)

Time Table and short term program for North Africa Airfield Development follows:

I. EASTERN SECTION. (East of North South Line through Blicat, which is divided into five areas:

1. Algiers Area. Two fields, namely Maison Blanche, all weather field ready February 1st; Blida, all weather field ready February 1st.
2. Sétif Area. One field to be used only for R.A.F. installations, not in need of construction.
3. Heavy Bomber Area. Five dry weather fields in vicinity of Telerghma, all ready by January 5th, Biskra, now in operation but evacuation planned to Telerghma by March 15th account seasonal sand storms.
4. Medium Bomber area. Four fields namely Carrobert, Ain Seids, Oul Mens one and Oul Mens two, will be all weather fields by March 1st.

/5. Fighter and

¹ Policy in the middle east and Mediterranean (poste torch) FROM: 20th September, 1942. TO: lotn April, 1943.
<https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

-2-

5. Fighter and Light Bomber Area. Two fields now located, namely, one now in operation, Daxxarville all weather steel plank ready February 1st, Jarrapas and Oasine all weather Sommerfeld Truck ready February 1st., Souk Alwa all weather now; Sout El Khoria all weather now; Souk El Krba all weather now; Youks Le Bain dry weather now, all weather March 1st; Tabesca in operational now, all weather March 1st; Thalepts dry weather now, all weather March 1st; Five additional fields will be located in Area Kasekine Feriana Cafra Naxmasy Shaitla, all weather Sommerfeld Truck March 1st.

II. CENTRAL SECTOR. (Oran and vicinity), divided into two areas:

1. Heavy Bomber Area. Five all weather fields, namely La Souda and Tarragou ready February 1st; Lournal number 1, Bouvion and Belliane ready March 1st. Six dry weather dispersal fields, namely four in vicinity of Muscare ready January 15th and Lournal number 2 and Lournal number 3 in operation now.

2. Fighter and Light Bomber Area. In vicinity of Oujda which is now ready for dry weather operation, it is planned to develop five additional fields for light bombers and two for fighters, namely Ceex and Parregaux. These fields will not be constructed until it becomes evident that heavy bomber force must be transferred to vicinity of Oran for operation to the North against Spain.

III. WESTERN SECTOR, which is divided into two areas:

1. Atlantic Coast. Two dry weather fields suitable all types, namely Casablanca and Marrakech now ready. Three all weather fields suitable all types namely Medouna, Rabat Sale CIP and Port Lysseny ready January 15th.

2. Moroccan Border. Three dry weather fields suitable for fighters, namely Melme, Fax and Taxa ready now; two dry weather fields, namely Bas El Ka ready January 15th, and Chercif ready February 1st; surveys being made for four additional fields suitable for fighter and light bomber operations.

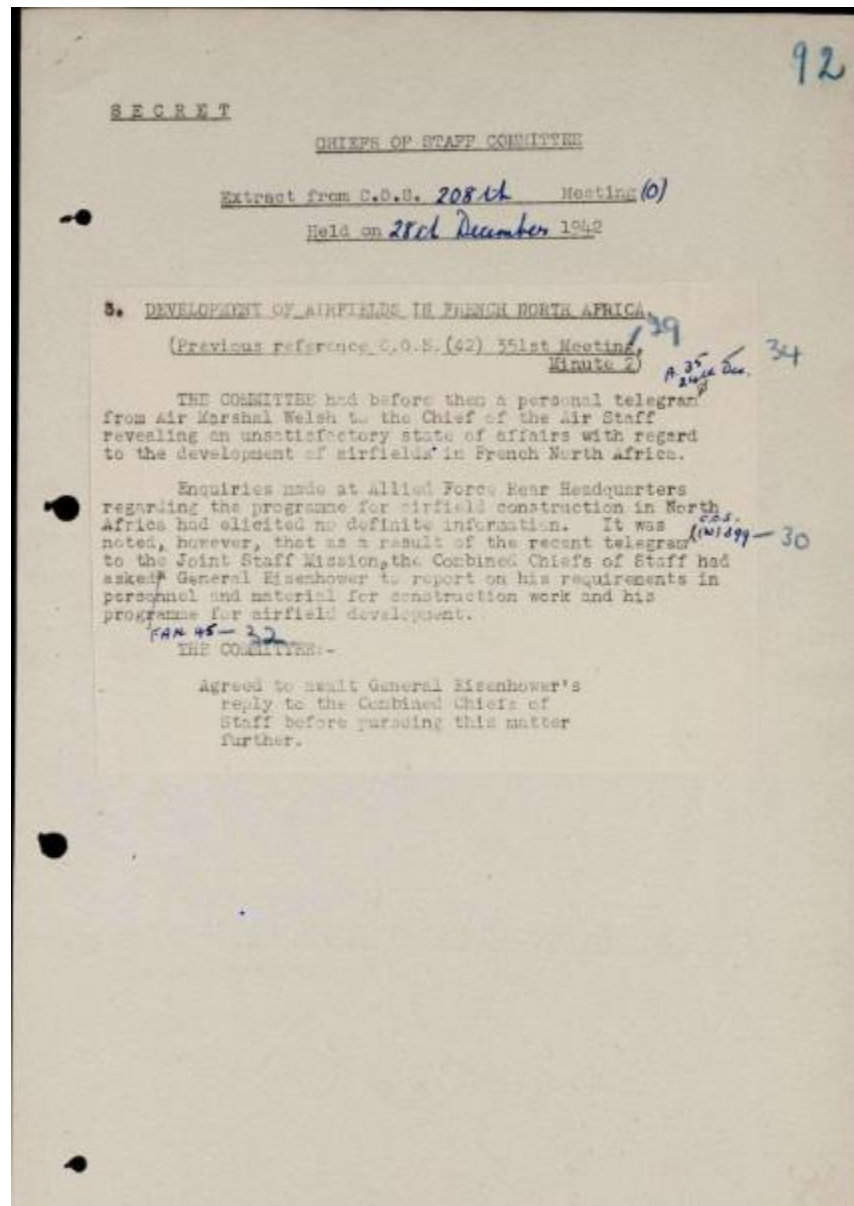
/ IV. LONG TERM.

-3-

IV. LONG TERM PROGRAMME, prepared and being reviewed. Will go forward within 10 days. A check is being made of arrivals of personnel and materials as well as of the possible development of local supplies. Information will be furnished as to assistance required from you as soon as the check is completed.

(Relayed to AGWAR By Signal Centre. LAM)

Circulation.
Brig. JACOB.
Foreign Secretary.
First Sea Lord.
C.S. Telegrams, War Office.
A.C.S(C).



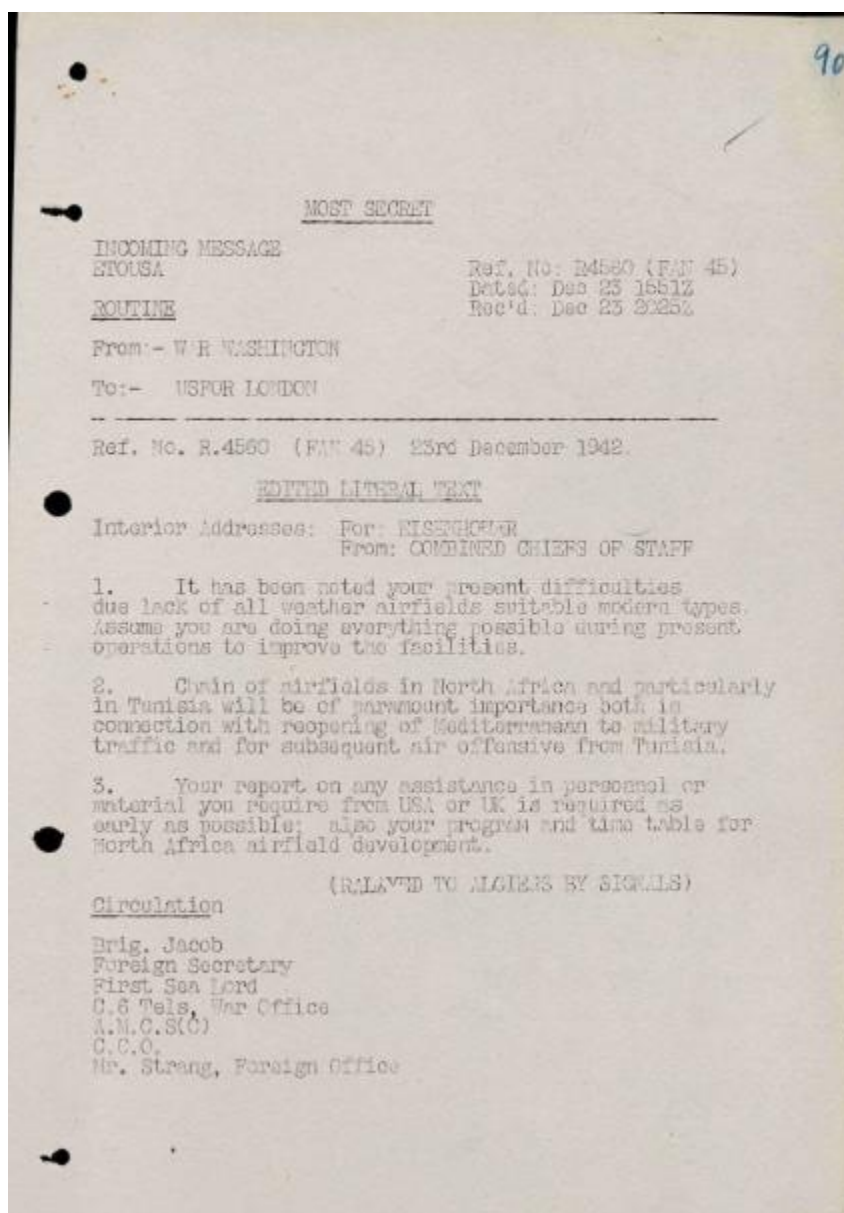
91

*Ref. 407 p. 208-209 in
number 3.*
 A.T. MOST SECRET.
 CYPER TELEGRAM. MS.5846
 Recd. AACD C322A nrs 25 Dec. 1942.
 Recirc. AACD C349A nrs 25 Dec. 1942.
 (AUTHY P.A. TO C.A.S.)
 To:- AIR MINISTRY WHITEHALL
 From:- E.A.C. ALGERIA.
IMMEDIATE. MOST SECRET.
 A.35 24 Dec.
 PRIVATE AND PERSONAL FOR C.A.S. FROM WELSH.

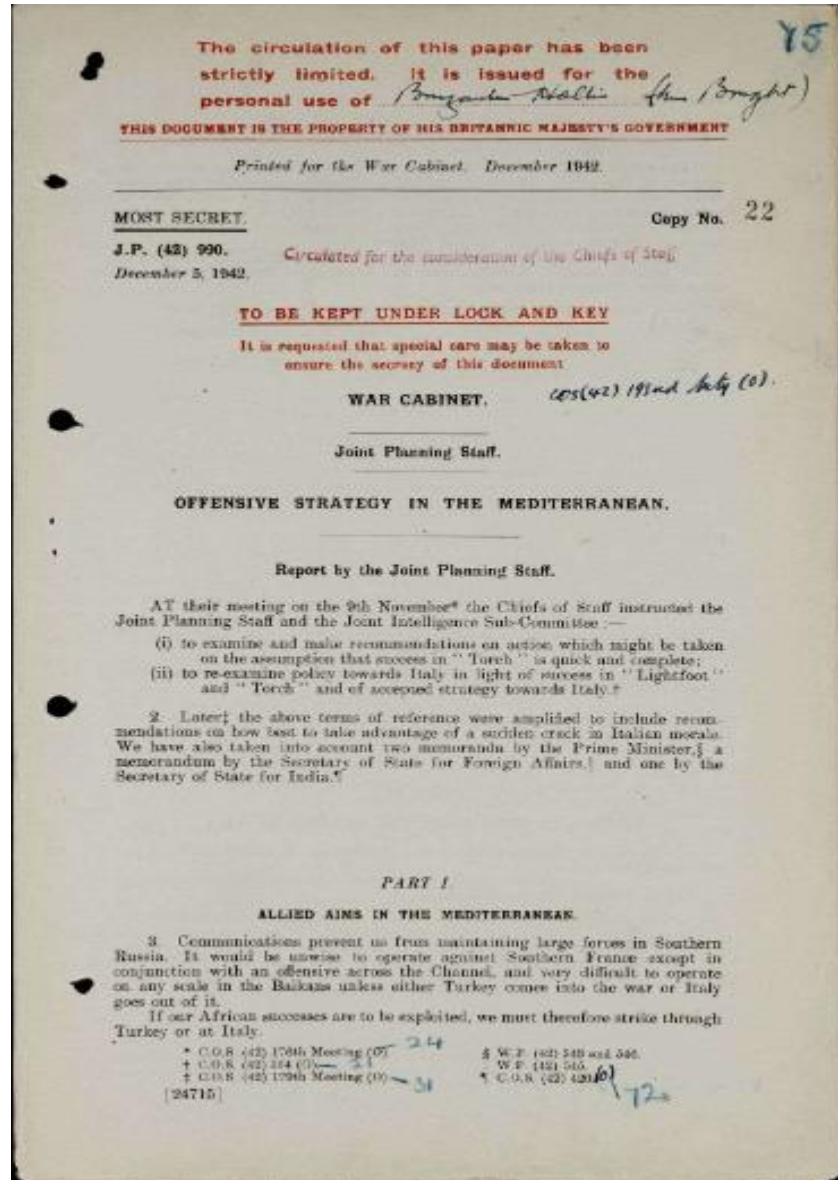
YOUR AX.341 21 DEC. TO HANDLE THIS NUMBER OF AIRCRAFT
 ZONE 50 AIRFIELD WILL BE NECESSARY. FROM SURVEY OF COUNTRY
 TO DATE I HAVE NO DOUBT SUFFICIENT SITES CAN BE FOUND.
 DURING THE 8 TO 9 MONTHS HOT WEATHER THESE CAN BE USED WITH
 MINIMUM CONSTRUCTION AND WITHOUT PREPARED RUNWAYS. DURING THE
 HOT SEASON DECEMBER TO FEBRUARY NO AIRFIELD IS USABLE WITHOUT
 RUNWAYS. THIS WILL INVOLVE SUPPLY OF MUCH MATERIAL, UP TO
 PRESENT WE HAVE CONCENTRATED ON PREPARING AND IMPROVING FIELDS
 ESSENTIAL FOR PROVISION OF COVER FOR HARBORS AND SHIPPING
 AND FOR SUPPORT OF ARMY IN PRESENT BATTLE. THIS WORK IS NOT
 YET COMPLETE. LIMITING FACTORS ARE MATERIAL AND TRANSPORTATION
 ESPECIALLY THE LATTER. HAVING REGARD TO THE ARMY'S DIFFICULT
 POSITION I HAVE HAD A FAIR SHARE OF AVAILABLE TRANSPORT BUT IT
 HAS NOT BEEN ENOUGH TO MEET EXISTING REQUIREMENTS.

PART TWO. IT WOULD BE QUITE BEYOND THE CAPACITY OF THE
 ALREADY INADEQUATE TRANSPORTATION SYSTEM TO BUILD UP AND
 MAINTAIN AN AIR FORCE OF THE SIZE CONTEMPLATED AND AT THE
 SAME TIME SUPPORT A LARGE ARMY. MUCH RAIL AND ROAD
 DEVELOPMENT WOULD FIRST BE NECESSARY UNLESS THE SIZE OF THE
 LAND FORCES IS TO BE DRASTICALLY REDUCED. AS REGARDS PLANS
 FOR THE FUTURE I MUST ADMIT THEREFORE THAT I AM UNREADY.
 CONVOYS AND MAINTENANCE OF THE R.A.F. PRESENT NO PARTICULAR
 DIFFICULTIES BUT I HAVE FAILED TO DISCOVER ANY BALANCED PLAN
 FOR THE FUTURE EMPLOYMENT OF THE LAND AND AIR FORCES AS A WHOLE
 BASED ON STRATEGICAL REQUIREMENTS AND ADMINISTRATIVE
 POSSIBILITIES AND POTENTIALITIES. IT IS THIS WHICH IS
 CAUSING ME CONCERN. TO THE BEST OF MY BELIEF NO APPRECIATION
 HAS BEEN PRODUCED BY THE AMERICANS AND NEITHER ROSE NOR I
 HAVE ANY KNOWLEDGE OF WHAT THEIR INTENTIONS ARE. I HAVE
 STRESSED AND WILL CONTINUE TO STRESS WITH THE AMERICANS THE
 URGENT NECESSITY FOR A DETAILED APPRECIATION AND AGREED PLAN
 OF FUTURE OPERATIONS. I WOULD INDEED BE GLAD IF YOU WOULD
 REPRESENT THIS TO THE U.S. CHIEFS OF STAFF. IN THE MEANTIME
 THE TWO AIR FORCES ARE WORKING MODERATELY WELL TOGETHER BUT
 THERE IS MUCH ADMINISTRATIVE OVERLAPPING BETWEEN THEM AND THE
 THE LOSS AND CONSEQUENT WASTE OF EXPERT. UNTIL AND UNLESS WE
 HAVE A CLEAR CUT PLAN OF THE JOINT AND INDIVIDUAL ROLES OF THE
 TWO FORCES AFTER THE EVICTION OF THE AXIS NO REAL PROGRESS IS
 POSSIBLE. THERE IS LITTLE TIME AND THE URGENCY IS PRESSING.
 Y. OF O. 2145/4/41.

COPIES TO:- C.A.S. (2 copies), V.C.A.S.
 : A.C.A.S.(P)(ACTION) 2 copies, D.G.O.



الملحق رقم: (4) وثيقة بريطانية تحتوي تقرير حول سياسة الحلفاء تجاه إيطاليا بعد نجاح عملية الشُّعلة:¹



1 <https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

Policy towards Turkey.

4. Turkey's main aim is to keep out of the war until the last moment and build up her strength so that she can successfully oppose any Russian expansionist ambitions after the war.

The Prime Minister has recorded his opinion that Turkey may be won next summer if the proper measures are taken. The Foreign Office and Joint Intelligence Sub-Committee, however, both consider that there is no hope of inducing Turkey to abandon her neutrality in time for her to be of much direct assistance in the defeat of Germany. She may eventually come into the war, but not until Germany is on the verge of collapse.

Further Allied successes, such as the capture of Crete and the Dodecanese, would be more likely to exert a favourable influence on the Turks than any other action which we could take.

5. In the circumstances our best policy towards Turkey would be:—

- (a) to make a display of force in the Eastern Mediterranean as soon as we can;
- (b) to initiate fresh staff talks with the Turkish General Staff and supply Turkey with materials and equipment.

The extent of this supply must suffice at least to ensure the benevolent neutrality of Turkey so that she limits strictly her export of chrome to Germany.

Beyond this, further supply should depend on the progress of the staff talks and the development of Anglo-Turkish and Russo-Turkish relations. We should make it quite clear that we are not prepared to pay a high price in troops or materials for an article of which delivery is uncertain.

Policy towards Italy.

6. As regards Italy, there are two possible objects:—

- (a) to bring about German occupation of Italy, thus directly increasing Germany's commitments—but retaining Italy as an antagonist; or
- (b) to induce Italy to lay down her arms everywhere.

We make this distinction deliberately because our approach, particularly in the field of propaganda, will vary with the policy accepted.

7. From both the military and political points of view there is every advantage in aiming at course (b).

PART II.**METHODS TO BRING ABOUT THE COLLAPSE OF ITALY.**

8. The courses of action which would contribute most effectively to the collapse of Italy are:—

(a) A Political Warfare Campaign.

The general lines have already been clearly indicated by the Prime Minister in W.P. (42) 546 and in his broadcast of the 26th November—no appeal and no promises to the Italian people, but warning of what is in store and the concentration of blame for Italian sufferings upon Mussolini and the Fascist régime. This agrees with the Foreign Secretary's view in W.P. (42) 545.

(b) The Bombing of Italy.

We may induce greater panic by a dispersal of effort over many towns than by concentration on a few. Whichever policy is adopted, bombing should initially at least be confined to towns which are ostensibly of military importance.

(c) Raids on the Italian Coast and Coastal Shipping.

Small commando raids on the Italian coast and harassing attacks by sea and air against the Italian coast and coastal shipping would produce military results out of proportion to the effort involved.

(d) The Capture of Sardinia and Sicily.

The capture of either might be the culminating blow leading to Italy's collapse. If we lose time at the beginning of 1943—a year of great possibilities—we shall not attract German forces in time to produce the greatest effect on operations on the Russian front in the spring, and we may miss valuable chances of further offensives before the winter sets in.

(e) Diversions in the Eastern Mediterranean.

When we are in occupation of the whole North African coast we shall be well placed for developing threats and deception plans in any quarter, for example, simultaneously with operations in the Central Mediterranean, we could build up a large deception plan against Crete and the Dodecanese.

(f) Increased Subversive Activities in the Balkans and Corsica.

We must give increased assistance to the insurgents in Yugoslavia and stimulate sabotage in Greece, since in both countries the garrisons are largely Italian. By subversive activity in Corsica we shall add to the burdens of the Italians, and may well make its occupation by us an easy matter at a later date.

(g) Action in the Balkans.

We should exploit to the full the existing internal and international dissensions in Bulgaria, Rumania and Hungary with a view to inducing them to recall their forces from Russia and occupied territories.

9. If these measures result in a request for an armistice, we would welcome the proposal, provided that:—

- (a) Italy lays down her arms everywhere,
- and
- (b) that we obtain the necessary facilities in Sardinia, Sicily and possibly the heel of Italy, for further offensive thrusts.

Forces Available in the Mediterranean Theatre.

10. After consolidation of our position in North Africa and after provision has been made for passing cargo shipping through the Mediterranean, the Allies will have sufficient resources so that theatre to carry out the above course of action with the exception of (d). Vigorous offensive action will tend to release forces from security duties.

Our Resources a Governing Factor on our Major Strategy.

11. If we employ forces in excess of those which will be available within the Mediterranean area, the result will be to retard the build-up of forces in the United Kingdom for an eventual return to the Continent. This caveat applies with equal force to the availability of shipping and landing-craft. The benefits which we shall derive from undertaking fresh offensives in the Mediterranean must therefore be weighed carefully against the cost.

[24710]

a 2

PART III

ACTION TO TAKE ADVANTAGE OF A COMPLETE ITALIAN COLLAPSE.

Importance of the Balkans.

12. In the event of an Italian collapse, our further action in the Mediterranean will be influenced by Germany's concentration and distribution of her forces in the theatre as a whole, and the intrinsic value of the Balkans to Germany. Whatever action the Germans may take, our main effort should be against the Balkans because:—

- (a) We should obtain bases in Greece for air attack on Romanian oilfields and refineries, and for fanning the already growing embers of revolt in the Balkans.
- (b) We should:—
 - (i) cut Axis sea communications between the Mediterranean and the Black Sea and thereby prevent the Axis from passing into the Black Sea the shipping which they urgently want to exploit for Russian gains;
 - (ii) be able to interrupt, and possibly cut, the Danube supply route to Germany;
 - (iii) create an additional potential threat to the German line of communication to South Russia.
- (c) The sources of raw materials in the Balkans (particularly chrome and copper) are vitally important to the Axis. The loss of these, together with the cutting of Axis sea communications in the Aegean on which the Axis supply of chrome from Turkey largely depends, would deprive Germany of almost all her sources of this indispensable product.
- (d) It would go a long way to influence Turkey in our favour.

German Courses of Action.

13. Although Germany might with difficulty find the necessary air forces for their defence, she is not in a position to garrison both an Italy on the verge of collapse and the Balkans, without devastating results on the Russian front. To garrison both, she would need 20 to 30 additional divisions. To garrison the Balkans alone, she would need only 12 additional divisions.

14. The Joint Intelligence Sub-Committee consider* that in the last resort Germany would abandon Italy and concentrate on the Balkans and that to maintain her hold on the latter she would be prepared also to shorten her line in Russia.

While we agree with this view, the disadvantages to Germany are so obvious that we must also consider our own action in the event of Germany adopting the reverse policy of garrisoning Italy at the expense of the Balkans.

Courses of Action Open to United Nations.

15. In the following paragraphs we have assumed that Sardinia has already been captured.

Assumption A.—(That the Germans abandon Italy.)

16. In these circumstances we recommend the following line of action:—

- (a) *Sicily*.—We should immediately occupy Sicily to secure the Mediterranean sea route if this has not already been done.
- (b) *Italy*.—If peace with Italy becomes possible, we must be careful in drawing up the terms to avoid any obligation for the defence and full occupation of Italy. We do not recommend full occupation on military grounds since:—
 - (i) it would entail a considerable liability for internal security;

* J.I.C. (42) 462, Final.

- (ii) Italy is unsuitable as a base from which to invade Germany;
- (iii) we should encounter insuperable difficulties in conducting operations against the enemy established in a strong, natural defensive position in the Alps, to which his communications would be short and easy, as against our long lines of sea communications.

- (c) *Use of Italian Facilities*.—We shall, however, require to obtain from Italy facilities for furthering our campaign against Germany. It may be necessary to confine these to facilities in the heel of Italy for the development of air attack and thrusts against the Adriatic coast; seaboard and the west coast of Greece with the object of assisting a full-scale Balkan revolt.

- (d) *Development of offensive in Balkans*.—Thereafter the road will be open for Allied operations in support of guerrilla activities on the Balkan mainland, either from the Adriatic seaboard or from the Aegean.

Assumption B.—(That the Germans relax their grip on the Balkans.)

17. In these circumstances our action should be guided by the extent to which we could pass cargo shipping through the Mediterranean. If the Germans were strongly established in Sicily and in a position to interfere with the through sea route, then we should have to consider the further action which we might take against Italy and Sicily, with a view to circumventing this interference. If, on the other hand, the Germans had only sufficient forces for maintaining internal security in Sicily then, on the assumption that we could pass cargo shipping through the Mediterranean, we recommend the following line of action:—

- (a) *The Capture of Crete and the Dodecanese*. The Balkans will, in these circumstances, be the soft spot, and we must lose no time in seizing the outposts to them.
- (b) *Further action in the Balkans*. The capture of Crete and the Dodecanese would open the way for further action with the object of securing air bases in Greece and bringing about a full-scale rising in the Balkans. For this purpose we should send:—
 - (i) to build up in the Middle East a supply of arms, equipment and food for despatch to Greece, Yugoslavia and Albania, together with a nucleus of specialist personnel;
 - (ii) to prepare to send, as soon as opportunity offers, a British force with a large air component from the Middle East to Salonica.

Effect of a German Attempt to Garrison both Italy and the Balkans.

18. If Hitler insists on garrisoning both Italy and the Balkans with German troops and air forces, the results on the Russian front will be incalculable—at the least a tremendous relief to Russia, and at the best a great stride along the road to complete German collapse.

CONCLUSIONS.

19. The prizes open to the Allies in the Mediterranean in 1943 are very great. They include the severe reduction of German air power, the reopening of the short sea route, the denial to Germany of oil, chrome and other minerals, the elimination of one of the Axis partners and the opening up of the Balkans.*

* Satellite Axis divisions on Russian front:—

Italians 9
Romanians 18
Hungarians 5

Axis forces of occupation in the Balkans:—

Italians 30
Bulgarians 7.

21. If we decide to exploit the position which we have gained, our first object should be to induce the Italians to lay down their arms everywhere; our next thrust should be directed against the Balkans.

22. Unless Italy collapses far more quickly than we expect, this exploitation must, however, be at the expense of "Roundup" in 1943.

23. We are therefore faced with the alternatives of—

- (a) Concentrating resources in the United Kingdom for a "Roundup" which may, in any event, be impracticable in 1943; and this at the cost of abandoning the great prizes open to us in the Mediterranean and of remaining inactive for many months during which Germany would recuperate; or
- (b) Pursuing the offensive in the Mediterranean with the knowledge that we shall only be able to assault Northern France next year if there is a pronounced decline in German fighting power.

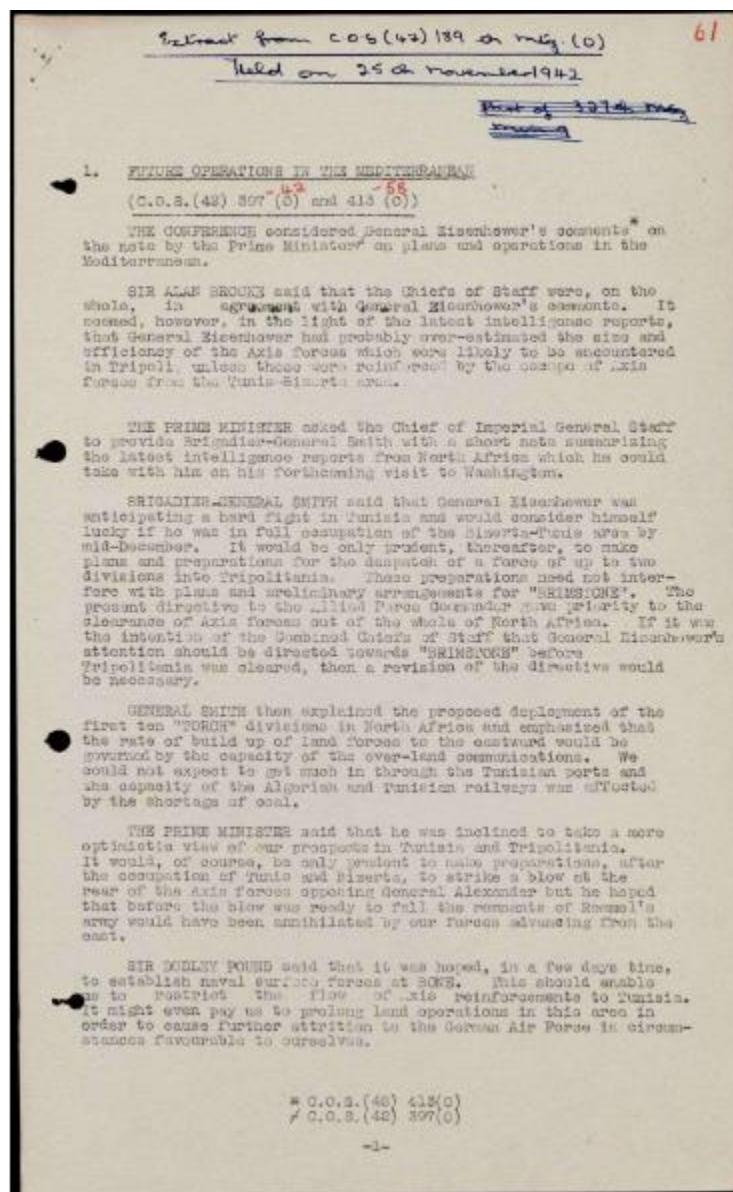
We cannot have it both ways. In our view (b) is the correct strategy and will give the Russians more certain, and possibly even greater, relief.

C. E. LAMBE.

G. M. STEWART.

R. E. VINTRAS.

*Cabinet War Room,
December 5, 1942.*



THE PRIME MINISTER, while admitting that the damage we could inflict on the German Air Force would be some consolation for any delay in capturing Tunis and Bizerte, said that it should be our object to eliminate the Axis forces from Tunisia and lay our hands on this strategic prize as soon as possible.

THE CONFERENCE then discussed the timetable for "BRINSWICK" and GENERAL SMITH said that even if all went well and the necessary shipping could be provided, the rate of build up of air forces in Tunisia would not permit of the launching of "BRINSWICK" until early March at the very best. A preliminary review of the shipping situation made it appear, however, that the operation could not be launched until towards the end of March.

THE PRIME MINISTER said that he was prepared to accept this forecast particularly in view of the consequent easement in naval escorts which would probably allow us to fit in three P.W. convoys starting with the first on the 22nd December. He agreed with the policy of building up strong air forces in Tunisia, particularly as these would be needed for opening the Mediterranean to our Middle East convoys. Once these air forces had been built up it was, however, for consideration whether we should not be better advised to attack Sicily rather than Sardinia.

GENERAL SMITH said that no appreciation had yet been made by Allied Force Headquarters of the forces required for the capture of Sicily, but General Eisenhower was keen on tackling Sardinia next and of mounting the operation from the United Kingdom in order that tactical surprise might be achieved.

SIR BRIDGES POUND said that it was by no means certain that we could afford to take on Sicily leaving the Sardinian airfields on the flank of our communications.

SIR ALAN BROOKE said that a preliminary study had shown that the assault forces required for Sicily were far in excess of those required for Sardinia. He was in favour, however, of having both projects worked out in detail and of making preparations on the largest scale which our resources would permit. A decision could be taken nearer the time as to which enterprise should be undertaken; the other could then be exploited for "cover" purposes.

LORD LOUIS MOUNTBATTEN said that if it was our intention ultimately to occupy both Sardinia and Sicily we should probably achieve this object earlier by tackling Sardinia first. Once we were in possession of the airfields in the Gadiari area the assault forces could be withdrawn and prepared for the Sicilian operation, since the rest of Sardinia could then be occupied by various operations. The capture of Sicily entailed simultaneous assault landings at the opposite ends of the island in order to get possession of the key airfields. It would, therefore, take much longer to assemble the necessary trained assault forces and landing craft, and the Axis would be given more time to reinforce both islands. It should, however, be possible to restrict the reinforcement of Sardinia by air attack to a limited extent.

THE PRIME MINISTER said that both operations should be fully worked out and that preparations should go ahead so as to leave us the option of doing either, depending on developments during the next month or six weeks.

IT WAS AGREED:-

- (a) That the Chief of Imperial General Staff would furnish Brigadier-General Smith with a note of the latest intelligence reports affecting North Africa.
- (b) The Chiefs of Staff should consider with Brigadier General Smith, acting on behalf of General Eisenhower, the procedure to be adopted for
 - the simultaneous planning and preparation for "BRIMSTONE" and "HUSKY".

الملحق رقم: (5) وثيقة سرية بريطانية في 27 أكتوبر 1942 بخصوص التحضير للقيام بعملية المشعل والاستعدادات لعملية جوية في جنوب إيطاليا ومالطا وتونس.¹

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HIS EXCELLENCY THE GOVERNMENT

The circulation of this paper has been strictly limited.
It is issued for the personal use of *Despatcher: Halls*

TO BE KEPT UNDER LOCK AND KEY
It is requested that special care may be taken to ensure the secrecy of this document

MOST SECRET. Copy No. *31*

41. 10. 42 16. 12. 42 1942

S.O.S.(48)881 (c).
27TH OCTOBER, 1942.

WAR CABINET
CHIEFS OF STAFF COMMITTEE
OPERATION TORCH - EXPLOITATION
Note by Secretary.

In view of their Meeting with General Plummer on Thursday morning 27th October, the Chiefs of Staff may wish at their meeting tomorrow 28th October to give further consideration to the Mediterranean Strategy Paper¹ on which there was some preliminary discussion with the Director of Plans and Middle East Joint Planning Staff last week.

2. In this connection it will be remembered that the Prime Minister on 25th September addressed a letter to the Chiefs of Staff on the exploitation of Torch within the Mediterranean. This was considered on 30th September when the attached interim reply² was sent.

3. With reference to paragraph 2(c) of this reply, an outline plan for "Brimstone" has now been completed by the Joint Planning Staff and is available, should the Chiefs of Staff wish to consider it.

(Signed) L.C. HALLIS.

Great George Street, S.W.1.
27TH OCTOBER, 1942.

17
+J.P.(48)881
+J.O.S.(48)198th. Moving(O).
+Annex I.
+Annex II.
+J.P.(48)881.2. in F/Italy/4.

19

¹ policy in the middle east and Mediterranean (poste torch
<https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

ANNEX I."GENERAL ISMAY FOR C.O.S. COMMITTEE. (D.165/2)

Let us see what studies have been made so far for the exploitation of TORCH, should it prove entirely successful. Sardinia, Sicily and Italy itself have no doubt been considered. If things go well, we should not waste a day but carry the war northwards with audacity. I am hoping that Air plans have already been made to bring Southern Italy under close bombing attack as soon as we are established in Tunisia. What arrangements have been made with Lord Gort about the Malta force? Assuming that Tunis comes over quietly and swiftly, what forces do we send forward to clear up Tripoli?

(Info.) W.S.C.

88.9.42.

ANNEX II.MOST SECRETPRIME MINISTER"TORCH"

The Chiefs of Staff considered your Minute at Flag 'A' at their Meeting this morning. They feel that the first and principal objective of "TORCH" must be to eliminate Rommel and open up the Mediterranean in conjunction with "LIGHTFOOT".

2. At the same time they entirely agree that plans must be prepared for the exploitation of "TORCH" northwards, and the following studies have already been put in hand -

- (a) Plans for the capture of Sardinia (Operation "HILASTUNE") and Sicily (Operation "HUGHR");
- (b) Plans to capture Pantelleria (the Chief of Combined Operations is charged with this study);
- (c) The possibility of other offensive operations in the Mediterranean.

As soon as the above studies have been completed, the Chiefs of Staff intend to prepare a comprehensive appreciation of possible operations in the Mediterranean, and to submit their recommendations for our future strategy in that theatre.

3. The Reinforcement of Southern Italy.

The United States contingent for "TORCH" includes 500 bombers whose primary role will be the neutralisation of the aerodromes in Southern Spain, should the Axis acquire the use of them. It is hoped that a large part of this force will be

*Annex I.

-2-

available for any operations against Rommel which take place from Tunis and then for the air bombardment of Italy.

4. The Malta Force.

The Joint Staff is in touch with General Eisenhower's Staff on this matter, and the Chiefs of Staff await their proposals as to the plans and preparations which Lord Gort should be asked to set on foot. When their recommendations have been received, the Chiefs of Staff will communicate at once with Lord Gort.

5. The Advance into Tunisia.

The "Mission" given by General Eisenhower to General Anderson and his First Army is as follows:-

- (i) To secure the port of ALGIERS and adjacent air fields;
- (ii) To establish and maintain communications between ALGIERS and ORLEANSVILLE;
- (iii) To build up rapidly a striking force through ALGIERS and adjacent ports;
- (iv) To secure TUNISIA at the earliest possible date.

(Signed) H.L. ISMAY.

1ST OCTOBER, 1942.

الملحق رقم: (6) وثيقة رسمية تبين التخطيط لعمليات مستقبلية في البحر المتوسط في حال نجاح عملية الشُّعلة.¹

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HIS BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

The circulation of this paper has been strictly limited. *Mem 1*

It is issued for the personal use of *Bregachier Hollis*

TO BE KEPT UNDER LOCK AND KEY

It is requested that special care may be taken to ensure the secrecy of this document

MOST SECRET. Copy No. *12*

J.P. (42) 867. Considered for the despatch of the Chief of Staff

9th October, 1942.

WAR CABINET

JOINT PLANNING STAFF

OPERATIONS IN THE MEDITERRANEAN - PLANNING

Note by Joint Planning Staff.

We attach, for the approval of the Chief's of Staff, a draft telegram which we suggest should be despatched to the Joint Staff Mission.

(Signed) G.M. STEWART
R.E. VINTRAS
S.E. NORFOLK

Cabinet War Room.

1 Policy in the middle east and Mediterranean (poste torch)
<https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

S E C R E T

CHIEFS OF STAFF COMMITTEE

Extract from C.C.S. (45) 1444 Ch Meeting (6)

Held on 10 Oct 1948 1948

Part of C.C.S. (45) 885th Meeting, held on Saturday,
10th OCTOBER, 1948, at 10.30 a.m.

1. PLANNING OF FUTURE OPERATIONS IN THE MEDITERRANEAN.

(J.P.(45)867). //

THE COMMITTEE had before them a note by the Joint Planning Staff covering a draft telegram to the Joint Staff Mission drawing attention to the importance of making plans for the capture of Sardinia and Sicily, and suggesting an amendment to General Eisenhower's Directive.

In discussion it was agreed that if "TORCH" were quickly successful, a fleeting opportunity might well occur for the occupation of Sardinia or Sicily at comparatively little cost. It was, however, understood that Headquarters, Allied Expeditionary Force, were already studying the possibility of operations of this nature. In any case, it was thought better to approach General Eisenhower direct on this question and not to attempt to alter his Directive as now finally approved.

THE COMMITTEE:-

Requested General Ismay to discuss
this question with General Eisenhower
at a suitable opportunity.

Ref. C.O.S. (42) 147th Mtg. (a) minute 9. 13
Agenda 14/10

Eight copies typed and circulated as follows:-

1. } C.I.G.S.	5. } C.A.S.
2. } C.I.G.S.	6. } C.A.S.
3. } I.S.C.	7. } General (copy)
4. } I.S.C.	8. } General (copy)

12.10.42.

SECRET

C.I.G.S.
 FIRST G.A. 1480.
 C.A.S.

8

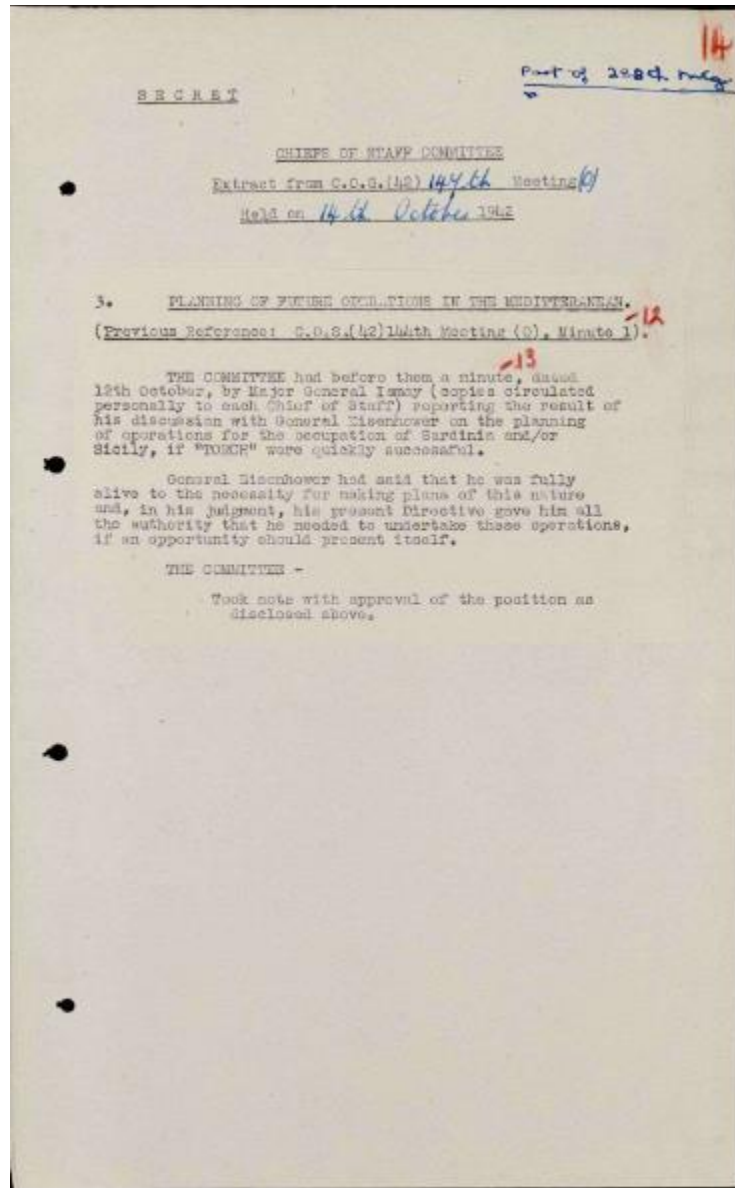
The Chiefs of Staff at their Meeting on the 10th October (see C.O.S. (42) 147th Meeting (a) Minute 1) instructed me to discuss with General Eisenhower the question of whether he would welcome an amendment to his Directive on the lines suggested in paper No. J.P. (42) 867 of the 9th October, 1942.

2. I saw General Eisenhower today. He told me that he was fully alive to the necessity of making plans for the capture of Sardinia and Sicily and that, in his judgment, his present Directive gave him all the authority that he needed to undertake these operations if an opportunity should present itself.

3. This minute will be placed on the Agenda of the Chiefs of Staff Meeting on Wednesday, the 14th October.

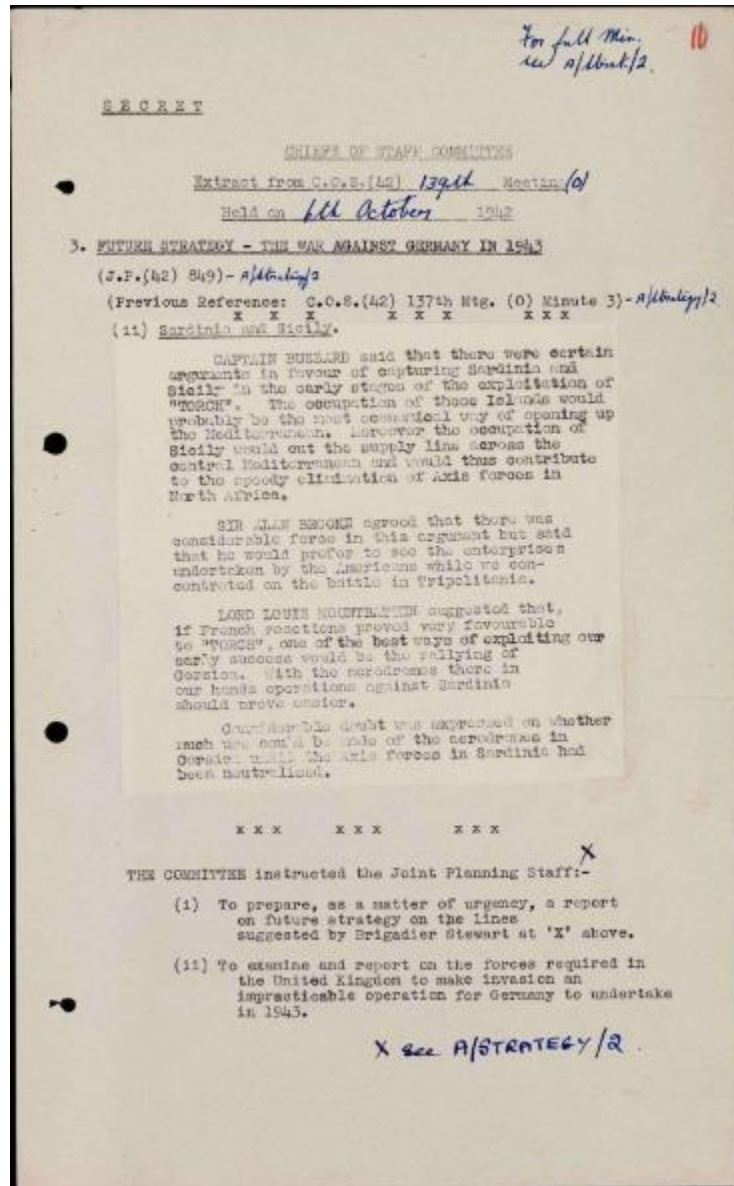
(Signed) H. L. ISMAY.

12th October, 1942.



الملحق رقم: (7) وثيقة سرية تين محتوى اجتماع قيادة أركان دول الحلفاء حول الاستراتيجية المستقبلية للحرب ضد ألمانيا سنة

1.1943



الملحق رقم: (8) وثيقة أمريكية تشير إلى وضع فرنسا في شمال إفريقيا (الجزائر - تونس - المغرب) سنة 1954.¹

REPRODUCED AT THE NATIONAL ARCHIVES
DECLASSIFIED
4832-112-82
By LAU NARS Date 3/17/93
SECRET

October 18, 1954

STATEMENT OF POLICY
by the
NATIONAL SECURITY COUNCIL
on
FRENCH NORTH AFRICA
(TUNISIA, MOROCCO, ALGERIA)

(NOTE: Reexamination of this paper would be required in the event of a basic change in U.S. policy toward Europe).

GENERAL CONSIDERATIONS

1. French North Africa is of particular importance to the U. S. because:

a. It is of great strategic significance in U. S. and Western military planning, especially as a site for military bases.

b. The conflict between French interests and North African nationalism:

(1) Is widely regarded, especially in Asia and Africa, as a test of U.S. and Western intentions with respect to self-determination of dependent peoples.

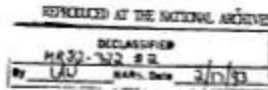
(2) Involves the danger of serious damage to U.S. relations with France if U.S. policy appears to the French to jeopardize vital French interests.

NSC 5436/1

- 1 -

SECRET

¹ <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1941-43/subjects> US National Archives, NSC 546/1



SECRET

2. The danger in this area to the security of the free world arises not from the threat of direct Soviet military attack, but from instability resulting primarily from the conflict between native nationalism and the French position, coupled with the effect of political developments in the area on other countries, particularly in the Moslem world. Free world interests have been menaced by the inability or unwillingness of succeeding French governments and Tunisian and Moroccan nationalists to resolve their conflicting interests by compromise.

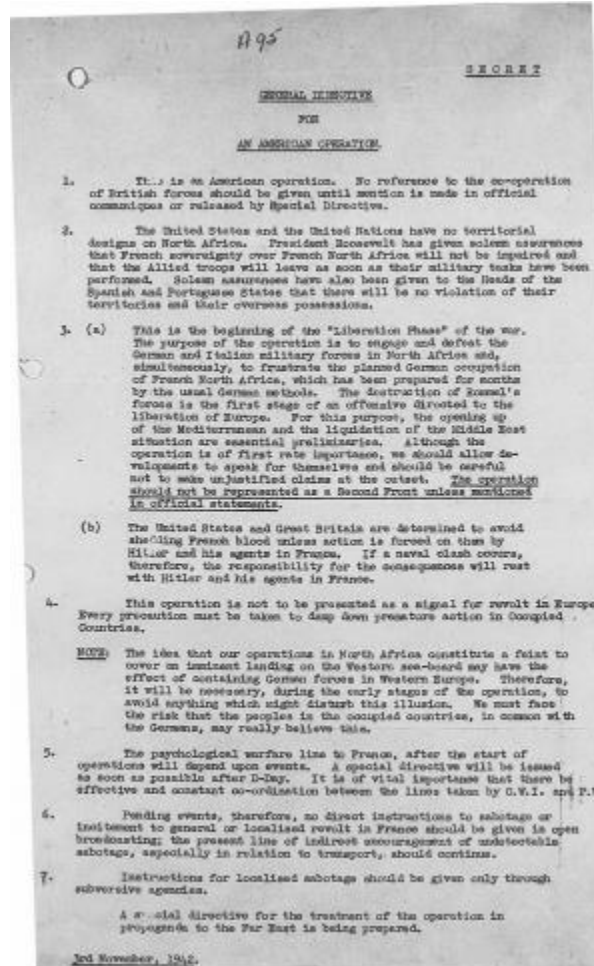
3. It is a fixed tenet of French policy that France's power position in Europe and the world requires retention and control of North Africa as part of the French community. Political pressures both in France and by the approximately 1.5 million French inhabitants of North Africa have inhibited successive French governments from dealing effectively with North African nationalism. Until the recent French initiative in Tunisia, reform programs have been proposed by France but on the basis of unilateral imposition rather than bilateral negotiation. Furthermore, these measures have had the air of being stop-gaps which did not tackle the fundamental problem of placing the peoples of Morocco and Tunisia "in a position to manage their own affairs," as promised by the present French Prime Minister.

NSC 5436/1

- 2 -

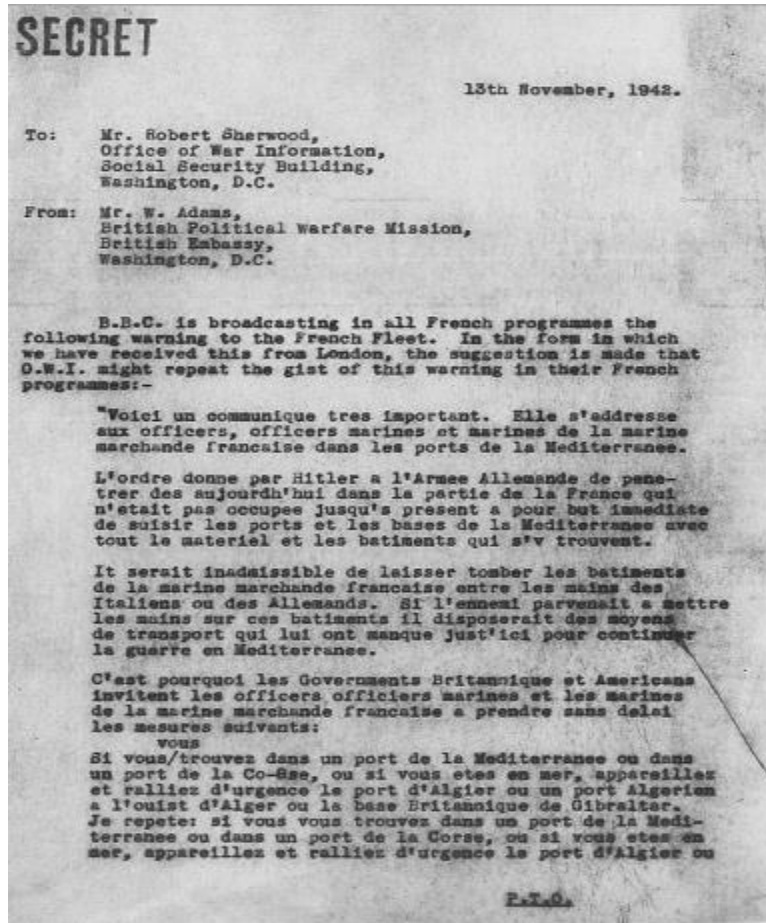
SECRET

الملحق رقم: (9) وثيقة سرية أمريكية تحمل تأكيداً من روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عدم وجود أي أطماع أمريكية أو بريطانية للسيطرة على شمال إفريقيا، وبأن قوات الحلفاء ستغادر المنطقة بمجرد تحقيق عملية الشُّعلة لأهدافها الاستراتيجية.¹



1 Foreign Relations of the United States (FRUS)
<https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

الملحق رقم: (11) وثيقة سرية تدعو من خلالها القيادة البريطانية والأمريكية قادة البحرية الفرنسية إلى اتخاذ التدابير اللازمة وعدم التخلي على سفنهم لصالح القوات الألمانية أو الإيطالية والتوجه إلى الموانئ الجزائرية.¹



1 <https://cgsc.contentdm.oclc.org/digital/collection/p4013coll8/id/4866/>

SÉCRET

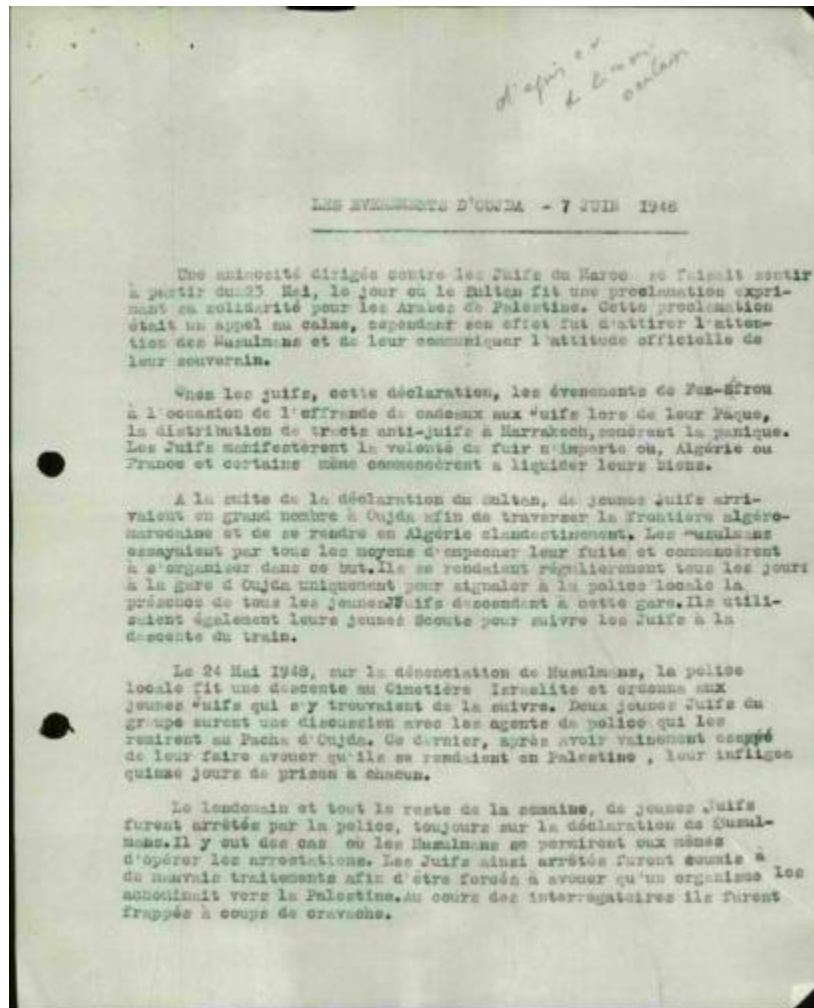
-2-

un port Algerien a l'ouest d'Alger, ou la base Britannique de Gibraltar.

Si pour une raison quelconque, vous n'etes pas en mesure de lever l'ancre immediatement, prenez vos dispositions pour saborder plutot que de risquer de voir votre bateau saisi par l'ennemi. Je repete: si pour une raison quelconque, vous n'etes pas en mesure de lever l'ancre immediatement, prenez vos dispositions pour saborder plutot que de risquer de voir votre bateau saisi par l'ennemi.

Il est indispensable que tous les bateaux de la marine marchande francaise viennent renforcer le relievement de la France en Afrique du Nord. Il y va des interets vitaux du pays."

W. Adams.

الملحق رقم: (12) وثيقة سرية تتضمن وضع اليهود في المغرب الأقصى سنة 1948.¹

2

gouvernementales, vous serez même de juger les choses mieux que je ne le fais moi-même et si vous partagez mon inquiétude, vous serez certainement à cœur d'intervenir auprès de qui de droit pour redresser la situation.

Le Gouvernement Français se trouve mis devant un fait qui aura des répercussions sur sa propre politique vis-à-vis des nations et vis-à-vis de l'Etat Juif dont nous sollicitons avec angoisse la reconnaissance. Il ne peut pas et il ne doit pas approuver des actes sans compter le précédent que cela va créer dans les relations même du Maroc vis-à-vis de la France. Les populations juives de ce pays se sentent menacées dans leur sécurité comme dans la vie privée et sentimentale qu'elles nourrissent à l'égard d'Israël.

Nous avons espéré que sous la protection du Gouvernement de la République, la controverse entre Juifs et Arabes n'aurait pas été soulevée, chacune des parties ayant le souci de ne pas porter ombrage à l'autre en conservant les bonnes relations sociales et économiques de tous les jours. L'avertissement qui vient d'être donné aux Juifs, les classe comme une catégorie de personnes soumises à des conditions inférieures ayant droit à cette noble protection séculaire, à condition de se désolidariser entièrement du reste de ses coreligionnaires.

J'ignore quel sera le développement de cet incident, mais il est certain qu'il y a urgence à examiner la question et à y remédier par tous les moyens possibles.

Je fais confiance à votre savoir-faire pour prendre les dispositions que cette situation exige et je serais très heureux que vous me fassiez connaître votre avis au plus tôt.

Recevez, cher Monsieur FISCHER, mes sentiments sionistes les plus sincères et mon très cordial Chalom.

Le Secrétaire Général

F. CALABARO

F.J. Un appel

الملحق رقم: (13) وثيقة سرية توضح السياسة الأمريكية في شمال إفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية¹

REFORMED AT THE NATIONAL ARCHIVES

DECLASSIFIED
MSS-728 E 2
By LAU MARC Date 2/1/83

SECRET

NSC STAFF STUDY
on
U. S. POLICY ON FRENCH NORTH AFRICA
(TUNISIA, MOROCCO, ALGERIA)

PROBLEM

1. To determine the general course of action required for maintaining and defending U.S. interests in French North Africa without alienating the anti-colonial world or jeopardizing U.S. strategic interests or relations with its NATO allies in this region and elsewhere.

ANALYSIS

Basic Factors Common to French North Africa As a Whole

2. To indicate the forces with which U.S. policy must reckon in French North Africa, and the limits within which it may operate, this study explores the dynamics, strength and purposes of the two chief factors affecting the region's stability--European control and native nationalism--in the context of French North Africa's political, economic and strategic relationships.

3. Strategically, North Africa might be required as a new base of Allied operations in the event of World War III. The United States now operates in French Morocco the Port Lyautey Naval Air Station and three USAF air bases, and has a fourth air base under construction. France has both air and naval bases in North Africa. From the technical viewpoint, extensive additional military requirements can be met in North Africa. In the past its population has provided an important reservoir of military manpower for both France and Spain. In the event of a general war, the defense of Morocco, Algeria, and Tunisia will fall to French forces (including Moroccan, Tunisian, and French Union troops), certain U.S. forces in the area, and possibly, Spanish forces in Morocco.

4. Economically, French North Africa has extensive deposits of lead and phosphates, and lesser deposits of manganese, cobalt and iron-ore. The region's population, less

*Also see Economic Annex attached.

NSC 5436/1 - 13 - **SECRET**

¹ <https://discovery.nationalarchives.gov.uk/browse>

REPRODUCED AT THE NATIONAL ARCHIVES	
DECLASSIFIED	
DATE	3/7/83
BY	LAU

than one percent of the people of the world, is increasing steadily. Food production, however, has not kept pace. The lack of skilled labor, cheap power and adequate transportation facilities retards economic development. All North African countries, except the International Zone of Tangier, have been a financial burden on the Governments of the Western powers controlling or guiding them.

5. Politically, from the perspective of many native inhabitants, the dominant fact is nationalism. Nationalism, however, is only the symptom of a larger historical transformation in North Africa. For several decades, and in some instances even before French and Spanish conquest, a portion of the Muslim leadership has come to realize that the traditional social system and beliefs of North Africa were inadequate for survival in a modern world. Their impotence to resist European political and economic control and the ensuing supremacy (sometimes even the acknowledged superiority) of Western theories and practices, made this realization an inescapable necessity. Those native groups who were (1) brought into existence through the Westernization of North Africa (students, urban industrial workers, bourgeoisie), (2) placed on the defensive by this impact (small farmers, nomads, certain religious leaders), or (3) hopeful of surviving it (certain large landowners, businessmen, feudal lords, and again, certain religious leaders), were henceforth faced by a common problem: how to create new and stronger social and ideological bonds capable of ensuring the survival of their community in a world not only more modern but more powerful than they. They found that the control of the political institutions and economic bases necessary for creating such a new society was in the hands of foreigners. Hence, many North Africans narrowed this larger search into "nationalism", for the presence of the foreigners was the most obvious and the most frustrating fact. Naturally, the groups newly brought into existence by the Westernization of North Africa, having the least to lose in the death of the old society and chafing most in the half-way house of the present status quo, have provided the leadership for the nationalist movement.

6. Though the peasantry still remains largely passive, foreign rule--because it has often become direct rule--is simply an additional fact in their already poverty-stricken and frustrating existence. To the extent that the Western foreigner educates them, improves their health, develops their means of communication, draws them into a modern economy and political state, and thus generally raises their aspirations, this group is increasingly drawn, not to the foreigner who... promises gradual and orderly progress, but to the leaders of

NSC 5436/1

- 14 -

SECRET

REPRODUCED AT THE NATIONAL ARCHIVES	
DECLASSIFIED	
HR 33-312	22
By	DATE
LAU	2/15/93

SECRET

their own community who promise a new world. A significant portion of the leadership of the traditional society in all of French North Africa is joining the new intellectuals and the new middle class. North African nationalism, which seems most likely to increase in number of adherents through the tendency of the traditional society to deteriorate and the spread of Western ideas, has achieved its initial goals only in Libya. In Morocco and Tunisia its intensity is growing because of increasing frustration resulting from continued Western dominance. In Algeria the intensity of nationalism at least at the present time is not growing, and there are few signs of increasing frustration. Nevertheless, nationalism seems likely to grow in Algeria almost regardless of French action, because of the influence of Moroccan and Tunisian nationalism.

7. Politically, from the perspective of France, the dominant problem is security and continued control. The varying legal, political, economic and military controls which France exercises in North Africa are intended to help maintain its status as a world power, especially in the Atlantic and European communities, and to serve as a base for the security of its empire as well as the free world generally. For similar reasons, the UK and other European colonial powers support the French position vis-a-vis the North African protectorates.

8. Politically, from the perspective of the UN, and especially the Arab states and a large group of anti-colonial states in Asia, French North Africa has been a test of the intentions of the principal western nations toward dependent peoples generally. With respect to Tunisia and Morocco, the innermost anti-colonial sentiment of the Latin American states tends to associate them to some extent with the impatience of the Arab-Asian states over the slow rate of progress of dependent peoples. On the problem of North Africa, however, the attachment of the Latin American states for France tends to render their position on Tunisia and Morocco more restrained than it would be otherwise.

9. Unless the Soviet rulers have decided to initiate general war, there is little danger of direct Soviet attacks upon the area. North Africa is not of paramount importance in overall Soviet strategy, and is, moreover, comparatively inaccessible to Iron Curtain countries. The chief Soviet interest in the region is probably to prevent--by means other than war--its use by the West as a base from which to launch an air attack on the USSR, as well as generally to disrupt public order and security as much as possible. The Communists will probably continue their efforts to exploit nationalist desires for independence by attempting to capture the nationalist movements, but they will be unlikely to succeed.

NSC 5430/

- 15 -

SECRET

REPRODUCED AT THE NATIONAL ARCHIVES	
DECLASSIFIED	
By	DATE
LAO	3/10/83

~~SECRET~~

10. It is the interaction of these factors which seriously affects the degree of political stability necessary for maintaining and defending Western interests in this area during the cold war. In the foreseeable future, the question is not whether Western powers can maintain their strategic control of North Africa, but rather under what conditions and at what price they may be able to do so.

C

NSC 5436/1 - 16 - ~~SECRET~~

الملحق رقم: (14) تقرير كتبه المحامي التونسي السيد بول غيز حول وضع اليهود في تونس سنة 1947¹

To : Gherbok
Mr. Ghez
Sasson
Spstein
Linton

From : Fischer.

Paris, the 28th August 1947.

Report on the situation of North-African Jews made by Mr. Paul GHEZ, a Tunisian lawyer, member of the Conseil général de Tunisie, representative of the Joint in Tunisia.

Mr. Ghez is in touch with our friends in Tunisia and he was asked by them to see me in Paris.

Following are the main points of what he told me:

Under the German occupation the Tunisian Jews were abandoned by all, Arabs and French. They have not forgiven to the French the way they were left alone to face the Germans and their cruel demands. On the other hand the Jews notice now the tendency of the French to appease the nationalist movements led, more or less openly, by the Arab League. The Jews are afraid of either a gradual departure of the French which will leave them under Arab domination or a franco-arab conflict who would degenerate into a massacre of the Jews.

However the Arabs, moderates and intellectuals, are not making any antisemitic propaganda at present and excesses which are taking place are only being caused by the mob.

In Algiers there is also a grudge of the Jewish population towards the French. The Jews don't forget that Jewish rights were only reluctantly restored after the liberation.

Circumstances during the last year have awakened among all African Jews a mystic trend to Zionism and simultaneously have brought about a change into their character which has become aggressive and violent.

The young Jews who are not Zionists become communists.

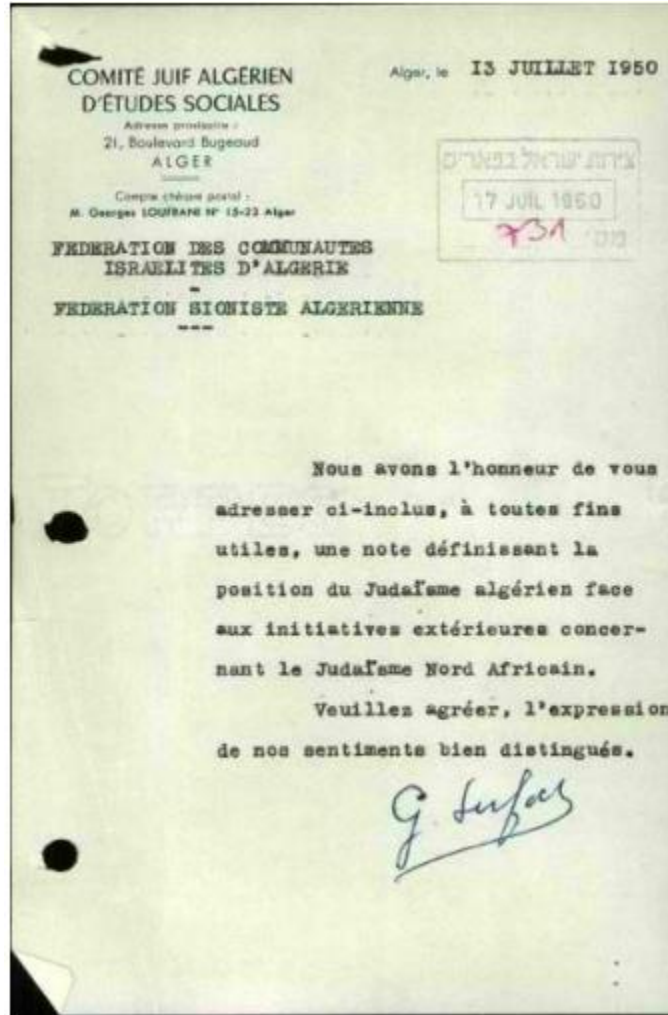
In Tripolitania, the situation is much worse than in North Africa. There the Jews are living in constant fear and 100% of the population wants to go to Palestine.

They try to reach Tunisia where they hope to find organisations which will bring them to Palestine. A month ago, 500 young people had already crossed the border. To-day, they are already 500.

As soon as the British authorities received knowledge of this exodus, they asked the French to close the frontier and to return to Tripolitania the Jews who had already escaped.

./..

الملحق رقم: (15) تقرير صادر عن اللجنة اليهودية الجزائرية يوضح واقع اليهود في الجزائر سنة 1950¹



¹ <https://fathomjournal.org/understanding-the-jews-of-the-middle-east-and-north-africa-is-the-key-to-understanding-the-whole-middle-east-conflict-an-interview-with-lyn-julius/>

Note définissant la position du Judaïsme algérien
face aux initiatives extérieures concernant le
Judaïsme Nord Africain

- I. Le bureau de Paris du Département du Moyen-Orient a pris récemment l'initiative de convoquer les représentants de plusieurs organisations juives de France s'intéressant au Judaïsme d'Afrique du Nord, en vue de mettre sur pied en France un organisme coordinateur pour les problèmes du Judaïsme Nord africain.
- II. Cette initiative donne l'occasion aux organisations qualifiées représentant le Judaïsme algérien sur le plan culturel et cultuel sur le plan politique sur le plan sioniste, de donner une fois de plus leur opinion sur ce que doivent être les relations entre le Judaïsme algérien et les différents organismes qui désirent s'intéresser à lui.
- III. Cette position a été déjà et à plusieurs reprises exprimée par l'une ou par l'autre des organisations signataires, en diverses circonstances que nous ne voulons pas rappeler ici, dans le dessein d'oublier les erreurs du passé et d'établir des principes de saine collaboration.
- IV. Nous n'intervenons que pour ce qui concerne l'Algérie laissant aux dirigeants juifs de la Tunisie et du Maroc le soin de régler la même question comme ils l'entendront.

Mais à ce propos nous tenons à rappeler qu'il n'y a pas un problème Nord Africain, mais trois problèmes, selon qu'il s'agit de la Tunisie, du Maroc ou de l'Algérie, la position juridique, économique et sociale des Juifs de chacun de ces trois pays étant très sensiblement différente.
- V. Le Judaïsme algérien se présente avec un ensemble d'organismes dont le concours s'impose chaque fois que l'on veut s'intéresser à lui :
 - 1) La Fédération des Communautés Israélites d'Algérie qui groupe l'ensemble des consistoires algériens pour des tâches culturelles et cultuelles, ainsi que pour la représentation officielle du Judaïsme algérien.
 - 2) Le Comité Juif Algérien d'Etudes Sociales qui a compétence pour toutes les questions politiques locales.
 - 3) La Fédération Sioniste Algérienne dans ses attributions traditionnelles.
- VI. Il n'est aucune question qui ne ressorte de la compétence d'une de ces organisations, et il n'est pas admissible qu'une action quelconque soit envisagée en Algérie sans l'accord d'un de ces trois organismes.

.../...

الملحق رقم: (16) ترجمة لوثيقة ألمانية تطالب فيها ألمانيا بتأسيس فرع للإعلام وإصدار نشرة ثلاث مرات أسبوعياً للتحريض ضد فرنسا¹



¹<https://doc.aljazeera.net/history/2020/2/25/%d8%aa%d8%ad%d8%b1%d9%8a%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%ac%d8%b2%d8%a7%d8%a6%d8%b1-%d8%a8%d9%8a%d9%86-%d8%b5%d9%81%d8%b9%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%a7%d9%8a-%d9%88%d8%a8%d9%86%d8%a7%d8%af%d9%82-%d8%a7>

الملحق رقم: (17) رسالة من دوايت ايزنهاور القائد الاعلى للقوات الأمريكية وقائد عملية الشُّعلة إلى سكان شمال إفريقيا أثر
عملية إنزال الحلفاء في 08 نوفمبر 1942¹



رسالة من رئيس حكومة الولايات المتحدة



ان رئيس حكومة الولايات المتحدة قد طلب مني صفتي القائد الحاكم للقوات البحرية الأمريكية ان ابلغ شعوب افريقية الفرنساوية الشألية الرسالة الآتية:

لا ترتبط أمة مع الشعب الفرنسي واصدقته بروابط التوثيق والمعية الصلبة أوثق منها بالولايات المتحدة الأمريكية.

ان ما يسمى اليه الأمريكيون يست سلاتهم في المستقبل فقط بل أيضاً لأن يردوا على كل من عاش تحت علم التريكلور مثلهم العليا وحريرتهم وديمقراطيتهم.

انا نحيي. يتكلم للتذكير من تاهرين مقصودهم ابادت حقوقكم الذاتية وحقوقكم للحرية المدنية وحقوقكم لحياة مطمئنة تمشيها لانتصركم ابادت مطلقاً أبدية.

نحيي. يتكلم ليس لنعرضكم بل لكي نهلك أعدائكم فقط.

نحيي. يتكلم ونحن نؤكد لكم اننا سنسحب فوراً بعد ما ازيل عنكم ما يهددكم من المانيا وايطاليا.

اني ادعو الي احسانكم بالمفاتيح والى مصالحكم والى مثلكم العليا.

لا تترسوا لهذا القصد السامي.

أغنونا بجعل يوم السلام اللدنيا.

Dwight D. Eisenhower

دويت د. ايزنهاور

الم عكم في حشر. الولايات المتحدة



Message du Président des Etats Unis



Le Président des Etats Unis m'a chargé comme Général Commandant en Chef des Forces Expéditionnaires Américaines de faire parvenir aux peuples de l'Afrique française du Nord le message suivant:

Aucune nation n'est plus intimement liée, tant par l'histoire que par l'amitié profonde, au peuple de France et à ses amis que ne le sont les Etats Unis d'Amérique.

Les Américains luttent actuellement, non seulement pour assurer leur avenir, mais pour restituer les libertés et les principes démocratiques de tous ceux qui ont vécu sous le drapeau tricolore.

Nous venons chez vous pour vous libérer des conquérants qui ne désirent que vous priver à tout jamais de vos droits souverains, de votre droit à la liberté du culte, de votre droit de mener votre train de vie en paix.

Nous venons chez vous uniquement pour anéantir vos ennemis — nous ne voulons pas vous faire de mal.

Nous venons chez vous en vous assurant que nous partirons dès que la menace de l'Allemagne et de l'Italie aura été dissipée.

Je fais appel à votre sens des réalités ainsi qu'à votre idéalisme.

Ne faites rien pour entraver l'accomplissement de ce grand dessein.

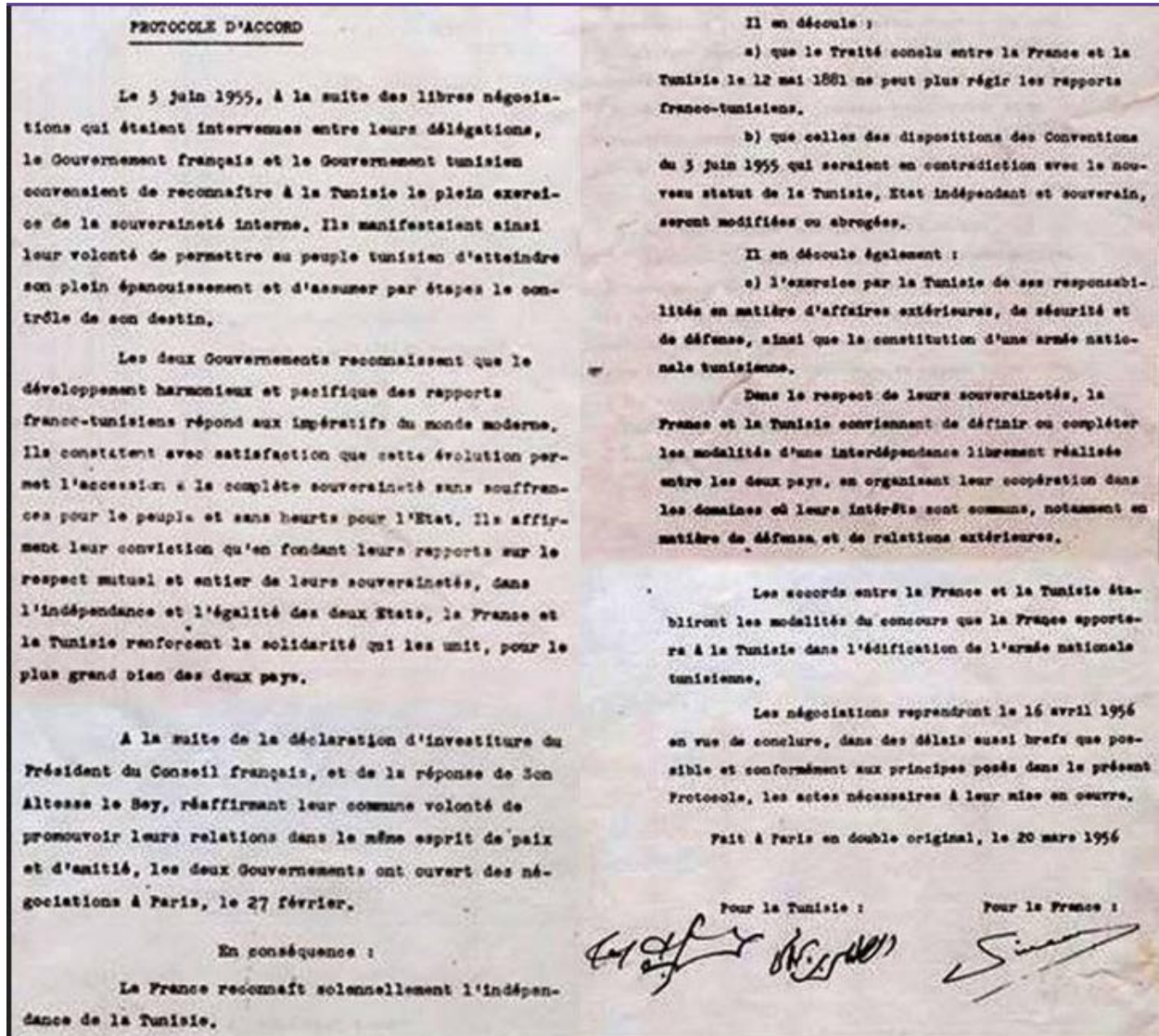
Aidez-nous, et l'avènement du jour de la paix universelle sera hâté.

Dwight D. Eisenhower

DWIGHT D. EISENHOWER
Lieutenant Général, Commandant en Chef
des Forces Expéditionnaires Américaines.

1 Howe George, Méditerranéen Theater of Operations, US Gouvernement Printing Office, Washington, D. c. 1957, p395.

الملحق رقم: (18) بروتوكول استقلال تونس 20 مارس 1956.¹



¹ https://blogger.googleusercontent.com/img/b/R29vZ2xl/AVvXsEi0MHeS7XO2Rw94tgpD05cxQpgJnXy-Y1BP2vOWiFz8AsDeB-kGnnysI3YYZXG22rwdTQzc3gnMqVPePoRIKGKuK0pOpkbev1hDgGcShyphenhyphen_5MakxwrryvnmOn8xhc v_ZuRnmNJEAdNZSXM/s1600/Protocole+Independance+Tunisie+1956.jpg

الملحق رقم: (19) صورة للشيخ البشير الإبراهيمي رفقة البطل عبد الكريم الخطابي¹.



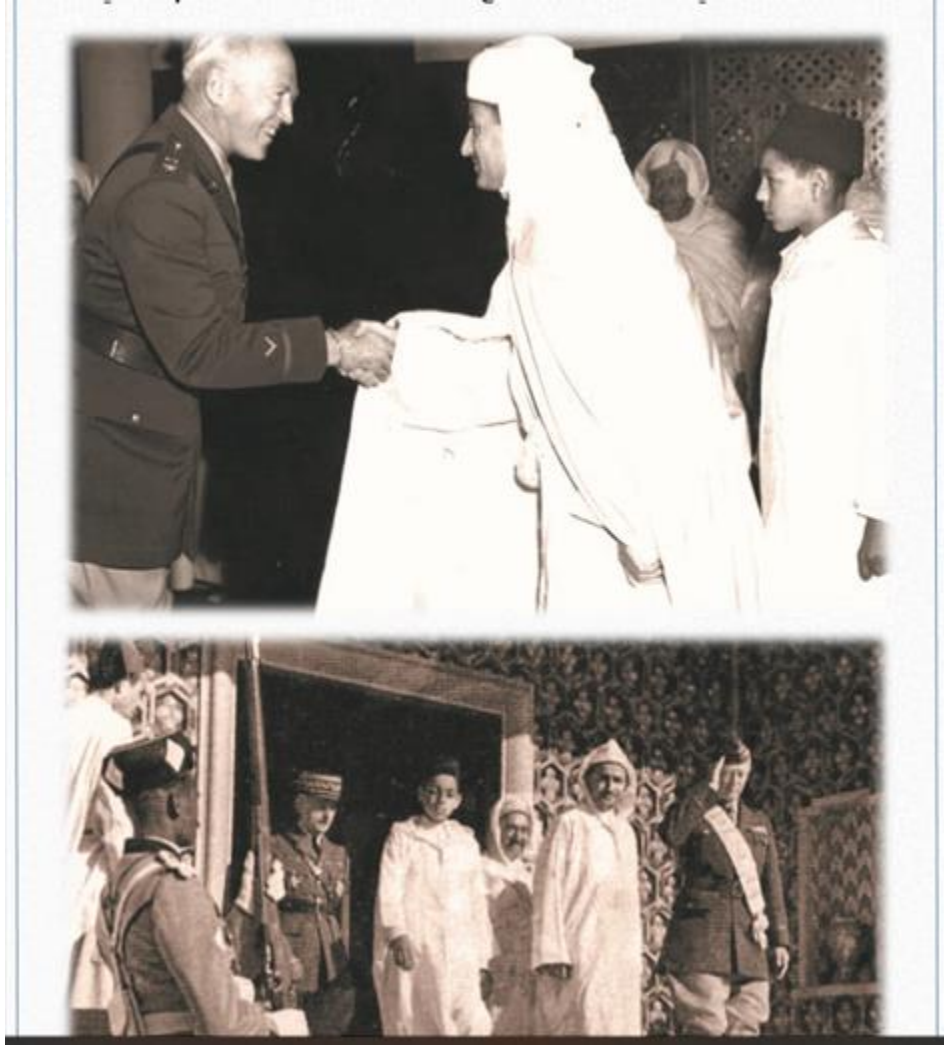
¹ <https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1308415252879042&id=431507817236461&set=a.431953310525245>

الملحق رقم: (20) صورة لقادة الحلفاء خلال لقاء أنفا بالدار البيضاء المغرب 14 جانفي 1943.
ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني، الجنرال ديغول، فرانكلين روزفلت الرئيس الأمريكي، هنري جيرو¹



¹ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/11/13/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A2%D9%86%D9%81%D8%A7>

الملحق رقم: (21) صورة استقبال السلطان محمد الخامس الجنرال الأمريكي باتون بالقصر الملكي¹



¹ <https://madar21.com/311979.html>

الملحق رقم: (22) صورة السلطان محمد الخامس وولي عهده الحسن الثاني مع قادة الحلفاء وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، والرئيس الفرنسي الجنرال ديغول، والجنرال هنري جيرو، وقد رفض رئيس الاتحاد السوفياتي حينها جوزيف ستالين الحضور خلال لقاء انفا 1943.¹



¹ <https://madar21.com/311979.html>

الملحق رقم: (23) جندي يحمل العلم الأمريكي أثر الإنزال على شواطئ وهران نوفمبر 1942.¹



1 <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/aldhkry-al-75-l-mlyt-alshlt-wmylad-alwjwd-alamyrky-fy-almntqt-aadt-nzr-jdhryt-laswl>

الملحق رقم: (24) صورة لنزول قوات أمريكية على شواطئ وهران بالقرب من ميناء أرزيو تنفيذاً لعملية الإنزال الشُّعلة نوفمبر 1942¹



1

<https://arabicpost.net/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/2023/01/20/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D9%84%D8%A9/>

الملحق رقم: (25) صورة جنود أمريكيين يتجولون في شوارع مدينة وهران بعد نجاح عملية إنزال الحلفاء بالمدينة .¹



1 <https://www.maghrebvoices.com/2017/11/10/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D9%84%D8%A9-%D9%8A%D9%88%D9%85-%D9%86%D8%B2%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%A1-%D8%A8%D8%B4%D9%88%D8%A7%D8%B7%D8%A6-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1>

الملحق رقم: (26) صورة جنود أمريكيين في طريقهم إلى سواحل شمال إفريقيا للمشاركة في عملية الإنزال الشُّعلة نوفمبر

1.1942



1 <https://www.cheminsdememoire.gouv.fr/en/operation-torch-allied-landings-north-africa>

الملحق رقم : (27) قوات الحلفاء في شوارع تونس العاصمة 1943¹.



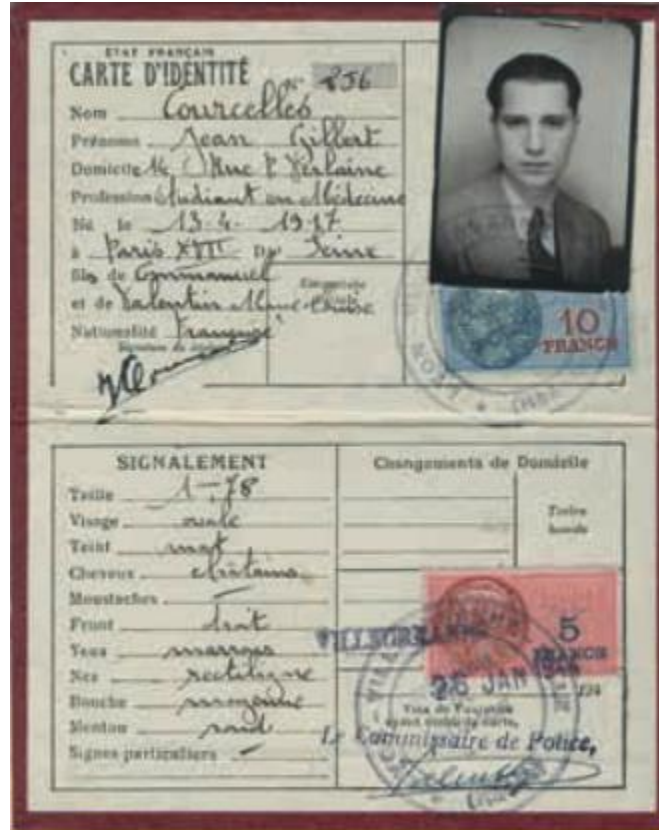
¹ <https://collection.nam.ac.uk/detail.php?acc=1999-03-88-22>

الملحق رقم: (28) صورة توقيع الطاهر بن عمار لوثيقة استقلال تونس بتاريخ 20 مارس 1956.¹

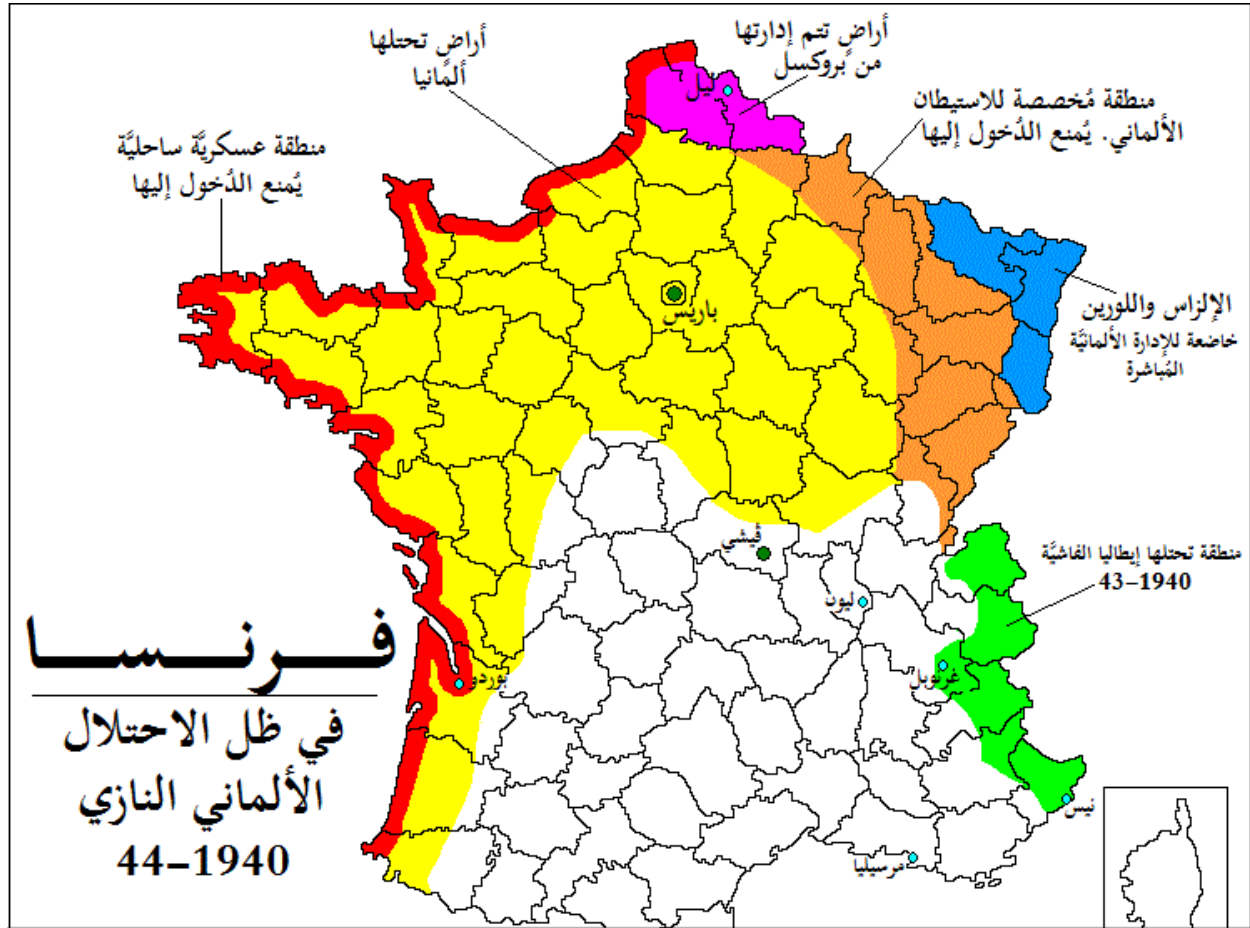


¹ <https://ultratunisia.ultrasawt.com/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D9%88%D9%82%D9%91%D8%B9-%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%BA%D9%8F%D9%8A%D8%A8%D8%AA-%D8%A8%D8%B5%D9%85%D8%A7%D8%AA%D9%87/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%87%D9%8A/%D8%B3%DB%8C%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%DB%8C%D8%B1>

الملحق رقم: (29) صورة لبطاقة هوية مزورة لـ "José Aboulker" الذي لقب ببطل الظل خلال عملية الإنزال تورش على سواحل مدينة الجزائر باسم "Jean Courcelles".¹

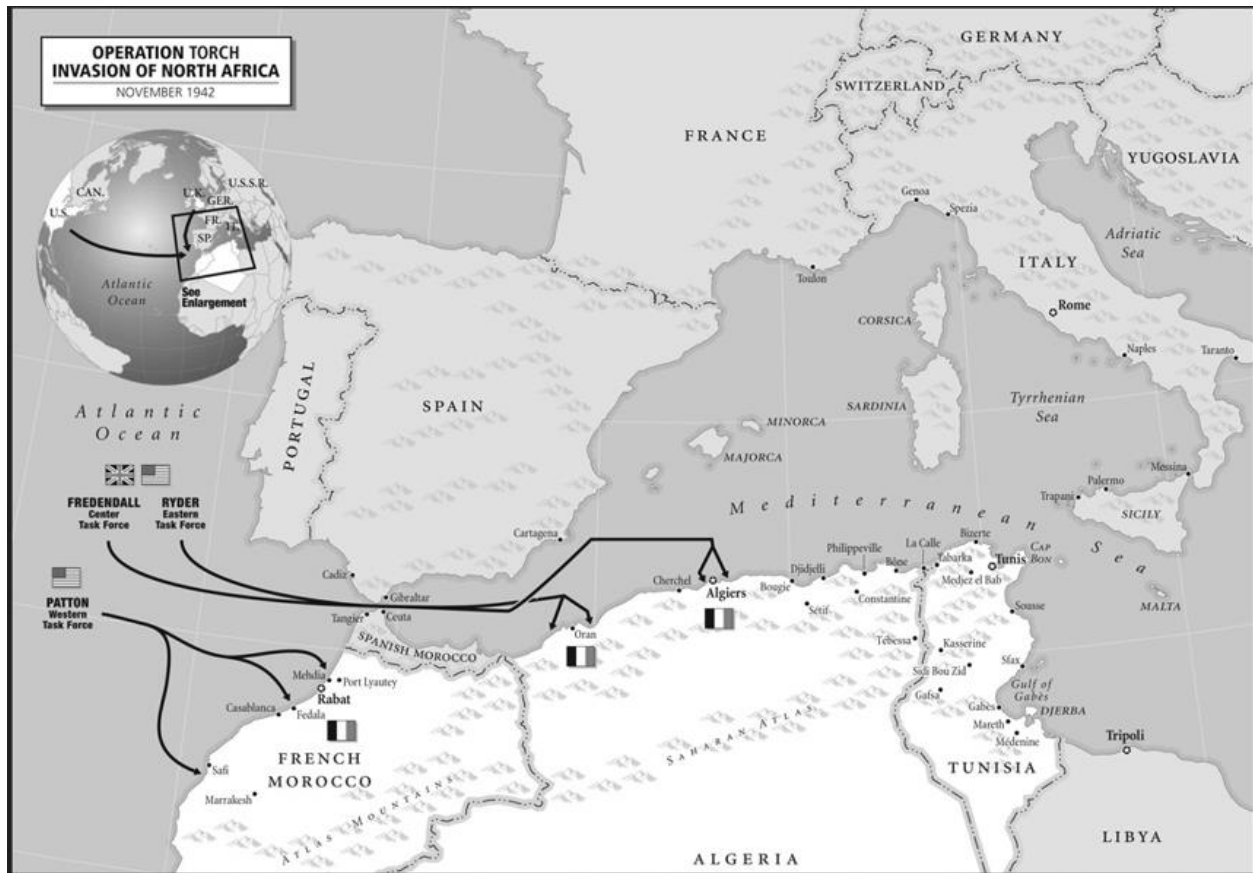


¹ <https://www.defense.gouv.fr/sites/default/files/ministere-armees/esprit-defense-numero-5-automne-2022-m%C3%A9moire-vive-jose-aboulker-heros-de-l-ombre-de-l-operation-torch.pdf>

الملحق رقم: (30) خريطة فرنسا في ظل الاحتلال الألماني 1940-1944¹

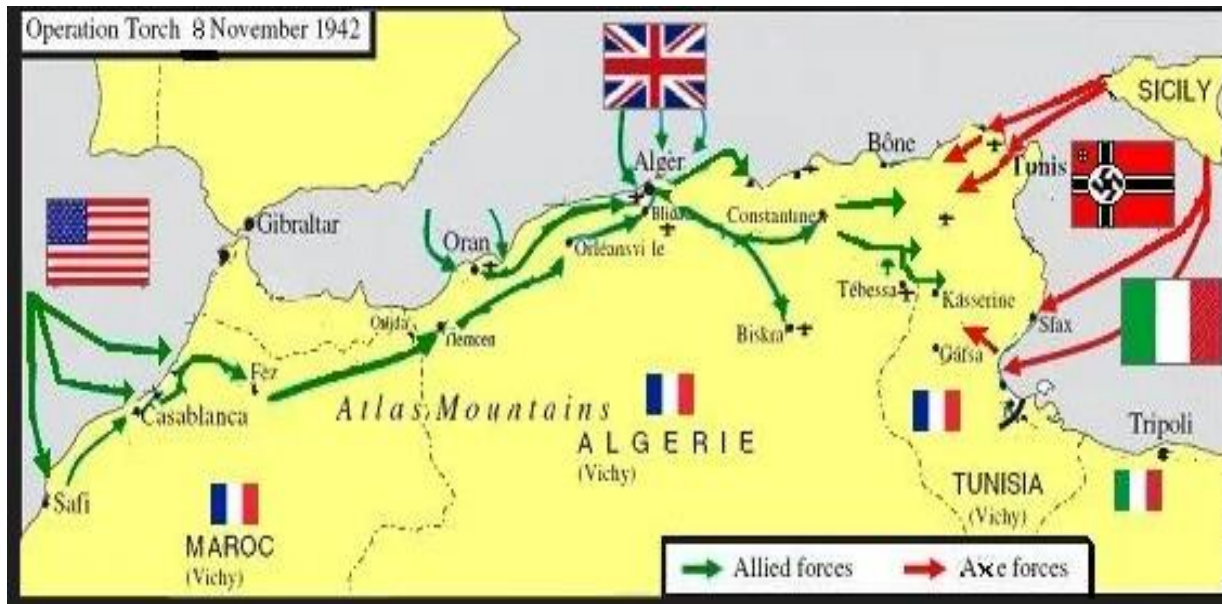
1 <https://ultratunisia.ultrasawt.com/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D9%88%D9%82%D9%91%D8%B9-%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%BA%D9%8F%D9%8A%D8%A8%D8%AA-%D8%A8%D8%B5%D9%85%D8%A7%D8%AA%D9%87/%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%87%D9%8A/%D8%B3%DB%8C%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%DB%8C%D8%B1>

الملحق رقم: (31) خريطة توضح عملية إنزال قوات الحلفاء على سواحل الجزائر والمغرب خلال عملية المشعل نوفمبر 1942.



1 Alexandra Lohse, Jon Midaugh, **Operation Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, Naval Institute Press, Washington, 2015. P15.

الملحق رقم: (32) خريطة عملية إنزال الحلفاء على سواحل الجزائر والمغرب خلال عملية المشعل 1942 ورد فعل قوات المحور.¹



¹<https://army-tech.net/forum/index.php?threads/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D9%84%D8%A9.9484/>

الفهارس

1. فهرس الإعلام:

حرف أ

- أبو بكر القادري: 43، 44، 47، 199، 204، 208.
- أحمد باي: 28، 95، 97.
- أحمد بلافريج: 44، 45، 203، 204، 205، 208، 210، 244.
- أحمد توفيق المدني: 29، 60، 63، 154، 156، 185، 186، 231.
- أحمد بن بلة: 06، 34، 193، 195، 318.
- أدولف هتلر: 12، 65، 68، 91، 109، 115، 116، 325.
- أرنست كينغ: 119، 120.
- أغستين بيرنارد: 29.
- ألفريد بيلافورت: 128.
- أنتوني آيدن: 113.
- ايريك لابون: 209، 210، 213، 218، 243.
- إيمانويل دوفورك: 96.
- إيميلي بوسكوانت: 33.

حرف ب

- بلقاسم بن عمر القناوي: 231.
- بن علي بوقرط: 25، 39، 75.
- بيار استيفا: 94.
- بينيتو موسولينى: 53، 115.

حرف ت

- تشارلز ماست: 131.
- تشامبرلأين: 66.
- تقي الدين الهلالي: 103.

حرف ج

- جان دارك: 126.
- جان لاكوتور: 79، 126.
- الجنرال ليوطي: 40، 46، 53، 105، 141.

- جوزي أبولكير: 129.

- جوزيف غوبلز: 101.

- جون لاكوتور: 79.

- جونار: 28.

حرف ح

- الحاج دحمان: 17

- الحبيب بورقيبة: 7، 56، 62، 63، 94، 96، 98، 179، 180، 221، 222، 227، 228، 230، 231، 232، 233، 234، 237، 239، 240، 245.

- الحسن الثاني: 42، 199، 200، 201، 202، 218، 220، 291.

- حمزة بوكوشة: 21، 22.

حرف د

- دالادي: 19، 57، 60.

- دي بورمون: 27.

حرف ر

- راجف بلقاسم: 17، 103.

- ريني مانسيغلي: 208.

حرف س

- سعال بوزيد: 170.

حرف ش

- الشريف سيسبان: 18، 156.

حرف ص

- صالح فرحات: 96، 225، 227، 229، 230.

حرف ط

- الطيب العقبي: 21، 22، 26، 81، 83.

حرف ع

- عبد العزيز الثعالبي: 55، 61، 96، 246.

- عبد القادر بن غريبط: 105.
- العربي بن محمد التسماني: 89، 192.
- علال الفاسي: 04، 7، 44، 45، 47، 51، 93، 203، 204، 212، 217.
- علي باش حانبه: 54.
- عمر بن دالي: 21.

حرف ف

- فرا نثيسكو فرانكو: 31، 41، 52، 61، 88، 89، 91، 92، 100، 121، 122، 140، 217.
- فرانسيس هاري هينسلي: 122.
- فرانكلين روزفلت: 14، 68، 113، 114، 118، 119، 120، 121، 125، 126، 127، 145، 149، 152، 166، 198، 199، 200، 201، 202، 225، 226، 243، 274، 289، 291.
- فرحات حشاد: 231، 232، 23.
- فرحات عباس: 18، 19، 74، 78، 79، 80، 81، 155، 157، 159، 160، 161، 162، 164، 165، 167، 168، 171، 177، 178، 179، 180، 181، 242.
- فون كوخلر: 68.

حرف ل

- لالة عائشة: 220.
- لويس بيرلييه: 233.

حرف م

- مارسيل بيروتون: 85.
- مارك وين كلارك: 131.
- الماريشال بيتان: 65، 69، 70، 71، 72، 78، 79، 80، 81، 82، 85، 87، 93، 96، 97، 103، 104، 114، 120، 121، 123، 124، 125، 126، 129، 134، 139، 155، 156، 158، 199.
- ماكسيم ويغان: 81، 82، 121، 134، 135، 138، 146.
- مبارك الملي: 22، 56، 82، 174، 175.
- محمد الحسن الوزاني: 04، 7، 44، 45، 47، 51، 93، 203، 204، 212، 217، 244.
- محمد الخامس: 04، 05، 07، 09، 41، 42، 47، 86، 199، 200، 201، 202، 204، 205، 206، 207، 210، 214، 216، 217، 219، 220، 223، 243، 290، 291.
- محمد الصالح بن جلول: 18، 19، 74، 78، 80، 155، 157، 162، 163.
- محمد المقرري: 42، 199.

- محمد اليزيدي: 44، 51، 205.
- محمد بن عبد الكريم الخطابي: 43، 178، 201، 236، 288.
- محمد دوار: 36، 15، 76، 168.
- مصالي الحاج: 6، 14، 15، 16، 17، 25، 30، 34، 35، 36، 75، 76، 77، 78، 159، 160، 163، 165، 168، 171، 173، 179، 180، 186، 187، 188، 189، 191، 192، 195، 196، 197، 242، 249.
- المقيم العام نويس: 45، 46، 50، 51، 53، 86، 91، 199، 243.
- المنصف باي: 4، 5، 8، 96، 97، 98، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 229، 244، 245.
- المهدي بن بركة: 216.
- موريس توريز: 84، 190.

حرف هـ

- هنري جيرو: 123، 124، 125، 131، 132، 139، 157، 158، 172، 190، 198، 199، 222، 289، 291.

2. فهرس الأماكن والبلدان:

- بحر ايجة: 112.
- الجامع الاخضر: 37.
- سان بيير وميكلون: 127.
- سبخة وهران: 136، 137.
- سجن لامبيز: 62، 75، 76، 159.
- السودان: 13.
- فيلا جنان الزيتون: 311.
- القرم: 27.
- قصر باردو: 53، 54، 229، 239، 244.
- مدينة آسفي: 05، 141، 142.
- مدينة أصيلة: 218، 246.
- معتقل جنان بوزرق: 311.

3. فهرس الهيئات والتشكيلات السياسية:

- اتحاد النقابات المغربية: 312.
- الاتفاقية الفرنسية الإيطالية: 56.
- الامة الشيوعية: 24، 25، 182.
- انسحاب دونكيرك: 91.
- الثورة البلشفية: 12.
- ثورة المرازيق: 221.
- جريدة الأمة: 16، 35، 81.
- جريدة البرلمان الجزائري: 16.
- جريدة السعادة: 47.
- جريدة الشباب: 15.
- جريدة العمل التونسي: 55.
- جريدة الكفاح الاجتماعي: 83، 84.
- جريدة المبشر: 29.
- جريدة الوفاق: 23.
- جماعة العمل التونسي: 55.
- الجمهورية الثالثة: 51، 125.
- الحرب الأهلية الإسبانية: 51، 83.
- الحرب الخاطفة: 67.
- الحركة الزيتونية: 228.
- حزب الشعب الجزائري: 15، 75، 76، 80، 159، 162، 164، 173، 176، 178، 187.
- حكومة الظل: 75.
- حكومة فيشي: 04، 70، 72، 75، 76، 79، 80، 83، 84، 85، 86، 93، 97، 98، 99، 100، 104، 105، 112، 125، 126، 128، 129، 138، 140، 242، 243، 244.
- خط مارث: 151.
- الرايخ: 12، 14، 42، 65، 101، 104.
- صحيفة الوداد: 46.
- الظهير البربري: 43.
- فرقة العمل الأمريكية: 121.

- فرقة القوم: 27.
- الفيلق الافريقي: 121.
- قانون 8 مارس: 38.
- كتاب كفاحي: 68.
- مبدأ التعويض: 30.
- مبدأ مونرو: 12.
- مجموعة الخمسة: 124، 129.
- مرسوم كريميو: 159.
- مرسوم ميشال: 36.
- مشروع بلوم فيوليت: 25، 162، 163.
- معاهدة الحماية: 39، 40، 44، 50، 97، 200، 206، 207، 215، 216.
- معاهدة عدم الاعتداء: 13، 25، 39، 98.
- معركة داکار: 126.
- الملكية الدستورية: 213، 216.
- منظمة اليد الحمراء: 238.
- المؤتمر الإسلامي: 18، 24، 162.
- المؤتمر الافخارستي: 55.
- مؤتمر برلين: 56.
- مؤتمر قصر هلال: 55.
- الناقلة توماس تون: 134.
- وحدة العمل الشرقيّة: 140.

البيليو غرافيا

١. الأرشيف

1. A.N.O.M.GGA/Boit 9H/45.Document remis au Général Catraux le 11 juin 1943 par Ferhat abbas et le Docteur Tamzaliportan l'objet (projet de Réformes faisant suite au Manifeste du peuple Algérien Musulman du 10/02/43 présenté par les délégués Arabes et kabyles le 26 Mai 1943.
2. A.W.C, IR, boîte N°13 Lettre de Ferhat Abbas: à Mr: Le president de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national).
3. A.W.O, B 4476, GGA/Sécu...Gle..., N°5005.G3, Alger le 06/03/1941.
4. A.W.O, B 4477,R/Gend...,Sect. Masc..., Oct..1943.
5. ANOM, GGA, 5cab/66, CIE N° 220 du 02 avril 1941, activités indigène dans le département de Constantine Durant le mois de mars 1941. (Rapport de 15p.
6. Bulletin de renseignements (Region de Rabat), n°76, Rabat 4 ctobre 1939,
7. Fr CAOM 81 F 865 /ministère d'Etat charge des affaires algeriennes.
8. https://recherche-anom.culture.gouv.fr/data/files/anom.diffusion/pdf/inventaires/Franom_01568_all.pdf?1723208131
9. Jacques Mordal, LA Bataille Navale De Casablanca, Centre National de Documentation, Royaume du Maroc, N°016896, <http://archives.cnd.hcp.ma/uploads/news/016896.pdf>.
10. Le Manifeste du Peuple Algérien (10 Février 1943), documents inédits du mouvement national: Texts Fondamentaux (1943 1945), n°12, novembre 1983, I.R.boite N°13, A.W.C, pp4-19.
11. Projet de réforme, Faisant suite au Manifeste du peuple Algérien Musulman du 10 Février 1943, présenté par délégués Financiers Arabes et Kabyles le 26 MAI 1943, I.R. boîte N°13.A.W.C, pp19-27.

2. قائمة المصادر:

1.2. المصادر باللغة العربية:

1. الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة 1954-1964، ط1، تجميع أبو القاسم سعد الله، شركة دار الأمة، الجزائر، 1994.
2. آجيرون شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
3. أمل، الرباط 2014.
4. أندري جوليان شارل، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسّيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1976.
5. برادة الحسين، محمد الخامس ومواقفه السياسية لإنقاذ المغرب من ظلام حكم الحماية، ط1، مطبعة الأمانة، الرباط، 2006.
6. البلهوان علي، تونس الثائرة، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، 2018.
7. بن براهيم بن العقون عبد الرحمان، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936)، ج1، ط3، منشورات السائحي، الجزائر، 2010.
8. بن براهيم بن العقون عبد الرحمان، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية (1936-1945)، ج2، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
9. بوراوي عبد العزيز، نضالات نقابية زوابع وانفجارات 1943-1988، تقديم: عبد الجليل بن عباس ومحمد الزاوي، التفسير الفني، تونس، 2013.
10. بورقية الحبيب، حياي آرائي جهادي، نشرات كتابة الدولة للإعلام، تونس 1978.
11. بوضياف محمد، التحضير لأول نوفمبر 1954، ط1، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.
12. بوعلي البشير، ذكريات مناضل وطني، تقديم: جلولي فارس، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، (دس).
13. تشرشل ونستون، مذكرات تشرشل، ج1، دار المعرفة للطباعة والنشر.
14. تشرشل ونستون، مذكرات تشرشل، ج2، دار المعرفة للطباعة والنشر.
15. ثامر الحبيب، هذه هي تونس، مطبعة الرسالة، مكتب تحرير المغرب العربي، القاهرة 1948.
16. حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسلطان بالأمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، دار البعث، (دم)، (دت).
17. خير الدين محمد، مذكرات، ج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
18. خير الدين محمد، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ت.
19. دوايت أيزنهاور، حرب صليبية في أوروبا (غزو الحلفاء لأوروبا في الحرب العالمية الثانية)، ترجمة: إبراهيم عبود، ج5، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 1960.
20. زكرياء مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.
21. سبيلمان جورج، المغرب من الحماية إلى الاستقلال (1912-1956)، ترجمة: محمد المؤيد، منشورات أمل، الرباط، 2014.

22. السيد فرج، في شمال إفريقيا الحملة الإنجليزية الأمريكية والقتال الكبير في برقة وطرابلس وتونس أكتوبر 1942-مايو 1943، مطبعة المعارف، مصر، 1944.
23. شارل ديغول، مذكرات الحرب (النفير 1940-1942)، ترجمة: عبد اللطيف شرارة، ط3، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 1983.
24. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1959، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1976.
25. عباس فرحات، غدا سيطلع النهار، ترجمة: حسين لبراش، دار الجزائر للكتاب، 2012.
26. عسة أحمد، المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت، 1975.
27. عياش البير، الحركة النقابية بالمغرب (مغربة الحركة 1943-1948)، ج2، ترجمة: نور الدين سعودي، منشورات أمل، الدار البيضاء، 1997.
28. عياش البير، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة: عبد القادر الشاوي، نور الدين سعودي، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط، 1985.
29. غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ط1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987.
30. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.
31. فضلاء محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ط1، دار البعث، الجزائر، 1982.
32. القادري أبوبكر، محمد الخامس ملامح من حياته وصور من جهاده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995.
33. القادري أبوبكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية (1930-1940)، ج2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.
34. القليبي محي الدين، مأساة عرش، المطبعة العصرية، القاهرة، (دس).
35. الماطري محمود، مذكرات مناضل، دار الشروق، القاهرة، 2005.
36. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.
37. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.
38. بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الأدب، بيروت، 2011.
39. المرزوقي محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973.
40. مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.
41. هتلر أدولف، كفاحي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت (ب ت).
42. الورثاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.
43. الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد، مؤسسة محمد الوزاني للنشر، 1982.
44. ويستيفال سيغفريد وآخرون، القرارات المهلكة، ترجمة: رشيد صالح، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1983.

2.2. المصادر باللغة الأجنبية:

- 1- Abbas Ferhat, **Autopsie d'une guerre**, L'Aurore, paris, Garnier, 1980.
- 2- Abbas Ferhat, **La nuit Coloniale**, Edition ANEP, Alger 2005.
- 3- Abbass Ferhat, **L'Algérie de la Colonie Vers La Province, Le Jeune Algérien (1930), Suivi de Rapport au Maréchal Pétain Avril1941**, éditions Garnier Frères, paris 1981.
- 4- Albin Michel, Marcel Peyrouton, **Histoire générale du Maghreb: Algérie, Maroc, Tunisie**, des origines à nos jours, Floch, Paris, 1966.
- 5- André Nouchi, **La naissance du nationalisme Algérien dans l'Armée Française (1919-1945)**, éd Minuit, Paris, 1962.
- 6- Aron Robert, **The Vichy Regime 1940-1944**, The Macmillan Company New York, 1958.
- 7- Aron Robert, **Les Origine de la Guerre d'Algérie**, éd, Fayard, Paris, 1962.
- 8- Ben Barka Mahdi, **Option Révolutionnaire au Maroc Suivi de Écrits politiques**, éd, Maspero, paris, 1966.
- 9- Ben khedda Ben youssef, **Les origine du 1er novembre 1954**, édition Dahleb, Alger 1989.
- 10- Boularés Habib, **Histoire de la Tunisie les Grandes Dates de la Préhistoire à la Révolution**, Cérès Editions, Tunis, 2011.
- 11- Butcher Harry, **My Three Years with Eisenhower**, Simon and Schuster, New York, 1946.
- 12- Catroux, **Dans LA Bataille DE Méditerranée Egypt-Levant Afrique Du Nord 1940-1944- Temoignages Et Commentaires**, Ed René Julliard, Paris, 1949.
- 13- Chirchill Winston, Léonad Spencer, **Mémoires sur la deuxième guerre mondiale, L'heure tragique, L'Angleterre seule (mai- décembre 1940)**, T4, Plon éditions, paris, 1949.
- 14- Charles Mast, **Histoire d'une Rébellion (Alger 8Novembre1942)**, édition Plon, Paris, 1969.
- 15- Divine David, **Les 9 jours de Dunkerque**, Calmann- Lévy, Paris, 1964.
- 16- Dwight David Eisenhower, **Crusade in Europe: A Personal Account of World War II**, William Heinemann Ltd, London, 1948.
- 17- Eisenhower John, **Allies: Pearl Harbor To D-day**, Da Capo Press, New York, 1982.
- 18- Elliott Roosevelt, **Mon Père m'a dit**, Flammarion, Paris, 1947.
- 19- Eugène Vallet, **Un drame algérien: la vérité sur les émeutes de mai 1945**, Les Grandes Éditions Françaises, Paris, 1948.
- 20- Harbi Mohammed, **le F.L.N Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir (1954-1962)**, Ed. Jeune Afrique, paris, 1980.

- 21-Héring Pierre, **La vie exemplaire de Philippe Pétain**, Paris-Livres, Paris, 1956.
- 22- Howe George, **Méditerranéen Theater of Opérations**, US Gouvernement Printing Office, Washington, D. c. 1957.
- 23-Julien Charle André, **Le Maroc Face aux Impérialismes 1415-1956**, Editions Jeune Afrique, Paris 1978.
- 24-Kadache Mahfoud, **Histoire du Nationalisme Algérien 1919-1951**, T2, S.N.E.D, Alger 1980.
- 25-Kaddache Mahfoud. Sari Djilali, **L'Algérie dans l'histoire**, ENAL, OPU, Alger, 1989.
- 26-Le Tourneau Roger, **Evolution politique de L'Afrique du nord musulmane, 1920-1961**, Armand Colin, Paris1962.
- 27-Mahsas Ahmed, **Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie de la Première Guerre Mondiale à1954: essai sur la mouvement national**, l'harmattan, paris, 1979.
- 28-Merad Ali, **Les Réformisme Musulman en Algérie de 1925-1940**, Paris, 1967.
- 29-Mittleman Joseph, **Eight Stars to Victory**, F.J. Heer Printing Company, United States, 1948.
- 30-Morison Samuel Eliot, **Operations in North African Waters**, October 1942-June 1943, Castle Books, Boston, 1947.
- 31-Naroun Amar, **Ferhat Abbas ou Les Chemins de La Souveraineté**, éd: Denoël, Paris,1961.
- 32- Patton George Smith, **war as i knew it**, Houghton Mifflin, 1947.
- 33-Peyrouton Marcel, **Du service public à la prison commune, Souvenirs Tunis – Rabat – Buenos Aires - Vichy – Alger**, Fresnes, Librairie Plon, Paris, 1950.
- 34-Soustelle Jaques, **Envers et Contre Tout, de Londres à Alger Souvenirs et Documents sur la France Libre1940-1942**, T1, Ed Robert Laffont, Paris, 1947.
- 35- Truscott Lucian, **Command Missions: A Personale Story**, E. P. Dutton AND Company, INC, New York, 1954.
- 36-Vaucher Georges, **Sous Les Cédres D'ifrane**, René Julliard, paris, 1962.
- 37- Vernier Bernard, **La Politique islamique de L'àllmagne**, centre d'étude de politique étrangère section d'information, p n5, paris,1962.
- 38-Winston Chirchill, **Mèmoires sur la deuxième guerre mondiale, Le tournant du destin, L'àfrique sauveè,4juillet 1942-5juin 1943**, Plon édition, paris,1951.

3. قائمة المراجع:

1.3. مراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم نيرمين سعد الدين، صعود النازية ألمانيا بين الحربين العالميتين (سياسيا-اجتماعيا -اقتصاديا)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق 2008.
2. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الأمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
3. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الأمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
4. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الأمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
5. أبو لحية نورالدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
6. آلان جون. بيرسيفال تيلور، أصول الحرب العالمية الثانية، ترجمة: مصطفى كمال خميس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.
7. أوعامري مصطفى، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2013.
8. بجاوي محمد الصالح، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي، 1830-1918، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
9. بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
10. بلّاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص98.
11. بلخوجة الطاهر، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1999.
12. بلعزوز العربي، اللاجئون الإسبان في الجزائر خلال (1936-1962)، ط1، دار دزائر أنفو، الجزائر، 2013.
13. بن الفاطمي السلمي محمد، إسعاد الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992.
14. بن حميدة عبد السلام، الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس 1924-1956، ترجمة: محمد بسباس وآخرون، ج1، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس 1984.
15. بن داهة عدة، الإستيطان و الصّراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، 2013.
16. بن عزوز حكيم محمد، وثائق تشهد، مطبعة الساحل، الرباط، 1980.
17. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
18. بوزينة محمد، الحرب العالمية الثانية في تونس (8 نوفمبر 1942 - 13 ماي 1943)، ط1، منشورات محمد بوزينة، 1997.
19. بوري جون واتر، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، 2013.
20. بوشيشي شيخ، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 2018.

21. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، 1981.
22. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، ط2، دار مداد، قسنطينة، 2009.
23. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
24. بوعزيز يحي، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
25. بوغزالة عبد الكريم، الشيخ حمزة بوكوشة أضواء على سيرته ونماذج من آثاره، دار سامي، الوادي، 2023.
26. تشايحي عبد الرحمان، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881/1913، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.
27. تقيّة محمد، الثورة الجزائرية المصدر والمآل، ترجمة: عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010.
28. ثنيو نور الدين، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، المركز العربي للأبحاث والدّراسات السياسية، بيروت، 2015.
29. جلاب الهادي، علي باش حانبة 1876-1918، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية: سلسلة مناضل وأثره، تونس، 2005.
30. جمال عبد الملك، السياسة و الاستراتيجية في الحرين العالميتين الأولى و الثانية، دار الجيل، بيروت، 1988.
31. جمل عبد الوهاب، حكام إفريقيا وتونس من الفتح الإسلامي إلى العهد الجمهوري، د د ن، د م، 2017.
32. جويية عبد الكامل، الحركة الوطنية الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة (1946-1954)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2012.
33. جيلالي بلوفة عبد القادر، الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية، ط1، دار الامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
34. حجي محمد، وثيقتان جديدتان حول ملابسات إبرام معاهدة الحماية ومعاناة السُلطان عبد الحفيظ، كتاب التاريخ والفقه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة الجناح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 2002.
35. حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر، 2008.
36. الحركة الوطنية التونسية (ب م)، الدّستور الجديد في مواجهة الحنة الثانية 1938-1943 خمس سنوات من المقاومة، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1983.
37. حميد عبد القادر، عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، الجزائر 2003.
38. خضير إدريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
39. الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
40. الخطيب أحمد، حزب الشعب جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، 1986.

41. الدقي نور الدين، تنظيم الحكم في تونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1998.
42. الدليمي ثامر عزام أحمد سليم، الإدارة الفرنسية في المغرب (1936-1956)، ط1، دار عنيداء للنشر و التوزيع، الأردن، 2016 .
43. راشد أحمد إسماعيل، تاريخ المغرب السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.
44. رخيلا عامر، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ت.
45. رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا و العالم في العصر الحديث، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
46. رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية عرض مصور، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1989.
47. الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، قسنطينة 1984.
48. الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999 .
49. الزمرلي الصادق، تونس في عهد المنصف باي (1942-1943) بين الرجاء والخيبة، تقديم وتعريب حمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان. 1989.
50. زوزو عبد الحميد، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، 2013.
51. زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
52. سامعي إسماعيل، انتفاضة 8 ماي 1945 بقالة ومناطقها، مديرية النشر بجامعة قلمة، 2004 .
53. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992
54. السوفي عمار، عواصف الاستقلال " رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته من تامر إلى الشرايطي"، مطبعة الياسمين، تونس، 1996.
55. شريط الأمين، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.
56. شكري حمد فؤاد، ألمانيا النازية (دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر 1939-1945)، دار هنداي للنشر (ب.ت).
57. شلاي عبد الوهاب، المنظمة الخاصة "ومؤامرة تبسة" دراسة تاريخية موثقة، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2016.
58. الشّيح سليمان، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003.
59. شيرر وليام، تاريخ ألمانيا هتلرية (نشأة وسقوط الرايخ الثالث)، ترجمة: خيري حماد، ط2، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1966 .
60. صاري الجيلالي. قداش محفوض، المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
61. صفوة نجدة فتحي، هذا اليوم في التاريخ، ط1، دار الساقى، 2016.
62. ظريف محمد، الأحزاب السياسية المغربية من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ط1، دار الاعتصام، المغرب، 2001.

63. العاني خالد عبد المنعم، الرحالة يونس بحري في سجن أبو غريب مع رجال العهد الملكي في العراق بعد مجزرة قصر الرحاب 1958، الدار العربية للموسوعات، لبنان 2005.
64. عباس محمد، ثوار عظماء شهادة 17 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر 2009.
65. عباس محمد، رواد الحركة الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، منشورات دحلب، الجزائر، 2005.
66. عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس 1990.
67. عزيز عبد الكريم، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.
68. العسلي بسام، المذاهب العسكرية في العالم، ط1، دار النفائس، بيروت، 1993.
69. العسلي بسام، مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية "إيزنهاور"، ط1، دار النفائس، بيروت، 1989.
70. العلوي زين العابدين، المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف 1927-1956 فترة الحماية الفرنسية والإسبانية، ج3، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2009.
71. العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994.
72. عمر عبد العزيز عمر. محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر (1815-1950)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999.
73. عينايد رضوان ثابت، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة: ثابت عينايد ومغيلي، ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
74. غرد هب وآخرون، عميان عن التاريخ (العرب و ألمانيا النازية و اليهود)، ترجمة: محمد جديد، شركة قدمس للنشر و التوزيع، (ب.ب)، 2007.
75. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
76. قداش محفوظ، قنانش محمد، حزب الشعب الجزائري وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
77. القزدغلي الحبيب، تطوّر الحركة الشيوعية بتونس 1919-1943، علي المحجوبي، منشورات كلية الآداب، تونس، 1992.
78. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ترجمة: حمادي السّاحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
79. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، مج6، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
80. قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005.
81. كارتية رمون، الحرب العالمية الثانية (1942-1945)، ج2، ترجمة: سهيل سمّاحة، أنطوان مسعود، مؤسسة نوفل ش م م، بيروت، 1983.
82. كريم عبد الحميد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964 (مقاربة)، جامعة منوبة، تونس، 2008.
83. لويس ل. سنيدر، أدولف هتلر، ترجمة: طارق السيد خاطر، كتب عربية، (ب.ب)، (ب.ت).

84. مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الاجتماعي والديني (1925-1940)، ترجمة: محمد يحياتم، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
85. مرتين ميكل، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860-1956)، ترجمة: عبد العزيز الوديعي، منشورات التل، الرباط، 1988.
86. المستيري سعيد، المنصف باي الملك الشهيد، ترجمة: هشام القروي، دار الأفواس للنشر، تونس 1991.
87. المنصوري سالم، أحمد بن صالح وزمانه، تقديم: شاذلي القليبي، منشورات نيرفانا، تونس، 2018.
88. مهديد إبراهيم، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين 1931-1944، دار القدس العربي، وهران، 2015.
89. مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، دار الطليعة للنشر و التوزيع، قسنطينة، 2003.
90. الناصري محمد، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9-13 أبريل 1947، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كئابرانت، الرباط، 2007.
91. الهمامي حمة، قراءة في تاريخ الحركة النقابية، الصامد للنشر والتوزيع، تونس، 1988.
92. هويسنطن وليام، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نويس 1936-1943، ترجمة: إبراهيم أبو طالب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001.
93. الوزاني عز العرب محمد حسن، حدثني والدي المعركة من أجل الشورى والاستقلال (1946-1955)، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1990.
94. ولد القابلة إدريس، قضايا سياسية في المغرب، دار ناشري للنشر الإلكتروني، المغرب، 2003.
95. يحي جلال، العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1996.
96. يحي جلال، عبد الكريم الخطابي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، مصر، 1968.
97. اليوسفي الأمين، الحركة النقابية في تونس 1900-1981، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس 1983.

2.3. مراجع باللغة الأجنبية:

1. Abdelhadi Boutaleb, **Memories, Testimonies and Faces**, vol. 2, Rabat, 1993,
2. Agéron Charles Robert, **Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919**, Paris: P.U.F, 1968.
3. Alexandra Lohse, Jon Middaugh, **Operation Torch (The American Amphibious Assault On French Morocco 1942)**, Naval Institute Press, Washington, 2015.
4. Alya Aglan, Robert Frank, **L'occupation Allemande en Europe Régimes et Répression 1937-1947**, Gallimard (folio), paris, 2015.
5. Antony Clayton, **Histoire De L'armée Française En Afrique**, Albin Michel, Paris, 1994.
6. Benali Boukort, **Le Soufle du Dahra**, Entreprise nationale du livre, Alger, 1986.
7. Benjamin Stora, Daoud zakya, **Ferhat Abbas L' autre Algérie**, Ed casbah, Alger 1995.
8. Benjamin Stora, **Dictionnaire biographique des militants nationales Algériens (1926-1954)**, l'harmattan, Paris, 1985.
9. Benjamin Stora, **Messali Hadj (1898-1974) pionnier du Nationalisme Algérien**, Edition L'harmattan, paris, 1998.
10. Bernard Droz, Evelyne Lever, **Histoire de la Guerre d'Algérie**, seuil histoire, 1982, pp.33-36.
11. Bernard Noble, E. R. Perkins, **Foreign Relations of the United States: Diplomatic Papers**, United States Government Printing Office, Washington, 1960, p456.
12. Bernard Vernier, **La Politique islamique de L'Allemagne**, centre d'étude de politique étrangère section d'information n5, paris, 1962.
13. Bessis Juliette, **Chakib Arslan et le Fasciste in Maghreb Questions d'histoire**, paris, L'harmattan, 2003.
14. Brian Lane herder, **operation torch 1942 the invasion of French North Africa**, Osprey Publishing, New York, 2017.
15. Carroll Quigley, **Tragedy and Hope A History of World in Our Time**, the Macmillan Company, New York, 1966.
16. Christine Levisse Touzé, **L'Afrique du Nord dans La Guerre 1939- 1945**, Edition Albin Michel, S.A, Paris, 1998.
17. Claude Collot-Jean Robert Henry, **le mouvement national algérienne, texte 1(1912-1954)**, Offices des publication universitaire, Algér, 1978.
18. Cristina Tango, **L'Espagne: Franquisme, transition démocratique et intégration européenne**, Publications Europa, Genève, 2006.
19. Dahms Helmut Gunter, **La seconde guerre mondiale**, traduit de l'allemand: René jouan, éditions Payot, paris, 1961.
20. Danan Yves Maxime, **Politique à Alger De 1940 à 1944**, librairie générale de droit et de jurisprudence, paris, 1963.
21. Daniel Rivet, **Histoire Du Maroc**, Fayard, Paris, 2014.

22. David Irving, **Goebbels Mastermind of the Third Reich**, Perforce Ltd, London 1996.
23. David Motadel, **Islam and Nazi Germany's War**, Library of Congress, United States 2014.
24. Derek Hopwood, **Habib Bourguiba of Tunisia**, St. Martin's Press, New York, 1992.
25. Fiori H, **Bibliographie des ouvrages imprimés à Alger de 1830 à 1850**, Slatkine Reprints, Genève, 1998.
26. Georges Oved, **La gauche française et le nationalisme marocain**, T2, éd, L'harmattan, Paris, 1984.
27. Gérard Bossuat, **Les aides américaines économiques et militaires à la France, 1938-1960**, Institut de la gestion publique et du développement économique, Comité pour l'histoire économique et financière de la France, Vincennes, 2001.
28. Gilbert Meynier, **L'Algérie Révélée: La guerre de 1914-1918 et Première Quart DU XXe Siècle**, Librairie Droz, Genève, Paris, 1981.
29. Gitta Amipaz Silber, **La Résistance juive en Algérie (1940-1942)**, Rubin Mass Notamment, Paris, 1986.
30. Henry Rousso, **The Vichy Syndrome: History and Memory in France since 1944**, Translator: Arthur Goldhammer, Harvard University Press, USA, 1984.
31. Irwin Wal, **L'influence Américaine sur la Politique Française (1945-1954)**, éd, Bolland, 1989, p38
32. Jacques Sabille, **Les Juifs de Tunisie sous Vichy et l'Occupation**, éditions du Centre, Paris, 1954.
33. Jamaà Baida, **La Presse Marocaine D'expression Française des origines à 1956**, publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat
34. Jean Lopez, Lasha Otkhmezuri, **Barbarossa - 1941 - La guerre absolue, Passés composés**, Humensis, 2019.
35. Jean Louis Planche, **Sétif, Histoire d'un massacre annoncé**, Chihab éditions, Alger, 2006.
36. Jean Quellin, **La Seconde Guerre Mondiale (1939-1945)**, Tallandier, paris, 2017.
37. Jon Diamond, **First Blood in North Africa (Operation Torch and the U.S campaign in Africa in WWII)**, Stack pole Books, USA, 2017.
38. Julián Casanova, **A Short History of the Spanish Civil War**, Revised Edition, Spanish, 2017.
39. Julien Charles André, **Le Maroc Face aux impérialismes 1415- 1956**, Ed. JA, Paris, 1978.
40. Juliette Bessis, **Chakib Arslan et le Fascisme in Maghreb Questions d'histoire**, L'harmattan, paris, 2003.
41. Kassab Ahmed - Ounaies Ahmed, **Histoire Générale De La Tunisie (1881- 1956) L'époque Contemporaine**, tome 3, Sud Édition, Tunis, 2010.

42. Lambert Surhone, Mariam Tennoe, Susan Henssonow, **Operation Flagpole (World War II)**, Betascript Publishing, Paris, 2011.
43. Lucien Adés, **L'aventure Algérienne 1940-1944, Pétain-général De Gaulle**, Ed Belfond, Paris ,1997.
44. Mackaye Milton William, **Combat Commander: Autobiography of a Soldier**, Prentice Hall, Michigan, 1970.
45. Mahsas Ahmed, **Le mouvement Révolutionnaire en Algérie de la 1^{er} guerre mondiale à 1945**, el maarifa, Algérie 2007.
46. Marc Olivier Baruch, **Vichy et les préfets Le corps préfectoral français pendant la Deuxième Guerre mondiale**, La Documentation française, 2021.
47. María Rosa de Madariaga, **Los moros que trajo Franco**, Alianza Editorial, 2015.
48. Moche Gershovich, **French military rule in Morocco...colonialisme and its effects**, Frank Cass, London, 2000.
49. Natalya Vince, **the Algerian War, the Algerian Revolution**, Springer Nature, Switzerland, 2020.
50. Natalya Vineet, **the Algérian war the Algérian revolution**, Palgrave Macmillan, Switzerland 2020.
51. Ordioni Pierre, **Tout Commence à Alger (1940-1944)**, éd, Stock, Paris, 1972.
52. Patrick Cabanel, Jacques Alexandroúpolis, **La Tunisie mosaïque**, Presses universitaires du Midi, Toulouse, 2000.
53. Philippe Collin, **Le Fantôme de Philippe Pétain**, France Inter Flammarion, France, 2020.
54. Pierre Darmon, **L'Algérie de Pétain -Les Populations Algériennes ont la Parole (Septembre 1939-Novembre 1942)**, Perrin, Paris 2014.
55. Pierre leffon, **Histoire de la France en Algérie**, éd. PLON, Paris, 1980.
56. Preston Paul, **Franco Caudillo de España**, Grijalbo Mondadori, Barcelona, 1998.
57. Rafael Scheck, **Nazi Propaganda toward French Muslim Prisoners of War**, Holocaust and Genocide Studies, winter, 2012.
58. Rafael Scheck, **Nazi Propaganda toward French Muslim Prisoners of War**, Holocaust and Genocide Studies, Waterville 2012.
59. Raoul Aglion, **De gaulle et Roosevelt**, T2, éd, la Bruyère, Paris, 1997.
60. Recham Belkacem, **Les Musulmans Algériens Dans L'armée Française (1919-1945)**, Harmattan, Paris, 1996.
61. Reinhard Marcel, **Histoire de France de 1715 à 1946, ouvrage collectif**, Larousse éditions, Paris, 1954.
62. Richard Scully, **British Images of Germany (Admiration, Antagonism, Ambivalence, 1860- 1914)**, Palgrave Macmillan, New York 2012.
63. Robert Paxton, **Vichy France: Old Guard and New Order 1940-1944**, Columbia University Press, New York, 1976, p165.
64. Ruth Henig, **The Origins of the Second World War 1933–1941 Second**, éd, Methuen & Co Ltd, New York, 1985.

65. Stephen budiansky, **battle of wits: the complete story of code breaking in world war2**, the free press, new work, 2000.
66. Tegua Mouhamed, **L'Algérie en guerre**, Office des publications universitaire, Alger, 1988.
67. Tim Brady, **Twelve Desperate Miles: The Epic World War II Voyage of the SS Contessa**, Crown First Ed, New York, 2012.
68. Vincent P. O'hara, **Torche: North Africa and the Allied Path to Victory**, MD: Naval Institute Press, Annapolis 2015.
69. William Shirer, **the rise and fall of the third Reich**, Rosetta books, USA, 2011.

3.3. صحف باللغة العربية:

1. جريدة الإرادة/ بتاريخ 15 أوت 1950.
2. جريدة الأهرام، العدد 2275/ بتاريخ: 6 أكتوبر 1946.
3. جريدة البصائر، العدد 103/ بتاريخ: 1950.
4. جريدة البصائر، عدد 76/ بتاريخ 23 جويلية 1937.
5. جريدة الزهرة، العدد 11400/ بتاريخ: 6 جوان 1947.
6. جريدة المجاهد، العدد 664/ بتاريخ 01 نوفمبر 1961.
7. مجلة الشهاب، ج 4، مج 13/ بتاريخ 11 جوان 1937.
8. نشرة أخبار المغرب، ع3، الرباط/ بتاريخ: أبريل 1946.

4.3. صحف باللغة الأجنبية:

1. **Liberté**, journal hebdomadaire, organe du PCA, Rédacteur en chef: Bâchi Hadj Ali, 04 janvier 1945.
2. **New York Times**, November 12, 1942.
3. **Le Monde**: 8-9/ 07/ 1945.
4. **Liberté**, 27 Février 1947.
5. **Egalité**, 27 Juin 1947.
6. **Echo d'Alger**, 24 Décembre 1947.
7. **Le Monde**, N° 2231, Mardi 01/04/1952.
8. **Journal of Contemporary History**, Vol. 22, No 4, October, 1987.

5.3. مقالات باللغة العربية:

1. إحسان عبد الحميد، المغاربة والدعاية الأجنبية أثناء الحرب العالمية الثانية، مجلة أمل، المجلد 9، العدد 25، 2002.
2. إقنان عبد الحفيظ، واقع الحركة العمالية في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، المجلد 10، العدد 01، جوان 2019.
3. أنويكة عبد السلام، المغرب زمن الحرب العالمية الثانية بعيون الرئيس الأمريكي روزفلت، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة عشرة، العدد 52، جوان 2021.
4. أوعامري مصطفى، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، جوان 2016.
5. أوعامري مصطفى، الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية (1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 17، العدد 29، جوان 2016.
6. أيت حبوش حميد، قانون التجنيد الإجباري 1912 دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه، الحوار المتوسطي، مجلد 9، العدد 2، جامعة سيدي بلعباس، سبتمبر 2018.
7. براكي عبد الباقي، الصّراع بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف وتداعياته على الوضع السياسي التونسي 1934-1956، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، المجلد 4، العدد 2، جوان 2019.
8. بلعباسي محمد، محمد شبوب، مجازر 8 ماي 1945 وأثرها في تطوير الوعي السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، مجلة تنوير، العدد 5، جامعة الشلف، مارس 2018.
9. بن باديس عبد الحميد، كلمات صريحة "الشمال الافريقي كيف يجب أن يعالج، الشهاب، ج 9، 13 رمضان 1356، نوفمبر 1937.
10. بن باديس عبد الحميد، نحن بين راديو باري وراديو الجزائر يستشهد بنا كل على آخر، البصائر، العدد 22، 12 ماي 1939.
11. بن بوزيان عبد الرحمن، واقع الدعاية الألمانية النازية في المغرب الأقصى (1933-1945)، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 03، 2017.
12. بن قبي عيسى، تطوّر النضال السياسي لدى فرحات عباس من خلال بيان 10 فيفري 1943، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2013.
13. بن مصطفى محمد صالح، حكم الأمين باي بين ثقل الإرث وجسامة المسؤولية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 85-86، تونس، 1997.
14. بوحجام محمد ناصر، جريدة الشّباب (1926-1951)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، عدد 4، 1995.
15. بوسعد الطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية المباركة (1931-1962)، الصراط، العدد 16، جانفي 2008.
16. بوطيبي محمد، الحركة النقابية التونسية (دراسة مقارنة بين نقابتي جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل أمودجا)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة المدية، المجلد 8، العدد 13، ديسمبر 2017.

17. تلي رفيق، نفي محمد بن يوسف (محمد الخامس) من طرف السلطات الفرنسية - دراسة في ظروف وملابسات النفي ومواقف وردود الفعل المغربية والإسبانية، مجلة متون، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، 2020.
18. حسني عبد الوهاب حسن، خلاصة تاريخ تونس، تحقيق حمادي السّاحلي، دار الجنوب للنشر، تونس 2010.
19. حمودة زينب، طنجة تحت الاحتلال الإسباني (1940-1945)، أسطور للدراسات التاريخية، العدد 4، جويلية 2016.
20. حواس محمد، حزب الشّورى والاستقلال في المغرب الأقصى 1946-1956 نموذج للدور التحرّري للنخبة في المغرب العربي، مجلة الدّراسات التاريخية، مجلد 19، العدد 2، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018.
21. خورشيد سراب جبار، العلاقات الألمانية المغربية (1912-1956)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 59، لجامعة المستنصرية، العراق، 2017.
22. الرويسي يوسف، نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس، 1978.
23. زايد عزي الدين، إنتشار خلايا أحباب البيان والحرية في الغرب الجزائري، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2009.
24. زبير رشيد، انتفاضة ماي 1945 هل كانت من تدبير حزب الشّعب الجزائري ؟ أم مؤامرة كولونiale ؟، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، جانفي 2015.
25. زروقي محمد، تأثير الدعاية المتضاربة على تونس خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 04، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، مارس 2018.
26. زروقي محمد، تأثير الإنزال الأنجلو أمريكي بالجزائر 6-9 نوفمبر 1942 على نشاط الحركة الوطنية إلى غاية 1945، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، تلمسان، العدد 6، جوان 2017.
27. سبيحي عائشة، القوانين الكولونiale واللغة العربية في الجزائر (ميشال 1933، رينيه 1935، شوطان 1938) أمودجا، مجلة صوت القانون، المجلد 7، العدد 3، المركز الجامعي مرسلبي عبد الله، تيبازة، 2021.
28. سعيدوني ناصر الدين، أحداث ماي 1945 ذكريات وتضحيات جسيمة وعبرة وكفاح مرير، مجلة الذاكرة، العدد 2، 1995.
29. الشاوش محمد العربي، أسرار عن موقف المولى عبد الحفيظ من معاهدة فاس، مجلة دعوة الحق، العدد 246، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، 1995.
30. شوب محمد، قراءة في بيان 10 فيفري 1943 ونتائجه على الأوضاع السياسية في الجزائر، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 7، العدد 1، الجزائر 2021.
31. شبوط سعاد يمينة، حركة انتصار الحريات الديمقراطية - MTL D - (1945-1954) من الازمة إلى القطيعة، المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 08، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016.
32. شبوط سعاد يمينة، الثورة الجزائرية في مرحلة المخاض (1953-1954)، ظروف تأسيس جبهة التحرير الوطني (FLN) والحركة الوطنية الجزائرية (MNA) نوفمبر-ديسمبر 1954، دورية كان التاريخية، العدد 21، سبتمبر 2013.
33. شكاك صالح، السياسة الجهوية بالمغرب خلال فترة الحماية، مجلة المناهل، العدد 89-90، جوان 2011.

34. شلي محمد الحبيب، موقف الحزب الحر الدستوري التونسي من المحور والحلفاء، ثلاثة رسائل من الشيخ أمين الحسيني إلى عبد العزيز الثعالبي، المجلة التاريخية المغربية، العدد 21، أفريل، 1981.
35. صقلي خالد، التضامن بين المغاربة من خلال وثيقة 11 يناير 1944، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد 37، سبتمبر 2017.
36. طحطح خالد، الإستغرافيا الألمانية وعقدة النازية، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، العدد 4، جويلية 2016.
37. عبدوس عبد الحميد، 90 سنة على تأسيس جمعية العلماء وما زالت الرسالة مستمرة، البصائر، العدد 1062، ماي 2021.
38. عصماني عبد الصمد، الصّراع داخل حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية (من الازمة الإيديولوجية إلى أزمة القيادة (1946-1954)، المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 1، جامعة باتنة 1، سبتمبر 2019.
39. عقيل نير، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945، مجلة دراسات تاريخية، العدد 139، 2019.
40. عكاش عبد السلام، تفسير الصحافة الشيوعية وصحافة الحركة الوطنية لدور المجاعة ضمن أسباب انتفاضة 08 ماي 1945، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 21، جامعة باجي مختار، عنابة، ديسمبر 2015.
41. عنان عامر، نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ما وراء البحار، العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا، المجلد الأول، العدد 01، جانفي 2018.
42. القسنطيني الكري، الأوضاع السياسية غداة دخول الحلفاء إلى تونس، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24، نوفمبر 1981.
43. لباز الطيب، مظاهرات الثامن ماي 1945 في الجزائر (الأسباب و النتائج)، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 05، العدد 01، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، جوان 2021.
44. لونيسي إبراهيم، أزمة حزب الشعب الجزائري خلفيات وأبعادها، المصادر، ع2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999.
45. لونيسي إبراهيم، جريدة البصائر والثورة الجزائرية (1954-1956)، مجلة الواحة للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2، جامعة الجيلالي ليايس، 2014.
46. مدور خميسة، مشروع بلوم- فيوليت إصلاحات ضائعة بين تماطل بين حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوي الجزائري (1936-1938)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 4، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016.
47. المرون مصطفى، السلطانان عبد الحفيظ وعبد العزيز: وجهان لعملة الحماية الفرنسية، والسلطان مولاي يوسف: الوجه الخفي في الحماية الإسبانية على المغرب، جريدة العالم الأمازيغي، العدد 142، ماي 2012.
48. المرون مصطفى، في حوار أجراه معه: سعيد باجي، جريدة العالم الأمازيغي، العدد 142- ماي 2012.
49. مياد رشيد، منهج بن باديس في تعميق الفكر الثوري، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد 2، جوان 2019.
50. النحيلي محمد، الإنزال العسكري الأمريكي بالمغرب إبان الحرب العالمية الثانية: الظروف والخلفيات، الحوار المتمدن، العدد، 5451، 2017.

51. يحي أحمد محمد - حمادي سلمان حمادي، القطاع التجاري في تونس خلال سنوات الحرب العالمية الثانية 1939-1945، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 29، العدد 11، جامعة تكريت العراق، 2022.

6.3. مقالات باللغة الأجنبية:

1. - Haim Saadoun, **La Résistance du 8 Novembre 1942 en Algérie**, Revue d'histoire de la Shoah, N° 205, VOL 2, 2016.
2. - Julien Gazin, **Le Débarquement Des Allies en Afrique Du Nord**, Revue Des Deux Mondes, October 1979.
3. Albert Camus, **Misère de Kabylie**, article parus dans Alger Républicain, voir: actuelles, chronique algérienne, 20 éditions, Gallimard, Paris, 1958, V2.
4. Charles Mast, Ledell Hart Basil, **Le Point de Vue Français**, Historia, Paris, 1968.
5. Charles Robert Agéron, **Les Troubles du nord-constantinois en mai 1945 in Vingtième siècle**, Revue d'histoire, N°4, octobre, 1984.
6. Charles Robert Agéron, **Un Mémoire Inédit du Général D à l'armée Juin Sur Les Evénements du 8 AU 13 Novembre 1942 A Alger**, Guerres Mondiales et Conflits Contemporains, N°159, Juillet, 1990.
- 7- Christophe Pécout, **Pour une autre histoire des Chantiers, de la Jeunesse (1940-1944)**, Vingtième Siècle, Revue D'histoire, N°116, Octobre- Decembre, 2012.
- 8- Donald Cameron Watt, **The Secret Laval-Mussolini Agreement of 1935 on Ethiopia**, Middle East Journal, Vol 15, N° 1, Winter, 1961.
- 9- Gaël Eismann, **Le Militärbefehlshaber in Frankreich et la genèse de la « solution finale » en France (1941-1942)**, Vingtième Siècle. Revue d'histoire, Vol 4, N° 132, 2016.
- 10- Giovanni Messe, **La Mia Armata in Tunisia (Come finì la Guerra in Africa)**, Revue d'histoire de la Deuxième Guerre mondiale, 13 Année, N° 50, Avril 1963.
- 11- Jamaà baida, **the American landing in November 1942 a turning point in morocco s contemporary history**, the journal of north African studies, Vol 19, N°4, 2014.
- 12- Jean Pierre, **Tanger son statut sa zone (1923-1956)**, Horizons Maghrébins Le droit à la mémoire, N°31-32, 1996.
- 13- John Patch, Fortuitous Endeavor, **Intelligence and Deception in Operation Torch**, Naval War College Review, Vol 61, No 4, 2008.
- 14- José Aboulker, **Témoignage (Alger, 8 Novembre 1942)**, Le Monde juif, N°152, Vol 3, 1994.
- 15- Josep Clara, Antonio Yuste Segura, **el General de la Jonquera**, Annals de l'Institut d'Estudis Empordanesos (AIEE), Figueres, Vol 53, 2022.
- 16- Karim Bejjit, **U.S. Moroccan Relations in the Context of the Anfa Conference**, Jornal of Global Initiatives, Policy Pedagogy, Perspective, vol14, No2, 2019.
- 17- Laurent Joly, **L'administration de l'État français et le statut des Juifs du 2 juin 1941**, Archives Juives, N°1, Vol 41, 2008.

- 18- Lévisse Touzé Christine, **Le général Giraud et l'Afrique du Nord (1942 - juin 1943)**, Revue Historique des Armées, N°191, Deuxième Guerre mondiale, 1993.
- 19- Maïté Lascaud, Frédéric Dutheil, **Pratiques physiques et sportives, "formation virile et morale" dans les Chantiers de la jeunesse, 1940-1944**, Revue Internationale des sciences du sport et de l'éducation physique, Volume 23, N° 58, printemps 2002.
- 20- Henri Bresc, Charles-Emmanuel, **Dufourcq et le Maghreb Médiéval: UN Etiniraire**. Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, N° 35, 1983.
- 21- Mark Willis, **Not liberation but destruction: war damage in Tunisia in the Second World War (1942-1943)**, the journal of North African Studies, Vol 20, N°2, 2014.
- 22- Michael Patrick William Stone, **Tunisia 1942-1943**, The U.S. Army Center of Military History Pub, VOL 72, N° 12. 2001.
- 23- Robert Arcand, **Pétain et de Gaulle dans la presse québécoise entre juin 1940 et novembre 1942**, Revue d'histoire de l'Amérique française, Vol 44, N° 3, hiver, 1991.
- 24- Roger Gromand, **Le Débarquement Allié au Maroc Novembre 1942**, revue des deux mondes, N°11, 2016.
- 25- Stenner, **Did Amrica promise Morocco's independence? The nationalist movement: the sultan, and the making of the Roosevelt Myth**, journal of north African Studies, VOL19, N4, 2014.
- 26- Susana Sueiro Seoane, **España en Tánger durante la Segunda Guerra Mundial**, la consuma-ción de un viejo anhelo, Espacio, Tiempo y Forma, V 7 1994.
- 27- Susana Sueiro Seoane, **La Ciudad de los espías (1940-1945): Tánger español y la política británica**, Revista Universitaria de Historia Militar, Vol 4/8/, 2015.

7.3. التقارير:

1. Ferhat Abbas, **Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation**, rapport présenté par Ferhat Abbas au 2eme congrès national de l'<< U.D.M.A>> Tlemcen les 16.17 et 18 Septembre 1949.
2. Ferhat Abbas, **Regards sur le présent et L'avenir de L'Algérie**, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1 Congrès de L'< U.D.M.A>, édition Libération, Alger, 1948.
- 8.3. الملتقيات والندوات:

1. جبرو عبد اللطيف، محمد بوضياف ودوره البارز في تنسيق الكفاح المسلح المغاربي، جيش التحرير المغاربي 1948-1955، أعمال ملتقى مؤسسة بوضياف، الجزائر، 11-12 ماي 2021.
2. مصمودي فوزي، العلامة الخضر حسين ونضاله التحرري من خلال جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، الملتقى الدولي: دور حركات التحرر العربية ومساهمة الجزائريين خلال القرنين 19 و 20، المنعقد بفندق الأوراسي، الجزائر، 20/19 أبريل 2015.
3. الوزاني عز العرب، الديمقراطية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة محمد بلحسن الوزاني، أعمال ندوة دولية نظمت بفاس، أيام 9-12 سبتمبر 1998، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

9.3. الأطروحات الجامعية:

1.9.3. باللغة العربية:

1. آيت بلقاسم فاطمة الزهراء، الحرب العالمية الثانية وتأثيراتها على الحركات الوطنية المغاربية الجزائر والمغرب الأقصى نموذجين 1939-1956، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017.
2. بديدة لهر، الحركة الديغولية في الجزائر (1940-1945) من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010.
3. بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس 2015-2016.
4. تلي رفيق، محمد الخامس والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2015-2016.
5. زايددي عزيز الدين، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014/2015.
6. زروقي محمد، تأثيرات الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في دول المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2020-2021.
7. شرويك محمد الأمين، الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة و الموالة للاستعمار (1830-1954)، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس 2019-2020.
8. عقيب محمد السعيد، الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2009-2010.
9. عنان عامر، شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2016-2017.

11. غريسي أحمد، الحركة الوطنية في الجزائر وتونس 1945-1956 دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة العربي التبسي، 2020-2021.
 12. مجاود حسين، الثقافة السياسية لدى أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس-يوسف بن خدة نموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس 2016-2017.
 13. حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية (مقاربة في المضامين)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله، 2016-2017.
 14. معزة عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010.
- 2.9.3. أطروحات جامعية باللغة الأجنبية:

1. Christine Levisse Touze, **L'Afrique du Nord - Recours ou secours ? Septembre 1939 - juin 1943**, Thèse de doctorat, Paris 1, janvier 1991.
2. Jamaâ Baida, **La presse marocaine d'expression française des origines à 1956**, Thèse de doctorat, Histoire du monde contemporain Bordeaux 3, 1995.

3.9.3. رسائل الماجستير:

أ. باللغة العربية

1. بوعبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الإدماج والوطنية (1919-1962)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006.
2. شريف عبد الغفور، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956) دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر3، 2012-2013.
3. عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927-1962) مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.

ب. باللغة الأجنبية:

1. John Casey Doss, **Denying a Golden Opportunity For Some Germany Lawrence of Arabia u.s.a. Civil Affairs in French North Africa (1940-1943)**, military academy athesis submitted to the faculty of Colombian college Washington university, in portialful fillment of the requirements of master of arts, 2009.

10.3. المواقع الالكترونية:

1. رؤوف بن رجب، السياسة الخارجية لدى الحبيب بورقيبة دبلوماسية البراغمية و النظرة الإستشرافية الثابت و المتغيرات. على الرابط:

<https://www.lediplomate.tn/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8>

2. وثائقي معارك الحرب العالمية الثانية على الروابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=N9MEwRLuZjA>

<https://www.nationalww2museum.org/war/articles/first->

<https://www.youtube.com/watch?v=YatG6XwKWEU>

3. ندوة "إضاءات حول الرحلة السلطانية إلى طنجة"، مداخلة بعنوان: قراءات في خطاب الأميرة لالة عائشة بطنجة 1947. على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=O-GiDiJ_FU

4. Kallis Aristotle, (2021, mai 09). Nazi Propaganda in the Second World War. Retrieved from Other Palgrave: <http://emprints.lancs.ac.uk/id/emprint/129>

5. Le rapport du général Tubert peut être consulté sur le site de Henri Pouillot: <http://www.henri-pouillot.fr/spip.p>

6. http://www.lepoint.fr/societe/exclusif-setif-les-archives-inedites-16-09-2010-1236970_23.php, consulté le 10 mai 2022 à 17h .

7. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/11/13/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A2%D9%86%D9%81%D8%A7>

8. Pierre Escoube: Eirik Labonne Diplomate hors-série, <https://www.revuedesdeuxmondes.fr/wp-content/uploads/2016/11/8b0a00315>.

9. <https://ar.leaders.com.tn/article/0988-%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9>.

10. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7/%D9%85%D8>.

11. <https://www.lemonde.fr/idees/article/2007/08/16/retrocontroverse-1998> .

12. La signature de l'armistice entre la France et l'Allemagne le 22 juin 1940 à Rethondes, Sur Internet:

13. <https://enseignants.lumni.fr/fiche-media/00000003440/la-signature-de-l-armistice-entre-la-france-et-l-allemande-le-22-juin-1940>.

14. <http://dictionnairedesorientalistes.ehess.fr/document.php?id=152>

15. <https://top-halal.fr/mosquee-de-paris> .

11.3. الموسوعات:

1. أبي فاضل وهيب، موسوعة عالم التاريخ و الحضارة، ج6، ط2، دار نوبليس، بيروت، 2005.
2. البيطار فراس، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج4، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2014.
3. الحسيني الحسيني معدى، موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية، دار الحرم للتراث، ط1، القاهرة، 2011.
4. الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة (06 أجزاء)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.
5. مخول موسى، موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين في إفريقيا، ط1، بيسان للنشر و التوزيع والإعلام، بيروت، 2001.
6. نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، 1942 يوما من أيام الحرب العالمية الثانية، ط1، الدار العربية، للموسوعات، بيروت، 1994.

12.3. الاطالس:

1. الركالة رشيد، محمد الرفاس، أطلس المغرب، سلسلة أطالس إفريقيا، باريس 2003.
2. فديريكو رو أجوستيني، محمد محمود الصياد، أطلس الجزائر والعالم، ط1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1978.
3. لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 2009.

13.3. القواميس والمعاجم:

1. Dictionnaire Encyclopédique Le Petit Larousse Illustré 1984, Kibrairie Ka Rouse, Paris 1980.
2. عبد الغني مصطفى، معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر، دار الجوهرة، القاهرة، 2014.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

I.....	الواجهة
III.....	شكر وعرفان
IV.....	الإهداء
V.....	المختصرات
أ.....	مقدمة
ب.....	1. تمهيد
ب.....	2. أهمية الدراسة:
ج.....	3. أسباب اختيار الدراسة:
ج.....	1.3 الأسباب الموضوعية
Error! Bookmark not defined.	2.3 الأسباب الذاتية:
ج.....	4. الإطار المكاني والزمني للدراسة:
د.....	5. إشكالية الدراسة:
د.....	6. المناهج المعتمدة في الدراسة:
ز.....	8. المادة العلمية المعتمدة في الدراسة:
ز.....	1.8. الوثائق الأرشيفية:
ح.....	2.8. المصادر:
ط.....	3.8. المراجع:
ي.....	4.8. الصحف والمجلات:
ي.....	9. نقد المصادر والمراجع:
ي.....	10. الدراسات السابقة:
ك.....	11. صعوبات الدراسة:
12.....	الفصل الأول.....
12.....	الحركة الوطنية وسياسة القمع الفرنسيّة في شمال إفريقيا بداية الحرب العالمية الثانية
12.....	ديسمبر 1939 – جوان 1940

13	1. اندلاع الحرب العالمية الثانية ومواقف الجزائريين:.....
13	1.1. اندلاع الحرب العالمية الثانية:
16	2.1. مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب العالمية الثانية:.....
29	2. سياسة القمع الفرنسية في الجزائر بداية الحرب العالمية الثانية:.....
29	1.2. التعبئة العسكرية:
32	2.2. التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي:
33	3.2. المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية:.....
37	4.2. حل الأحزاب واعتقال الزعماء:
43	3. المغرب تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية:.....
43	1.3. السياق التاريخي لتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب 30 مارس 1912.
44	2.3. مواقف المغاربة من الصّراع بين الحلفاء والمحور:
51	3.3. سياسة الحماية الفرنسية بالمغرب بداية الحرب العالمية الثانية:
57	4. تونس تحت الحماية الفرنسية بداية الحرب العالمية الثانية:
59	1.4. تونس في استراتيجية الحلفاء والمحور:
60	2.4. أحداث 09 أفريل 1938 في تونس:.....
63	3.4. موقف الحزب الدّستوري القديم من الصّراع بين الحلفاء والمحور:.....
65	4.4. موقف الدّستوري الجديد من الصّراع بين الحلفاء والمحور:.....
67	الفصل الثاني:
67	شمال إفريقيا خلال الهدنة الفرنسية الألمانية
67	جوان 1940- نوفمبر 1942
68	1. انهيار فرنسا وتوقيع الهدنة:
72	2. قيام حكومة فيشي في فرنسا:.....
75	3. الجزائر تحت حكم فيشي:
88	4. المغرب الأقصى في عهد حكومة فيشي:
90	1.4. الاحتلال الإسباني لمدينة طنجة:

5.	تونس خلال الهدنة الفرنسية الألمانية:	96
1.5.	اعتلاء المنصف باي عرش تونس	99
2.5.	يهود تونس تحت حكم فيشي:	102
6.	دعاية المحور في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية:	103
1.6.	أدوات ووسائل دعاية المحور:	104
2.6.	محتوى الدعاية النازية في شمال إفريقيا:	109
	الفصل الثالث:	113
	الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية:	113
	(عملية الشُّعلة – نوفمبر 1942)	113
1.	ظروف الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا:	114
1.1.	التحضير لعملية الشُّعلة:	118
2.1.	صعوبات الإنزال الأنجلو أمريكي في شمال إفريقيا:	123
2.	العلاقات الفرنسية الأمريكية عشية عملية الشُّعلة:	125
3.	دور المقاومة السَّرية الفرنسية في عملية الإنزال الشُّعلة:	129
4.	سير عملية الإنزال الشُّعلة في شمال إفريقيا:	134
1.4.	ردود الفعل الأولية للمحور على عملية الإنزال في شمال إفريقيا:	135
2.4.	عملية الإنزال الشُّعلة في وهران: (فرقة العمل الوسطى – Task Force Center):	136
3.4.	عملية الإنزال الشُّعلة بمدينة الجزائر: فرقة العمل الشَّرقية (Eastern Task Force):	139
4.4.	عملية الإنزال الشُّعلة في المغرب الأقصى: (فرقة العمل الغربية – Western Task Force):	142
5.	معركة تونس (13 نوفمبر 1942 – 13 ماي 1943):	148
1.5.	حشد قوات المحور في تونس:	148
2.5.	إعداد الحلفاء للحملة على تونس:	149
3.5.	عمليات الحلفاء العسكرية في تونس:	150

154	الفصل الرابع:
154	أثر الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في شمال إفريقيا
154	(1954-1943)
155	1. أثر الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية في الجزائر
155	1.1. بيان فيفري 1943:
165	2.1. مجازر ماي 1945:
199	2. تأثير الحرب العالمية الثانية على المغرب:
199	1.2. لقاء آنفا جانفي 1943:
202	2.2. تأسيس حزب الاستقلال المغربي:
203	3.2. تقديم وثيقة الاستقلال 11 جانفي 1944:
209	4.2. إصلاحات (إريك لابون - Eirik Labonne) وبعث النشاط السياسي في المغرب:
212	5.2. تأسيس حزب الشورى والاستقلال:
217	6.2. زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة (09-12 أفريل 1947):
222	3. أثر الحرب العالمية الثانية على تونس:
222	1.3. خلع المنصف باي وردود الفعل التونسية:
222	2.3. نفي المنصف باي:
224	3.3. نشأة الحركة المنصفية:
227	4.3. تكتل التيارات السياسية التونسية وتبلور مطالبها:
229	5.3. مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946
233	6.3. المفاوضات والاستقلال:
241	الخاتمة
248	ملاحق الوثائق الأرشيفية
306	الفهارس
307	1. فهرس الإعلام:
310	2. فهرس الاماكن والبلدان:

311 3. فهرس الهيئات والتشكيلات السياسية:
Error! Bookmark not defined. قائمة المصادر والمراجع
338 فهرس المحتويات
344 الملخص باللغة العربية:
346 الملخص باللغة الاجنبية:

المخلص باللغة العربية:

يبحث موضوع الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على نشاط الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 (الجزائر المغرب تونس نموذجًا) رصد مسار النشاط الوطني في الأقطار الثلاث خلال فترة الحرب العالمية الثانية، حين حاول قادة هذا النشاط استغلال ظروف الصراع بين القوى الكبرى لتحقيق تطلعات شعوبهم رغم الواقع الصّعب الذي فرضته سلطة الاحتلال في محاولة منها للقضاء على كل نشاط من شأنه تغيير واقع المنطقة.

الكلمات المفتاحية:

الحرب العالمية الثانية – الحركة الوطنية في شمال إفريقيا 1939/1954 – إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا (عملية الشُّعلة).

Abstract in English

The topic explores World War II and its impact on the nationalist movement in North Africa (1939–1954) (Algeria, Morocco, and Tunisia as case studies). It traces the trajectory of nationalist activity in the three countries during World War II, as this movement sought to exploit the circumstances of the conflict between major powers to achieve the aspirations of their peoples—despite the difficult reality imposed by the colonial authorities in their attempt to suppress any activity that could change the region's status quo.

Key words:

World War II – Nationalist Movement in North Africa 1939/1954 - Allied landings in North Africa (Operation Torch) .

Résumé en français

Le thème de la seconde guerre mondiale vise à étudier son influence sur le mouvement national en Afrique du Nord (1939 / 1954) (l'Algérie et la Tunisie comme modèle) suivre l'activité nationale dans les trois pays pendant la seconde guerre mondiale lorsque les dirigeants de ce mouvement ont essayé d'exploiter les circonstances du conflit entre les grandes puissances pour réaliser les aspirations de leurs peuples en dépit de la dure réalité imposée par l'autorité coloniale qui a tenté d'éliminer toute activité qui pourrait changer la réalité de la région.

Mots-clés:

La seconde guerre mondiale - Le mouvement national en Afrique du Nord 1939/ 1954 - Débarquement des Alliés en Afrique du Nord (opération torche).